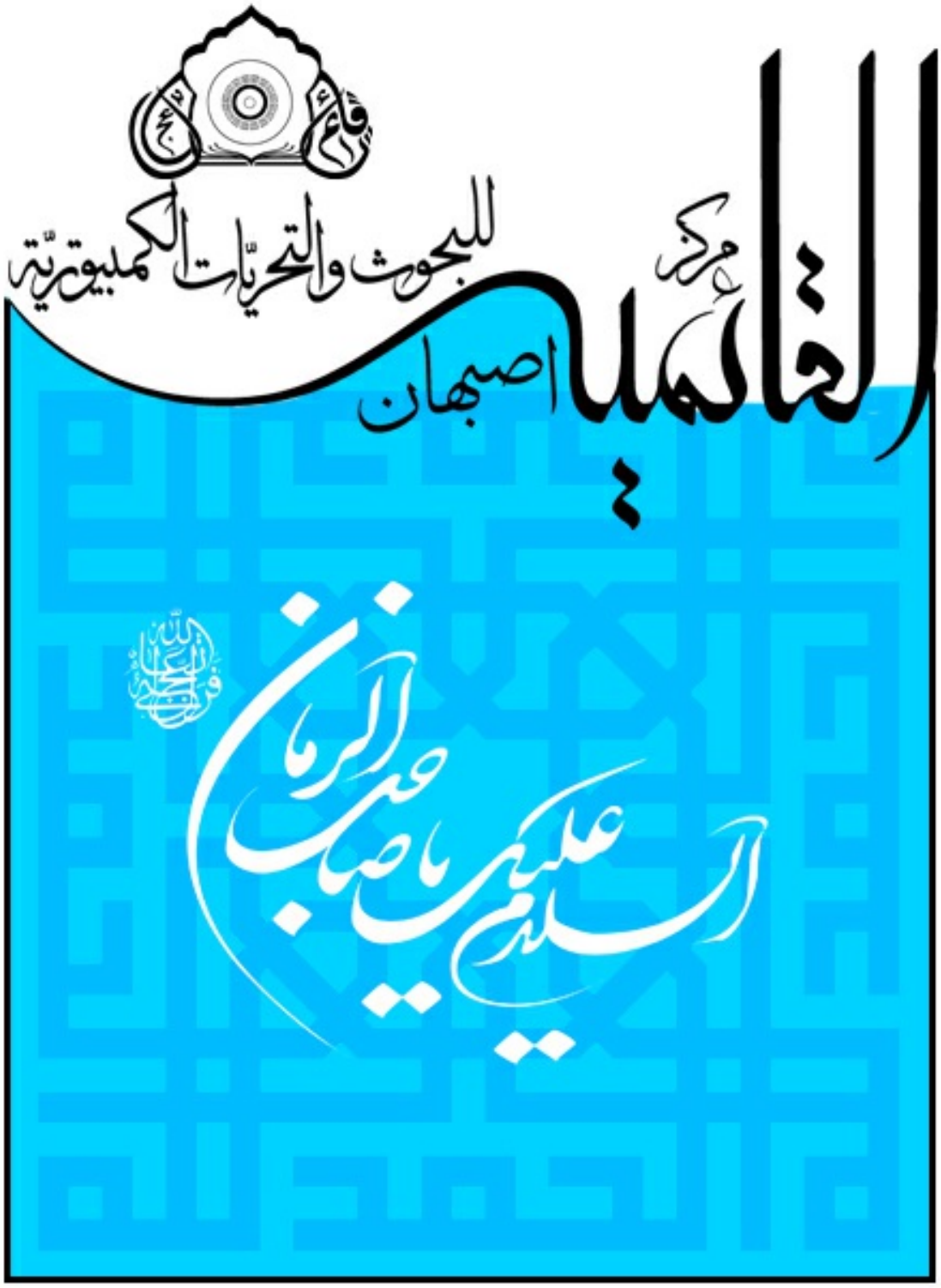

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

مهيج الأحزان
وموقد النيران
في قبور أهل الأوثان

تأليف
آية الله الحسن محمد علي الجاوي

ترجمة وتحقيق
سيد علي جمال اشرف

بسم الله الرحمن الرحیم

مهيّج الأحزان وموقد النيران في قلوب أهل الإيمان

كاتب:

سيد علي جمال أشرف

نشرت في الطباعة:

مولف

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس 5

مهيّج الأحزان وموقد النيران في قلوب أهل الإيمان 21

اشارة 21

اشارة 21

مقدّمة المترجم 25

مقدّمة المؤلف 35

[سبب تأليف الكتاب] 35

نظرة الي آداب إقامة العزاء 39

اشارة 39

المطلب الأول في آداب التعزية وإقامة المآتم 39

اشارة 39

إقامة المآتم علي الإمام الحسين الي قيام قائم آل محمد عليهم السلام 44

المطلب الثاني: أدلة وطرق ذكر مناقب أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم ومعجزاتهم ومصائبهم 48

اشارة 48

[هل يجوز أخذ الأجرة علي النياحة] 50

المجلس الأول: خروج سيد الشهداء عليه السلام من المدينة المشرّفة الي مكة المعظمة 53

اشارة 53

المظلومون المشرّدون 54

تمرّد الأُمّة 56

لماذا لم ينزل العذاب ؟ 58

تأثير مصائب الحسين عليه السلام في الكون 64

تأمّل آخر في مصائب الإمام الحسين عليه السلام 69

ذكر خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة الي مكة 71

اشارة 71
هلاك معاوية وبيعة يزيد 71
الإمام الحسين عليه السلام يري جدّه رسول اللّه صلي الله عليه و آله في الرؤيا 72
الإمام الحسين عليه السلام يودّع قبر أمّه فاطمة الزهراء عليهاالسلام وأخيه الحسن المجتبي عليه السلام 73
تحرّك الحسين عليه السلام من المدينة المنورة 74
بكاء نساء بني هاشم عند خروج الحسين عليه السلام من المدينة 75
لقاء الحسين عليه السلام بطائفة من الملائكة 76
لقاء الحسين عليه السلام بطائفة من مسلمي الجن 77
لقاء الإمام الحسين عليه السلام بأمّ سلمة عليهاالسلام 78
المجلس الثاني: خروج سيد السعداء من مكة المعظمة الي العراق وورووده كربلاء 80
اشارة 80
حرمة الكعبة 81
الكعبة والحرم الحقيقيتان 84
أشقياء الأمّة وهتك حرمة الحرم الإلهي 86
قطرة من بحار فضائل أهل البيت عليهم السلام 88
جبرئيل الأمين عليه السلام خادم أهل البيت عليهم السلام 91
صرخة جبرئيل عليه السلام يوم عاشوراء 93
مصيبة ما أعظمها ! 95
طائفة أخري من فضائل أهل البيت عليهم السلام 96
بكاء الكائنات علي الإمام الحسين عليه السلام 99
بكاء المخلوقات علي الإمام الحسين عليه السلام 103
ثواب البكاء علي الإمام الحسين عليه السلام 104
ورود الإمام الحسين عليه السلام مكة 105
جواب الإمام الحسين عليه السلام علي كتب الكوفيين 108
خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة 109

كلام الإمام الحسين عليه السلام مع محمد بن الحنفية 110
خطبة الإمام الحسين عليه السلام قبل خروجه من مكة 111
كلام الإمام الحسين عليه السلام مع ابن عباس 112
بكاء مكة والحرم علي فراق نور عين العالمين 113
لقاء الحسين عليه السلام مع الفرزدق 113
كتاب عبد اللّه بن جعفر للحسين عليه السلام 115
لقاء الحسين عليه السلام مع بشر بن غالب في ذات عرق 116
كلام الإمام الحسين عليه السلام مع ابنه علي الأكبر في منزل الثعلبية 116
لقاء الحسين عليه السلام مع أبي هرة 117
في « قصر بني مقاتل » 117
حركة الإمام الحسين عليه السلام نحو الكوفة وأول ردّة فعل لابن زياد اللعين 118
كتاب الحسين عليه السلام لأهل الكوفة من بطن الرمّة 118
إلقاء القبض علي رسول الحسين عليه السلام 120
رؤيا السيدة زينب عليهاالسلام في منزل الخزيمية 121
في منزل « عقبة البطن » 121
خبر مقتل مسلم عليه السلام في منزل الثعلبية 122
الإمام الحسين عليه السلام يمسح علي رأس بنت مسلم الصغيرة 123
الإمام الحسين عليه السلام يشيد بمقام مسلم عليه السلام 125
وصول خبر شهادة رسول الحسين عليه السلام في زبالة 125
[في بطن العقبة] 127
لقاء الحر مع الحسين عليه السلام في منزل شراف 128
قطرة من بحار الرحمة الحسينية 129
خطبة الحسين عليه السلام في أصحاب الحر 130
القوم يمنعون الحسين عليه السلام وأصحابه من الإنصراف 131
في قصر بني مقاتل 133

وصول كتاب ابن زياد الملعون الي الحر ---- 133
النزول في كربلاء ---- 135
المجلس الثالث: وقائع كربلاء منذ نزلها الحسين عليه السلام الي ليلة عاشوراء ---- 138
اشارة ---- 138
نظرة الي التقابل بين الدنيا والآخرة ---- 139
عقاب قتلة الحسين عليه السلام ---- 141
إخبار النبي صلي الله عليه و آله بشهادة الحسين عليه السلام ---- 142
عمر بن سعد علي مفترق طريقين ---- 151
حرمان عمر بن سعد من ولاية الري ---- 154
كتاب ابن زياد - لعنه اللّه - الي الإمام الحسين عليه السلام ---- 156
ورود عمر بن سعد الي كربلاء ---- 157
كتاب ابن زياد - لعنه اللّه - الي عمر بن سعد ---- 159
خطبة ابن زياد وتحريض الناس علي حرب الحسين عليه السلام ---- 159
خروج شمر اللعين وتتابع الجيوش بالخروج الي كربلاء ---- 159
ابن زياد يأمر بمنع الماء علي الحسين عليه السلام ---- 162
العباس يستقي الماء لمعسكر الحسين عليه السلام ---- 163
اجتماع الحسين عليه السلام بعمر بن سعد - لعنه اللّه - ---- 164
كتاب آخر من عمر بن سعد الي ابن زياد وجوابه ---- 166
هجوم القوم علي خيام الحسين عليه السلام عصر تاسوعاء واضطراب زينب عليهاالسلام ---- 168
العباس يستمهل القوم ---- 169
المجلس الرابع: وقائع ليلة العاشر ---- 171
اشارة ---- 171
نصر اللّه ---- 172
مصاديق نصرة اللّه ---- 172
أول من نصر دين اللّه ---- 174

طغيان أعداء أهل البيت ---- 175
الإمام الحسين عليه السلام ينصر دين اللّه ---- 182
أصحاب الحسين عليه السلام ينصرون دين اللّه ---- 184
زهير بن القين ينصر الإمام الحسين عليه السلام ---- 184
بعض خصائص أنصار الإمام الحسين عليه السلام ---- 188
أنصار الإمام الحسين عليه السلام في ميدان الإمتحان ---- 194
ليلة العاشر برواية السيدة سكينة عليهاالسلام ---- 195
ليلة العاشر برواية الإمام السجاد عليه السلام ---- 197
بنو هاشم يعلنون الوفاء ---- 198
الأنصار يعلنون الوفاء ---- 198
تتمة رواية الإمام السجاد عليه السلام ---- 199
سعادة جماعة ليلة العاشر بالتحاقهم بمعسكر الحسين عليه السلام ---- 200
ليلة العاشر ليلة العبادة والمناجاة ---- 200
ليلة العاشر آخر ليلة من عمر الإمام الحسين عليه السلام ---- 201
رؤيا الإمام الحسين عليه السلام وقت السحر ليلة العاشر ---- 202
المجلس الخامس: وقائع صبح عاشوراء المؤلمة فترة الصبح والضحي والظهر ---- 206
اشارة ---- 206
إشارة الي فضائل الإمامين الحسن والحسين عليهماالسلام ---- 213
ثواب زيارة الحسين عليه السلام ---- 214
إشارة الي عظم مصيبة الإمام الحسين عليه السلام ---- 221
اصطفاف جيش العدو صبح عاشوراء ---- 225
برير يكلّم القوم ---- 227
الإمام الحسين عليه السلام يكلّم القوم ---- 228
كلام عمر بن سعد مع الإمام الحسين عليه السلام ---- 231
المجلس السادس: في بيان شهادة بعض أصحابه الكرام ---- 234

اشارة ---------- 234
الشهداء ومقام القرب الإلهي ---------- 235
شهداء كربلاء أفضل من أصحاب الرسول صلي الله عليه و آله ---------- 238
أفضلية شهداء كربلاء ---------- 241
الإخبار بشهادة الإمام الحسين عليه السلام ---------- 247
مبارزات أنصار الإمام الحسين عليه السلام وشهادتهم ---------- 252
اشارة ---------- 252
شهادة الحر ---------- 253
شهادة برير بن خضير الهمداني ---------- 255
شهادة وهب بن عبد اللّه الكلبي ---------- 259
شهادة عمرو بن خالد الأزدي وابنه ---------- 262
شهادة سعد التميمي ---------- 263
شهادة عمران المذحجي ---------- 263
شهادة مسلم بن عوسجة الأسدي ---------- 265
وصية مسلم بن عوسجة ---------- 265
شهادة نافع بن هلال واشتداد حملات أنصار الحسين عليه السلام ---------- 266
شهادة عمرو بن قرظة الأنصاري ---------- 267
صلاة الظهر يوم عاشوراء ---------- 268
شهادة جون غلام أبي ذر ---------- 269
شهادة عمرو بن خالد الصيداوي ---------- 270
شهادة حنظلة الشبامي ---------- 270
شهادة سويد بن عمرو ---------- 271
شهادة الحجاج بن مسروق مؤذن الحسين عليه السلام ---------- 271
شهادة زهير بن القين ---------- 271
شهادة حبيب بن مظاهر ---------- 273

شهادة هلال بن نافع البجلي 274
شهادة شاب قتل أبوه في المعركة 276
شهادة عابس الشاكري ومولاه 278
شهادة عبد اللّه وعبد الرحمن الغفاريان 279
شهادة الغلام التركي 279
شهادة يزيد بن زياد 280
شهادة أبو عمرو النهشلي 280
المجلس السابع: في شهادة أولاد عقيل وشهادة القاسم بن الحسن عليهماالسلام 283
اشارة 283
البرّ والإحسان للوالدين 284
الإمام هو الوالد الحقيقي 285
تفسير الوالدين بالحسنين عليهماالسلام 287
الشكر والإحسان للوالدين الحقيقيين 288
الإحسان والبر بالبكاء وإقامة العزاء 291
إشارة الي مصائب أهل البيت عليهم السلام 294
للحسين عليه السلام درجة لا ينالها أحد من المخلوقين 295
الأمم الأخري وإقامة عزاء الحسين عليه السلام 298
إن كنت باكيا فابك علي الحسين عليه السلام 301
شهادة آل الحسين عليه السلام 304
اشارة 304
شهادة عبد اللّه بن مسلم عليهماالسلام 304
شهادة محمد بن مسلم عليهماالسلام 305
شهادة عبد الرحمن بن عقيل عليهماالسلام 305
شهادة عبد اللّه بن عقيل وبقية آل عقيل عليهم السلام 307
شهادة أولاد جعفر عليهم السلام 307

اشارة 307
شهادة محمد بن عبد اللّه بن جعفر 307
شهادة عون بن عبد اللّه بن جعفر 308
شهادة أولاد الإمام الحسن عليه السلام 308
اشارة 308
شهادة القاسم بن الحسن عليهماالسلام 310
مصرع القاسم عليه السلام 311
المجلس الثامن: في بيان شهادة أولاد أمير المؤمنين عليهم السلام 314
اشارة 314
الأشهر الحرم وحرمتها 315
حرمة شهر المحرم 316
ما هو المقصود من الأشهر الإثني عشر في هذه الآية 316
وجه التعبير عن الأئمة عليهم السلام بالشهور 319
مقارنة بين الإمام الحسين ويحيي عليهماالسلام 322
بكاء الملائكة والجن علي الحسين عليه السلام 325
قتلوا بقتله الإسلام 327
مقتطفات من فضائل الحسين عليه السلام التي لا تحصي 330
العجب ممّا فعله الأعداء 332
محبّة النبي صلي الله عليه و آله لأهل بيته عليهم السلام 335
شهادة أولاد أمير المؤمنين علي عليهم السلام 342
اشارة 342
لمحة عن فضائل أبي الفضل العباس عليه السلام 342
شهادة أبي بكر بن علي عليهماالسلام 345
شهادة عمر بن علي عليهماالسلام 345
شهادة عثمان بن علي عليهماالسلام 347

شهادة جعفر بن علي عليهماالسلام 347
شهادة عبد اللّه بن علي عليهماالسلام 347
حملة حامل اللواء 349
الأمير الوفي في ميدان كربلاء 350
سقّاء كربلاء يتّجه نحو الفرات 350
مصرع أبي الفضل العباس عليه السلام 352
وقوف سيد الشهداء عليه السلام علي مصرع العباس عليه السلام 353
المجلس التاسع: في شهادة فرع حيدر الكرار عليه السلام وشبيه النبي المختار صلي الله عليه و آله المولي علي الأكبر عليه السلام 356
اشارة 356
المشيئة الإلهية وإبتلاء العباد 357
الإختبار الإلهي وبشري الصابرين 359
صبر خاتم الأنبياء صلي الله عليه و آله وذكر بعض مصائب أهل البيت عليهم السلام 360
مصيبة الحسين عليه السلام أعظم المصائب 362
صبر سيد الشهداء عليه السلام 364
صبر الحسين عليه السلام ورضاه 366
علّة بكاء الحسين عليه السلام يوم عاشوراء 367
ما عوّض اللّه به الحسين عليه السلام عن صبره 372
محن الأولياء وكراماتهم 376
الإمام الحسين عليه السلام في مقدّمة أولياء اللّه 378
إشارة الي مصائب يحيي عليه السلام 379
مقارنة بين مصائب الإمام الحسين عليه السلام الفادحة وبين مصائب الأنبياء عليهم السلام 382
إبراهيم الخليل عليه السلام والذبح العظيم 385
نظرة الي فضائل علي الأكبر عليه السلام 388
علي الأكبر عليه السلام يعزم علي القتال 390
علي الأكبر عليه السلام في الميدان 391

نموذج من شجاعة علي الأكبر عليه السلام 392
شهادة علي الأكبر عليه السلام 392
خروج الحرم في شهادة علي الأكبر عليه السلام 393
بكاء السيدة سكينة عليهاالسلام علي علي الأكبر عليه السلام 394
المجلس العاشر: في قتال سيد الشهداء عليه السلام 395
اشارة 395
الإمام الحسين عليه السلام صاحب النفس المطمئنة 396
الإمام الحسين عليه السلام ومقام الرضا والمحبّة 397
مقارنة بين يعقوب النبي عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام 400
الإمام الحسين عليه السلام زينة العرش 400
محبّة الحسين عليه السلام المكنونة في القلوب 403
إنكم لا تطيقون سماع فضائلنا 404
حبّ اللّه ورسوله صلي الله عليه و آله للحسين عليه السلام 405
محمد وآل محمد عليهم السلام الواسطة في خلق جمع المخلوقات 408
المصيبة التي لم يطق الأنبياء عليهم السلام سماعها 409
تأثير مصيبة الإمام الحسين عليه السلام في الأشياء 415
المصيبة العظمي 421
عاشوراء يوم حزن وهموم 425
غربة الحسين عليه السلام يوم عاشوراء 431
شهادة علي الأصغر عليه السلام 433
الإمام الحسين عليه السلام يودّع العيال 435
الإمام الحسين عليه السلام يواجه الأعداء 438
الإمام الحسين عليه السلام يودّع العيال وداعا آخر 439
شجاعة الحسين عليه السلام في كربلاء 444
عودة الي الخيام ومواساة الحرم 446

حملة أخري 446
وداع آخر 448
أسد الأسود يحمل حملة أخري 449
عجز القوم عن مواجهة الحسين عليه السلام 451
عطش الحسين عليه السلام يوم عاشوراء 453
حملته عليه السلام الرابعة علي الذناب 454
جراحات الحسين عليه السلام 454
وداع آخر 456
محاصرة الإمام الحسين عليه السلام 457
شهادة عبد اللّه بن الحسن في اللحظات الأخيرة قبل شهادة الحسين عليه السلام 457
آخر لحظات الإمام الحسين عليه السلام 459
حضور زينب عليهاالسلام عند الحسين عليه السلام 460
مصرع الحسين عليه السلام 460
مصرع الحسين عليه السلام برواية هلال بن نافع 462
المجلس الحادي عشر: وقائع ما بعد شهادة سيد الشهداء عليه السلام ونهب الخيام 465
اشارة 465
الأمّة وأجر الرسالة 466
أفضل الأعمال 468
ولاية أهل البيت وقبول الأعمال 469
العجب من هذه الأمّة 471
أعظم الواجبات محبّة أهل البيت عليهم السلام 474
مراتب المحبّة 474
حبّ الحسين عليه السلام والبكاء عليه 475
تأثير المحبّة والمعرفة في التأثر بالمصيبة 479
عظم مصيبة الحسين عليه السلام علي أهل البيت عليهم السلام 480

بعد الشهادة 485
عودة الفرس الي الخيام 487
حرق الخيام 488
نهب الخيام برواية فاطمة الصغري عليهاالسلام 488
رواية أخري عن فاطمة الصغري عليهاالسلام 491
جسم الحسين عليه السلام تحت سنابك الخيل 493
سبي آل البيت 494
مرور أهل البيت علي مصارع الشهداء 495
ندبة زينب الكبري عليهاالسلام في المصرع 496
سكينة عليهاالسلام عند جسد الحسين عليه السلام 497
مرور الإمام السجاد عليه السلام علي مصرع أبيه عليه السلام 498
المجلس الثاني عشر: في ورود قافلة المحنة والألم الي الكوفة 500
اشارة 500
للّه الأمر من قبل ومن بعد 501
الإمام الحسين عليه السلام والأنبياء عليهم السلام 502
آدم عليه السلام والحسين عليه السلام 503
نوح والحسين عليهماالسلام 503
سليمان والحسين عليهماالسلام 503
إبراهيم والحسين عليهماالسلام 504
موسي والحسين عليهماالسلام 505
عيسي والحسين عليهماالسلام 506
بعض غرائب أموره عليه السلام 508
إسماعيل ويحيي والحسين عليهم السلام 510
زيارة أرواح الأنبياء عليهم السلام لقبر الحسين عليه السلام 513
نوح الجن علي الحسين عليه السلام 515

رؤوس الشهداء علي رؤوس الرماح ---------- 519

إرسال الرأس المقدّس الي ابن زياد ---------- 522

الرأس المقدّس في تنور خولي ---------- 523

دخول السبايا الي الكوفة ---------- 524

خطبة السيدة زينب عليهاالسلام في الكوفة ---------- 525

خطبة فاطمة الصغري عليهاالسلام في الكوفة ---------- 527

خطبة السيدة أم كلثوم عليهاالسلام في الكوفة ---------- 531

خطبة الإمام سيد الساجدين عليه السلام في الكوفة ---------- 532

ورود أهل البيت الي الكوفة برواية مسلم الجصّاص ---------- 533

كلام السيدة زينب عليهاالسلام مع الرأس المقدّس في الكوفة ---------- 535

السبايا في مجلس ابن زياد الملعون ---------- 536

كلام الإمام السجاد عليه السلام وابن زياد لعنه اللّه ---------- 539

إعتراض زيد بن أرقم في مجلس ابن زياد ---------- 539

ابن زياد يأمر بحبس أهل البيت عليهم السلام ---------- 541

الرأس المقدّس يتلو القرآن ---------- 541

كتاب ابن زياد الي يزيد وعمرو بن سعيد لعنهم اللّه ---------- 543

وصول خبر شهادة الحسين عليه السلام وأصحابه الي المدينة ---------- 543

المجلس الثالث عشر: في دخول قافلة المحنة والآلام الي الشام وما جري عليهم هناك ---------- 547

اشارة ---------- 547

ناقضوا العهد ---------- 548

مقارنة بين الأمم السالفة والأمّة المرحومة ---------- 549

الظليمة العظمي في التاريخ ---------- 552

إشارة الي فضائل أهل البيت ومقاماتهم عليهم السلام ---------- 553

كرم الحسين عليه السلام وسخاؤه ---------- 554

عبادته عليه السلام ---------- 557

أول من أسس أساس الظلم والجور علي أهل البيت عليهم السلام 558
كتاب عبد اللّه بن عمر الي يزيد في شهادة الحسين عليه السلام 558
خروج عبد اللّه بن عمر الي يزيد عليه اللعنة 559
جرائم الشجرة الملعونة - بني أمية - 564
صور من تظلّم الزهراء عليهاالسلام يوم المحشر 569
حركة أهل البيت عليهم السلام من الكوفة الي الشام 571
أهل البيت عليهم السلام في تكريت 573
أهل البيت عليهم السلام في وادي النخلة 573
أهل البيت عليهم السلام في مرشاد 574
أهل البيت عليهم السلام في بعلبك 574
الرأس المقدّس في طريق الشام 575
مصائب أهل البيت عليهم السلام في الشام 580
أهل البيت عليهم السلام علي مشارف الشام 582
ورود أهل البيت عليهم السلام الي الشام برواية سهل الساعدي 584
نصراني يسلم عند رأس الحسين عليه السلام 585
فرح بني أمية بدخول السبايا الي الشام 586
تعامل أهل الشام مع أسري آل محمد صلي الله عليه و آله 586
يزيد - لعنه اللّه - يسمع بخبر وصول السبايا 587
الرأس المقدّس يتكلّم في الشام 588
أهل البيت عليهم السلام في مجلس يزيد الملعون 588
الرأس المقدّس في مجلس يزيد وآهات أهل البيت عليهم السلام 592
يزيد لعنه اللّه يقرع الرأس المقدّس وأبو برزة الأسلمي يعترض 593
خطبة السيدة الحوراء زينب الكبري عليهاالسلام في مجلس يزيد لعنه اللّه 593
مجلس يزيد لعنه اللّه برواية الإمام الرضا عليه السلام 595
مجلس يزيد لعنه اللّه برواية أخري 596

كلام يزيد لعنه اللّه مع السيدة سكينة عليهاالسلام 597
كلام يزيد لعنه اللّه مع زينب الحوراء عليهاالسلام 597
شامي يستوهب فاطمة من يزيد لعنه اللّه 598
إعتراض النصراني علي يزيد لعنه اللّه 600
حبس أهل البيت عليهم السلام في خرابة الشام 603
صلب الرأس المقدّس علي باب دار يزيد لعنه اللّه وخروج هند زوجة يزيد الي المجلس العام 603
الرأس المقدّس والأنبياء عليهم السلام 603
إعتراض سفير الروم في مجلس يزيد لعنه اللّه 607
كلام رأس الجالوت 608
إعتراض الإمام السجاد عليه السلام علي خطيب يزيد اللعين 610
خطبة السجاد عليه السلام في مجلس يزيد 610
فزع يزيد من خطبة السجاد عليه السلام 612
كلام الإمام السجاد عليه السلام مع المنهال 613
إعتراض حبر من أحبار اليهود في مجلس يزيد لعنه اللّه 613
رؤيا سكينة المظلومة عليهاالسلام في شام المحنة والبلاء 614
رؤيا هند زوجة يزيد لعنه اللّه 616
أهل البيت عليهم السلام يقيمون العزاء في الشام 617
المجلس الرابع عشر: في دخول أهل البيت الي المدينة المنوّرة 620
اشارة 620
حكم من قتل مظلوما 621
المنتقم للحسين عليه السلام 621
إشارة الي أيام ظهور صاحب الأمر صلوات اللّه عليه 624
تظلّم فاطمة عليهاالسلام في الرجعة 625
تظلّم أمير المؤمنين عليه السلام 628
تظلّم الحسن المجتبي عليه السلام 629

تظلّم سيد الشهداء عليه السلام وأصحابه 630
عاقبة الظالمين 631
نقمة اللّه علي قاتلي الحسين عليه السلام في الدنيا 633
عمّر مئة سنة في انتظار دولة القائم عليه السلام 636
الإنتقام العاجل لدم الحسين عليه السلام 637
عودة أهل البيت عليهم السلام الي المدينة 639
زيارة الأربعين 642
إقامة العزاء في كربلاء 642
ندبة أهل البيت عليهم السلام في كربلاء 644
وقفة مع زيارة الأربعين الأولي 645
أهل البيت عليهم السلام يودّعون كربلاء 647
دخول أهل البيت عليهم السلام الي المدينة 648
بشير ينعي الحسين عليه السلام في المدينة 648
محمد ابن الحنفية يستقبل الضعن 651
مرثية أم كلثوم عليهاالسلام في المدينة 652
ندبة زينب عليهاالسلام في المدينة 653
لا ينقضي الهمّ إلاّ بظهور المنتقم 654
الفهرست 657
تعريف مركز 692

مهيّج الأحزان وموقد النيران في قلوب أهل الإيمان

اشارة

مهيّج الأحزان وموقد النيران في قلوب أهل الإيمان

آية اللّه الشيخ حسن اليزدي الحائري

ترجمة وتحقيق سيد علي جمال أشرف

تعداد صفحات: 552 ص

زبان: عربي

ص:1

خيراندیش دیجیتالي : بیادبود مرحوم حاج سید مصطفي سید حنایي

اشارة

ص: 1

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: 3

مقدّمة المترجم

الحمـد للّه الـذي لاـ إله إلاّ هو الملك الحقّ المبين ، المـدبّر بلا وزير ، ولا خلق من عباده يستشـير ، الأوّل غير موصوف ، والباقي بعـد فناء الخلق ، العظيم الربوبية ، نور

السـماوات والأرضـين وفاطرهما ومبتدعهما ، بغير عمد خلقهما ، فاسـتقرت الأرضون بأوتادها فوق الماء ، ثم علا ربّنا في السَّماواتِ الْعُلي الرَّحْمنُ عَلَي الْعَرْشِ اسْتَوي لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ وَما بَيْنَهُما وَما تَحْتَ الثَّري ، فأنا أشهد بأنّك أنت اللّه ، لا رافع لما وضعت ، ولا واضع لما رفعت ، ولا معزّ لمن أذللت ، ولا مذلّ لمن أعززت ، ولا مانع لما أعطيت ، ولا معطي لما منعت(1) .

اللَّهُمَّ واجْعَلْ شَـرَائِفَ صَلَوَاتِك ، وَنَوَامِيَ بَرَكَاتك عَلَي مُحَمَّدٍ عَبْدِك وَرَسُولك ، الْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ ، وَالْفَاتِحِ لِمَا انْغَلَقَ ، وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ ، وَالـدَّافِعِ جَيْشَاتِ الأَبَاطِيلِ ، وَالدَّامِغِ صَوْلاتِ الأَضَالِيلِ ، كَمَا حُمِّلَ ، فَاضْـطَلَعَ قَائِماً بِأَمْرِكَ ، مُسْـتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِك ، غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ ، وَلا وَاهٍ فِي عَزْمٍ ، وَاعِيـاً لِوَحْيِكَ ، حَافِظاً لِعَهْـدِكَ ، مَاضٍ ياً عَلَي نَفَاذِ أَمْرِكَ ، حَتَّي أَوْرَي قَبَسَ الْقَابِسِ ، وَأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ ، وَهُـدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْـدَ خَوْضَـاتِ الْفِتَنِ وَالآثَامِ ، وَأَقَامَ بِمُوضِـحَاتِ الأَعْلامِ ، وَنَيِّرَاتِ الأَحْكَامِ ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ ، وَشَـهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ ، وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ ، وَرَسُولُكَ إِلَي الْخَلْقِ(2).

1- بحار الأنوار : 83/332 باب 45 .

2- نهج البلاغة : 101 خ72 .

اللّهم وضاعف صلواتك ورحمتك وبركاتك علي عترة نبيك العترة الضائعة الخائفة المستذلة ، بقية الشجرة الطيبة الزاكية المباركة ، وأعل - اللّهم - كلمتهم ،

وأفلج حجّتهم ، واكشف البلاء واللأواء ، وحنادس الأباطيل والعمي عنهم ، وثبّت قلوب شيعتهم وحزبك علي طاعتهم وولايتهم ونصرتهم وموالاتهم ، وأعنهم وامنحهم الصبر علي الأذي فيك ، واجعل لهم أياما مشهودة ، وأوقاتا محمودة مسعودة ، توشك فيها فرجهم ، وتوجب فيها تمكينهم ونصرهم ، كما ضمنت لأوليائك في كتابك المنزل ، فإنك قلت - وقولك الحقّ - : « وَعَدَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضي لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً »(1) .

والعن اللّهم أوّل ظالم ظلم حقّ محمد وآل محمد ، وآخر تابع له علي ذلك ، اللّهم وأهلك من جعل يوم قتل ابن نبيك وخيرتك عيدا ، واستهلّ به فرحا ومرحا ، وخذ آخرهم كما أخذت أولهم ، وأضعف اللّهم العذاب والتنكيل علي ظالمي أهل بيت نبيك ، وأهلك أشياعهم وقادتهم ، وأبر حماتهم وجماعتهم(2) .

وصلّي اللّهم علي الشهيد السعيد ، والسبط الثاني ، والإمام الثالث ، والمبارك ، والتابع لمرضاة اللّه ، المتحقّق بصفات اللّه ، والدليل علي ذات اللّه ، أفضل ثقاة اللّه ، المشغول ليلاً ونهارا بطاعة اللّه ، الناصر لأولياء اللّه ، المنتقم من أعداء اللّه ، الإمام المظلوم ، الأسير المحروم ، الشهيد المرحوم ، القتيل المرجوم ، الإمام الشهيد ، الولي الرشيد ، الوصي السديد ، الطريد الفريد ، البطل الشديد ، الطيب الوفي ، الإمام الرضي ، ذو النسب العلي ، المنفق الملي ، أبو عبد اللّه الحسين بن علي ،منبع الأئمة ، شافع الأمّة ، سيد شباب أهل الجنة ، وعبرة كلّ مؤن ومؤنة ،

1- مصباح المتهجد : 785 .

2- مصباح المتهجد : 785 .

صاحب المحنـة الكبري ، والواقعـة العظمي ، وعبرة المؤنين في دار البلوي ، ومن كان بالإمامـة أحقّ وأولي ، المقتول بكربلاء ، ثاني السـيد الحصور يحيي ابن النبي الشـهيد زكريا ، الحسـين بن علي المرتضـي ، زين المجتهدين ، وسراج المتوكّلين ، مفخر أئمة المهتدين ، وبضعة كبد سـيد المرسـلين ، نور العترة الفاطمية ، وسـراج الأنساب العلوية ، وشـرف غرس الأحساب الرضوية ، المقتول بأيدي شـرّ البرية ، سبط الأسـباط ، وطـالب الثـأر يوم الصـراط ، أكرم العتر ، وأجلّ الأسـر ، وأثمر الشـجر ، وأزهر البـدر ، معظم مكرم موقر ، منظف مطهّر ، أكبر الخلاـئق في زمانه في النفس ، وأعزّهم في الجنس ، أذكاهم في العرف ، وأوفاهم في العرف ، أطيب العرق ، وأجمل الخلق ، وأحسن الخلق ، قطعـة النور ، ولقلب النبي سـرور ، المنزّه عن الإفـك والزور ، وعلي تحمّل المحن والأذي صـبور ، مع القلب المشـروح حسور ، مجتبي الملك الغالب ، الحسين بن علي بن أبي طالب(1) . .

الذي حمله ميكائيل ، وناغاه في المهد جبرائيل ، الإمام القتيل ، الذي اسـمه مكتوب علي سـرادق عرش الجليل ، الحسين مصباح الهدي ، وسفينة النجاة ، الشافع في يوم الجزاء ، سيدنا ومولانا سيد الشهداء(2) عليه السلام .

الذي ذكره اللّه في اللوح الأخضر فقال : . . وجعلت حسينا خازن وحيي ، وأكرمته بالشهادة ، وختمت له بالسعادة ، فهو أفضل من استشهد ، وأرفع الشهداء درجة ، جعلت كلمتي التامّة معه ، والحجة البالغة عنده ، وبعترته أثيبوأعاقب(3) . .

1- المناقب : 4/79 .

2- معالي السبطين : 61 .

3- كمال الدين : 2/290 ح1 .

الذي قال فيه جدّه المبعوث رحمة للعالمين صلي الله عليه و آله : حسين منّي وأنا من حسين ، أحبّ اللّه من أحبّ حسينا(1) ، وقال رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، وهو الصادق الأمين : إنّ حبّ علي قذف في قلوب المؤنين ، فلا يحبّه إلاّ مؤن ، ولا يبغضه إلاّ منافق ، وإنّ حبّ الحسن والحسين قذف في قلوب المؤنين والمنافقين والكافرين ، فلا تري لهم ذاما(2) .

فمن أيّ المخلوقات كان أولئك المردة العتاة ، وأبناء البغايا الرخيصات ، الذين قاتلوه بغضا لأبيه ، وسبوا الفاطميات ، ولم يحفظوا النبي صلي الله عليه و آله في ذراريه ، قال الإمام سيد الساجدين عليه السلام : . . أيّها الناس ، أصبحنا مطرّدين مشرّدين شاسعين عن الأمصار ، كأنّا أولاد ترك وكابل ، من غير جرم إجترمناه ، ولا مكروه ارتكبناه ، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها ، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ، إن هذا إلاّ إختلاق .

فواللّه لو أنّ النبي صلي الله عليه و آله تقدّم في قتالنا كما تقدّم اليهم في الوصاية بنا لما إزدادوا علي

ما فعلوا بنا ، فإنّا للّه وإنّا اليه راجعون ، من مصيبة ما أعظمها ، وأوجعها ، وأفجعها ، وأكظّها ، وأقطعها ، وأمرّها ، وأفدحها ، فعند اللّه نحتسبه فيما أصابنا ، وما بلغ بنا ، إنّه عزيز ذو إنتقام(3) .

ولكنّ اللّه لهم بالمرصاد ، فإنّ دمه الزاكي الذي سكن في الخلد ، واقشعرت له أظلّة العرش ، وبكي له جميع الخلائق ، وبكت له السماوات السبع ، والأرضون السبع ، وما فيهن ، وما بينهن ، ومن يتقلّب في الجنة والنار من خلق ربّنا ، وما يري وما لا يري ، سوف لا ولم ولن يسكن لأنّه قتيل اللّه وابن قتيله ، وثار اللّه وابن ثاره ، ووتر اللّه الموتور في السماوات والأرض(4) حتي « يبعث اللّه قائما

1- بحار الأنوار : 45/314 .

2- المناقب : 3/383 ، بحار الأنوار : 43/281 باب 12 .

3- بحار الأنوار : 45/147 .

4- انظر بحار الأنوار : 98/151 باب 18 .

يفرج عنها الهم والكربات » ، قال الحسين عليه السلام : يا ولدي ، يا علي ، واللّه لا يسكن دمي حتي يبعث اللّه المهدي(1) . .

فذلك قائم آل محمد عليهم السلام يخرج فيقتل بدم الحسين عليه السلام بن علي . . وإذا قام – قائمنا – انتقم للّه ولرسوله ولنا أجمعين(2) . .

وقد بشّر بذلك رسول ربّ العالمين صلي الله عليه و آله فقال : لمّا أسري بي إلي السماء أوحي إليّ ربّي – جلّ

جلاله – فقال : يا محمد ، إنّي اطلعت علي الأرض اطلاعة فاخترتك منها ، فجعلتك نبيا ، وشققت لك من اسمي اسما ، فأنا المحمود وأنت محمد ، ثم اطلعت الثانية فاخترت منها عليا ، وجعلته وصيّك وخليفتك ، وزوج ابنتك ، وأبا ذريّتك ، وشققت له اسما من أسمائي ، فأنا العلي الأعلي ، وهو علي ، وخلقت فاطمة والحسن والحسين من نوركما ، ثم عرضت ولايتهم علي الملائكة ، فمن قبلها كان عندي من المقرّبين .

يا محمد ، لو أنّ عبدا عبدني حتي ينقطع ، ويصير كالشن البالي ، ثم أتاني جاحدا لولايتهم ، فما أسكنته جنّتي ، ولا أظللته تحت عرشي .

يا محمد ، تحبّ أن تراهم ؟ قلت : نعم يا ربّ ، فقال عزّ وجلّ : ارفع رأسك ، فرفعت رأسي ، وإذا أنا بأنوار علي ، وفاطمة ، والحسن ، والحسين ، وعلي بن الحسين ، ومحمد بن علي ، وجعفر بن محمد ، وموسي بن جعفر ، وعلي بن موسي ، ومحمد بن علي ، وعلي بن محمد ، والحسن بن علي ، و« م ح م د » بن الحسن القائم في وسطهم ، كأنّه كوكب درّي .

قلت : يا ربّ ، ومن هؤاء ؟ قال : هؤاء الأئمة ، وهذا القائم الذي يحلّل حلالي ، ويحرّم حرامي ، وبه أنتقم من أعدائي ، وهو راحة لأوليائي ، وهو الذي يشفي قلوب شيعتك من الظالمين والجاحدين والكافرين ، فيخرج اللاّت والعزي طريينفيحرقهما ، فلفتنة الناس – يومئذ – بهما أشدّ من فتنة العجل والسامري(3) .

1- المناقب : 4/93 .

2- بحار الأنوار : 52/376 .

3- كمال الدين : 1/252 باب 23 ح2 ، بحار الأنوار : 52/379 ح185 .

وروي عبد اللّه بن سنان قال : دخلت علي سيدي أبي عبد اللّه جعفر بن محمد عليهماالسلام في يوم عاشوراء ، فألفيته كاسف اللّون ، ظاهر الحزن ، ودموعه تنحـدر من عينيه كاللؤلؤالمتساقط ، فقلت : يا ابن رسول اللّه ، ممّ بكاؤ ؟ لا أبكي اللّه عينيك ، فقال لي : أو في غفلـة أنت ؟ أما علمت أنّ الحسـين بن علي أصـيب في مثل هذا اليوم ؟ ! فقلت : يا سيدي فما قولك في صومه ؟ فقال لي : صمه من غير تبييت ، وأفطره من غير تشـميت ، ولا تجعله يوم صوم كملاً ، وليكن إفطارك بعد صـلاة العصر بساعة علي شربة من ماء ، فإنّه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلّت الهيجـاء عن آل رسول اللّه ، وانكشـفت الملحمـة عنهم ، وفي الأـرض منهم ثلاـثون صـريعا في مواليهم ، يعزّ علي رسول اللّه صلي الله عليه و آله مصرعهم ، ولو كان في الدنيا – يومئذ – حيّا لكان صلي الله عليه و آله هو المعزّي بهم .

قال : وبكي أبو عبد اللّه عليه السـلام حتي اخضلّت لحيته بدموعه . . ثم علّمه آداب يوم عاشوراء ، وآداب الزيارة في ذلك اليوم الي أن قال : ثم قل : اللّهم عـذّب الفجرة الـذين شاقّوا رسولك ، وحاربوا أولياءك ، وعبدوا غيرك ، واسـتحلّوا محارمك ، والعن القادة والأتباع ، ومن كان منهم فخب وأوضع معهم ، أو رضي بفعلهم لعنا كثيرا .

اللّهم وعجّل فرج آل محمـد ، واجعل صـلواتك عليه وعليهم ، واسـتنقذهم من أيدي المنافقين المضـلّين ، والكفرة الجاحدين ، وافتح لهم فتحا يسيرا ، وأتح لهم روحا وفرجا قريبا ، واجعل لهم من لدنك علي عدوّك وعدوّهم سلطانا نصيرا . .

اللّهم إنّ كثيرا من الأمّة ناصـبت المستحفظين من الأئمة ، وكفرت بالكلمة ،وعكفت علي القادة الظلمة ، وهجرت الكتاب والسنة ، وعدلت عن الحبلين اللّذين أمرت بطاعتهما ، والتمسك بهما ، فأماتت الحقّ ، وجارت عن القصد ،

ومالأت الأحزاب ، وحرّفت الكتاب ، وكفرت بالحقّ لمّا جاءها ، وتمسّكت بالباطل لمّا اعترضها ، وضيّعت حقّك ، وأضلّت خلقك ، وقتلت أولاد نبيك ، وخيرة عبادك ، وحملة علمك ، وورثة حكمتك ووحيك .

اللّهم فزلزل أقدام أعدائك ، وأعداء رسولك ، وأهل بيت رسولك ، اللّهم وأخرب ديارهم ، وافلل سلاحهم ، وخالف بين كلمتهم ، وفتّ في أعضادهم ، وأوهن كيدهم ، واضربهم بسيفك القاطع ، وارمهم بحجرك الدامغ ، وطمّهم بالبلاء طمّا ، وقمّهم بالعذاب قمّا ، وعذبهم عذابا نكرا ، وخذهم بالسنين والمثلات التي أهلكت بها أعداءك ، إنّك ذو نقمة من المجرمين .

اللّهم إنّ سنتك ضائعة ، وأحكامك معطلة ، وعترة نبيك في الأرض هائمة ، اللّهم فأعن الحقّ وأهله ، واقمع الباطل وأهله ، ومنّ علينا بالنجاة ، واهدنا إلي الإيمان ،

وعجّل فرجنا ، وانظمه بفرج أوليائك ، واجعلهم لنا ودّا ، واجعلنا لهم وفدا(1) .

المؤلف والكتاب :

قال الشيخ أقا بزرگ الطهراني رحمه الله : هو الشيخ المولي حسن بن محمد علي اليزدي الحائري من أعاظم علماء عصره ، ترجمه التنكابني في قصص العلماء مفصلاً ، وأثني علي فضله وورعه كثيرا ، حتي قال ما ترجمته : أنّه امتنع من تزويج « ضياء السلطنة » كريمة السلطان فتح علي شاه لولده ، مع إصرار السلطان عليه .

وكان في كربلاء من تلاميذ السيد علي الطباطبائي ، صاحب الرياض ، وولده السيد محمد المجاهد ، وكان له عند الناس علي اختلاف طبقاتهم مكانة سامية ، ومقام رفيع .وفي أواخر عمره جاور الحائر الشريف بكربلاء ، وكان له إهتمام بالوعظ والإبكاء وإقامة العزاء ، وكان يستفيد من وعظه الخواص والعوام .

1- مصباح المتهجد : 784 ، بحار الأنوار : 98/305 باب 24 .

وله آثار ، منها :

مهيـج الأـحزان ، مقتل مطبوع ألّفه في (1237 ه-) ، كمـا يظهر من مجلسه الثـامن عنـد ذكر شـهادة العباس عليه السـلام ، وله كرامات ومنامات .

رسالة في الشكوك ، استدلالية موجودة .

رسالة تجويد القرآن ، فارسية في التجويد ، ينقل فيها عن تحفة الأبرار في التجويد للسيد حجّة الاسلام الاصفهاني .

المغتنم في الفروع المأخوذة عن سادة الأمم ، كتاب كبير في الفقه ، رأيت منه مجلّدا ضخما من أول الطهارة الي آخر الوضوء ، فرغ منه في (1242 ه-) ، فتكون وفاته بعد ذلك .

إكمال الاصلاح ، ترجمة بالفارسية لكتاب أستاذه المجاهد « اصلاح العمل »(1) .

وقال رحمه الله في الذريعة : « مهيج الأحزان وموقد النيران في قلوب أهل الإيمان » ، للمولي حسن بن محمد علي اليزدي الحائري ، تلميذ السـيد محمـد المجاهد ، وأدرك أيضا والده صاحب الرياض ، مرتّب علي مقدّمة في آداب التعزية ، وأربعة عشـر مجلسا ، من أول الخروج من مكة إلي آخر ورود المدينة ، وقد طبع مكررا .

أوّله : الحمد للّه المتفرّد بالقدم والبقاء . . .

وكان زاهدا ورعا تاركا للدنيا ، حتي أنّ السلطان فتحعلي شاه أراد أن يزوج ابنته « ضياء السلطنة » بابنه ، فلم يقبل .

وهو غير الحاج مولي حسن بن علي ، صاحب « أنوار الشـهادة » ، و« أنوار الهدايـة » ، وغيرهما .وذكر في المجلس الثامن عند ذكر شـهادة العباس عليه السلام كرامة في رجب سنة (1236) ست وثلاثين ومأتين وألف ، وأنّه شاهد الكرامة ، وألّف « المهيج »

1- كرام البررة 1/346 ترجمة 686 .

في سنة (1237) ، يعني بعد تاريخ الكرامة بسنة ، وطبع في حاشية « محرق القلوب » سنة (1297) ، وقبلها في سنة (1284)(1) .

هذا ، وقد إعتمدنا في ترجمتنا للكتاب علي النسخة التي حقّقها – مأجورا – الحاج محمد حسين رحيميان ، ويبدو أنّ المحقّق – حفظه اللّه – أضاف عناوين داخل المجالس لم تكن من أصل الكتاب ، ونحن إعتمدناها في الغالب ، وإن لم نلتزم بها دائما ، وقمنا بتخريج الإحاديث والمروّيات بما استطعنا اليه سبيلاً ، وحاولنا التوفيق بين ما نقله المؤلف نصّا ، وما وجدناه في المصادر ، لنكون – إن شاء اللّه – قد أدّينا الأمانة في الترجمة والأمانة في النقل ، وقد أشرنا الي ما أضفناه – في كلّ موضع – إمّا في الهامش ، أو بجعله بين معقوفتين .

ولا يفوتني أن أتقدّم بالشكر الجزيل للاستاذ الحاج محمد صادق الكتبي حفظه اللّه ورعاه ورحم أباه ، ووفقه لخدمة الأئمة الميامين عليهم السلام ، ونشر ما يخدم شريعة سيد المرسلين .

وأخيرا : نرجو من اللّه السميع العليم أن يتقبّل منّا هذا القليل ، وينفعنا به يوم لا ينفع مال ولا بنون ولا خليل ، ولا يحرمنا وذريّاتنا خدمة زين السماوات والأرضين سيد الشهداء الحسين عليه السلام في الدنيا والآخرة ، ويجعل عملنا وحبّنا وإعتقادنا فيما يرضيه ويرضي النبي الأمين صلي الله عليه و آله وأمير المؤمنين عليه السلام ، وذريّته الطاهرين ، بحقّ سيدنا ومولانا مهيّج أحزان يوم الطفوف وأخته المعصومة عليهماالسلام .

اللّهم إغفر لنا ولوالدينا ولأزواجنا وذريّاتنا وإخواننا المؤمنين ، وعجّل فرج ولي أمرنا ، آمين ربّ العالمين .

سيد علي جمال أشرف

جوار السيدة فاطمة المعصومة عليهاالسلام

10/17/1427

1- الذريعة : 23/299 رقم 9057 .

مقدّمة المؤلف

[سبب تأليف الكتاب]

الحمـد للّه المتفرّد بالقـدم والبقـاء ، المتوحّـد بالعظمـة والكبرياء ، الحاكم بما يريـد ، والفاعل لما يشاء ، موكّل البلاء للأنبياء ، ثمّ بالأمثل فالأمثل في درجات المحبّـة والولاء ، رافع درجات السـعداء والشـهداء ، ومعوّضـهم عن الحياة القليلـة الفانيـة والنعمـة الدانية ، حياة دائمة ونعيما باقيا بلا فناء ، فقال : « وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي

سَبِيلِ اللّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ » .

والصـلاة والسـلام علي أشرف أهل الإبتلاء ، وأفضل سكّان الأرض والسماء ، محمد سيد الأنبياء ، وخاتم الأوصياء ، وعلي أهل بيته الذين جلّت منـاقبهم عن العـدد ، وعلت مراتبهم من أن يقاس بها أحـد ، أحـد ملوك الـدارين ورؤساء العالمين المبعوثين لقيام القسط في إبتـداء الوجود الي يوم الجزاء ، ولعنة اللّه علي أعدائهم لعنة متصلة ما دامت الأرض والسماء .

وبعد ؛ يقول أقلّ الخلق حسن بن محمد علي اليزدي أصلاً ، والحائري مسكنا ومدفنا إن شاء اللّه تعالي :

لمّا كان التوسّل بالأئمة الطاهرين عليهم السـلام ، والعروة الوثقي لربّ العالمين ، وحبله المتين ، الممدود بينه وبين خلقه ، وأعظم الوسائل التي يتقرّب بها العبد الي اللّه ربّه ، نجد كلّ عبد يبحث عن سبيل وليتّخذه منهجا .

ولمّا كانت مودّتهم لازمة نجد كلّ عبد يحاول أن يبرز مودّته وإخلاصه في مقام الإخلاص وإظهار العبودية بأيّة طريقة يتمكّن منها .

ولمّا كان السعي في حفظ الآثار والأخبار الواردة عن أهل البيت الأخيار عليهم السلام مرغوب ومحبوب ، لأنّه يعدّ من حفظ شعائر الإسلام والإيمان ، بل هو عمل مطلوب من كلّ مؤمن ، ولهذا إنبري العلماء الأخيار في جميع الأعصار والأمصار الي تأليف الكتب وتحرير الرسائل والصحف في هذا المجال .

ولمّا كان ذكر سيد الشهداء عليه السلام ، وحفظ الأخبار المتعلّقة بحادي ظعن السالكين في طريق الرضا مشتملاً علي كلّ تلك المزايا المذكورة والآثار ، بالإضافة الي الفوائد

الخاصة بخدمته خاصة ، لذا إهتموا بتحرير الرسائل وتأليف الكتب في هذا المضمار .

ولمّا أعرض الناس – لا سيما العجم – عن كتب العلماء فشاعت الأكاذيب الواضحة ، والأقاصيص الكاذبة الفاضحة في هذا الباب ، وإشتهر نقلها وتداولها في المحافل والمجالس .

لهذا كلّه قررت أن أحرر رسالة في هذا الباب تكون أقرب الي السياق ، وأرتب فيها الأخبار المعتبرة التي أجمعها من كلّ شتات ليتّضح تماما أنّ مع وجود هذه الأخبار المعتبرة لا يحتاج أحد – بعد – الي تلك القصص الموضوعة ، والأكاذيب العامية .

فلمّا تأكّد عندي هذا العزم والتصميم ، ألحّ عليّ بعض الأخيار من الأصدقاء أن أشرع في العمل ، ولكن عاقني عن تنفيذ ذلك – لمدّة مديدة من الزمان – عوائق الأيام حتي حلّت في هذا البلد المشيد حوادث عظيمة غشانا التشويش والإضطراب ، والخوف علي النفس والمال من التلف ، فقلت : إن نجّانا اللّه اللطيف الرحمن من هذه المهالك ، وأنقذنا من هذه المآسي ، أن أتمّم هذا المشروع شكرا للّه علي ما ينعم علينا به من السلامة .

فلمّا نجونا ببركـة ذلك المولي عليه السـلام ، أردت أن أفي بعهـدي شـكرا للنعمـة ، فلعلّها تكون سـببا لمغفرة الذنوب ، وتوجب النجاة من مهالك الآخرة ، كما كانت سببا في النجاة في الدنيا .

وإن كان هذا الكتاب بمنزلة العظام النخرة للآكل ، والسـقاء الذي تكسّـر جلده من شدّة الجفاف للشارب ، ولكنّه قد يكون نافعا للعطاشـي في وديان الهجران ، والجياع في زمن القحط والمخمصة .

وأملي من مكـارم أخلاـق النـاظرين فيه أن يصـلحوا مـا يجـدوا فيه من الزلاـت والأخطـاء ، ويقبلوا فيه العـذر ، ويقيلوا ما فيه من العثرات ، ليشملهم قوله تعالي : « وَإِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً » .

وقد سمّيته :

«مهيج الأحزان وموقد النيران في قلوب أهل الإيمان »

ورتّبته في مقدّمة وأربعة عشر مجلسا .

نظرة الي آداب إقامة العزاء

اشارة

وفي هذه المقدّمة مطلبان :

المطلب الأول في آداب التعزية وإقامة المآتم

اشارة

وفي آداب التعزية وإقامة المآتم عدّة أمور :

الأول : البكاء والجزع .

وأن يكون الأنسان مهموما مغموما ، يظهر الحزن والكآبة ، بل هذا هو نفس إقامة المأتم والعزاء ، وليس من آدابه .

وقد عدّه بعض العلماء من آداب العزاء ، كما صنعنا نحن ، والحقيقة أنّ المطلوب في هذا الباب هو هذا الأمر نفسه .

وينبغي للإنسان أن يتباكي كثيرا ، بأن يطرق برأسه الي الأرض ، ويتشبّه بالباكين ، ويرفع صوته بالبكاء وإن لم يبك ، وليس في التباكي مشقّة علي أحد .

وما أقلّ توفيقه ، وأبعده عن السعادة من يحضر مجلس العزاء ثم لا يبكي ، ولا يتباكي ! وقد ثبت إستحباب ذلك في ما وصلنا من الأخبار الكثيرة الواردة عن أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام(1) .

1- انظر البحار : 44/278 باب 34 .

الثاني والثالث والرابع : أن يلبس ثياب طاهرة ، ويفتح أزاره – كما يصنع أصحاب المصاب – ويشمّر عن ساعديه وساقيه .

كما يستفاد من رواية عبد اللّه بن سنان ، وإن كانت الرواية واردة في آداب الزيارة ، ولكنه يقول بعد ذكر هذه الآداب « كهيئة أصحاب المصائب »(1) .

وذكر بعض العلماء : أن يخرج حاسر الرأس حافي القدمين ، ولا يبعد إستحباب ذلك لدخوله في عموم إظهار الحزن في المصيبة ، وأن يكون « كهيئة أصحاب العزاء » ، علي أنّ المشي حافي القدمين قد ورد في آداب الزيارة ، والظاهر أنّه يفعل

ذلك لأظهار التذلّل والخشوع ، وهذا المقام من ذلك أيضا .

الخامس والسادس والسابع والثامن : ترك الخضاب والحناء والتمشط والإكتحال .

وقد ذكر ذلك جملة من العلماء ، إعتمادا علي الأخبار الكثيرة الواردة في المقام(2) .

والأفضل أن يجتنب الإدهان – إستعمال الدهن للرأس – لما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال : « ما اختضبت منّا إمرأة ، ولا إدّهنت ، ولا إكتحلت ، ولا رجّلت حتي أتانا رأس عبيد اللّه . . . » .

وجاء في بعض الأخبار : « ما رئي في دار هاشمي دخان خمس حجج . . . »(3) .

ويستفاد من هذه الرواية أنّ الأنسب بصاحب العزاء أن يجتنب عن طبخ الأطعمة اللذيذة ، بل مطلق الطعام – إلاّ أن يكون مثل الخبز لإقتضاء الضرورة – ، بل يستفاد من مجمل الأخبار رجحان إجتناب مطلق الزينة ، وترك مطلق الذائذ ، وذلك لأنّ هذا هو شأن أصحاب المصاب ، ولا تردد في إستحباب إظهار المصيبة وسلوك مسلك أرباب العزاء ، والظهور بهيئتهم .

1- مصباح المتهجد : 724 ، بحار الأنوار : 101/303 ح4 .

2- انظر البحار : 45/386 .

3- بحار الأنوار : 45/386 .

ومـا تعارف بين العوام ! من تزيين المجالس ، وتزيين أنفسـهم بالملابس الفاخرة في أيام محرم ، فهو – كأكثر أفعالهم تماما – منافي لطريقة أهل الشرع .

نعم ، إذا كان المقصود من تزيين بعض المجالس إعـدادها لحضور الناس لأجل إقامـة العزاء ، فقـد لا يكون في ذلك بأس ، أمّا من يحضـر بقصد التزيين فهو لم يقصد العزاء ، ولا إقامة المأتم .

أمّـا فيمـا يخصّ إسـتحباب لبـاس السواد ، ونصب السواد ، وتغطيـة المنبر بـالسواد ، فـإنّي لم أعثر علي دليل خاص في المقام(1) . بـل إنّ النصوص دلّت علي كراهة لبس السواد في غير العمامة والعباء والحذاء !

ولكن لا يخلو لبس السواد من أجر – إن شاء اللّه – بإعتباره من مصاديق إظهار الحزن والتفّجع بالمصاب ، وإن لم تكن المسألـة خاليـة عن الإشكال ، إلاّ أن نمنع شمول الأدلّة الناهية للمقام .

وأمّا خمش الوجوه ، ولطم الخدود ، وجزّ الشعر ، فإنّ العلماء حرّموه في غير هذا المقام ، وقد إدعي الشيخ رحمه الله في المبسوط الإجماع علي ذلك(2) ، وقـد وردت الأخبار في المنع منه أيضا ، مثل روايـة خالد بن سدير عن الصادق عليه السـلام : « ولا شـيء في لطم الخدود سوي الإستغفار » .

أمّا شقّ الجيب علي الميّت ففيه خلاف، وقد ذهب ابن ادريس الي تحريمه مطلقا(3)،

1- لا يخفي أنّ لبس السواد في مجالس عزاء أهل البيت عليهم السـلام يعـدّ من سـيرة المتشـرعة علي مـدي الأعصار والأمصار ، وقد ذكر المؤلف نفسه في ثنايـا كتـابه هـذا : « لمـا قتـل الحسـين بن علي عليهماالسـلاملبس نسـاء بني هاشم السواد والمسوح . . .» بحار الأنوار : 45/188 ح33 . وقـد صـدر أخير كتاب باللغـة الفارسـية في هذا الشأن بعنوان « سياهپوشـي در سوگ أئمة نور عليهم السـلام » عالج فيه الموضوع فقهيا وتاريخيا ، فليرجع اليه من أحبّ التفصيل .

2- المبسوط : 1/189 .

3- السرائر : 1/172 و173 .

وذهب آخرون الي جوازه علي الأب والأم إستنادا الي ما فعله الإمام العسكري فيمصيبة أبيه عليه السلام ، وفعل الفاطميات في مصيبة سيد الشهداء الحسين عليه السلام(1) .

وفي حديث خالد بن سدير قال الصادق عليه السلام ، وسأله عن شقّ الرجل ثوبه علي أبيه وأمّه وأخيه ، أو علي قريب له ؟ فقال : لا بأس بشقّ الجيوب ، قد شقّ موسي بن عمران علي أخيه هارون(2) .

وقد ورد أنّ سيد الشهداء عليه السلام كرر وصيته فقال : إذا أنا قتلت فلا تشقّي عليّ جيبا ، ولا تخمشي عليّ وجها ، ولا تدعي عليّ بالويل والثبور(3) .

بل ورد المنع من الضرب علي الفخذ في المصيبة ، كما روي عن موسي بن بكر عن الإمام موسي بن جعفر عليهماالسلام قَالَ : ضَرْبُ الرَّجُلِ يَدَهُ عَلَي فَخِذِهِ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ إِحْبَاطٌ لِأَجْرِهِ(4) .

ولكن التحقيق أنّ شمول هذه الأدلّة الي ما نحن فيه في المقام محل كلام ، بل الظاهر عدم الشمول . فتبقي الأدلة والتأكيدات علي إظهار الحزن والجزع والفزع وغيرها في المقام بدون معارض ، « فلمثله يقلّ شقّ القلوب فضلاً عن الجيوب » ، فشقّ الجيوب ولطم الخدود وضرب الصدور بالأحجار قليل في هذه المصيبة ، فلا تصل النوبة للكلام عن ضرب الرجل فخذه بيده .

وقد ورد في الحديث علي بن الحسين قال : لمّا قتل الحسين بن علي – صلوات اللّه عليه – لبس نساء بني هاشم السواد والمسوح ، وكنّ لا يشتكين من حرّ ولا برد ، وكان علي بن الحسين يعمل لهن الطعام للمأتم(5) .

1- انظر بحار الأنوار : 82/106 .

2- بحار الأنوار : 79/106 باب 16 .

3- الإرشاد : 2/93 .

4- الكافي : 3/225 باب الصبر والجزع والاسترجاع ح9 .

5- البحار : 45/188 ح33 .

وهل تتصوّر أنّهن كنّ ينحن ولا يضربن بأيديهن علي أرجلهن ؟ ولا ينادين بالويل ولا يلطمن الوجوه ؟ والحال أنّ النياحة عند العرب ليست إلاّ اللطم .ويكفي في جواز هذا الفعل إمضاء الإمام عليه السلام فعل الفاطميات(1) .

وفي إقامة هذا الأمر العظيم من الفوائد والمنافع ما لا يعدّ ولا يحصي ، فحذار حذار أن تتصرف بما يضيّع هذه الفوائد والمنافع ، وحذار حذار أن تلوث مجالس العزاء بأنواع المعاصي ، من قبيل الرياء ! والغناء ، والإفتراء ، والنظر الي النساء ، ثم تسمي ذلك تعزية ، والحال أنّها تحتوي علي كلّ شيء إلاّ التعزية ، أو تسميها إقامة شعائر الإسلام ، وأنت تضيع أحكام الإسلام ، وتدعي أنّها تعظيم لشعائر اللّه وأنت تستخف بشعائر اللّه ، لأنّها محشوة بالأكاذيب ، والأطوار التي لا تليق(2) .

[وحذار حذار] أن يترك المنبر للأطفال والجهّال والفسّاق ، فيتمكّنوا من مقعد النبي صلي الله عليه و آله ونوابه ، ويستحي من إرتقائه العلماء الكمّل ، حتي وصل الأمر أن إتخذ البعض هذا العمل المقدّس شغلاً وصنعة ، وصارت أيام محرم وصفر من أفضل المواسم التجارية عندهم ، فاتجهوا نحو مثل هذا العمل المقدّس ، وهم يتصرفون تصرفات مخجلة بحيث ينزعج الرجل أن يسمي هؤلاء قراء تعزية وذاكري مصيبة ، فيما نعلم أنّ قراءة التعزية وذكر المصيبة فخر عظيم لا يناله إلاّ ذو حظّ عظيم .

أجل ، إن كان الناس يقومون بهذه الأعمال رياءا فإعملها أنت خالصة لوجه اللّه ، وإن كان الناس قد إتخذوها وسيلة للحصول علي الدنيا فإتخذها أنت وسيلة للآخرة ، وإن كان الناس يرتكبون المعاصي أثناءها فاتي بها خالية عن المعاصي ، ولا يسوغ لك أن تجتنبها وتتركها لغيرك ، فقد ورد في الحديث : أنّه دخل

1- ثم ذكر المؤلف تحفظاته علي بعض المراسم الاخري .

2- بأدني تصرف .

علي الامام الصادق عليه السلام فقال له : جعلت فداك ، إنّ الحسين عليه السلام قد زاره الناس من يعرف هذا الأمر ومن ينكره ، وركبت إليه النساء ، ووقع حال الشهرة ، وقدانقبضت منه لما رأيت من الشهرة .

فمكث مليّا لا يجيبني ، ثم أقبل عليّ فقال : يا عراقي إن شـهروا أنفسهم فلا تشهر أنت نفسك - أي إذهب أنت قربة الي اللّه تعالي - ، فواللّه ما أتي الحسين عليه السلام آت عارفا بحقّه إلاّ غفر اللّه له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر(1) .

إقامة المآتم علي الإمام الحسين الي قيام قائم آل محمد عليهم السلام

قد يسأل سائل فيقول : هل يستحب إقامة العزاء وإظهار الحزن في جميع الأيام وكلّ الأوقات ، أو أنّه خاص بأيام محرم الحرام ونحوه من أيام المصيبة ؟

لم أعرف أحدا من العلماء قد تعرّض الي هذه المسألة ، ولكن إطلاق الأدلّة يقتضـي العموم ، ويؤيده بكاء سيد الساجدين عليه السلام طيلة حياته ، وإقامة بني هاشم العزاء علي الإمام الحسين عليه السلام مدّة خمس سنين(2) ، كما أنّ هذا هو الظاهر أيضا من

سيرة الأئمة عليهم السلام من عدم إختصاص ذلك بزمان دون زمان ، فمتي دخل عليهم شاعر قالوا له : أنشد ، فكان ينشد وهم يبكون .

وفي الحديث : ما ذكر الحسين بن علي عليهماالسلام عند أبي عبد اللّه جعفر بن محمد عليهماالسلام

في يوم قطّ فرئي أبو عبد اللّه عليه السلام في ذلك اليوم متبسّما قطّ إلي الليل(3) .

وفي رواية أخري عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السـلام قَالَ : قَالَ لِي أَبِي : يَا جَعْفَرُ أَوْقِفْ لِي مِنْ مَالِي كَذَا وَكَذَا لِنَوَادِبَ تَنْدُبُنِي عَشْرَ سِنِينَ بِمِنًى أَيَّامَ مِنًى(4) .

1- كامل الزيارات : 140 الباب 54 ح14 ،بحار الأنوار : 98/26 باب 4 .
2- بحار الأنوار : 45/386 و46/108 باب 6 .
3- كامل الزيارات : 101 الباب32 ح5 .
4- الكافي : 5/117 باب كسب النائحة ح1 .

قال الشهيد رحمه الله : والمراد بذلك تنبيه الناس علي فضائله وإظهارها ليقتدي بهاويعلم ما كان عليه أهل البيت ليقتفي آثارهم(1) .

فلا إشكال في ذلك ، وإنّما الإشكال في أنّ هذا الإستحباب هل هو ثابت أيضا في الأعياد وغيرها من أيام سرور أهل البيت عليهم السلام من قبيل يوم التاسع من ربيع الأول ، ويوم الغدير ، وما شاكلها من الأيام ؟ سيّما وأنّ المطلوب في هذه الأيام إظهار

الفرح والسرور ، ومع وجود هذه المطلوبية فما معني الحزن والألم ؟ والفرح والحزن متضادان لا وجه لمطلوبيتهما في آن واحد من شخص واحد .

وعلي هذا تكون المسألة من قبيل إجتماع الأمر والنهي ، ومطلوبية السرور في تلك الأيام الخاصة خاص ، فالأنسب الأولي تخصيص أدلّة الإستحباب بغير هذا المقام .

ويمكن أن يدفع الإشكال بالإلتزام في المقام بإمكان إجتماع السرور والحزن من جهتين مثل إجتماع الخوف والأمن من جهتين ، ولو سلّمنا عدم إمكان الإجتماع ، ففي عدم جواز إجتماع الأمر الإستحبابي والنهي التنزيهي كلام ، وذلك لأنّ دليل بعضهم علي عدم جواز الإجتماع هو التكليف بما لا يطاق ، والنهي في هذا المقام لا وجه له ، وذلك لوجود الرخصة من كلا الجانبين(2) .

1- الذكري للشهيد الأول : 72 ، وانظر الحدائق الناظرة : 4/165 . والتعليل المذكور ليس منصوصا ، بلهو فهم الشهيد رحمه الله ، وليس بالضرورة أن يكون الإقتداء والإقتفاء هو العلّة التامة في أمر الإمام عليه السلام ، وظاهر الحديث ، بل صريحه أنّ الندبة بما هي ندبة مطلوبة ومأمور بها ، فربّما كانت العلّة التي ذكرها الشهيد رحمه الله مقصودة في الحديث وقد تكون هناك علّة أخري ، واللّه العالم .
2- بل من الصعب جدّا تصوير التضاد في المقام ، وهل ثمّة دليل علي وجوب أو إستحباب إدامة السرور في كلّ آن من آنات العيد ؟ بل من راجع نصوص زيارات الحسين عليه السلام أيام الأعياد ، أو زيارة أمير المؤمنين عليه السلام يوم الغدير - وهو أعظم الأعياد الأربعة - وغيرها يجد أنّ نصوص الزيارات تنصّ علي ذكر المصائب المبكية التي لا يتمالك المؤمن نفسه عند قراءتها ، نعم قد يرد كلامه رحمه الله في التاسع من ربيع الأول لخصوصيته ، وتصريح الرواية بأنّه يوم فرح لا كدر فيه ولا حزن ، ويفهم من الرواية أنّ اليوم كلّه يوم فرح ، وفيه دلالات أخري تؤكد ما فيه من الخصوصية ، ومع ذلك تجد فيه من ذكر مصائب الزهراء عليهاالسلام ، وأهل البيت ما يستدرّ الدموع . انظر حديث التاسع من ربيع الأول في المحتضر للحسن بن سليمان الحلّي تحقيق سيد علي جمال أشرف : 89 .

نعم قد يقال : أنّ إجتماع الضدين يمنع من ذلك ، ويجاب أنّ نظيره كثير في الشـرع ، مثل الصلاة في الأماكن والأزمنة المكروهة ، والجواب في كلا الموردين واحد ،فيكون الإتيان به ممكنا .

وبقطع النظر عن كلّ ذلك ، فإنّ دليل إسـتحباب الحزن علي سـيد الشـهداء عليه السلام قطعي وإستحباب السرور في الأيام الخاصة ظني ، بل منشأه التسامـح في أدلّـة السـنن ، وتقـدّم الأدلـة القطعيـة علي التسامـح يقيني ، وهي – علي إحتمال – مقدّمـة علي سائر الأدلّة الظنية ، وتحقيق ذلك ليس هذا محلّه .

وكيف ما كان ، فإنّ الحكم بعدم إسـتحباب التعزية والبكاء في مثل هذه الأيام – كما حكي عن بعضهم – بعيد ، سيما مع ما ورد عن الإمام السجاد عليه السلام : . . . فأيّ رجالات منكم يسرّون بعد قتله ؟ أم أيّة عين منكم تحبس دمعها وتضنّ عن إنهمالها(1) ؟ . .

وقول الإمام صاحب الأمر عليه السلام في الزيارة المشهورة : . . . فلأندبنّك صباحاومساء ، فلأبكينك بدل الدمع دما(2) . .

وقول المنادي الـذي نادي من السـماء عند شـهادته صـلوات اللّه وسـلامه عليه : اليوم نزل البلاء علي هذه الأمّة ، فلا ترون فرحا حتي يقوم قائمكم يشفي صدوركم(3) . . .

الي غير ذلك ، بل يستفاد من ذلك وغيره أنّ السرور والفرح في غير محلّه ، ولنعم ما قال السيد المرتضي علم الهدي رحمه الله :

1- اللهوف : 228 ، بحار الأنوار : 45/127 .

2- بحار الأنوار : 101/320 .

3- كامل الزيارات : 553 ح823 .

إنّ يوم الطفّ يوما

كان للدين عصيبا

لم يدع للقلب منّي

في المسرّات نصيبا

لعن اللّه رجالاً

أترعوا الدنيا غصوبا

سالموا عجزا فلمّا

قدروا شنّوا حروبا

طلبوا أوتار بدر

عندنا ظلما وجوبا(1)

والوجه الآخر في بقاء هذا الإستحباب في هذه الأيام أنّ البلية والرزية أعظم وغالبة علي الفرح والسرور ، وذلك لأنّ وقوع حدثين عظيمين لشخص عظيم ، كما لو رزق ولدا ، ومات ولده الأكبر ، وكان عالما ، فإنّ مراعاة المصيبة حينئذٍ أولي وأنسب ألبتة .

وعليه فلو فرض إتفاق أحد هذه الأعياد في يوم عاشوراء ، فأنّ مراعاة المصيبة أولي وأنسب ، كما إتفق أن وقع نوروز في أيام محرم في سنة من السنين فقدّم الناس المصيبة وأحيوا عاشوراء(2) .

1- بحار الأنوار : 45/249 ، فيالمتن : « ظلما وجورا » .

2- في المناقب : 4/318 ، وبحار الأنوار : 48/107 باب 5 : إنّ المنصور تقدّم إلي موسي بن جعفر عليهماالسلام بالجلوس للتهنئة في يوم النيروز ، وقبض ما يحمل إليه ، فقال عليه السلام : إنّي قد فتشت الأخبار عن جدّي رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، فلم أجد لهذا خبرا ، وإنّه سنة للفرس ، ومحاها الإسلام ، ومعاذ اللّه أن نحيي ما محاه الإسلام . فقال المنصور : إنّما نفعل هذا سياسة للجند ، فسألتك باللّه العظيم إلاّ جلست . فجلس عليه السلام ، ودخلت عليه الملوك والأمراء والأجناد يهنّونه ، ويحملون إليه الهدايا والتحف ، وعلي رأسه خادم المنصور يحصي ما يحمل . فدخل في آخر الناس رجل شيخ كبير السنّ ، فقال له : يا ابن بنت رسول اللّه ، إنّني رجل صعلوك لا مال لي ، أتحفك بثلاث أبيات قالها جدّي في جدّك الحسين بن علي عليهماالسلام : عجبت لمصقول علاك فرنده يوم الهياج وقد علاك غبارولأسهم نفذتك دون حرائر يدعون جدّك والدموع غزارألا تقضقضت السهام وعاقها عن جسمك الإجلال والإكبار قال عليه السلام : قبلت هديّتك ، اجلس بارك اللّه فيك ، ورفع رأسه إلي الخادم ، وقال : امض إلي أمير المؤنين وعرّفه بهذا المال ، وما يصنع به ؟ فمضي الخادم وعاد وهو يقول : كلّها هبة منّي له ، يفعل به ما أراد . فقال موسي عليه السلام للشيخ : اقبض جميع هذا المال ، فهو هبة منّي لك .

المطلب الثاني: أدلة وطرق ذكر مناقب أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم ومعجزاتهم ومصائبهم

اشارة

إعلم ، أنّ بعض العلماء قد ذهب الي جواز ذكر الأخبار الضعيفة في مقام التعزية ،وذكر المناقب والفضائل والمعجزات ، إستنادا الي التسامح في أدلّة السنن ، فقد روي بطرق معتبرة وصحيحة أنّه عليه السلام قال : مَنْ بَلَغَهُ ثَوَابٌ مِنَ اللَّهِ عَلَي عَمَلٍ فَعَمِلَ ذَلِكَ الْعَمَلَ الْتِمَاسَ ذَلِكَ الثَّوَابِ أُوتِيَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْحَدِيثُ كَمَا بَلَغَهُ(1) .

والذي أظنّه – أنا الفقير – أنّ هذا الكلام غير صحيح ، بل هو توهّم ، وذلك لأنّه مبني علي الشكّ في إستحباب التعزية أو ذكر المناقب – مثلاً – فيكتفي حينئذٍ بالدليل

الضعيف في إثبات إستحبابه إستنادا الي جواز التسامح في أدلّة السنن .

ولكن الكلام ليس في هذا المقام ، بل الكلام في أنّ هذه المنقبة الغير معلومة الواردة في حديث ضعيف ، هل هي منقبة ثابتة لصاحبها فعلاً حتي يثبت لذاكرها الثواب مقابل ذكرها أو لا ؟

وهل أنّ المصيبة علي هذا النحو واقعا فعلاً حتي يعتقدها المستمع ، ويبني علي صحّتها ، ويبكي عليها أو لا ؟ !

بناء علي ذلك ، فالمقام مقام إثبات الموضوع لا الحكم ، وهو مقام العلم لا مقام التسامح ، وهذا واضح(2) .

1- الكافي : 2/87 باب من بلغه ثواب من اللّه علي عمل .

2- الواضح أنّ المقام مقام إثبات الموضوع لا الحكم ، أمّا كلامه رحمه الله ففيه مجال كبير للتأمّل ، سيّما إذا لاحظنا ما سيذكره المؤلف نفسه في الفقرات الآتية .

وتحقيقه : أنّ الأخبار الصحيحة والضعيفة متساوية في المقام ، لأنّ المقام مقام الإعتقاد الذي يعتبر فيه العلم ، لا مقام العمل .

فالأخبار الصحيحة حينئذٍ لا يمكن الإعتقاد بمضمونها ما دامت لا تورث العلم ، ولا يمكن الإعتقاد تعبّدا بوقوع شيء ، إلاّ أن يكون التعبّد بالإستحباب ، وهو خارج عن محلّ البحث .

يبقي أنّه لا ـ ضرر في نقل الأخبار الظنية في هذا الباب ، بل إنّها توجب الثواب منحيث ثبوت إستحباب ذكر أهل البيت عليهم السلام ، وإستحباب إقامة العزاء والبكاءوالإبكاء وذكر ما جري عليهم عليهم السلام .

ولا شبهة في أنّه بعد ذكر الحكايات والأخبار يدخل موضوعا في تلك الموارد ، ويصدق عليه أنّه « ذاكر » لفضائل أهل البيت عليهم السلام ، وأنّه « أبكي » ، وهذا القدر كاف في حصول المطلوب .

نعم تبقي الشبهة في أنّه كيف ينقل ما لم يكن معلوما ، فيقول مثلاً : فعل كذا ، وكان

كذا ، وقال كذا . . وقد يكون كلّ ذلك خلاف الواقع ؟ بل إنّ هذا الإشكال وارد أيضا فيما لو كانت الأخبار التي يرويها صحيحة أيضا ، لأنّ الخبر الصحيح لا يوجب العلم ، ولو قلنا بالظن ، فالخبر الصحيح والضعيف سواء .

وتدفع هذه الشبهة أيضا بأنّ هذا ممّا تعارف عليه الناس تماما كما يصنع العلماء حينما ينسبون المراسيل من الأخبار وغيرها الي المعصوم ، فيقولون قال الصادق عليه السلام مثلاً ، والحال أنّ صدور هذا الحديث عن المعصوم غير معلوم عندهم ، فلا بأس به حينئذٍ في المقام .

وبناء علي ذلك تكون الأخبار الصحيحة والضعيفة سواء ، يصحّ نقلها وإسنادها .

نعم لو كان الخبر مضنة للكذب ، ولم نقل بجواز نقله من دون نسبته الي الرواي ، فهو محلّ لشبهة عظيمة ، بل لا يخلو من شبهة حتي لو كان مضنة للشكّ ! .

وبناء علي هذا ، فإنّ النقل عن العلماء أو كتب التاريخ وغيرها لا بأس به ، ولا ضرر فيه ما دام معتمدا عليها في الحكاية والنقل ، وآثار الكذب والوضع غير لائحة فيها .

أضف الي ذلك أنّنا لو إقتصرنا علي نقل الأخبار الصحيحة – بل مطلق الأخبار – فلم يبق لنا شيء . ولذا نري أجلّة العلماء لا يكتفون في هذه الموارد بالأخبار المعتبرة ، ولا يقتصرون عليها ، بل ينقلون كلمات العلماء والمؤرخين أيضا .ومع كلّ هذا قد يُسمع من جهّال قرّاء التعزية أشياء لم تسمعها أذن من قبل ، وهم يظنون أنّهم يحسنون صنعا بما ذكروه جديدا ، ولم يفكروا بعواقبه السيئة ، وقد قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله : قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الْكَذَّابَةُ ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ(1) .

أمّا في موارد النقل بالمعني ، فقد أجازه العلماء ، ولكن مع مراعاة الشروط المقررة المعروفة ، بحيث لا يلزم منه الزيادة والنقصان ، وقالوا بلزوم مراعاة الإحتياط الكامل في المقام ، فلا ينقل الحكايات التي لا أساس لها ولا أصل ، أو أنّه

ينقل الأخبار بتصرّف مخلّ بها ، أو أنّه يضيف عليها وينمّقها بما لا يعرفه إلاّ اللّه ، فهذا حاله كحال ما جعلوه سنّة متعارفة من التغنّي وغيره من القبائح !! .

[هل يجوز أخذ الأجرة علي النياحة]

أمّا ما تعارفوا عليه من أخذ الأجرة علي ذلك ، فهو موافق للشرع الأنور ، ولا بأس به ، ولا تكون الأجرة حراما حسب القواعد ، لأنّهم أجازوا الإستئجار للصلاة والصوم والحج والزيارة وقراءة القرآن ، ويلزم من ذلك جواز ما نحن فيه(2) .

1- الكافي : 1/62 باب اختلاف الحديث ح1 .

2- بل مرّ معنا قبل قليل ما روي في الكافي الشريف : 5/117 باب كسب النائحة ح1 عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ : قَالَ لِي أَبِي : يَا جَعْفَرُ أَوْقِفْ لِي مِنْ مَالِي كَذَا وَكَذَا لِنَوَادِبَ تَنْدُبُنِي عَشْرَ سِنِينَ بِمِنًى أَيَّامَ مِنًى ، وهناك روايات أخري في تخصيص الإمام الباقر عليه السلام مبلغا من ماله للنوادب ، وما إعتاد عليه أئمة الهدي عليهم السلاممن إتحاف الشعراء الذين يرثون الحسين عليه السلامعندهم ، كلّها تؤكد إهتمام الأئمة عليهم السلام بما يدفع لمن يندبهم .

ولو لم تعيّن الأجرة فليس له إلاّ أجرة المثل ، لو كان علي هذا العمل أجرة بحسب العادة .

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: لابأس بكسب النائحة إذا قالت صدقا(1)(2).وفي حديث آخر عن أبي بصير عنه عليه السلام قال : لا بأس بأجر النائحة(3) .

ولكن في رواية حنان بن سدير عن الصادق عليه السلام قال: لاتشارط وتقبل كلّما أعطيت(4).

وعليه فإشتراط الأجرة من البداية – كأن يقول: إنّي آخذ مبلغ كذا مقدّما – مشكل.

وفي جواز النياحة علي سائر الأموات وأخذ الأجرة علي ذلك إختلاف بين العلماء ، فذهب الشيخ الطوسي وابن حمزة – من علمائنا – الي حرمة ذلك ، وادعي الشيخ الإجماع عليه(5) .

وقد وردت بعض الأخبار في منع هذا العمل ، بل ورد عن رسول اللّه صلي الله عليه و آله أنّه لعن النائحة والمستمعة(6) ، وفي حديث آخر عنه صلي الله عليه و آله : إِنَّ النَّائِحَةَ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا تَقُومُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ وَدِرْعٌ مِنْ حَرَبٍ(7) .

ولكن الظاهر أنّ مشهور العلماء جواز ذلك إعتمادا علي أخبار كثيرة وردت في الجواز ، وأمّا الأخبار المانعة فقد حملوها علي النوح بالباطل(8) .

1- بحار الأنوار : 103/103ح51 .

2- قياس أحكام النائحة التي تنوح أموات الناس بالنائحة التي تنوح الحسين عليه السلام أو أهل البيت عليهم السلام قياس – مع الفارق – واضح .

3- بحار الأنوار : 82/107 ، وسائل الشيعة : 17/127 ح22162 .

4- وسائل الشيعة : 17/126 ح22158 .

5- انظر بحار الأنوار : 79/107 .

6- بحار الأنوار : 79/93 باب 16 التعزية والمأتم وآدابهما .

7- وسائل الشيعة : 17/128 باب 17 .

8- انظر بحار الأنوار : 79/106 وما بعدها .

المجلس الأول: خروج سيد الشهداء عليه السلام من المدينة المشرّفة الي مكة المعظمة

اشارة

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

والحمد للّه الذي جعل محبّته في قلوب أوليائه حتي تركوا ما سواه شوقا اليه ، وسقاهم من رحيق مودّته حتي هجروا من ديارهم أسفا عليه ، وأولهم بجماله حتي اختاروا فراق الصديق ، واحتملوا وعثاء الطريق ، طلبا للزلفي لديه ، وتيّمهم في عشقه حتي لم يبالوا بأمطار السهام والأسنة كمن لم يشعر بجانبيه .

والصلاة والسلام علي أول مهاجر هاجر من دياره لهواه ، وأفضل سالك سلك سبيل رضاه ، وأقرب الخلق الي ربّه وسيّده ومولاه ، سيّدنا ومولانا محمد بن عبد اللّه صلي الله عليه و آله .

وعلي أهل بيته أفضل السالكين الي اللّه ، وأشرف المهاجرين عند اللّه ، سيّما علي ولده وحبيب قلبه ، وفلذّة كبده الذي هاجر مع أولاده وعشيرته ، وأُخرج عن حرم رسول اللّه صلي الله عليه و آله مع إخوانه وقبيلته ، وجاهد في اللّه مع أنصاره وأحبّته ، وقتل لوجه اللّه مع أعوانه وخاصّته .

الغريب الوحيد ، والأسير الشهيد ، الذي أحاط به كلاب أهل الدنيا ، وسباع أراذل الوري ، فجعل يفرّ بعياله من بلد الي بلد ، ومن دار الي دار ، حتي أناخوا

عليه ، وأحاطوا جانبيه ، ففعلوا به من القتل والغارات وسبي النساء والبنات ما كلّت الألسن عن تقريره ، وعجزت الأيدي عن تحريره .

فواللّه إنّ هذا الأمر « تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا » ..

فواحسرتاه ! علي تلك الأجسام المرمّلة ، والأفواه اليابسة من الظمأ . .

ووالهفاه ! علي تلك الأجساد والأبدان المدفونة من غير غسل وأكفان . .

ووا طول لهفي ! علي تلك الجثث المجدّلة في الفلوات ، والأعضاء البالية ! العاريات ..

ويا تأسّفي ! علي تلك الذراري الموتورات ، والنسوة المأسورات . .

ويا حزني ! علي الأيدي المغلولات والأعناق المكبّلات . .

فالويل للعصاة الفسّاق ! كيف سلك بهم حبّ الدنيا طريق العمي ، وحاد بأبصارهم عن منار الهدي ، فإتّخذوها ربّا ، وإتخذتهم عبيدا ، فلعبت بهم ، ولعبوا بها ، ونسوا ما وراءها ، رويدا يسفر الظلام « وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » .

وبعد ؛ قال اللّه تعالي في كتابه المبين وكلامه المتين :

« أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللّهَ عَلي نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ

الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاّ أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللّهُ وَلَوْ لا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَواتٌ وَمَساجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللّهِ كَثِيراً وَلَيَنْصُرَنَّ اللّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ » .

* * *

المظلومون المشرّدون

يستفاد من بعض التفاسير المعتبرة والأخبار : أنّه لم يؤر رسول اللّه صلي الله عليه و آلهبقتال ، ولا أذن له فيه حتي نزل جبرئيل عليه السلام بهذه الآية « أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا »

وقلّده سيفا(1) .

1- بحار الأنوار : 22/15 باب 37 .

وفي الكـافي الشـريف عن الصادق عليه السـلام قال: نزلت في علي عليه السـلام وجعفر وحمزة عليهماالسـلام، وجرت في الحسـين عليه السلام(1) .

أخرجوه من مكة ظلما وجورا ، ولم يكن له ذنب إلاّ أنّه قال : ربّي اللّه ، وهجر طريقة المشـركين ، وسـلك صراط التوحيد ، فخرج الي أرض المهجر غريبا ، وجاهد في اللّه حقّ الجهاد حتي فاز بالشهادة .

وروي أيضا : أنّه انصـرف رسول اللّه صـلي الله عليه و آله إلي المدينـة حين دفن شـهداء أحد ، فمرّ بدور الأنصار ، فسـمع بكاء النوائح علي قتلاهن ، ولم يسمع نائحة في بيت عمّه الغريب حمزة ، فحزن لذلك ، ثم قال : أمّا عمّي حمزة لا بواكي له هاهنا ، فلمّا سمعها

المهاجرون والأنصار قالوا : لا تبكين امرأة حميمها حتي تأتي بيت رسول اللّه صلي الله عليه و آله فتندب عمّه الغريب حمزة .

وفي غداة غد إرتفع صوت النائحة في بيت النبي صـلي الله عليه و آله أولاً ، فلمّا سمع رسول اللّه صلي الله عليه و آله الواعية قال : من يبكي عمّي الغريب حمزة ؟ فقـالوا : نسـاء الأنصار ، فقال : رضـي اللّه عنهن وأرضاهن(2) ، قال الصادق عليه السـلام : وجرت في الحسـين عليه السلام .

أجل ، جرت الآيـة الشـريفة علي المشـرّد عن الديار ، والمبعد عن الأوطان الذي أخرج من وطنه ، وأُسـر في الغربة ، فقاتلهم بإذن اللّه حتي قتل بغير حقّ ، وذبح مظلوما بلا ذنب ولا تقصير بدا منه ، وما نقموا منه إلاّ أنّه يقول ربّي اللّه ،

1- الكافي : 8/337 ح534 .

2- بحار الأنوار : 20/98 باب 12 غزوة أحـد وغزوة حمراء الأسد ، اعلام الوري : 2/183 : وانصـرف رسول اللّه صلي الله عليه و آله إلي المدينة حين دفن القتلي ، فمرّ بدور بني الأشـهل وبني ظفر ، فسمع بكاء النوائح علي قتلاهن ، فترقرقت عينا رسول اللّه صلي الله عليه و آله وبكي ، ثم قال : لكن حمزة لا بواكي له اليوم ، فلمّا سـمعها سـعد بن معاذ وأسـيد بن حضير قالا : لا تبكين امرأة حميمها حتي تأتي فاطمة عليهاالسلامفتسـعدها ، فلمّا سـمع رسول اللّه صـلي الله عليه و آلهالواعية علي حمزة وهو عند فاطمة عليهاالسلام علي باب المسجد قال : إرجعن رحمكن اللّه فقد آسيتن بأنفسكن .

وسلك طريق الهدي والتوحيد ، ورفض الشرك ، ولم يطع الجبت والطاغوت ،وهدي الناس الي الولاية ، وهي أهم وأعظم شرائط التوحيد .

ومن هنا روي أنّه عليه السلام خطبهم يوم عاشوراء فقال لهم : خبّروني هل تطلبوني بقتيل قتلته منكم ؟ أو بقصاص أو من جراحة ؟ أو بمال استهلكته منكم ؟ أو علي سنّة غيّرتها ؟ أم علي شريعة بدّلتها(1) ؟

فسكت القوم ولم يجبه أحد منهم ، فأعادها عليهم كرارا ومرارا بعبارات شتي ، كلّ ذلك إتماما للحجّة علي من لا حمية له ، وقد قست قلوبهم فهي كالحجارة أو أشدّ قسوة .

الحقّ أنّهم خلقوا من طينة لئيمة خبيثة ، فكيف تؤثر فيهم الموعظة والنصيحة ؟ وكيف يمكن تليين تلك القلوب القاسية ؟ التي قال عنها اللّه تعالي : «فَهِيَ كَالْحِجارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجارَةِ لَما يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهارُ وَإِنَّ مِنْها لَما يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْماءُ » .

إذن هذه الآية الكريمة « وَلَوْ لا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ

وَصَلَواتٌ وَمَساجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللّهِ كَثِيراً » جرت في الحسين عليه السلام ، وإنطبقت عليه كمال الإنطباق .

تمرّد الأُمّة

أجل ، كان حريّا أن ينزل العذاب ، ويجعل عالي الدنيا سافلها ، ويقلب الأرض علي أهلها ، كيف وقد إقتضت الغيرة الإلهية أن ينزل عذابه بالأمّة التي عقرت الناقة وفصيلها ، فشاءت عزّة الربّ أن يهلك عدّة آلاف إنتقاما لتلك الناقة ، ألم يكن حريّا بهذه الأمّة أن ينزل عليها العذاب وقد ذبحت عزيز سيد الأنبياء ؟

هل كانت ناقة صالح أعزّ عند اللّه من سيد الشهداء عليه السلام ؟

1- المنتخب : 1/182 ، بحار الأنوار : 45/4 بتفاوت .

أيّ خصوصـية لناقة صالح ؟ وفي كلّ يوم تنحر الآلاف من الإبل ، أجل كانت لهاخصوصـية حيث أنّ اللّه جعلها آية من آياته ، وأوصي بها ، وأمرهم أن لا يؤذونها ، ولا يتعرضوا لها بسوء ، إلاّ أنّهم عقروها ، فدمـدم عليهم ربّهم ، واسـتحقوا بـذلك غضب الجبار ، فزلزل بهم الأرض حتي أهلك منهم جماعة كثيرة .

فكيف بسـيد الشـهداء عليه السـلام وفي كلّ صفة من صفاته آية للعالمين ؟ وكلّ شعرة منه أعزّ عند اللّه ألف ألف مرّة من ناقة صالح ، فكيف ينحر بلا جرم ولا تقصير ؟ ويقطّع

إربـا ؟ ويقتل طفله الرضـيع ، وعزيزه الصـغير أمام عينيه ، ويقطّع إربا ؟ وكلّ شـعرة فيه أعظم من مئات الآلاف من فصـيل ناقـة صالـح ، أما إستحق هؤلاء القوم أن تزلزل بهم الأرض ، وتندكّ الجبال ، وتخرّ السموات علي الأرضين ، فينكفي ء العالم ، وينهدم نظام الكون ؟

هذا ، وأولئك الذين عقروا الناقة ، لم يظلموها ولم يجوروا عليها ، إنّما تنكّروا لحقّها في الشـرب الذي أمرهم به ربّ العالمين ، فلم يرضوا به وعقروها !

أمّا الإمام الحسـين عليه السـلام فإنّهم منعوه من الشرب ، وهو حقّ لكلّ الناس ، وذبحوه عطشانا جائعا ، وقطّعوا بدنه الشريف إربا ، أما كان حريّا بجبرئيل الأمين الذي صـرخ صرخة حينما عقروا الناقة ، وصاح صيحة أصمة الأسماع ، ومزّقت الأحشاء ، وأهلكت الجميع ، أما كان حريّا أن يصرخ صرخة عند ذبح مخدومه ، ويصيح صيحة حينما قتل الإمام الحسين عليه السلام ، فيقلب عاليها سافلها ؟

فيا سماء جرت هذه الأمور علي

مثل الحسين فموري بعده موري

وأنت يا أرض صيري بعده قطعا

ويا جبال علي وجه الثري سيري

ويا مياه ابن ساقي الحوض مهجته

عطشي قضت نحبها من بعده غوري

يا خيل يا خيل من بعد الحسين فلا

شدّت عليك سروج للمغاوير

أين الرسول عن الشبل الحسين وقد

أمسي مزارا لقطعان اليعافير

أين الرسول وجثمان الحسين يري

كمصحف قد يري في الأرض مهجور

أين الرسول عن الرأس الكريم علي

رأس السنان يحاكي بدر ديجور

أين الرسول وثغر كان يرشفه

تدقّه بقضيب كفّ مخمور

أين الرسول ومهر السبط منقلب

يعدو الي برج الفسطاط مكسور

أين الرسول عن الأيتام تندبه

مثل النجوم عن النوق الحدابير

خطب تضعضع منه الدين واضطربت

قواعد المجد في الأعراف والطور

خطب تزلزل منه العرش وانطمست

معالم الرشد والأحقاف والنور

خطب أقام عمود الشرك منتصبا

وشدّ أعضاد أهل الغيّ والزور

بأبي وأمي شـفاهك وثناياك يا أبا عبد اللّه ، أي ذنب كان لشـفاهك وثناياك سوي أنّها كانت موضـعا لطالما أشـبعه النبي صلي الله عليه و آله لثما وتقبيلاً ، وكانت لا تفتر عن ذكر اللّه تبارك وتعالي .

لماذا لم ينزل العذاب ؟

إعلم ، أنّه إن لم ينزل الحقّ تعالي عـذابه ، ولم يقلب العالم علي من فيه ، ولكنّه أعـدّ للظالمين في الآخرة عذاب يكفيهم ، فعلينا أن نرضـي بفعل الحكيم المطلق الموافق لما قسم – عزّ وجلّ – ، فإنّما يتعجّل العقوبة من يخاف الفوت ، وإنّ اللّه للظالمين لبالمرصاد .

روي الشيخ الطبرسي رحمه الله في الإحتجاج بإسناده عن الإمام زين العابدين وسيد الساجدين عليه السلام قال : إنّ علي بن الحسين عليهماالسلام كان يذكر حال من مسخهم اللّه قردة من بني إسرائيل ويحكي قصّتهم ، فلمّا بلغ آخرها قال : إنّ اللّه تعالي مسخ أولئك القوم لاصطيادهم السمك ، فكيف تري عند اللّه – عزّ وجلّ – يكون حال من قتل أولاد رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، وهتك حريمه ؟ إنّ اللّه تعالي وإن لم يمسخهم في الدنيا فإنّ المعدّ لهم من عذاب الآخرة أضعاف أضعاف عذاب المسخ .

ص: 38

فقيل له : يا ابن رسول اللّه ، فإنّا قد سمعنا منك هذا الحديث ، فقال لنا بعضالنصاب : فإن كان قتل الحسين باطلاً ، فهو أعظم عند اللّه من صيد السمك في السبت ، أفما كان اللّه غضب علي قاتليه كما غضب علي صيادي السمك ؟

قال علي بن الحسين عليه السلام : قل لهؤلاء النصاب : فإن كان إبليس معاصيه أعظم من معاصي من كفر بإغوائه فأهلك اللّه من شاء منهم ، كقوم نوح وفرعون ، ولم يهلك إبليس ، وهو أولي بالهلاك فما باله أهلك هؤلاء الذين قصروا عن إبليس في عمل الموبقات ، وأمهل إبليس مع إيثاره لكشف المحرمات ؟ أما كان ربّنا – عزّ وجلّ – حكيما تدبيره حكمة فيمن أهلك وفيمن استبقي ، فكذلك هؤلاء

الصائدون في السبت وهؤلاء القاتلون للحسين يفعل في الفريقين ما يعلم أنّه أولي بالصواب والحكمة ، لا يسأل عمّا يفعل وعباده يسألون(1) .

فالاعتراض علي الحكيم قبيح إذن ، وقد قال الحكيم تعالي : « وَلَوْ لا دَفْعُ اللّهِ النّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَواتٌ وَمَساجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللّهِ كَثِيراً » ، وهذا الحكم وإن كان حكما كليّا إلاّ أنّنا قلنا أنّه روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال : إنّها جارية في الحسين عليه السلام .

1- الاحتجاج : 2/312 ، بحار الأنوار : 4/295 ح2 وتتمة الرواية : وقال الباقر عليه السلام : فلمّا حدّث علي بن الحسين عليهماالسلام بهذا الحديث قال له بعض من في مجلسه : يا ابن رسول اللّه كيف يعاقب اللّه ويوبخ هؤلاء الأخلاف علي قبائح أتاها أسلافهم وهو يقول « وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْري » ؟ فقال زين العابدين عليه السلام : إنّ القرآن نزل بلغة العرب ، فهو يخاطب فيه أهل اللسان بلغتهم ، يقول الرجل التميمي ، قد أغار قومه علي بلد وقتلوا من فيه : أغرتم علي بلد كذا وفعلتم كذا ، ويقول العربي : نحن فعلنا ببني فلان ، ونحن سبينا آل فلان ، ونحن خربنا بلد كذا ، لا يريد أنّهم باشروا ذلك ، ولكن يريد هؤلاء بالعذل ، وأولئك بالافتخار ، إنّ قومهم فعلوا كذا ، وقول اللّه – عزّ وجلّ – في هذه الآيات إنّما هو توبيخ لأسلافهم وتوبيخ العذل علي هؤلاء الموجودين ، لأنّ ذلك هو اللّغة التي نزل بها القرآن ، والآن هؤلاء الأخلاف أيضا راضون بما فعل أسلافهم مصوّبون لهم ، فجاز أن يقال : أنتم فعلتم ، أي إذ رضيتم قبيح فعلهم .

فلو لم تكن ذريّته الطاهرة ، ولم تكن للّه حجّة تكون محلّ الفيوضات الإلهية ، وسببا لنزول الرحمة والبركات اللامتناهية ، لساخ العالم وإنقلبت الدنيا علي أهلها ،لعظم الرزية بقتل فلذّة كبد الرسول ، وسبي بنات الزهراء البتول .

فإذا كان اللّه – عزّ وجلّ – مسخ الذين خالفوا أمره فإصطادوا عدّة حيتان ، وأرسل عليهم صاعقة من السماء أحرقتهم بنار الدنيا والآخرة ، فما بالك بمن قتلوا حجته وخليفته ، وأغرقوا زينة عرش الكبرياء والعظمة ، ومظهر الجلال والرفعة ، كالسمكة في بحار الدم ، ومنعوه الماء دون ذنب صدر منه ؟

وإذا كان اللّه قد أهلك قوما لأنّهم هتكوا حرمة يوم العيد الذي حرّمه اللّه وأمرهم بحفظ حرمته ، فنهاهم عن الصيد فيه فخالفوا واصطادوا ، فما بالك بمن هتك حرمة سيد الأيام وعيد الإسلام ، وضيع حرمته ، وهو يوم الجمعة الذي يعدّ بمنزلة يوم السبت عند بني إسرائيل ؟

هتكوا حرمة هذا اليوم وضيعوه في أفضل الأيام ، وأفضل الساعات وقت الزوال ، تماما في الوقت الذي أمر اللّه الناس أن يتوجّهوا فيه الي ذكره وتوقير وتعزير نبيه – وهو ذكر اللّه في الباطن – ، ودعاهم لمناجاته وإستماع مواعظه ، هتكوا

حرمة اليوم ، وهتكوا حرمة النبي ، وإرتكبوا ما يعجز القلم عن تحريره !

القوم الذين أضاعوا الجمعة – وهي سبت المسلمين – وإصطادوا حوت المعارف الإلهية ، وأشرف المخلوقات بأسرها ، واجترؤا علي حرم اللّه وحرم رسوله صلي الله عليه و آله .

ولهذا ورد في بعض الأخبار أنّه « المقتول يوم السبت »(1) .

وتأويله أنّ شهادته كانت يوم الجمعة التي هي سبت المسلمين ، وإن كان جماعة من علمائنا مثل الشيخ المفيد رحمه الله في الإرشاد وغيره عمل بظاهر هذا الخبر وقال : أنّ الحسين عليه السلام قتل يوم السبت ، ولكنّه قول يخالف أخبارا كثيرة

1- بحار الأنوار : 44/198 .

دلّت علي أنّه عليه السلام استشهد يوم الجمعة ، وذهب الي هذا القول الكثير من العلماءرضوان اللّه عليهم أجمعين(1) .

أجل ، كانت هذه الجماعة أولي بالهلاك ، ولكنّ اللّه لم يهلكهم لمكان حجّته في الخلق ، فما دام حجّة اللّه بين الخلق موجودا ، فإنّ اللّه لم ينزل عذابه عليهم . .

ولولا شموس منه ما طلعت شمس

ولا كان سهل في الوجود ولا حزن

ولم يدر فلك كلاّ ولا سكنت

أرض بل إضطربت أرض بها سكنوا

ولولم يرد ربنا إظهار حجّته

من صلبه ما استقام الدهر والزمن

ما عطّل الكون إذ كانت قلائده

منه هداة علي فعل التقي مرنوا

فليندب المجد أهليه كذا وكذا

فليعظم الخطب أو فلتكبر المحن

وكيف لا وأري السادات من بشر

أضحت تسود عليها أعبد نتن

واللّه ما جرا جور الظالمين علي

أبناء أحمد إلاّ معشر فتنوا

أعني الأولي غصبوا ميراث حيدرة

أخي النبي رسول اللّه والختن

هم أسسوه وشادوه أمية

إذ أحفادهم ظهرت في الطف والضغن

نفسي الفدي لنفوس فيه سائلة

علي الضبا نهبت أجسادها اللدن

نفوس أشرف خلق اللّه من بهم

سادت مشاعر بيت اللّه والركن

أفدي هناك حسينا وهو يقتحم ال-

هيجا يسطوا بقلب قلبه البدن

أفديه والبرّ من ثوب الدماء غدا

تجري علي وجهه خيل العدي سفن

ما صدّهم عن لقاء القوم كثرتهم

والأسد هل سدّها قصدها أتن

حتي إذا اشتاق دارا لا فناء لها

وشاقه سادة في عدنها عدنوا

فاضت الي القدس نفس منه طاهرة

ما شانها في الوفا وخوف ولا حزن

بكته أحكام دين اللّه إذ نكست

أعلامه أسفا والفرض والسنن

1- بحار الأنوار : 45/90 و305 .

أي واللّه أين الأسـد من مظهر القهر الألهي ومحل السـطوة والقدرة الربانية ، فلو أنّه أشار بقهره الي أولئك القوم ، بل الي المخلوقات جميعا لمحاها عن صـفحة الوجود ،ونقلها الي دار البوار ، ولكن اقتضت الحكمة الربانية أن يقابل الطائفة الطاغية بالقوّة الظاهرية ، وسطوة الشجاعة الجسمانية .

تأثير مصائب الحسين عليه السلام في الكون

إعلم ، أنّ الحقّ تعالي وإن لم يقلب الأرض ولم يسـقط السـماء لمكان وجود حجّته ، إلاّ أنّ السـماء والأرض بكتا علي فلـذّة كبـد الرسول صلي الله عليه و آله ، بكت السـماء بـدل الـدموع دمـا ، وبكت عيون الأـرض دمـا ، كمـا ورد في ذلـك أحاديث كثيرة عن طرق المخالف والمؤالف .

منها : ما رواه ابن قولويه في كامل الزيارات عن الصادق عليه السـلام قال : إنّ الحسـين عليه السلام بكي لقتله السماء والأرض ، وإحمرتا ، ولم تبكيا علي أحد قطّ إلاّ علي يحيي بن زكريا والحسين بن علي(1) .

وروي ابن شهرآشوب أيضا عن نصرة الأسدية قالت : لمّا قتل الحسين عليه السلام

أمطرت السماء دما ، وحبابنا وجرارنا صارت مملوءة دما(2) .

وكذا روي ابن قولويه رحمه الله عن أحمد بن عبيد اللّه عن رجل من أهل بيت المقدس أنّه قال : واللّه لقد عرفنا أهل بيت المقدس ونواحيها عشـية قتل الحسـين بن علي عليهماالسـلام ، قلت : وكيف ذاك ؟ قال : ما رفعنا حجرا ولا مدرا ولا صـخرا إلاّ ورأينا تحتها دما عبيطا يغلي ، واحمرت الحيطان كالعلق ، ومطرت ثلاثة أيام دما عبيطا ، وسمعنا مناديا ينادي في جوف الليل يقول :

1- كامل الزيارات : 89 الباب 28 ح3 ، بحار الأنوار : 45/209 باب 40 ح17 .

2- المناقب : 4/54 فصل في آياته بعد وفاته عليه السلام . وفيه : « نضرة الأزدية » .

أترجو أمّة قتلت حسينا

شفاعة جدّه يوم الحساب

معاذ اللّه لا نلتم يقينا

شفاعة أحمد وأبي تراب

قتلتم خير من ركب المطايا

وخير الشيب طرّا والشباب

بل فداء لشعرة من شعراتك كلّ الشيب والشبان .

وإنكسفت الشمس ثلاثة أيام ، ثم تجلّت عنها ، وإنشبكت النجوم ، فلمّا كان من غد ، أرجفنا بقتله ، فلم يأت علينا كثير شيء حتي نعي إلينا الحسين عليه السلام(1) .

وروي جماعة من مشائخ العامة مثل شارح الوجيز وصاحب الطبقات : لم تر هذه الحمرة في السماء إلاّ بعد قتل الحسين(2) . فلمّا قتل الحسين عليه السلام أظلمت الدنيا ثلاثة أيام ، ثم ظهرت هذه الحمرة في السماء الي يوم الناس هذا .

وقالوا أيضا : ما رفع حجر في الدنيا لمّا قتل الحسين

عليه السلام إلاّ وتحته دم عبيط . .

ولقد مطرت السماء دما بقي أثره في الثياب مدّة حتي تقطعت(3) .

فإذا كانت السماء في عزاء الي اليوم علي سبط نبي آخر الزمان صلي الله عليه و آله ، وهي تبكي عليه في كلّ يوم صباحا ومساء دما بالحمرة التي تبدو في آفاقها ، فلماذا لا تبكي قلوب المحبّين في مصيبته دما ؟

لماذا لا تبكيه العيون بدل الدموع دما ؟

لماذا لا تملأ الآهات الصدور ؟

قد يتوهّم البعض أنّ مصيبة الحسين عليه السلام – تماما – كسائر المصائب ، تبهت إذا تقادمت ، وتبرد حرارتها في القلوب إذا عفي عليها الزمن ! كلا وحاشا ، واللّه إنّها

لمصيبة لا تبرد ولا تزول الي قيام الساعة ، وسوف لن يمحي ذكرها أبدا .

1- كامل الزيارات : 76 الباب 24 ح2 .

2- الإرشاد : 2/132 .

3- انظر : نظم درر السمطين للزرندي الحنفي : 221 ، الصواعق المحرقة : 2/569 ، تذكرة الخواص : 273 ، مجمع الزوائد : 9/145 .

أجل ، لا أحد مثل الحسين عليه السلام ، ولا بلية مثل بليته ، ولا مصيبة مثل مصيبته ، ومن مثل الحسين عليه السلام الذي خلقه اللّه علي عينه ، وجعله زينة السمواتوالأرضين ، ولكن أراذل الخلق من عباد الدنيا لم يطيقوا رؤيته فقتلوه بأفجع صورة . .

لا أدري لماذا لا تجري عيون محبّيه دما ؟

لا أدري لماذا لا تتفتت أكباد شيعته ؟ لماذا لا تحترق قلوبهم وتذوب من ألم المصاب ؟

هل أنّ قلوبهم كالحجارة أو أنّها أشدّ قسوة ؟ أو أنّهم لا يتأمّلون ولا يمعنون النظر فيما جري ؟

أجل ، إنّهم لا يتأمّلون ، فكما أنّ حكمة الباري – عزّ وجلّ – إقتضت أن تقوم السموات والأرض ، ليتحقّق الغرض من الخلق والإيجاد ، فكذلك بالنسبة الي هذه المصيبة ، فقد إقتضت الحكمة أن لا تبدو للنظر كما هي ، وأن لا تؤثر في القلوب تأثيرها الحقيقي ، لكي يحيي الخلق ويعيشون ، ولا يتركوا العيش لتستمر حياتهم .

ولولا ذاك ، فكيف يمكن أن يتصوّر أن يقتل خير الخلق كلّهم ، وواسطة نزول الرحمات والبركات والفيوضات والكرامات الإلهية ، ثم تبقي الجماعة المخلوقة من فاضل طينته ، والمعجونة طينتهم بنور ولايته ، من الذين يخاطبونه أبدا بقولهم : « بأبي أنت وأمي » ، مستقرّة لا يزعزعها المصاب ؟ بل أنّي لهم أن يستمتعوا بالحياة ، ويأكلوا ويشربوا ، ويستشعروا الراحة والإستقرار ؟

آه . . ما أقسي القلب الذي لا يحترق في هذه المصيبة !

وما أبعد العين التي لا تتفجّر منها دموع الحسرة والأسي في هذه الرزية عن الرحمة ؟

للّه وقعة عاشوراء إنّ لها

في جبهة المجد جرحا غير مندمل

مصيبة بكت السبع الشداد لها

دما ورزء عظيم غير محتمل

لهفي له عافرا ملقي بلا كفن

سوي السوافي ولا لحد ولا غسل

مترّب الخدّ دام النحر منعفر

الجبين نحر قضي ظام الي الوشل

وأقبلت زينب الكبري وقد سفرت

عن منظر برداء الذلّ مشتمل

حسري وأدمعها تثري ومقلتها

عبري وأنفسها حرّي من الثكل

تشكو الي جدّها فعل الطغاة بهم

بمدمع فوق صحن الخدّ منهمل

يا جدّ قد فتكت فينا علوج بني

أمية وبقايا عابد الهبل

يا جدّ هل جاءك الناعي بقتل أخي

وهل عرفت بما لاقيت من وهل

يا جدّ هذا أخي عار تكفّنه ال-

-رياح في نسجها من مطرف سمل

يا جدّ هذا أخي ظام وقد صدرت

عن صدره البيض بعد العل والنهل

وأقبلت ترشف الثغر الشريف وهل

يدافع القدر المحتوم بالقبل

تقول والسبط تغشاه المنون وفي

فؤادها شغل ناهيك من شغل

أخي هذه روحي لكم بدل

إن كان يقنع صرف الدهر بالبدل

أخي يا أخي كنت نورا يستضاء به

الي الطريق الذي ينجي من الضلل

أخي يا أخي أظلمت من بعدكم طرق ال

هدي وربع المعالي أرض وهو خلي

تأمّل آخر في مصائب الإمام الحسين عليه السلام

أجل واللّه ، لقد أظلمت سبيل الهداية ، وأطبقت الظلمات ، وضاع طريق الهدي والسعادات ، وخربت المساجد والمعابد والصلوات ، وتهدمت المحاريب ، وتكسرت أعواد المنابر والجماعات ، وإندرست آثار التقي ، إنطمست بحار علوم الهدي .

هل تتصوّر أن يذبح الرجل الذي جعله اللّه نورا لهداية الخلق ، وحجّة له علي العباد ، ومنار يهدي السائرين في ظلمات الحياة ، وصراطا مستقيما يقود البشر الي سبل النجاة ، بل يقتله شرّ الخلق بأسوء حال ، ويترك العالم بلا دليل ،

وسفينة البشر بدون ربّان ، ويحرم الخلق من الفيوضات ، ومع كلّ ذلك فهل للمحبّ أنّ يديم عيشه ، ويركن الي الدنيا ، ويشتغل بالفرح والسرور ؟

ألم يسمعوا بمظلومية قرّة عين الأنبياء عليهم السلام ، ومحرومية فلذة كبد فاطمة الزهراء عليهاالسلام ، وإستنصار خامس آل الكساء ؟ أو أنّهم سمعوا وتغافلوا ؟

هل يعرفون أحدا أعزّ من الحسين عليه السلام ، وهو زينة السموات والأرضين ، وقرط عرش ربّ العالمين ، وباب نجاة الأمّة ، وسبب نزول البركة والرحمة ؟

أو أنّهم يعرفون مظلوما أعظم مظلومية من الحسين عليه السلام فتحترق له قلوبهم ؟

كيف يغفل المحبّ ويسكت في مصيبته ؟ وكيف لا تتفجّر عينه بدموع الحسرة والأسي واللوعة في مصيبة أبكت الحيوانات العجماوات ، وأبكت الصخر الأصم وأذابته ؟

أيم اللّه أن لا تكون هذه الحالة إلاّ فيمن يجهل حقّه ولا يعرف قدره ، إلاّ فيمن يغرق في الغفلة ، ولا يفكر في غير الدنيا ، وليس له همّ سوي الشهوة ، وإلاّ فكيف يمكنه أن يتصوّر المصائب التي جرت علي الإمام عليه السلام ثم يستطيع أن يتمالك نفسه ؟

أما سمعتم ما رواه أبو بصير قال : كنت عند أبي عبد اللّه عليه السلام أحدّثه ، فدخل عليه ابنه ، فقال له : مرحبا ، وضمّه وقبّله وقال : حقّر اللّه من حقّركم ، وإنتقم ممّن وتركم ، وخذل اللّه من خذلكم ، ولعن اللّه من قتلكم ، وكان اللّه لكم وليّا وحافظا وناصرا ، فقد طال بكاء النساء ، وبكاء الأنبياء والصديقين والشهداء وملائكة السماء .

ثم بكي وقال : يا أبا بصير ، إذا نظرت إلي ولد الحسين عليه السلام أتاني ما لا أملكه بما أتي إلي أبيهم وإليهم(1) .

وفي حديث آخر : ما ذكر الحسين بن علي عليهماالسلام عند أبي عبد اللّه جعفر بن محمد عليهماالسلام في يوم قطّ فرئي أبو عبد اللّه عليه السلام في ذلك اليوم متبسّما قطّ إلي الليل(2) .

1- كامل الزيارات : 82 الباب 26 ح7 ، بحار الأنوار : 45/208 ح14 .
2- كامل الزيارات : 101 الباب 32 ح5 ، بحار الأنوار : 44/280 ح11 .

ذكر خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة الي مكة

اشارة

إذا أردت أن تسمع ظليمة الإمام عليه السلام ، فإستمع الي خلاصة ما جري عليه عليه السلامفي قصة إخراجه من المدينة الطيبة ، وإبعاده عن وطنه ، وتشريده وإبعاده الي أرض الغربة ، وإقصاءه عن حقّه ، وانظر كيف ضيّقوا الدنيا عليه ، « فكأنّما المأوي عليه محرم » ، حتي تمنّي أن لا يبقي في هذه الدنيا ، واستسلم للموت ورضي بالشهادة .

وقد نقل الشيخ المفيد والسيد الجليل ابن طاووس وابن شهرآشوب وغيرهم من الأعلام والأجلاء من ذوي الرتب والمقام ، قصة خروج سيد الأنام ، وقرط عرش الملك العلام ، من المدينة المباركة الطيبة بعبارات شتي ، ومضمونها جميعا ما سننقله لك :

هلاك معاوية وبيعة يزيد

هلك قارون هذه الأمّة معاوية بن أبي سفيان ، وارتحل الي أسفل درك النيران ، وتطهّرت صفحات الأيام من أرجاس وجوده النجس ، فاعتلي عرش السلطنة من بعده ابنه النجس القذر يزيد ، النطفة الحرام والطينة الخبيثة ، والشجرة الملعونة لا

تثمر إلاّ الكفر والطغيان ، ونطفة الظلم والعدوان الخبيثة لا تولّد إلاّ الأذي والطغيان ، ومقابل كلّ حقّ باطل ، ولكلّ موسي فرعون يؤذيه ، ولهذا تصدّي الشقي الي ظلم فلذة كبد الرسول صلي الله عليه و آله وأذيّت شبل علي المرتضي والزهراء البتول عليهماالسلام ، وقصد قتله ، فكتب الي ابن عمّه الوليد بن عتبة – وفي رواية الصدوق : الي عمّه عتبة بن أبي سفيان – كتابا بهذا المضمون :

خذ الحسين بن علي وعبد اللّه بن عمر – وفي رواية ابن شهرآشوب : عبد الرحمن بن أبي بكر – بالبيعة أخذا شديدا ، فإن أبوا فإبعث إليّ برؤوسهم .

فلمّا بلغ الكتاب الي ذلك الكلب أرسل اليهم وطلب منهم البيعة فلم يمكّنوه ، فألحّ علي الحسين عليه السلام ، فلمّا رأي الحسين عليه السلام إصراره ، وأنّهم غير تاريكه علي أيّةحال عزم علي الخروج ، وأخذ يعدّ عدّة السفر ، والجلاء عن الوطن ، ومفارقة حرم جدّه صلي الله عليه و آله .

الإمام الحسين عليه السلام يري جدّه رسول اللّه صلي الله عليه و آله في الرؤيا

فلمّا عزم الحسين عليه السلام علي الخروج من المدينة توجه قبل أيام من خروجه الي قبر جدّه .

قال الصدوق : فلمّا أقبل الليل راح إلي مسجد النبي صلي الله عليه و آله ليودّع القبر ، فلمّا وصل إلي القبر سطع له نور من القبر ، فعاد إلي موضعه(1) .

فلمّا كانت الليلة الثانية خرج إلي القبر أيضا ، وصلّي ركعات ، فلمّا فرغ من صلاته جعل يقول : اللّهم هذا قبر نبيك محمد ، وأنا ابن بنت نبيك ، وقد حضرني من الأمر ما قد علمت ، اللّهم إنّي أحبّ المعروف وأنكر المنكر ، وأنا أسألك يا ذا الجلال والإكرام بحقّ القبر ومن فيه إلاّ اخترت لي ما هو لك رضي ولرسولك رضي .

ثم جعل يبكي عند القبر حتي إذا كان قريبا من الصبح وضع رأسه علي القبر فأغفي ، فإذا هو برسول اللّه قد أقبل في كتيبة من الملائكة عن يمينه وعن شماله وبين

يديه حتي ضمّ الحسين إلي صدره ، وقبّل بين عينيه وقال : حبيبي يا حسين ، كأنّي أراك عن قريب مرمّلاً بدمائك ، مذبوحا بأرض كرب وبلاء ، من عصابة من أمّتي ، وأنت مع ذلك عطشان لا تسقي ، وظمآن لا تروي ، وهم مع ذلك يرجون شفاعتي ، لا أنالهم اللّه شفاعتي يوم القيامة .

1- الأمالي للصدوق : 150 المجلس 30 .

حبيبي يا حسين ، إنّ أباك وأمّك وأخاك قدموا عليّ ، وهم مشتاقون إليك ، وإنّ لك في الجنان لدرجات لن تنالها إلاّ بالشهادة .

فجعل الحسين عليه السلام في منامه ينظر إلي جدّه ويقول : يا جدّاه لا حاجة لي في الرجوع إلي الدنيا ، فخذني إليك وأدخلني معك في قبرك ، فقال له رسول اللّه : لابد لك من الرجوع إلي الدنيا حتي ترزق الشهادة وما قد كتب اللّه لك فيها من الثواب العظيم ، فإنّك وأباك وأخاك وعمّك وعمّ أبيك تحشرون يوم القيامة في زمرة واحدة حتي تدخلوا الجنّة .

فإنتبه الحسين عليه السلام من نومه فزعا مرعوبا ! فقصّ رؤاه علي أهل بيته وبني عبد المطلب ، فلم يكن في ذلك اليوم في مشرق ولا مغرب قوم أشدّ غمّا من أهل بيت رسول اللّه ، ولا أكثر باك ولا باكية منهم(1) .

الإمام الحسين عليه السلام يودّع قبر أمّه فاطمة الزهراء عليهاالسلام وأخيه الحسن المجتبي عليه السلام

وتهيأ الحسين عليه السلام للخروج من المدينة ، ومضي في جوف الليل إلي قبر أمّه فودّعها .

وفي بعض الكتب : فوقف علي القبر وقال : السلام عليك يا أمّاه ، هذا حسينك جاء يودّعك ، وهذه آخر زيارته لك ، فإذا النداء من القبر : وعليك السلام يا مظلوم الأم ، ويا شهيد الأم ، ويا غريب الأم ، فخنقته العبرة وبكي حتي لم يعد يطق الكلام .

ثم مضي إلي قبر أخيه الحسن ففعل كذلك ، ثم رجع إلي منزله وقت الصبح(2) وأمر الغلمان أن يهيؤا المحامل ويركبوا عقائل العصمة والنبوة .

1- الإرشاد : 2/32 ، أمالي الصدوق : 215 ح239 ، اللهوف : 96 ، بحار الأنوار : 44/324 .

2- بحار الأنوار : 44/328 باب 37 .

تحرّك الحسين عليه السلام من المدينة المنورة

فأقبل إليه أخوه محمد بن الحنفية وقال : يا أخي أنت أحبّ الخلق إليّ ، وأعزّهمعليّ ، ولست – واللّه – أدّخر النصيحة لأحد من الخلق ، وليس أحد أحقّ بها منك ، لأنّك مزاج مائي ونفسي وروحي وبصري ، وكبير أهل بيتي ، ومن وجب طاعته في عنقي ، لأنّ اللّه قد شرّفك عليّ ، وجعلك من سادات أهل الجنّة ، ولا حجّة للّه هذا اليوم سواك ، فالي أين تقصد ؟ والي أيّ مكان تخرج وتترك حرم جدّك ؟ والي من تكل أقرباءك وأهل بيتك ؟ والي من تكل شيعتك ؟

أخي إنّي أخاف أن تدخل مصرا من هذه الأمصار ، فيخالفك الناس فيقتلونك وتكون لأول الأسنة غرضا ، فإذا بك قد عرّضت نفسك وأهل بيتك الي التلف ، فقال له الحسين عليه السلام : فأين أذهب يا أخي ، ولابد لي من الخروج من هذا البلد(1) ؟

قال : تخرج إلي مكة فإن اطمأنت بك الدار بها فذاك ، وإن تكن الأخري خرجت إلي بلاد اليمن ، فإنّهم أنصار جدّك وأبيك ، وهم أرأف الناس وأرقهم قلوبا ، وأوسع الناس بلادا ، فإن اطمأنت بك الدار وإلاّ لحقت بالرمال وشعوب الجبال ، وجزت من بلد إلي بلد حتي تنظر ما يؤول إليه أمر الناس ، ويحكم اللّه بينا وبين القوم الفاسقين ، وإحذر أن تخرج الي العراق !

1– في الإرشاد : 2/33 : . . . تنح ببيعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما استطعت ، ثم إبعث رسلك إلي الناس فادعهم إلي نفسك ، فإن تابعك الناس وبايعوا لك حمدت اللّه علي ذلك ، وإن أجمع الناس علي غيرك لم ينقص اللّه بذلك دينك ولا عقلك ، ولا تذهب به مروءتك ولا فضلك ، إنّي أخاف أن تدخل مصرا من هذه الأمصار ، فيختلف الناس بينهم ، فمنهم طائفة معك وأخري عليك ، فيقتتلون فتكون أنت لأول الأسنة ، فإذا خير هذه الأمّة كلّها نفسا وأبا وأما أضيعها دما وأذلّها أهلا ، فقال له الحسين عليه السلام : فأين أذهب يا أخي ؟ قال : أنزل مكة ، فإن إطمأنت بك الدار بها فسبيل ذلك ، وإن نبت بك لحقت بالرمال وشعف الجبال ، وخرجت من بلد إلي بلد حتي تنظر إلي ما يصير أمر الناس إليه ، فإنّك أصوب ما تكون رأيا حين تستقبل الأمر استقبالا ، فقال : يا أخي قد نصحت وأشفقت ، وأرجو أن يكون رأيك سديدا موفقا . . .

فقال الحسين عليه السلام : يا أخي – واللّه – لو لم يكن ملجأ ولا مأوي لما بايعت يزيد بن معاوية ، فقطع محمد بن الحنفية الكلام وبكي ، فبكي الحسين عليه السلام معه ساعة(1) ، ثم دعا الحسين بدواة وبياض وكتب وصية ودفعها لأخيه محمد .

ثم إنّ الحسين لما فصل متوجها دعا بقرطاس وكتب فيه :

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ، من الحسين بن علي بن أبي طالب إلي بني هاشم ، أمّا بعد ، فإنّه من لحق بي منكم استشهد ، ومن تخلّف لم يبلغ مبلغ الفتح ، والسلام(2) .

ثم أمر النساء أن يركبن في المحامل ، ودعا بذي الجناح فغرز رجله في ركاب السعادة ، وركب فرسه ومضي .

بكاء نساء بني هاشم عند خروج الحسين عليه السلام من المدينة

روي ابن قولويه في كامل الزيارات قال : لمّا همّ الحسين عليه السلام – قدوة الناس وملجأ العام والخاص – بالشخوص عن المدينة أقبلت نساء بني عبد المطلب ، فاجتمعن للنياحة حتي مشي فيهن الحسين عليه السلام ، فكنّ كالفراشات يطفن حول شمع الخير والبركة ، وكبنات النعش يدرن حول قطب فلك الهداية ، وإنهمرت دموعهن كأمطار الربيع في فراق زبدة الأخيار وربيع الأرامل والأيتام ، فقال الحسين عليه السلام : أنشدكن اللّه أن تبدين هذا الأمر معصية للّه ولرسوله ، فقالت له نساء بني عبد المطلب : فلمن نستبقي النياحة والبكاء ، فهو عندنا كيوم مات فيه رسول اللّه صلي الله عليه و آله وعلي وفاطمة ورقية وزينب وأم كلثوم ، فننشدك اللّه ، جعلنا اللّه فداك ، من الموت

يا حبيب الأبرار من أهل القبور .

وأقبلت بعض عمّاته تبكي وتقول : أشهد يا حسين لقد سمعت الجن ناحت بنوحك ، وهم يقولون :

1- بحار الأنوار : 44/328 باب 37 .

2- اللهوف : 65 المسلك الأول ، بحار الأنوار : 44/330 باب 37 .

فإنّ قتيل الطف من آل هاشم

أذلّ رقابا من قريش فذلّت

حبيب رسول اللّه لم يك فاحشا

أبانت مصيبتك الأنوف وجلّت

وقلن أيضا :

أبكي حسينا سيدا

ولقتله شاب الشعر

ولقتله زلزلتم

ولقتله انكسف القمر

واحمرت آفاق السما

من العشية والسحر

وتغبّرت شمس البلاد

بهم وأظلمت الكور

ذاك ابن فاطمة المصاب

به الخلائق والبشر

أورثتنا ذلاً به

جدع الأنوف مع الغرر(1)

لقاء الحسين عليه السلام بطائفة من الملائكة

قال شيخنا المفيد رحمه الله بإسناده إلي أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام قال : لمّا سار أبو

عبـد اللّه من المدينة لقيه أفواج من الملائكة المسومة في أيديهم الحراب علي نجب من نجب الجنّة ، فسـلّموا عليه وقالوا : يا حجّة اللّه علي خلقه بعـد جدّه وأبيه وأخيه ، إنّ اللّه – سـبحانه – أمدّ جدّك بنا فِي مَواطِنَ كَثِيرَةٍ ، وإنّ اللّه أمدّك بنا ، فقال لهم : الموعد حفرتي وبقعتي التي

أستشهد فيها ، وهي كربلاء ، فإذا وردتها فأتوني .

فقالوا : يا حجّة اللّه مرنا نسمع ونطع ، فهل تخشي من عدو يلقاك فنكون معك ، فقال : لا سبيل لهم عليّ ، ولا يلقوني بكريهة أو أصل إلي بقعتي(2) .

لقاء الحسين عليه السلام بطائفة من مسلمي الجن

وأتته أفواج مسلمي الجن ، فقالوا : يا سيدنا ، نحن شيعتك وأنصارك ، فمرنا بأمرك وما تشاء ، فلو أمرتنا بقتل كلّ عدوّ لك وأنت بمكانك لكفيناك ذلك .

1- كامل الزيارات : 96 الباب 29 ح9 .

2- بحار الأنوار : 44/330 باب 37 .

فجزّاهم الحسين خيرا وقال لهم : أو ما قرأتم كتاب اللّه المنزل علي جدّي رسول اللّه : « أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ » ، وقال سبحانه : « لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلي مَضاجِعِهِمْ » ، وإذا أقمت بمكاني فبماذا يبتلي هذا الخلق المتعوس ؟ وبماذا يختبرون ؟ ومن ذا يكون ساكن حفرتي بكربلاء ؟ وقد اختارهااللّه يوم دحا الأرض ، وجعلها معقلاً لشيعتنا ، ويكون لهم أمانا في الدنيا والآخرة ، ولكن تحضرون يوم السبت ، وهو يوم عاشوراء الذي في آخره أقتل ، ولا يبقي بعدي مطلوب من أهلي ونسبي وإخوتي وأهل بيتي ، ويسار برأسي إلي يزيد لعنه اللّه .

فقالت الجن : نحن واللّه يا حبيب اللّه وابن حبيبه ، لولا أنّ أمرك طاعة ، وأنّه لا يجوز لنا مخالفتك ، قتلنا جميع أعدائك قبل أن يصلوا إليك ، فقال – صلوات اللّه عليه – لهم : نحن واللّه أقدر عليهم منكم ، ولكن « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيي مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ »(1) .

لقاء الإمام الحسين عليه السلام بأمّ سلمة عليهاالسلام

وأتته أم سلمة زوجة النبي صلي الله عليه و آله فقالت : يا بني لا تحزنّي بخروجك إلي العراق ، فإنّي سمعت جدّك يقول : يقتل ولدي الحسين بأرض العراق في أرض يقال لها « كربلاء » ، فقال لها : يا أمّاه وأنا – واللّه – أعلم ذلك ، وإنّي مقتول لا محالة ، وليس لي من هذا بد ، وإنّي – واللّه – لأعرف اليوم الذي أقتل فيه ، وأعرف من يقتلني ، وأعرف البقعة التي أدفن فيها ، وإنّي أعرف من يقتل من أهل بيتي وقرابتي وشيعتي ، وإن أردت يا أمّاه أريك حفرتي ومضجعي . ثم أشار عليه السلام إلي جهة كربلاء ، فانخفضت الأرض حتي أراها مضجعه ومدفنه وموضع عسكره وموقفه ومشهده .

1- بحار الأنوار : 44/330 باب 37 .

فعنـد ذلك بكت أم سـلمة بكاء شديـدا ، وسـلّمت أمره إلي اللّه ، فقال لها : يا أمّاه قـد شاء اللّه – عزّ وجل – أن يراني مقتولاً مـذبوحا ظلما وعـدوانا ، وقـد شاء أن يري حرمي ورهطي ونسائي مشـردين ، وأطفالي مذبوحين مظلومين مأسورين مقيدين ، وهم يسـتغيثون فلا يجدون ناصرا ولا معينا .

وفي روايـة أخري : قـالت أم سـلمة : وعنـدي تربـة دفعهـا إليّ جـدّك في قارورة ، فقال : واللّه إنّي مقتول كـذلك ، وإن لم أخرج إلي العراق يقتلوني أيضا ، ثم أخذ تربة

فجعلها في قارورة ، وأعطاها إياها وقال : اجعلها مع قارورة جدّي ، فإذا فاضتا دما فاعلمي أنّي قد قتلت(1) .

روي الشـيخ المفيـد رحمه الله : فخرج عليه السـلام من تحت ليلته ، وهي ليلـة الأحد ليومين بقيا من رجب متوجها نحو مكة ، ولمّا دخل الحسين عليه السلام مكة كان دخوله إليها ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان(2) .

وروي ابن طاووس قال : فسار الحسـين عليه السلام إلي مكة لثلاث مضين من شعبان ، وهو يقرأ : « فَخَرَجَ مِنْها خائِفاً يَتَرَقَّبُ قالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ » ، فأقام بها باقي شـعبان وشـهر رمضان وشوال وذي قعدة(3) ، وسـبعة أيام من ذي الحجة ، وخرج يوم الثامن خوفا من الظالمين الي الكوفة .

1- بحار الأنوار : 44/330 باب 37 .

2- الإرشاد : 2/33 .

3- اللهوف : 28 المسلك الأول ، الإرشاد : 2/33 .

المجلس الثاني: خروج سيد السعداء من مكة المعظمة الي العراق وورووده كربلاء

اشارة

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه الذي أعظم شعائر الإسلام ، وأكرمنا بالإرشاد الي الحلّ والحرام ، وتفضّل علينا بالركون الي الركن والمقام ، وجعل لنا حرما آمنا وحصنا للأنام ، وكهفا لصروف الأيام .

والصلاة والسلام علي من تشرّف به البيت والحطام ، واستقام به الركن والمقام ، محمد وآله الذين هم حقائق البيت الحرام ، وبواطن الحج والإحرام .

خصوصا علي من بذل مهجته سعيا الي رضا ربّه ومولاه ، وفدي أهله وعياله وأولاده حفظا لمشاعر الإسلام ، كما هو أقصي مناه ، الذي أزعجوه عن الأهل والأوطان ، وضيّقوا عليه الزمان والمكان ، فقتلوه وأصحابه كالأضاحي ، ونصبوا رأسه علي العوالي ، وسبوا نساءه كالأماء والذراري ، وداروا بهنّ في القفار والبراري ، نهبوا ماله ، وأيتموا أطفاله ، وأسروا عياله ، وكسروا ظهره ، ورضّضوا صدره ، ونحروا نحره .

قتيل الأدعياء ، وأسي المحنة والبلاء ، مسلوب العمامة والرداء ، مخضّب الشيب من الدماء ، المذبوح بسيف الجفاء من القفاء ، صاحب الرأس المرفوع ،

والشـلو الموضوع ، والسنّ المقروع ، والحقّ الممنوع ، الشـهيد العطشان ، والبعيـد عن الأوطان ، المذبوح بالسـنان ، المدفون بلا غسل ولا أكفـان ، المختلف اليه النسور والعقبـان ، قليـل الأـعوان ، شديـد الأشـجان ، الواله الحيران ، القتيل بظهر كوفان ، معفّر الخـدين ، المترب الجبينين ، مقطوع الودجين ، الظمآن لدي النهرين ، ملاذ الخافقين ، وشفيع الثقلين ، سيّدنا أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام .

ولعنـة اللّه علي قاتليه وظالميه ، الذين قتلوا بقتله الإسـلام ، وهدموا قواعد البيت الحرام ، وخرّبوا قوائم الركن والمقام ، ونكسوا مشاعر الحج والإحرام ، ومعالم الحلال والحرام ، فعليهم لعنة متّصلة ما إتّصلت الليالي والأيام الي يوم القيام .

وبعد ، قال اللّه – عزّ وجلّ – في كتابه العزيز :

« لا تَقْتُلُوا الصَّيْـدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَـدْلٍ مِنْكُمْ هَـدْياً بالِغَ الْكَعْبَـةِ أَوْ كَفّارَةٌ طَعامُ مَساكِينَ أَوْ عَدْلُ ذلِكَ صِياماً لِيَذُوقَ وَبالَ أَمْرِهِ عَفَا اللّهُ عَمّا سَلَفَ وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ » .

* * *

حرمة الكعبة

إعلم ، أنّ الربّ الحكيم اختـار بعض الأماكن بحكمته البالغـة ، وجعل لها مزيـد كرامـة واحترام وتعظيم ، وأمر عباده بتعظيمها واحترامها ، ومن هذه الأماكن : مكة المكرمة التي جعلها حرمه ، تماما كما يتّخذ سـلطان السـلاطين الظاهري – بلا تشبيه – مكانا خلوة ، ليكون حرما خاصا له .

مكـة المكرمـة هي الموضع الـذي اتّخـذه ربّ العـالمين حرمـا له ، وجعـل لها حرما في أطرافها، وقرر لها أحكاما كثيرة، وبيّن بعض تلك الأحكام في كتابه الكريم، فقال مثلاً:

« لا تَقْتُلُوا الصَّيْـدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَـدْلٍ مِنْكُمْ هَـدْياً بالِغَ الْكَعْبَـةِ أَوْ كَفّارَةٌ طَعامُ مَساكِينَ أَوْ عَدْلُ ذلِكَ صِياماً لِيَذُوقَ وَبالَ أَمْرِهِ عَفَا اللّهُ عَمّا سَلَفَ وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ » .

فـإعلم ، أنّ الحقّ تعالي جعل رعايـة حرمـة حرمه لازمـة ، ومن دخل كان آمنا ، وجعل للقطته وأشـجاره ونباتاته وصـيده أحكاما خاصـة ، وأحكامه كثيرة سطّرها العلماء الأبرار في كتبهم(1) .

أمّا فضل الكعبة والحرم فممّا لا يخفي علي أحد ، وقد قال تعالي : « إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبارَكاً » .

قال الباقر عليه السلام في تفسير هذه الآية : فأول بقعة خلقت من الأرض الكعبة ، ثم مدّت الأرض منها(2) .

وعَنْ الصـادق أَبِي عَبْـدِ اللَّهِ عليه السـلام قَـالَ : كَانَ مَوْضِعُ الْكَعْبَـةِ رَبْوَةً مِنَ الأَرْضِ بَيْضَاءَ تُضِـيءُ كَضَوْءِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، حَتَّي قَتَلَ ابْنَا آدَمَ أَحَـدُهُمَا صَـاحِبَهُ فَـاسْوَدَّتْ ، فَلَمَّا نَزَلَ آدَمُ رَفَعَ اللَّهُ لَهُ الأَرْضَ كُلَّهَا حَتَّي رَآهَا ، ثُمَّ قَالَ : هَـذِهِ لَكَ كُلُّهَا ، قَالَ يَا رَبِّ مَا هَـذِهِ الأَرْضُ الْبَيْضَاءُ الْمُنِيرَةُ ؟ قَالَ : هِيَ فِي أَرْضِي ، وَقَدْ جَعَلْتُ عَلَيْكَ أَنْ تَطُوفَ بِهَا

كُلَّ يَوْمٍ سبع مرات(3) .

وفي حديث آخر عن أبي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ : أَحَبُّ الأَرْضِ إِلَي اللَّهِ تَعَالَي مَكَّةُ ، وَمَا تُرْبَةٌ أَحَبُّ إِلَي اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنْ تُرْبَتِهَا ، وَ لاَ حَجَرٌ أَحَبُّ إِلَي اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنْ حَجَرِهَا ، وَلاَ شَجَرٌ أَحَبُّ إِلَي اللَّهِ - عَزَّ

وَجَلَّ - مِنْ شَجَرِهَا ، وَلاَ جِبَالٌ أَحَبُّ إِلَي اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنْ جِبَالِهَا ، وَلاَ مَاءٌ أَحَبُّ إِلَي اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنْ مَائِهَا(4) .وروي أيضا : وَمَا أَرَادَ الْكَعْبَةَ أَحَدٌ بِسُوءٍ إِلاَّ غَضِبَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - لَهَا ، وَنَوَي يَوْماً تُبَّعٌ الْمَلِكُ أَنْ يَقْتُلَ مُقَاتِلَةَ أَهْلِ الْكَعْبَةِ ، وَيَسْبِيَ ذُرِّيَّتَهُمْ ، ثُمَّ يَهْدِمَ الْكَعْبَةَ ،

1- انظر تفسير البرهان : 2/526 - 531 .

2- من لا يحضره الفقيه : 2/156 ح670 ، تفسير الصافي : 1/330 .

3- الكافي : 4/189 ح4 ، وفيه وفي الوسائل والبحار : « سَبْعَمائةِ طَوَافٍ » .

4- من لا يحضره الفقيه : 2/243 ح2304 .

فَسَالَتْ عَيْنَاهُ حَتَّي وَقَعَتَا عَلَي خَدَّيْهِ ، فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ ، فَقَالُوا : مَا نَرَي الَّذِي أَصَابَكَ إِلاّ بِمَا نَوَيْتَ فِي هَذَا الْبَيْتِ لِأَنَّ الْبَلَدَ حَرَمُ اللّهِ ، وَالْبَيْتَ بَيْتُ اللَّهِ ، وَسُكَّانَ مَكَّةَ ذُرِّيَّةُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلِ اللَّهِ ، فَقَالَ : صَدَقْتُمْ ، فَمَا مَخْرَجِي مِمَّا وَقَعْتُ فِيهِ ؟ قَالُوا : تُحَدِّثُ نَفْسَكَ بِغَيْرِ ذَلِكَ .

فَحَدَّثَ نَفْسَهُ بِخَيْرٍ ، فَرَجَعَتْ حَدَقَتَاهُ حَتَّي ثَبَتَتَا فِي مَكَانِهِمَا ، فَدَعَا الْقَوْمَ الَّذِينَ أَشَارُوا عَلَيْهِ بِهَدْمِهَا فَقَتَلَهُمْ ، ثُمَّ أَتَي الْبَيْتَ فَكَسَاهُ الأَنْطَاعَ ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ ثَلاَثِينَ يَوْماً ، كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ جَزُورٍ حَتَّي حُمِلَتِ الْجِفَانُ إِلَي السِّبَاعِ فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ ، وَنُثِرَتِ الأَعْلاَفُ لِلْوُحُوشِ(1) .

وَقصة أصحاب الفيل مشهورة وفي القرآن مذكورة ، فقد قَصَدَهُ أَصْحَابُ الْفِيلِ وَمَلِكُهُمْ أَبُو يَكْسُومٍ أَبْرَهَةُ بْنُ الصَّبَّاحِ الْحِمْيَرِيُّ لِيَهْدِمَهُ ، « فَأَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ » .

وَإِنَّمَا لَمْ يَجْرِ عَلَي الْحَجَّاجِ مَا جَرَي عَلَي تُبَّعٍ وَأَصْحَابِ الْفِيلِ لأِنَّ قَصْدَ الْحَجَّاجِ لَمْ يَكُنْ إِلَي هَدْمِ الْكَعْبَةِ ، إِنَّمَا كَانَ قَصْدُهُ إِلَي ابْنِ الزُّبَيْرِ ، وَكَانَ ضِدّاً لِصَاحِبِ الْحَقِّ ، فَلَمَّا اسْتَجَارَ بِالْكَعْبَةِ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُبَيِّنَ لِلنَّاسِ أَنَّهُ لَمْ يُجِرْهُ ، فَأَمْهَلَ مِنْ هَدْمِهَا عَلَيْهِ(2) .

فإحترام الكعبة وتعظيمها واجب ، وقد سَأَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سِنَانٍ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - « وَمَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً » ؟ قَالَ : مَنْ دَخَلَ الْحَرَمَ مُسْتَجِيراً

بِهِ فَهُوَ آمِنٌ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - ، وَمَا دَخَلَ مِنَ الْوَحْشِ وَالطَّيْرِ كَانَ آمِناً مِنْ أَنْ يُهَاجَ أَوْ يُؤْذَي حَتَّي يَخْرُجَ مِنَ الْحَرَمِ(3) .

وكذا لا يجوز قلع الشجر وقطع النبات في الحرم ، روي عَنْ الصادق عليه السلام أَنَّهُ قَالَ :كُلُّ شَيْءٍ يَنْبُتُ فِي الْحَرَمِ فَهُوَ حَرَامٌ عَلَي النَّاسِ أَجْمَعِينَ ، إِلاَّ مَا أَنْبَتَّهُ أَنْتَ أَوْ غَرَسْتَهُ(4) .

1- من لا يحضره الفقيه : 2/248 .

2- من لا يحضره الفقيه : 2/248

3- من لا يحضره الفقيه : 2/251 ح2327 .

4- من لا يحضره الفقيه : 2/255 ح2342 .

وَرُوِيَ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ قَالَ : قُلْتُ لأَبِي عَبْدِ اللّهِ عليه السلام : شَجَرَةٌ أَصْلُهَا فِي الْحِلِّ

وَفَرْعُهَا فِي الْحَرَمِ ؟ فَقَالَ : حُرِّمَ أَصْلُهَا لِمَكَانِ فَرْعِهَا ، قُلْتُ : فَإِنَّ أَصْلَهَا فِي الْحَرَمِ وَفَرْعَهَا فِي الْحِلِّ ؟ قَالَ : حُرِّمَ فَرْعُهَا لِمَكَانِ أَصْلِهَا(1) .

وروي حرمة أخذ لقطة الحرم إلاّ لمن يريد تعريفه(2) .

ولا شكّ في حرمة صيد الحرم كتابا وسنة ، بل يحرم الدلالة عليه ، والإشارة اليه ، والإعانة عليه كما صرح بذلك بعض العلماء قال : يحرم علي المحرم صيد البرّ حيازة ، وأكلاً ودلالة وإشارة وتسبيبا ، ولو بإعارة سلاح ونحوه بالكتاب والسنة المستفيضة والإجماع(3) .

وأمّا كفارة الصيد فقد صرّح البَعْضِ : أنّه إِذَا أَصَابَ الْمُحْرِمُ الصَّيْدَ خَطَأً فَعَلَيْهِ أَبَداً

فِي كُلِّ مَا أَصَابَ الْكَفَّارَةُ ، وَإِذَا أَصَابَهُ مُتَعَمِّداً ، فَإِنَّ عَلَيْهِ الْكَفَّارَةَ ، فَإِنْ عَادَ فَأَصَابَ ثَانِياً مُتَعَمِّداً ، فَلَيْسَ عَلَيْهِ الْكَفَّارَةُ ، وَهُوَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ – : « وَمَنْ عادَ فَيَنْتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ »(4) .

الكعبة والحرم الحقيقيتان

إذا عرفت ذلك فإعلم ، أنّ للّه حرم حقيقي ومعنوي ، هو بمنزلة الروح للحرم الظاهري وبمثابة اللبّ لهذا الظاهر ، ولهذا الحرم كعبة ومسجد ، وصيد وحمام ، وشجر ولقطة ، وحرمته أعظم ، وصيده أشدّ حرمة ، وقطع شجره وكسر أغصانهاأشنع ، وأخذ لقطته أقبح وأفضع .

1- من لا يحضره الفقيه : 2/255 ح2341 .

2- في تهذيب الأحكام : 5/421 باب 26 ح107 وغيره : مُوسَي بْنُ الْقَاسِمِ عَنْ أَبَانِ بْنِ عُثْمانَ عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ لُقَطَةِ الْحَرَمِ ؟ فَقَالَ : لاَ تَمَسَّ أَبَداً حَتَّي يَجِيءَ صَاحِبُهَا فَيَأْخُذَهَا ، قُلْتُ : فَإِنْ كَانَ مَالاً كَثِيراً ؟ قَالَ : فَإِنْ لَمْ يَأْخُذْهَا إِلاَّ مِثْلُكَ فَلْيُعَرِّفْهَا . . .

3- انظر الحدائق الناضرة : 15/135 .

4- الكافي : 4/394 ح3 .

إنّه حرم محمـد بن عبـد اللّه وأهل بيته – صـلّي اللّه عليهم أجمعين – ، وقـد خلق اللّه تعالي هـذا الحرم وكلّ العالم ببركة وجودهم عليهم السـلام ، وقد أمر تعالي جميع ذرات الوجود أن تعظّمه وتوقّره هو وأهل بيته عليهم السلام ، وكلّ شيء وصل الي منزلة أو رتبة ما فإنّما وصل اليها بواسـطتهم ، وكلّ أرض بادرت الي تعظيمهم ، وسارعت الي قبول ولايتهم ، جعل اللّه ماءها عـذابا ونباتها وثمرها طيبا ، والأرض التي لم تقبل ولايتهم صار ماءها أجاجا ونباتها وثمرها مرّا .

فقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : . . إنّ اللّه عرض أمانتي علي الأرضين ، فكلّ بقعة آمنت بولايتي جعلها طيبة زكية ، وجعل نباتهـا وثمرها حلوا عـذبا ، وجعل ماؤا زلالاً ، وكلّ بقعـة جحـدت إمامتي وأنكرت ولايتي جعلها سـبخا ، وجعل نباتها مرّا علقما ، وجعل ثمرها العوسج والحنظل ، وجعل ماءها ملحا أجاجا(1) .

وفي حديث آخر : ثم عرض ولايتنا علي الأرضـين ، فسـبقت إليها المدينة فزيّنها بالمصـطفي محمد صلي الله عليه و آله ، فجعلها حرما له وجعل قبره فيها ، ثم سبقت إليها الكوفة فزيّنها بأمير المؤنين عليه السلام(2) ، وجعلها حرما له ، وجعل قبره فيها .

إنّ لـذلك الحرم كعبـة هي سـلطان الأوليـاء عليه السـلام ، وله صـيد هما الحسن والحسـين عليه السـلام وذريّتهما الطيبين ، وله حمام هم ذريّتهما الطيبون ، وله نبات وشجر وهم الخواص من شيعتهم الأبرار ، وله لقطة هي الأموال التي جعلها اللّه حقّا لهم .

وقد أمر اللّه بتعظيمهم وحفظ حرمتهم فقال : « قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبي » .

1- المناقب : 2/314 .

2- إقبال الأعمال : 465 فصل فيما نذكره من فضل صوم يوم الغدير .

أشقياء الأمّة وهتك حرمة الحرم الإلهي

إعلم ، أنّ أشـقياء هذه الأمّة قد هتكوا حرمة الحرم الإلهي ، وضيّعوه وخرّبوه ، وقتلوا صيده ، وكسروا أجنحة حمامه ، وقلعوا نباته وشجره من جذوره ، وسرقوا لقطته – أي سلبوا أموالهم عليهم السلام – .

آه . . قتلوا صـيده بغير حقّ ، قتلوا الحسـين عليه السـلام ، أزعجوا الصـيد حتي أخرجوه من الحرم الظاهري الـذي جعله مثابة للناس وأمنا ، أخرجوه من هنـاك ، وعـدوا عليه فـذبحوه ، وهجموا علي أمواله فنهبوهـا ، فمـاذا يتوقعون من صاحب الحرم إذا أصاب السـفلة صـيد الحرم بسهامهم ؟

أحاطوا بهم ليقتلوهم داخل الحرم ، فإضطروا للخروج منه لئلا تهتك حرمة الحرم بهم ، فخرجوا ، ولاحقوهم حتي قتلوهم في حرم آخر . . سقوهم رحيق الشهادة في كربلاء .

إنّهم قطّعوا أطراف الذريـة الطيبـة ، وكسـروا أجنحـة حمام الحرم الإلهي ، ورمّلوهم بدمائهم ، وكسـروا أغصان شـجر الحرم الإلهي – وهم الشـيعة والأصـحاب – وإقتلعوها ، فقطعوا الرؤوس ، وسـملوا الأعين ، وصـلبوهم علي جذوع النخل ، وشحّطوهم بالدماء ، ونهبوا أموالهم وهي بمنزلة اللقطة في الحرم الإلهي ، وإقتسموها بينهم .

أحرقوا خيامهم بنيران الظلم والجور ، الخيام التي كانت تمثّل سرادق العزّ والجلال الإلهي ، الخيام التي كانت تحرسها الملائكة المقربين ، وأخرجوا مخدرات العصمة ، وسيدات الكرامة والعزّة من خدورها ، وسبوها وطافوا بها في البلدان ، كما يصنع بالعبيد والإماء .

قم يا رسول اللّه وانظر ما جري

في كربلاء لبنيك من خصمائها

فلقد غدوا طعم الردي بيد العدا

قتلي وأسري في السبا كإمائها

ص: 61

هذا الحسين بها علي عفر الثري

في حلّة حمراء بنسج دمائها

مقطوع رأس هشمت أضلاعه

عريان من أثوابه بعرائها

حيكت له قمصان ترب أغبر

من مور أرياح الفلا وهوائها

هذا الذي قد كنت تلثم نحره

أمسي نحيرا من حدود ضبائها

من بعد حجرك يا رسول اللّه قد

أُلقي طريحا في ثري رمضائها

هذا وجثته الشريفة قد غدت

للصافنات يجول في أعضائها

ونساؤه تُسبي كما تُسبي الإما

وتقاد في الأغلال من أسرائها

يا قوم ما ذنب الصغار لتنزلوا

بهم الصغار وتغلبوا بإذائها

يا ويلكم ما يشف غلّ صدوركم

قتل الموالي اليوم من كبرائها

هل ظنّ هؤلاء أنّ هذا الفعل كسائر الأفعال الشنيعة ؟ وهذا القبيح كسائر الأعمال القبيحة ؟ أو أنّ هذا الظلم كأيّ ظلم يجري علي العالمين ؟

لا واللّه ، لم يقع ظلم مثل هذا الظلم قطّ ، ولا رزية مثل هذه الرزية .

إذا كـان اللّه تعـالي قـد أمر بتعظيم بعض الحجـارة المرصوفـة الي هـذا القـدر من التعظيم ، وجعلهـا حرمـا ، وأوجب إحترامهـا ، وجعل الإسـتخفاف بها وإهانتها موجبا للكفر والزندقة ، وأجار من إستجار بها ، وجعلها مثابة للناس وأمنا ، وحرّم إزعاج الحيوان في الحرم ، وحّرم قلع النبات والشـجر فيه ، فكيف سـتكون حرمـة أوليائه عنـده ؟ وما أعظم حرمـة من خلق اللّه السـماء والأرض والعرش والكرسـي والـدنيا والآخرة كلّها ببركتهم ؟

إذا كان حرمـة الحرم الظاهري عظيمـة الي هـذا الحدّ ، فكيف سـتكون حرمة الحرم الواقعي ، وهم محمد وآل محمد عليهم السـلام الذين حرّم اللّه هذا الحرم لحرمتهم ؟

قطرة من بحار فضائل أهل البيت عليهم السلام

إستمع الي بعض مناقبهم وفضائلهم لتزداد معرفتك وبصيرتك فيهم :

ص: 62

روي سلاّر بن عبد العزيز الديلمي(1) بإسناده عن النبي صلي الله عليه و آله قال : لمّا عرج بي إلي السماء ، وعند سدرة المنتهي ودّعني جبرائيل عليه السلام ، فقلت له : في هذا المكان تفارقني ؟ فقال : إنّي لا أجوزه فتحرق أجنحتي ، ثم قال : زج بي في النور ما شاء اللّه ، وأوحي اللّه – تبارك وتعالي – إليّ : يا محمد ، إنّي إطلعت إلي الأرض إطلاعة فاخترتك منها ، فجعلتك نبيا ، ثم إطلعت ثانية فاخترت منها عليا ، وجعلته وصيك ووارثك ، ووارث علمك ، والإمام من بعدك ، وأخرج من أصلابكما الذرية الطاهرة ، والأئمة المعصومين خزّان علمي ، فلولاكم ما خلقت الدنيا ولا الآخرة ، ولا الجنّة ولا النار(2) .

وروي عن ابن مسعود أنّه قال : دخلت يوما علي رسول اللّه صلي الله عليه و آله فقلت : يا رسول اللّه أرني الحقّ حتي أنظر اليه ، فقال لي : يا ابن مسعود ألج المخدع ، فولجت

فرأيت علي بن أبي طالب راكعا ساجدا ، وهو يقول عقيب كلّ صلاة : اللّهم بحرمة محمد عبدك ورسولك إغفر للخاطئين من شيعتي .

قال ابن مسعود : فخرجت أخبر رسول اللّه صلي الله عليه و آله بذلك فرأيته راكعا ساجدا ، وهو يقول : اللّهم بحرمة علي بن أبي طالب عبدك إغفر للعاصين من أمّتي .

قال ابن مسعود : فأخذني الهلع حتي غشي عليّ ، فرفع النبي رأسه فقال : يا ابن مسعود ، أكفرت بعد إيمانك ؟ فقلت : معاذ اللّه ، ولكنّي رأيت عليا يسأل اللّه تعالي

بك ، وتسأل اللّه – عزّ وجلّ – به ، ولا أدري أيّكما أفضل ؟ !

فقال النبي صلي الله عليه و آله : يا ابن مسعود ، إنّ اللّه – عزّ وجلّ – خلقني وعلي والحسن والحسين من نور عظمته ، قبل الخلق بألف عام حين لا تسبيح ولا تقديس ، ففتقنوري ، فخلق منه السماوات ، وفتق نور علي ، فخلق منه العرش والكرسي ،

1- هو الحسن بن أبي الحسن علي بن محمد الديلمي صاحب « إرشاد القلوب » .

2- إرشاد القلوب : 2/415 باب فيه بعض قضاياه عليه السلام .

وعلي أجـلّ من العرش والكرسـي ، وفتق نور الحسن ، فخلق منه الجنـان والحور والولـدان ، والحسـين أفضـل منهم ، فـاظلمت المشـارق والمغارب ، فشـكت الملائكـة الي اللّه – عزّ وجلّ – الظلمـة ، وقالت : اللّهم بحرمة هذه الأشـباح التي خلقتهم إلاّ ما فرجت عنّا من هذه الظلمة .

فخلق اللّه روحـا وقرنهـا بـأخري ، فخلق منهـا نورا ، ثم أضاءت الروح ، فخلق منها الزهراء ، فأضاءت منها المشارق والمغارب ، فمن ذلك سمّيت الزهراء .

يا ابن مسعود ، إذا كان يوم القيامة يقول اللّه – عزّ وجلّ – لي ولعلي : أدخلا الجنّة

من شئتما ، وأدخلا النار من شئتما ، وذلك قوله تعالي : « أَلْقِيا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفّارٍ عَنِيدٍ » .

والكافر من جحد نبوتي ، والعنيد من عادي عليا وأهل بيته وشيعته(1) .

وروي الديلمي أيضا في إرشاد القلوب بإسـناده عن أبي ذر رضـي الله عنه قال : سمعت رسول اللّه صلي الله عليه و آله يقول : إفتخر إسرافيل علي جبرائيل ، فقال : أنا خير منك .

قال : ولـم أنت خير منّي ؟

قال : لأنّي صاحب الثمانية حملة العرش ، وأنا صاحب النفخة في الصور ، وأنا أقرب الملائكة إلي اللّه – عزّ وجلّ – .

قال جبرائيل عليه السلام : أنا خير منك .

فقال : بما أنت خير منّي ؟

قال : لأنّي أمين اللّه – عزّ وجلّ – علي وحيه ، وأنا رسوله إلي الأنبياء عليهم السـلام ، وأنا صاحب الكسوف والخسوف ، وما أهلك اللّه – عزّ وجلّ – أمّة من الأمم إلاّ علي يدي .

فاختصما إلي اللّه – جلّ وعلا – فأوحي اللّه – عزّ وجلّ – إليهما : أن اسكتا فوعزتيوجلالي ، لقد خلقت من هو خير منكما .

1– المنتخب للطريحي : 295/2 المجلس الثامن في نزول سورة « هل أتي » .

قالا : يا ربّ ، أو تخلق من هو خير منّا ونحن خلقنا من نور اللّه – عزّ وجلّ – ؟

قال اللّه تبارك وتعالي : نعم ، وأومأ إلي القدرة أن انكشفي فانكشفت ، فإذا علي ساق العرش الأيمن مكتوب : « لا إله إلاّ اللّه محمد رسول اللّه وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام أحباء اللّه » .

فقال جبرائيل عليه السلام : يا ربّ ، فإنّي أسألك بحقّهم عليك إلاّ جعلتني خادمهم .

قال اللّه تبارك وتعالي : قد فعلت ، فجبرائيل عليه السلام من أهل البيت ، وإنّه لخادمنا(1) .

جبرئيل الأمين عليه السلام خادم أهل البيت عليهم السلام

أجـل ، جبرئيل الأمين كان خادما لأهل البيت ، ولهـذا تجـده دائما يخـدمهم في بيوتهم ، ويقف معهم في مصاعب الحياة ، ويعين فاطمة الزهراء عليهاالسلام كرارا ، ويخدمها في بيتها .

أما سمعت حديث أم أيمن حيث قالت :

مضـيت ذات يوم إلي منزل مولاتي فاطمة الزهراء عليهاالسـلام لأزورها في منزلها ، وكان يوما حارا من أيام الصيف ، فأتيت إلي باب دارها ، وإذا بالباب مغلق ، فنظرت من شـقوق الباب ، فإذ بفاطمة الزهراء عليهاالسـلام نائمة عند الرحي ، ورأيت الرحي تطحن البر ، وهي تدور من غير يد تديرها ، والمهد أيضا إلي جانبها ، والحسين عليه السلام نائم فيه ، والمهد يهتز ولم أر من يهزه ، ورأيت كفّا يسبح اللّه تعالي قريبا من كفّ فاطمة

الزهراء عليهاالسلام .

قالت أم أيمن : فتعجبت من ذلك ، فتركتها ومضـيت إلي سيدي رسول اللّه صلي الله عليه و آله ،وسلّمت عليه وقلت له : يا رسول اللّه ، إنّي رأيت عجبا ما رأيت مثله أبدا ، فقال

1- إرشاد القلوب : 2/403 باب فيه بعض قضاياه عليه السلام .

لي : ما رأيت يا أم أيمن ؟

فقلت : إنّي قصدت منزل سيدتي فاطمة الزهراء عليهاالسلام ، فلقيت الباب مغلقا ، وإذا أنا بالرحي تطحن البر ، وهي تدور من غير يد تديرها ، ورأيت مهد الحسين عليه السلام يهتزّ من غير يد تهزّه ، ورأيت كفّا يسبح اللّه تعالي قريبا من كفّ فاطمة عليهاالسلام ولم أر شخصه ، فتعجبت من ذلك يا سيدي !

فقال : يا أم أيمن ، إعلمي أنّ فاطمة الزهراء عليهاالسلام صائمة ، وهي متعبة جائعة ، والزمان قيظ ، فألقي اللّه تعالي عليها النعاس فنامت ، فسبحان من لا ينام ، فوكّل اللّه

ملكا يطحن عنها قوت عيالها ، وأرسل اللّه ملكا آخر يهزّ مهد ولدها الحسين عليه السلام لئلا يزعجها من نومها ، ووكّل اللّه ملكا آخر يسبح اللّه – عزّ وجلّ – قريبا من كفّ فاطمة يكون ثواب تسبيحه لها ، لأنّ فاطمة لم تفتر عن ذكر اللّه ، فإذا نامت جعل اللّه ثواب تسبيح ذلك الملك لفاطمة .

فقلت : يا رسول اللّه أخبرني من يكون الطحان ؟ ومن الذي يهزّ مهد الحسين ويناغيه ؟ ومن المسبح ؟

فتبسّم النبي صلي الله عليه و آله ضاحكا وقال : أمّا الطحّان فجبرئيل ، وأمّا الذي يهزّ مهد الحسين فهو ميكائيل ، وأمّا الملك المسبّح فهو إسرافيل(1) .

وروي أيضا : إنّ جبرئيل عليه السلام نزل يوما فوجد الزهراء عليهاالسلام نائمة ، والحسين في مهده يبكي ، فجعل يناغيه ويسليه حتي استيقظت ، فسمعت صوت من يناغيه ، فالتفتت فلم تر أحدا ، فأخبرها النبي صلي الله عليه و آله أنّه كان جبرئيل(2) .

وكان ممّا ناغاه به جبرئيل :

إنّ في الجنّة نهرا من عسل

لعلي وحسين وحسن

1- بحار الأنوار : 37/97 باب 50 .

2- بحار الأنوار : 44/187 باب 25 .

كلّ من كان محبّا لهم

يدخل الجنّة من غير حزن

صرخة جبرئيل عليه السلام يوم عاشوراء

لم تطق الملائكة سماع بكاء الحسين عليه السلام وهو في المهد ، فكيف كان حالهم وهم يسمعون أنين المظلوم ، ويرون دموعه كأنّها عندم ، ويسمعون آهاته ، ويرونه يتنفس الصعداء ، وهو يستغيث :

ألا رحيم لوجه اللّه يرحمنا ! ألا رؤوف بنا راج يواسينا !

فأين كان خادمه جبرئيل الذي كان يناغيه في المهد ؟ يأتيه هذه الساعة ليسعي في شأن مخدومه ، فيصيح صيحة تهلك القوم ، وتقلب الأرض علي من فيها . وإن لم يكن مأمورا بإنزال العذاب علي أولئك المنكوسين ، لأنّ اللّه قد أخّر عذابهم الي يوم

القيامة ، ولكنّه لا شكّ قد تمزّق قلبه لمصاب مخدومه ، وتقرّح صدره ، وجرت دموعه دما ، وهو ينادي مفجوعا حائرا : وا حسيناه !

أما سمعت ما رواه ابن قولويه عن الصادق عليه السلام قال :

إنّ الحسين عليه السلام لمّا قتل أتاهم آت ، وهم في العسكر ، فصرخ فزبر ، فقال لهم : وكيف لا أصرخ ورسول اللّه صلي الله عليه و آله قائم ينظر إلي الأرض مرّة وإلي حزبكم مرّة ، وأنا أخاف أن يدعو اللّه علي أهل الأرض ، فأهلك فيهم .

فقال بعضهم لبعض : هذا إنسان مجنون .

فقال التوابون : يا للّه ، تاللّه ، ما صنعنا لأنفسنا ؟ قتلنا لابن سمية سيد شباب أهل الجنّة ؟ !

قال الراوي : فقلت له : جعلت فداك ، من هذا الصارخ ؟

قال : ما نراه إلاّ جبرئيل عليه السلام ، أما إنّه لو أذن له فيهم لصاح بهم صيحة يخطف به

أرواحهم من أبدانهم إلي النار ، ولكن أمهل لهم ليزدادوا إثما ، ولهم عذاب أليم(1) .

يا نكبة لبس الدين القديم له

سود الحداد وغاض العلم والعمل

وقدحة أورثت في قلب فاطمة

رزء عظيما وجرحا ليس يندمل

وا حسرتاه علي ثار جريح حشا

تسفي علي جسمه النكباء والشمل

وا حسرتاه علي عار وقد نسجت

عليه بالطف من ريح الصبا حلل

ملقي ثلاثا بلا غسل ولا كفن

ترب الفلا والدما الأكفان والغسل

يسري بنسوته أسري بلا وطاء

فوق المطي ولم يضرب لها كلل

مسبية مثل سبي الترك قد سلبت

منها القلائد والأسوار والحجل

سواجعا كحمام الأيك نادبة

ينهد من شجوهن الصخر والجبل

وزينب بين ذاك السبي حاسرة

لها علي حزنها ندب ومرتجل

تقول أيا شمس أيامي ويا قمري

إذا إكفهر عليّ الحادث الجلل

يا غائبا ليس يرجي عوده أبدا

ولا به بعد هذا الفصل متّصل

ويا طريحا جريحا لا دواء له

كيف الدواء ومنه الرأس منفصل

ظننت أنّك كهفي أستجير به

من الزمان فخاب الظنّ والأمل

يا أمّ قومي الي ليث غدا دمه

تعلّ وحش الفلا منه وتنتهل

أمّا بناتك يا أمّاه قد حملت

أسري وأمّا بنوك الغرّ قد قتلوا

مصيبة ما أعظمها !

ما أعظم هذه المصيبة يا عزيزي ، مصيبة ما أعظمها وأعظم رزيتها في السموات والأرض ، مصيبة ابن مكة ومني ، مصيبة ابن زمزم والصفا ، مصيبة ابن الركن والمقام والمشعر الحرام ، مصيبة فخر الكائنات ، وعلّة الممكنات ، وزينة السموات ،

1- كامل الزيارات : 336 الباب 108 ح14 ، بحار الأنوار : 45/173 ح21 .

وسبب نزول البركات والرحمات .

لا معصية بعد الشرك وتوابعه أعظم من سفك الدم بغير الحقّ ، وكم وردت الآيات والروايات في تأكيد عذابه وعظم معصيته ، ما لم يرد في غيره من المعاصي ، حتي قال الباري عزّ وجلّ : « مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النّاسَ جَمِيعاً » .

وقال النبي صلي الله عليه و آله : لو أنّ أهل السموات وأهل الأرض إجتمعوا فشركوا في دم إمري ء مسلم ورضوا به لأكبّهم اللّه علي مناخرهم في النار(1) .

فإذا كان هذا كلّه لقتل مسلم ، فما أعظم قتل مثل سيد الشهداء عليه السلام ، وهو إمام المسلمين ، وإمام المؤمنين ، وسيد المتّقين ، ومقتدي الموحّدين ، وعماد السموات والأرضين ، وغاية خلق هذه وتلك ، ومركز دائرة العلم والعرفان واليقين ، وشمس العالمين ، ومصباح الأبرار ، ومفتاح الأسرار ، وسفينة النجاة لجميع الكائنات ، وزورق الحياة لكلّ الممكنات ، وغصن شجرة النبوة المباركة ، وركن الإمامة المعظمة .

معارف في البرايا عارفون بها

هادون والغير جهال مجاهيل

وراحتا الدهر من فضفاض جودهم

مملوّتان وما للفيض تعطيل

طائفة أخري من فضائل أهل البيت عليهم السلام

أجل ، فإنّ قوام الدهر ، ووجود الدهر ، وبقاء الدهر بهم ، « بكم فتح اللّه وبكم يختم » .

أنتم أول من لبس خلعت الوجود ، وأول من صوّركم مصوّر الأزل ، فأبدعكم في أحسن تقويم ، بل إنّ كلّ فيض ، وكلّ عطاء يفيض من الفيّاض المطلق إنّما يفتتح

1- بحار الأنوار : 104/383 ح3 .

بكم ، وبكم يقوم ، وبكم يختم ، « وبكم ينزّل الغيث ، وبكم يمسك السماء أن تقع علي الأرض إلاّ بإذنه »(1) .

روي في إرشاد القلوب عن النبي صلي الله عليه و آله قال : نحن أهل البيت لا يقاس بنا أحد من عباد اللّه ، ومن والانا وإئتم بنا ، وقبل منّا ما أوحي إلينا ، وعلمّناه إياه ، وأطاع اللّه فينا ، فقد والي اللّه (2) .

وروي سماعة قال : قال لي أبو الحسن عليه السلام : يا سماعة ، إذا كان لك حاجة إلي اللّه فقل : اللّهم إنّي أسألك بحقّ محمد وعليّ ، فإنّ لهما عندك شأنا من الشأن ، وقدرا من

القدر ، فبحقّ ذلك الشأن ، وبحقّ ذلك القدر ، أن تصلّي علي محمد وآل محمد ، وأن تفعل بي كذا وكذا ، فإنّه إذا كان يوم القيامة لم يبق ملك مقرّب ولا نبي مرسل ، ولا

مؤن إمتحن اللّه قلبه للإيمان ، إلاّ وهو محتاج إليهما في ذلك(3) .

وكيف لا يحتاجونهم وبأيديهم مفاتيح الجنّة والنار ، وحساب الخلق اليهم(4) ، لا يدخل الجنّة إلاّ من كان معه براءة بحبّ محمد وآل محمد(5) عليهم السلام ، والجنّة

حرام علي أصحابها حتي يدخلها محمد وآل محمد عليهم السلام ، « وشيعتهم عن بين أيديهم وعن شمائلهم » .

فهم سلاطين الدنيا والآخرة ، وإنّما خلقت الدنيا والآخرة لهم ، يتصرّفون بهما كما يشاؤون بإذن اللّه تعالي ، ولا يتصرّف بها أحد سوي شيعتهم ، لأنّهم عبيدهموأولياؤهم ، والعبد الأمين المطيع يحقّ له أن يتصرّف في ملك سيّده .

وإذا استصعب البعض ما قلناه ، فإستمع الي ما سنلقيه عليك لتعرف دليله :روي المفضل بن عمر في قوله تعالي « إِنَّ إِلَيْنا إِيابَهُمْ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنا حِسابَهُمْ » قال :

1- زيارة الجامعة الكبيرة ، بحار الأنوار : 99/131 .

2- بحار الأنوار : 65/45 باب 15

3- إرشاد القلوب : 2/426 ، دعوات الراوندي : 51 ح127 ، بحار الأنوار : 8/59 ح81 .

4- مشارق أنوار اليقين : 188 و335 .

5- انظر بشارة المصطفي : 178 .

قال أبو عبد اللّه عليه السلام : من تراهم ؟ نحن واللّه هم ، إلينا يرجعون ، وعلينا يعرضون ، وعندنا يقضون ، وعن حبّنا يسألون(1) .

وروي الشيخ الصدوق في أماليه عن الإمام الصادق عليه السلام قال : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَمَعَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ لِفَصْلِ الْخِطَابِ دُعِيَ رَسُولُ اللَّهِ صلي الله عليه و آله ، وَدُعِيَ أَمِيرُ الْمُؤمِنِينَ عليه السلام ، فَيُكْسَي رَسُولُ اللَّهِ صلي الله عليه و آله حُلَّةً خَضْرَاءَ تُضِيءُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَيُكْسَي عَلِيٌّ عليه السلام مِثْلَهَا ، وَيُكْسَي رَسُولُ اللَّهِ صلي الله عليه و آله حُلَّةً وَرْدِيَّةً يُضِيءُ لَهَا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، وَيُكْسَي عَلِيٌّ عليه السلام مِثْلَهَا ، ثُمَّ يَصْعَدَانِ عِنْدَهَا .

ثُمَّ يُدْعَي بِنَا ، فَيُدْفَعُ إِلَيْنَا حِسَابُ النَّاسِ ، فَنَحْنُ وَاللَّهِ نُدْخِلُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، وَأَهْلَ النَّارِ النَّارَ .

ثُمَّ يُدْعَي بِالنَّبِيِّينَ عليهم السلام ، فَيُقَامُونَ صَفَّيْنِ عِنْدَ عَرْشِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - حَتَّي نَفْرُغَ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ .

فَإِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، بَعَثَ رَبُّ الْعِزَّةِ عَلِيّاً عليه السلام ، فَأَنْزَلَهُمْ

مَنَازِلَهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ وَزَوَّجَهُمْ ، فَعَلِيٌّ وَاللَّهِ الَّذِي يُزَوِّجُ أَهْلَ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ ، وَمَا ذَاكَ إِلَي أَحَدٍ غَيْرِهِ كَرَامَةً مِنَ اللَّهِ - عَزَّ ذِكْرُهُ - ، وَفَضْلاً فَضَّلَهُ اللَّهُ بِهِ ، وَمَنَّ بِهِ عَلَيْهِ ، وَهُوَ وَاللَّهِ يُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ ، وَهُوَ الَّذِي يُغْلِقُ عَلَي أَهْلِ الْجَنَّةِ إِذَا دَخَلُوا فِيهَا أَبْوَابَهَا ، لأَنَّ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ إِلَيْهِ ، وَأَبْوَابَ النَّارِ إِلَيْهِ(2) .

إنّك ما عرفت منزلة محمد وآل محمد عليهم السلام ، وما أدركت مقامهم وعظمتهم ، ولهذا تستوحش من سماع أمثال هذه النعوت والأوصاف ، لأنّك لم تعرف جلالتهم ، فتستبعد هذا الأمر البسيط ، إنّهم الأسرار الإلهية ، والأنوار الربانية ، والشموس الطالعة ، والأقمار المنيرة ، والنجوم المضيئة .إنّهم معدن العلوم والمعارف ، وخزائن الكمالات والعوارف ، حارت عقول

1- مشارق أنوار اليقين تحقيق سيد علي جمال أشرف : 335 ، بحار الأنوار : 24/272 باب 63 ح53 .

2- الكافي : 8/159 حديث الناس يوم القيامة ح154 .

العقلاء ، وتاه فهم الحكماء ، وضلّ إدراك العرفاء في إدراك مراتب جلالهم ، وقدرهم ومقامهم ، وعجز عن بيان أقلّ القليل من الكثير الكثير من شأن من شؤونهم ، ونعت من نعوتهم ، أقلام الأدباء ، وألسنة الفصحاء ، وبلاغة البلغاء .

كيف لا ـ يكون كذلك وصادق آل محمد عليهم السلام يقول : إنّ الذي ظهر للملائكة المقرّبين من معرفة آل محمد قليل من كثير لا يحصي(1) .

فإذا كان الملائكة ، وهم سكان صوامع الملكوت ، وربائب حظائر الجبروت ، ومستوطنوا محال القدس ، ومجاوروا محافل الأنس ، قاصرين عن إدراك حقيقتهم ، وعاجزين عن التوصل الي فضائلهم ، فأنّي لهذه العقول تمنّي ذلك ؟ وأنّي لمن تنازعهم الشهوات والأهواء أن ينالوا ذلك المقام ؟

أما رأيت كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ؟ وهو يشرح أوصاف الإمام في خطبة طويلة ، فيقول : ظاهره أمر لا يملك ، وباطنه غيب لا يدرك ، واحد دهره ، وخليفة اللّه في نهيه وأمره ، لا يوجد له مثيل ، ولا يقوم له بديل ، فمن ذا ينال معرفتنا ؟ أو يعرف درجتنا ؟ أو يشهد كرامتنا ؟ أو يدرك منزلتنا ؟ حارت الألباب والعقول ، وتاهت الأفهام فيما أقول . . .

ويقول عليه السلام في نفس الخطبة : هل يعرف أو يوصف أو يعلم أو يفهم أو يدرك أو يملك من هو شعاع جلال الكبرياء ، وشرف الأرض والسماء ؟ جلّ مقام آل محمد صلي الله عليه و آله عن وصف الواصفين ، ونعت الناعتين ، وأن يقاس بهم أحد من العالمين .

ويقول عليه السلام : فما آية للّه أكبر منهم ، فهم آية من دونها كلّ آية ، وما من نعمة إلاّ وهم أولياؤها ، فهم نعمة منها أتت كلّ نعمة(2) .

بكاء الكائنات علي الإمام الحسين عليه السلام

1- مشارق أنوار اليقين : 298 .

2- مشارق أنوار اليقين : 178 ، بحار الأنوار : 25/169 باب 4 بأدني تفاوت .

فإذا كان الجليل ينزّل عذابه علي أهل السموات والأرض لقتل مسلم من المسلمين ، فكيف بقتل من سمعت شيئا قليلاً من فضائله ومناقبه ؟

بل وكيف إذا قتل قتلة لم يقتل بها قبله ولا بعده أحد من العالمين ؟

اللّه أكبر مـا أعظم رزيته ! كيف لا ! وقـد قال الصادق عليه السـلام لزرارة رحمه الله : يا زرارة إنّ السـماء بكت علي الحسـين عليه السـلام أربعين صباحا بالدم ، وإنّ الأرض بكت أربعين صباحا بالسواد ، وإنّ الشمس بكت أربعين صباحا بالكسوف والحمرة ، وإنّ الجبال تقطّعت وانتثرت ، وإنّ البحار تفجّرت ، وإنّ الملائكة بكت أربعين يوما علي الحسين عليه السلام .

وما اختضبت منّا امرأة ، ولا إدهنت ، ولا إكتحلت ، ولا رجّلت حتي أتانا رأس عبيد اللّه بن زياد .

وما زلنا في عبرة بعـده ، وكان جدّي إذا ذكره بكي حتي تملأ عيناه لحيته ، وحتي يبكي لبكائه – رحمة له – من رآه ، وإنّ الملائكة الذين عند قبره ليبكون ، فيبكي لبكائهم كلّ من في الهواء والسماء من الملائكة(1) .

أي واللّه ليس عجيبا أن تبكي السـماء والأرض ، والشـمس والقمر ، بل العجيب أن لا تسقط السماء علي الأرض كسفا ، وأن تتقطع الأرض قطعا ، وأن لا يتناثر الكون !

هل لا زالت الشـمس تدور بين الأفقين ، فتطلع وتغرب ؟ ولا زال القمر يلفع الأرض بنوره ؟ ولا زالت النجوم تبعث بضوئها وتومض ببريقها ؟

هل لا زال الكون قائما ، وروح العالم فقد روحه ؟ وعماد السـماوات والأرضمرمّل بالدماء ؟ وسفينة نجاة العصاة أغرقت في أمواج الدماء ؟ وزورق حياة

1- كامل الزيارات : 80 الباب 26 ، بحار الأنوار : 45/206 ح13 .

الكائنات عصفت به رياح الأدعياء ، وإنكسفت شمس فلك الإمامة من جنايات الظلم والجفاء ، وإنخسف بدر فلك العصمة وغاب في الدم والتراب من ضربات السيوف ، وطعنات الأسنة والرماح .

أذلّوا عزيز اللّه ورسوله صـلي الله عليه و آله ، وأتربوا الخدّ الذي نما وترعرع علي صدر البتول الطاهرة عليهاالسلام ، وأذبلوا زهرة ربيع روضة علي المرتضي عليه السلام ، وقطعوا برعم مروج « لا فتي » ، وإجتثوا نخلة ساحات « هل أتي » بمناجل الجفاء والإعتداء .

آه . . يا ربّاه ، أيتموا الشيعة حينما قتلوا أباهم ، وذبحوا سيد المؤمنين ، وهدموا ملجأ المساكين .

يا أرض زولي يا جبال تدكدكي

وتشعبي بتصدّع لا يشعب

يا سحب جفّي يا بحار تنضّبي

فلمثل هذا الخطب ماؤك ينضب

بل يا سماء تزعزعي واستعبري

فلمثل هذا الرزء دمعك يهضب

قتل ابن أحمد والوصي فيا له

من فادح منه الفوادح تعجب

هتك وسفك للدماء وللدماء

وعقائل تسبي وتلك تسلّب

لهفي له بالترب عار بالعرا

تكسوه من نسج الغبار الأزيب

لهفي له رهن المنية مفردا

تدعوه من فرط المصيبة زينب

أخي طيب العيش بعدك لم يكن

يحلو ولا ماء المشارب يعذب

أأخي بعدك لا بقيت وقلّما

نفس عليك من التحسّر تذهب

قد كنت نورا في البريّة للهدي

فدهاه من ليل الظلامة غيهب

يا راكبا من فوق ظهر عرندس

إهبط متي لاحت لهيبك يثرب

وانع الحسين الي البتول وقف علي

قبر الرسول وقل ودمعك يسكب

أمحمد المختار إنّ أمية

هدموا بيوتك عامدين وخرّبوا

وتقصّدوا بالقتل آلك بعد ما

أضحي تراثهم يحاز ويغصب

أمسي حسينك يا رسول اللّه في

وطي ء الخيول علي الثري يتقلّب

ص: 74

سيدي أبا عبد اللّه ، بأبي أنت وأمي ، بل آباء الشيعة وأمهاتهم فداء لمظلمويتك وغربتك ، سيدي أبا عبد اللّه :

وبناتك الخفرات أضحت بعده

بالسلب والضرب العنيف تعذّب

بكاء المخلوقات علي الإمام الحسين عليه السلام

لا أدري كيف يفرح أحباؤه من بعـده ؟ كيف يضـحكون ويمرحون وفي مجالس الأنس يجتمعون ؟ كيف يهنأون بلذيذ الطعام ويشـتهونه ؟ بأيّ عذر يلبسون الرياش ويرتدون الملابس الفاخرة ؟

عجبا لهم لماذا لا يبكون بدل الدموع دما ، ولا يحترقون بزفراتهم ؟ لماذا لا يلبسون المسوح وملابس الحداد طيلة أعمارهم ؟

أقسم باللّه أن لو قضوا حياتهم في مأتم العزاء ، بل حوّلوا الدنيا كلّها الي مجلس نياحة وبكاء ، وألقوا علي رؤوسـهم الرماد ، ما كان لأحد أن يلومهم . بل ليت ثمـة عالما أوسع من هـذا العالم ، وأنّ ثمـة عمرا أطول من عمر هذه الدنيا لتتهيأ الفرصة أكثر للبكاء والنياحة وإقامة العزاء علي هذه المصيبة العظمي .

إنّك إن لم تعطي هـذه المصـيبة حقّها ، ولم تتحمّل حمل لواء مأتمها ، وترفع خيمـة عزائها ، فعليك أن تعلم أنّ سـكان صوامع الملكوت ، وقطاة حظائر الجبروت ، أقاموها حقّ إقامتها ، إنّهم يصـرخون ويضـجون ويـندبون ، ولو سـمع أهل الأرض صـيحة واحـدة من صـيحاتهم لذهلوا .

ولو أنّك لم تقم مجلس عزائه حقّ الإقامـة ، فـإنّ معاشـر الجنّ أقـاموه ، ولو أنّك لم تبكي حقّ البكـاء ، ولم تنـح حقّ النياحـة ، فإنّ الطيور والوحوش بكته حقّ البكاء ، وناحت عليه حقّ النياحة .وإذا بخلت بدموعك المالحة ، فإنّ السماء والأرض بكته دما جري من عيونها .

روي ابن بابويه بإسناده عن المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام

قال : إنّ الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام دخل يوما إلي الحسن عليه السلام ، فلمّا نظر إليه بكي ، فقال له : ما يبكيك يا أبا عبد اللّه ؟ قال : أبكي لما يصنع بك .

فقال له الحسن عليه السلام : إنّ الذي يؤي إليّ سمّ يدسّ إليّ ، فأقتل به ، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبد اللّه ، يزدلف إليك ثلاثون ألف رجل ، يدعون أنّهم من أمّة جدّنا محمد صلي الله عليه و آله ، وينتحلون دين الإسلام ، فيجتمعون علي قتلك وسفك دمك ، وانتهاك حرمتك ، وسبي ذراريك ونسائك ، وانتهاب ثقلك .

فعندها تحلّ ببني أمية اللعنة ، وتمطر السماء رمادا ودما ، ويبكي عليك كلّ شيء حتي الوحوش في الفلوات ، والحيتان في البحار(1) .

ثواب البكاء علي الإمام الحسين عليه السلام

روي الشيخ الكشي عن زيد الشحام قال : كنّا عند أبي عبد اللّه عليه السلام ، ونحن جماعة من الكوفيين ، فدخل جعفر بن عفان علي أبي عبد اللّه عليه السلام ، فقرّبه وأدناه ، ثم قال : يا جعفر ، قال : لبّيك جعلني اللّه فداك ، قال : بلغني أنّك تقول الشعر في الحسين عليه السلام وتجيد ؟ فقال له : نعم ، جعلني اللّه فداك ، قال : قل . فأنشده صلّي اللّه عليه ، فبكي ومن حوله حتي صارت الدموع علي وجهه ولحيته .

ثم قال : يا جعفر ، واللّه لقد شهدت ملائكة اللّه المقرّبون ها هنا يسمعون قولك في الحسين عليه السلام ، ولقد بكوا كما بكينا وأكثر ، ولقد أوجب اللّه – تعالي – لك يا جعفر في ساعته الجنّة بأسرها ، وغفر اللّه لك ، فقال : يا جعفر ، ألا أزيدك ؟ قال : نعم ، يا سيّدي .قال : ما من أحد قال في الحسين عليه السلام شعرا ، فبكي وأبكي به إلاّ أوجب اللّه له الجنّة ، وغفر له(2) .

1- أمالي الصدوق : 115 م24 ، المناقب : 4/86 ، اللهوف : 25 ، البحار : 45/18 ح44 .

2- رجال الكشي : 289 رقم 508 ، بحار الأنوار : 44/282 باب 34 ح16 .

وروي ابن قولويه عن أبي هارون المكفوف قال : قال أبو عبد اللّه عليه السلام في حديث طويل له : ومن ذكر الحسين عليه السلام عنده ، فخرج من عينه من الدموع مقدار جناح ذباب كان ثوابه علي اللّه - عزّ وجلّ - ، ولم يرض له بدون الجنّة(1) .

أجل ، ما أعظم ثواب من يقيم مأتمه ، وما أجلّ أجره ، فإذا كنت تطمع في ثواب اللّه فإبكي في مصاب رزية أوليائه ، وإن كنت تدّعي محبّتهم فأذل مدامعك في مصيبة محبوبك ، وحرّر الشهقات والزفرات من أعماق صدرك .

أيم اللّه لو أنّ الناس سمعوا أنّ مسلما طرد من وطنه من غير جرم ، وشرّد في الصحاري والقفار ، وأنزل علي غير ماء وكلاء ، وقتلوا أصحابه ، وذبحوا أطفاله ، وأسروا نساءه ، فإنّ قلوبهم تحترق ، وأكبادهم تتفتت ، لهذا المسلم المظلوم ، فكيف إذا كان هذا كلّه جري وأكثر ، علي فلذة كبد فاطمة الزهراء عليهاالسلام ، فهل يتمالك بعد ذلك ، ويمسك دمعه ؟

إذا أردت أن تسمع مجملاً عمّا جري علي الإمام العظيم عليه السلام ، دونما مبالغات ، ولا إغراق ولا أكاذيب ، فإستمع الي ما سألقيه عليك ، لتعلم ما وقع عليه من الظلم ، وما جري عليه من الأحداث ، وكيف ضيّقوا عليه حتي أخرجوه من حرم اللّه ، ومن حرم جدّه ، مكرها مضطرا .

ورود الإمام الحسين عليه السلام مكة

روي الشيخ المفيد في إرشاده : ولمّا دخل الحسين عليه السلام مكة كان دخوله إليها ليلة الجمعة لثلاث مضين من شعبان ، دخلها وهو يقرأ « وَلَمّا تَوَجَّهَ تِلْقاءَ مَدْيَنَ قالَ عَسيرَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَواءَ السَّبِيلِ » .

ثم نزلها ، وأقبل أهلها يختلفون إليه ، ومن كان بها من المعتمرين ، وأهل الآفاق ، وابن الزبير بها قد لزم جانب الكعبة ، فهو قائم يصلّي عندها ويطوف ، ويأتي

1- كامل الزيارات : 100 الباب 32 ح3 .

الحسين عليه السلام فيمن يأتيه ، فيأتيه اليومين المتواليين ، ويأتيه بين كلّ يومين مرّة ، وهو أثقل خلق اللّه علي ابن الزبير ، قد عرف أنّ أهل الحجاز لا يبايعونه ما دام الحسين عليه السلام في البلد ، وأنّ الحسين أطوع في الناس منه وأجلّ .

وبلغ أهل الكوفة هلاك معاوية ، فارجفوا بيزيد ، وعرفوا خبر الحسين عليه السلام ، وامتناعه من بيعته ، وما كان من ابن الزبير في ذلك ، وخروجهما إلي مكة .

فاجتمعت الشيعة بالكوفة في منزل سليمان بن صرد ، فذكروا هلاك معاوية ، فحمدوا اللّه عليه ، فقال سليمان : إنّ معاوية قد هلك ، وإنّ حسينا قد تقبّض علي القوم ببيعته ، وقد خرج إلي مكة ، وأنتم شيعته وشيعة أبيه ، فإن كنتم تعلمون أنّكم ناصروه ، ومجاهدوا عدوّه فأعلموه ، وإن خفتم الفشل والوهن ، فلا تغرّوا الرجل في نفسه ، قالوا : لا بل نقاتل عدوّه ، ونقتل أنفسنا دونه .

قال : فكتبوا : بسم اللّه الرحمن الرحيم ، للحسين بن علي عليهماالسلام من سليمان بن صرد ، والمسيب بن نجبة ، ورفاعة بن شداد ، وحبيب بن مظاهر ، وشيعته من المؤنين والمسلمين من أهل الكوفة ، سلام عليك ، فإنّا نحمد إليك اللّه الذي لا إله إلاّ هو .

أمّا بعد ، فالحمد للّه الذي قصم عدوّك الجبار العنيد ، الذي انتزي علي هذه الأمّة ، فابتزها أمرها ، وغصبها فيئها ، وتأمّر عليها بغير رضي منها ، ثم قتل خيارها ، واستبقي شرارها ، وجعل مال اللّه دولة بين جبابرتها وأغنيائها ، فبعدا له كما بعدت ثمود ، إنّه ليس علينا إمام ، فأقبل لعلّ اللّه أن يجمعنا بك علي الحقّ ، والنعمان بن بشير في قصر الإمارة لسنا نجمع معه في جمعه ، ولا نخرج معه إلي عيد ، ولو قد بلغنا أنّك أقبلت إلينا أخرجناه حتي نلحقه بالشام إن شاء اللّه .

ثم سرّحوا الكتاب مع عبد اللّه بن مسمع الهمداني ، وعبد اللّه بن وال ، وأمروهما بالنجاء ، فخرجا مسرعين حتي قدما علي الحسين عليه السلام بمكة لعشر مضين من شهر رمضان .

ولبث أهل الكوفة يومين بعد تسـريحهم بالكتاب ، وانفذوا قيس بن مسـهر الصيداوي ، وعبد الرحمن بن عبد اللّه الأرحبي ، وعمارة بن عبد السلولي إلي الحسين عليه السلام ، ومعهم نحو من مائة وخمسين صحيفة من الرجل والإثنين والأربعة .

ثم لبثوا يومين آخرين وسرّحوا إليه هانئ بن هانئ السبيعي ، وسعيد بن عبد اللّه الحنفي ، وكتبوا إليه :

بسم اللّه الرحمن الرحيم للحسين بن علي من شيعته من المؤنين والمسلمين .

أمّا بعد ، فحيّ هلا ، فإنّ الناس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك ، فالعجل العجل ، ثم العجل العجل ، والسلام(1) .

وقال السـيد ابن طاووس : وهو عليه السلام مع ذلك يتأبّي ولا يجيبهم ، فورد عليه في يوم واحد ستمائة كتاب ، وتواترت الكتب حتي اجتمع عنده في نوب متفرقة اثنا عشر ألف كتاب(2) .

وقال الشـيخ المفيد رحمه الله : ثم كتب شـبث بن ربعي ، وحجار بن أبجر ، ويزيد بن الحارث بن رويم ، وعروة بن قيس ، وعمر بن حجاج الزبيدي ، ومحمد بن عمرو التيمي :

أمّا بعد ، فقد أخضرّ الجنات ، وأينعت الثمار ، وأعشبت الأرض ، وأورقت الأشجار ، فإذا شئت فأقبل علي جند لك مجندة ، والسلام عليك ورحمة اللّه وبركاته(3) .معاشر الشيعة ، إنّ أكثر هؤلاء الأشخاص الذين كاتبوا الإمام عليه السلام ، حاربوه في كربلاء ، كاتبوه أولاً حتي إذا أخرجوه من أرضه وديارة عدو عليه قبل أن يصل

1- الإرشاد : 2/36 .

2- اللهوف : 32 المسلك الأول ، بحار الأنوار : 44/334 باب 37 .

3- بحار الأنوار : 44/334 باب 37 .

الي ديارهم فسلّوا سيوفهم في وجهه ، وشرعوا الرماح في نحره ، وخرجوا الي قتاله .

إنّ أكثر هؤلاء الأشرار الذين كتبوا له : فقد أخضرت الجنات ، وأينعت الثمار ، فإذا شئت فأقبل علي جند لك مجندة ، كانوا من أمراء عسكر ابن سعد ، منهم عمرو ابن الحجاج الذي كان علي ميمنة عمر بن سعد ، وفي رواية ابن شهرآشوب : أنّه وأبا الأعور السلمي كانوا علي أربعة آلاف علي الشريعة لمنع الحسين عليه السلام وأصحابه عن الماء ، فلمّا حمل العباس علي الفرات ليستقي الماء أحاطوا به وقتلوه ، ولمّا حمل سيد الشهداء عليه السلام وقصد الفرات ، قاتلوه ومنعوه من شرب الماء(1) .

وكان عروة بن قيس من أمراء عسكر ابن سعد ، وكان شبث بن ربعي علي الرجالة الذين رموا المولي بالنبال والحجارة .

أجل ، كانت هذه الرماح والنبال والسيوف ، هي الثمار اليانعة التي أتحفوا بها المظلوم .

يا أمّة باءت بقتل هداتها

أفمن الي قتل الهداة هداك

بئس الجزاء لأحمد في آله

وبنيه يوم الطف كان جزاك

جواب الإمام الحسين عليه السلام علي كتب الكوفيين

قال الشيخ المفيد رحمه الله : وتلاقت الرسل كلّها عنده ، فقرأ الكتب ، وسأل الرسل عن الناس ، ثم كتب مع هانئ بن هانئ ، وسعيد بن عبد اللّه ، وكانا آخر الرسل :

بسم اللّه الرحمن الرحيم ، من الحسين بن علي إلي الملأ من المسلمين والمؤنين .

أمّا بعد، فإنّ هانئا وسعيدا قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم،

1- في المناقب : 4/58 فصل في آياته بعد وفاته عليه السلام : وروي أبو مخنف عن الجلودي أنّ الحسين حمل علي الأعور السلمي وعمرو بن الحجاج الزبيدي ، وكانا في أربعة آلاف رجل علي الشريعة ، وأقحم الفرس علي الفرات . . .

وقـد فهمت كـلّ الـذي إقتصصـتم وذكرتم ، ومقالـة جلّكم : إنّه ليس علينا إمام ، فأقبل لعل اللّه أن يجمعنا بك علي الهـدي والحقّ ، وإنّي باعث إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي ، فإن كتب إليّ أنّه قد اجتمع رأي ملئكم ، وذوي الحجا والفضل منكم علي مثل ما قدمت به رسلكم ، وقرأت في كتبكم ، أقدم عليكم وشيكا إن شاء اللّه .

فلعمري ما الإمام إلاّ الحاكم بالكتاب ، القائم بالقسط ، الدائن بدين الحقّ ، الحابس نفسه علي ذات اللّه ، والسلام .

خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة

ودعا الحسـين بن علي عليهماالسـلام مسـلم بن عقيل بن أبي طالب عليه السـلام ، فسـرّحه مع قيس بن مسـهر الصيداوي ، وعمارة بن عبد السـلولي ، وعبـد الرحمن بن عبـد اللّه الأـرحبي ، وأمره بتقوي اللّه ، وكتمان أمره واللطف ، فإن رأي الناس مجتمعين مستوسـقين عجّل إليه بذلك(1) .

ثم لبث الحسين عليه السلام في مكة مدّة حتي خرج منها يوم التروية الثامن من ذي الحجة(2) .

يقول المؤلف : فيما يخصّ خروج الإمام عليه السـلام من مكة فقد سـمعت بالكتب التي أرسـلها الكوفيون ، يتلو بعضـها بعضا ، ومن جهة أخري تجمع الناس علي باب الإمام عليه السـلام في مكـة ، وكان أشـقياء بني أميـة يـدبّرون لقتله عليه السـلام غيلة ، ممّا إضـطرالإمام عليه السلام للخروج من مكة متوجها نحو العراق(3) .

1- الإرشاد : 2/39 .

2- في الإرشاد : 2/66 : وكان توجه الحسـين عليه السـلام من مكة إلي العراق في يوم خروج مسـلم بالكوفة ، وهو يوم التروية ، بعد مقامه بمكة بقية شعبان وشهر رمضان وشوالا وذا القعدة وثماني ليال خلون من ذي الحجة سنة ستين . .

3- في بحار الأنوار : 45/98 : « قـد ظهر لك من الأخبار السابقة أنّه عليه السـلام هرب من المدينة خوفا من القتلإلي مكة ، وكذا خرج من مكة بعد ما غلب علي ظنّه أنّهم يريدون غيلته وقتله حتي لم يتيسـر له فداه نفسـي وأبي وأمي وولدي أن يتمّ حجّه ، فتحلّل وخرج مِنْها خائِفاً يَتَرَقَّبُ ، وقد كانوا - لعنهم اللّه - ضـيقوا عليه جميع الأقطار ، ولم يتركوا له موضـعا للفرار . ولقد رأيت في بعض الكتب المعتبرة . . . » ، ثم ذكر ما في المنتخب من التدبير لإغتيال الإمام الحسين عليه السلام .

روي أنّ يزيـد أنفذ عمرو بن سـعيد بن العاص(1) في عسـكر عظيم ، وولاّـه أمر الموسم ، وأمّره علي الحـاج كلّهم ، وكان قـد أوصاه بقبض الحسين عليه السلام سرّا ، وإن لـم يتمكّن منه بقتله غيلة ، ثم إنّه دسّ مع الحاج في تلك السنة ثلاثين رجلاً من

شياطين بني أمية ، وأمرهم بقتل الحسين عليه السلام علي أيّ حال إتفق ، فلمّا علم الحسين عليه السلام بذلك حلّ من إحرام الحج وجعلها عمرة مفردة(2) .

قال زرارة بن صالح : لقينا الحسين بن علي عليهماالسلام قبل خروجه إلي العراق بثلاثة أيام ، فأخبرناه بهوي الناس بالكوفة ، وأنّ قلوبهم معه وسـيوفهم عليه ، فأومأ بيده نحو السـماء ، ففتحت أبواب السماء ، ونزلت الملائكة عددا لا يحصيهم إلاّ اللّه تعالي ، فقال عليه السلام : لولا تقارب الأشياء وحبوط الأجر لقاتلتهم بهؤاء ، ولكن أعلم يقينا أنّ هناك مصرعي ومصرع أصحابي ، ولا ينجو منهم إلاّ ولدي علي(3) .

كلام الإمام الحسين عليه السلام مع محمد بن الحنفية

إنّ محمـد بن الحنفيـة لمّا بلغه الخبر أنّ أخاه الحسـين خارج من مكة يريد العراق ، كان بين يديه طشت فيه ماء ، وهو يتوضأ ، فجعل يبكي بكاءا شديدا حتي سمع وكف دموعه في الطشت مثل المطر .

ثم إنّه صلّي المغرب ، ثم سار الي أخيه الحسين ، فلمّا صار اليه قال له : يا أخي إنّ أهل الكوفة قد عرفت غدرهم ومكرهم بأبيك وأخيك من قبلك ، وإنّي أخشيعليك أن تكون حالك كحال من مضي من قبلك ، فإن أطعت رأيي قم بمكة ، وكن

1- في المتن : « عمر بن سعد بن أبي العاص » .

2- المنتخب : 2/424 ، بحار الأنوار : 45/98 .

3- اللهوف : 66 ، دلائل الإمامة : 74 ، وفيهما : « زارة بن جلح » ، بحار الأنوار : 44/363 . باب 37 .

أعزّ من في الحرم المشرف .

فقال : يا أخي إنّي أخشي أن تغتالني أجناد بني أمية في حرم مكة ، فأكون كالذي يستباح دمه في حرم اللّه ، فقال : يا أخي فسر الي اليمن فإنّك أمنع الناس به .

فقال الحسين عليه السلام : واللّه يا أخي لو كنت في جحر هامة من هوام الأرض لإستخرجوني منه حتي يقتلوني ، ثم قال : يا أخي سأنظر فيما قلت .

فلمّا كان وقت السحر عزم الحسين عليه السلام علي الرحيل الي العراق ، فجاءه أخوه محمد بن الحنفية ، وأخذ بزمام ناقته التي هو راكبها ، وقال : يا أخي ألم تعدني النظر فيما أشرت به عليك ؟ فقال : بلي ، قال : فما حداك علي الخروج عاجلاً ؟

فقال : يا أخي إنّ جدّي رسول اللّه صلي الله عليه و آله أتاني بعدما فارقتك ، وأنا نائم ، فضمّني الي صدره ، وقبّل ما بين عيني وقال : يا حسين يا قرّة عيني أخرج الي العراق ، فإنّ اللّه – عزّ وجلّ – قد شاء أن يراك قتيلاً مخضبا بدمائك .

فبكي ابن الحنفية بكاءا شديدا ، وقال له : يا أخي إذا كان الحال هكذا فما معني حملك هذه النسوة ، وأنت ماض الي القتل ؟

فقال : يا أخي ، قد قال لي جدّي أيضا : إنّ اللّه – عزّ وجلّ – قد شاء أن يراهم سبايا مهتكات يسقن في أسر الذلّ ، وهن أيضا لا يفارقنني ما دمت حيّا .

فبكي ابن الحنفية بكاءا شديدا وجعل يقول : أودعتك اللّه يا حسين ، في وداعة اللّه يا حسين(1) .

خطبة الإمام الحسين عليه السلام قبل خروجه من مكة

روي السيد ابن طاووس رحمه الله قال : إنّه عليه السلام لمّا عزم علي الخروج إلي العراق قامخطيبا فقال :

1- المنتخب : 2/424 المجلس التاسع ، وانظر اللهوف : 127 ، بحار الأنوار : 44/364 .

الحمـد للّه ، وما شاء اللّه ، ولا قوّة إلاّ باللّه ، وصـلّي اللّه علي رسوله ، خطّ الموت علي ولـد آدم مخطّ القلادة علي جيد الفتاة ، وما أولهني إلي أسلافي ، إشتياق يعقوب إلي يوسف ، وخير لي مصرع أنا لاقيه ، كأنّي بأوصالي تتقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء ، فيملأن منّي أكراشا جوفا ، وأجربة سغبا ، لا محيص عن يوم خطّ بالقلم ، رضي اللّه رضانا أهل البيت ، نصبر علي بلائه ، ويوفينا أجر الصابرين ، لن تشـذّ عن رسول اللّه صـلي الله عليه و آله لحمته ، وهي مجموعـة له في حظيرة القدس ، تقرّ بهم عينه ، وينجز بهم وعده ، من كان باذلاً فينا مهجته ، وموطنا علي لقاء اللّه نفسه ، فليرحل معنا ، فإنّني راحل مصبحا إن شاء اللّه تعالي(1) .

كلام الإمام الحسين عليه السلام مع ابن عباس

ثم جاء ابن عباس الي ابن زبدة الناس وقال له : يا ابن رسول ، أمسك عن سـفرك هذا ، وألح عليه في ذلك ، فقال عليه السلام : يا ابن عباس ، إنّ جدّي أمر بأمر ، وأنا ماض فيه ، وأنّي لمستقبل أمرا لابد أن يقع ، وقد سمعت ذلك من جدّي وأبي مرارا .

ولكن ابن عباس بالغ في إلحاحه علي الحسـين عليه السـلام في الإمتناع عن الخروج ، فقال الحسين عليه السلام : أستخير اللّه ، فرضي ابن عباس بذلك ، ففتح الحسين عليه السلام القرآن

فجاءت هـذه الآية : « كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّما تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ » ، فلمّا قرأ الإمام عليه السـلام الآية قال : إنّا للّه وإنّا اليه راجعون ، صدق اللّه وصدق رسول اللّه ، دع عنك الإلحاح

يا ابن عباس ، فلا محيص عن قضاء اللّه .

فسكت ابن عباس ، ثم إنّه ودّع الحسين عليه السلام ، وخرج وهو ينادي : وا حسيناه(2) .

1- اللهوف :60 المسلك الأول ، بحار الأنوار : 44/366 .

2- في اللهوف : 28 المسلك الأول : « وجاءه عبد اللّه بن عباس - رضوان اللّه عليه - وعبد اللّه بن زبير ، فأشارا إليه بالإمساك ، فقال لهما : إنّ رسول اللّه صلي الله عليه و آله قد أمرني بأمر ، وأنا ماض فيه ، قال : فخرج ابن عباس وهو يقول : وا حسيناه » .

بكاء مكة والحرم علي فراق نور عين العالمين

ثم أمر عليه السلام أن تشدّ المحامل ، ثم خرج من مكة المكرمة ، فبكت علي فراقه أرض مكة ، جبالها ووديانها ، وعمرانها وقفارها ، وأبوابها وحيطانها ، وحجرها ومدرها ، وسكان الحرم ، وحفّاظ بيت اللّه ، وضجت أركان البيت ومشاعره علي غياب بدر مكة والحرم من سمائها .

لقد دمعت عيون البيت حزنا

لفقد منّي قلوب العارفينا

وطاف الطائفون طواف ثكلي

وقد لبسوا سواد ملهفينا

وكانت تلبياتهم رثاء

لسبط كان خير الناسكينا

قد إعتمروا بنوح في مقام

حزين يقطر الحجر المتينا

فقدنا اليوم ريحانا وروحا

ومرجانا وزيتونا وتينا

فقدنا ها هنا قصرا مشيدا

وبيت العزّ والبلد الأمينا

فقدنا ها هنا كهف الأيامي

وسور المحتمين وطور سينا

لقاء الحسين عليه السلام مع الفرزدق

قال الشيخ المفيد رحمه الله : فروي عن الفرزدق الشاعر أنّه قال : حججت بأمّي في سنة ستين ، فبينا أنا أسوق بعيرها حين دخلت الحرم ، إذ لقيت الحسين بن علي عليهماالسلام خارجا من مكة ، معه أسيافه وتراسه ، فقلت : لمن هذا القطار ؟ فقيل للحسين ابن علي .

فأتيته ، فسلّمت عليه ، وقلت له : أعطاك اللّه سؤك ، وأملك فيما تحبّ ، بأبي أنت وأمي يا ابن رسول اللّه ، ما أعجلك عن الحج ؟

فقال : لو لم أعجل لأخذت ، ثم قال لي : من أنت ؟قلت : امرؤمن العرب ، فلا واللّه ما فتشني عن أكثر من ذلك ، ثم قال لي : أخبرني عن الناس خلفك ؟

ص: 85

فقلت : الخبير سألت ، قلوب الناس معك ، وأسيافهم عليك ، والقضاء ينزل من السماء ، واللّه يفعل ما يشاء .

فقال : صدقت للّه الأمر ، وكلّ يوم ربّنا هو في شأن ، إن نزل القضاء بما نحبّ فنحمد اللّه علي نعمائه ، وهو المستعان علي أداء الشكر ، وإن حال القضاء دون الرجاء ، فلم يبعد من كان الحقّ نيّته والتقوي سريرته .

فقلت له : أجل ، بلغك اللّه ما تحبّ ، وكفاك ما تحذر ، وسألته عن أشياء من نذور ومناسك ، فأخبرني بها ، وحرّك راحلته ، وقال : السلام عليك ، ثم افترقنا(1) .

كتاب عبد اللّه بن جعفر للحسين عليه السلام

وألحقه عبد اللّه بن جعفر بابنيه « عون » و« محمد » ، وكتب علي أيديهما كتابا يقول فيه :

أمّا بعد ، فإنّي أسألك باللّه لما إنصرفت حين تنظر في كتابي هذا ، فإنّي مشفق عليك من هذا التوجه الذي توجهت له أن يكون فيه هلاكك ، واستئصال أهل بيتك ، إن هلكت اليوم طفئ نور الأرض ، فإنّك علم المهتدين ، ورجاء المؤنين ، ولا تعجل بالسير ، فإنّي في أثر كتابي ، والسلام .

و صار عبد اللّه إلي عمرو بن سعيد ، وسأله أن يكتب إلي الحسين عليه السلام أمانا ، ويمنّيه ليرجع عن وجهه .

وكتب إليه عمرو بن سعيد كتابا يمنّيه فيه الصلة ، ويؤّنه علي نفسه ، وأنفذه مع يحيي بن سعيد ، فلحقه يحيي ، وعبد اللّه بن جعفر بعد نفوذ ابنيه ، ودفعا إليهالكتاب ، وجهدا به في الرجوع .

فقال عليه السلام : إنّي رأيت رسول اللّه صلي الله عليه و آله في المنام ، وأمرني بما أنا ماض له ، فقالوا له :

1- الإرشاد : 2/66 ، بحار الأنوار : 44/365 .

ما تلك الرؤا ؟ فقال : ما حدثت أحدا بها ، ولا أنا محدث بها أحدا حتي ألقي ربّي – عزّ وجل – .

فلمّا يئس منه عبد اللّه بن جعفر ، أمر ابنيه عونا ومحمدا بلزومه ، والمسير معه ، والجهاد دونه ، ورجع مع يحيي بن سعيد إلي مكة(1) .

لقاء الحسين عليه السلام مع بشر بن غالب في ذات عرق

ثم سار عليه السلام حتي مرّ بالتنعيم ، ثم سار عليه السلام من التنعيم حتي بلغ ذات عرق ، فلقي بشر بن غالب واردا من العراق ، فسأله عن أهلها ، فقال : خلفت القلوب معك ، والسيوف مع بني أمية ، فقال : صدق أخو بني أسد ، إِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ ما يَشاءُ ويَحْكُمُ ما يُرِيدُ(2) .

كلام الإمام الحسين عليه السلام مع ابنه علي الأكبر في منزل الثعلبية

ثم سار – صلوات اللّه عليه – حتي نزل الثعلبية وقت الظهيرة ، فوضع رأسه فرقد ، ثم استيقظ فقال : قد رأيت هاتفا يقول : أنتم تسرعون والمنايا تسرع بكم إلي الجنّة .

فقال له ابنه علي عليه السلام : يا أبة أفلسنا علي الحقّ ؟

فقال : بلي يا بني ، والذي إليه مرجع العباد .

فقال : يا أبة إذن لا نبالي بالموت .

فقال له الحسين عليه السلام : جزاك اللّه يا بني خير ما جزي ولدا عن والد .أجل ، يا سادتي ومواليّ ، إنّكم لم تبالوا بالموت ، وإنّكم تسرعون الي حضائر ا القدس ، وتتشوّقون الي خلوات الأنس ، بيد أنّكم تركتم في قلوب محبّيكم جمرة لا

1- بحار الأنوار : 44/364 باب 37 .

2- بحار الأنوار : 44/364 باب 37 .

تخمد أبدا .

لا أري حزنكم ينسي ولا

رزئكم يسلي وإن طال المدي

قد مضي الدهر ويمضي بعدكم

لا الجوي باخ(1) ولا الدمع رقي

لو رسول اللّه يحيي بعدكمقعد اليوم عليكم للعزا

لقاء الحسين عليه السلام مع أبي هرة

ثم بات عليه السلام في الموضع ، فلمّا أصبح إذا برجل من أهل الكوفة يكني « أبا هرة الأزدي » قد أتاه ، فسلّم عليه ، ثم قال : يا ابن رسول اللّه ، ما الذي أخرجك عن حرم اللّه ، وحرم جدّك محمد صلي الله عليه و آله ؟

فقال الحسين عليه السلام : ويحك أبا هرة ، إنّ بني أمية أخذوا مالي فصبرت ، وشتموا عرضي فصبرت ، وطلبوا دمي فهربت ، وأيم اللّه لتقتلني الفئة الباغية ، وليلبسنهم اللّه ذلاً شاملاً ، وسيفا قاطعا ، وليسلّطنّ عليهم من يذلّهم حتي يكونوا أذلّ من قوم سبإ ، إذ ملكتهم امرأة منهم ، فحكمت في أموالهم ودمائهم(2) .

في « قصر بني مقاتل »

قال عمرو بن قيس المشرقي : دخلت علي الحسين - صلوات اللّه عليه - أنا وابن عم لي ، وهو في قصر بني مقاتل ، فسلّمنا عليه ، فقال له ابن عمي : يا أبا عبد

اللّه ، هذا الذي أري خضاب أو شعرك ؟ فقال : خضاب ، والشيب إلينا بني هاشم يعجل .

ثم أقبل علينا فقال : جئتما لنصرتي ؟فقلت : إنّي رجل كبير السن ، كثير الدين ، كثير العيال ، وفي يدي بضائع للناس ، ولا أدري ما يكون ، وأكره أن أضيع أمانتي ، وقال له ابن عمي مثل ذلك .

1- باخ : سكن بعد فورته .

2- بحار الأنوار : 44/368 .

فقال لنا : فانطلقا فلا تسمعا لي واعية ، ولا تريا لي سوادا ، فإنّه من سمع واعيتنا ، أو رأي سوادنا ، فلم يجبنا ، ولم يغثنا كان حقّا علي اللّه – عزّ وجلّ – أن يكبّه علي منخريه في النار(1) .

لعن اللّه أمّة سمعت إستصراخك فلم تجبك ، وسمعت إستغاثتك فلم تغثك ، وضاعف اللّه العذاب علي من رأي وحدتك وغربتك فلم يرحمك ويعنك .

فليت أحمد والكرار والده

ينشقّ بالطفّ عن شخصيهما الترب

لينظراه علي الرمضاء منعفرا

ونفسه بشبا الأسياف تنتهب

وليت يكشف عن وجه البتول له

براقع القبر لو يشفها الكرب

لتبصر العين منها في محاسنه

وللأسنة جدّ والضبا لعب

حركة الإمام الحسين عليه السلام نحو الكوفة وأول ردّة فعل لابن زياد اللعين

قال الشيخ المفيد رحمه الله : ولمّا بلغ عبيد اللّه بن زياد إقبال الحسين عليه السلام من مكة إلي

الكوفة بعث الحصين بن نمير – صاحب شرطه – حتي نزل القادسية ، ونظم الخيل ما بين القادسية إلي خفان ، وما بين القادسية إلي القطقطانة ، وقال للناس : هذا الحسين

يريد العراق .

كتاب الحسين عليه السلام لأهل الكوفة من بطن الرمّة

ولمّا بلغ الحسين الحاجز من بطن الرمة بعث قيس بن مسهر الصيداوي – ويقال : إنّه بعث أخاه من الرضاعة عبد اللّه بن يقطر – إلي أهل الكوفة ، ولم يكن عليه السلام علم بخبر مسلم بن عقيل عليه السلام ، وكتب معه إليهم :بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ من الحسين بن علي إلي إخوانه المؤنين والمسلمين ، سلام عليكم ، فإنّي أحمد إليكم اللّه الذي لا إله إلاّ هو .

1- ثواب الأعمال : 259 ، بحار الأنوار : 45/84 بقية الباب 37 ح12 .

أمّا بعد ، فإنّ كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني فيه بحسن رأيكم ، واجتماع ملئكم علي نصرنا ، والطلب بحقّنا ، فسألت اللّه أن يحسن لنا الصنيع ، وأن يثيبكم علي ذلك أعظم الأجر ، وقد شخصت إليكم من مكة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة ، يوم التروية ، فإذا قدم عليكم رسولي فانكمشوا في أمركم وجدّوا ، فإنّي قادم عليكم في أيامي هذه ، والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته .

وكان مسلم عليه السلام كتب إليه قبل أن يقتل بسبع وعشرين ليلة ، وكتب إليه أهل الكوفة : أنّ لك هاهنا مائة ألف سيف ، ولا تتأخر .

إلقاء القبض علي رسول الحسين عليه السلام

فأقبل الرسول بكتاب الحسين عليه السلام ، فلمّا قارب دخول الكوفة اعترضه الحصين بن نمير ليفتشه ، فأخرج الكتاب ومزقه ، فحمله الحصين إلي ابن زياد .

فلمّا مثل بين يديه قال له : من أنت ؟ قال : أنا رجل من شيعة أمير المؤنين علي بن أبي طالب وابنه عليهم السلام ، قال : فلماذا خرقت الكتاب ؟ قال : لئلا تعلم ما فيه .

قال : وممّن الكتاب ؟ وإلي من ؟ قال : من الحسين بن علي إلي جماعة من أهل الكوفة ، لا أعرف أسماءهم .

فغضب ابن زياد فقال : واللّه لا تفارقني حتي تخبرني بأسماء هؤاء القوم ، أو تصعد المنبر وتلعن الحسين بن علي وأباه وأخاه ، وإلاّ قطّعتك إربا إربا .

فقال : أمّا القوم فلا أخبرك بأسمائهم ، وأمّا لعنة الحسين وأبيه وأخيه فأفعل .

فصعد المنبر ، وحمد اللّه ، وصلّي علي النبي ، وأكثر من الترحّم علي علي وولده – صلوات اللّه عليهم – ، ثم لعن عبيد اللّه بن زياد وأباه، ولعن عتاة بنيأمية عن آخرهم.

ثم قال : أنا رسول الحسين عليه السلام إليكم ، وقد خلفته بموضع كذا ، فأجيبوه .ثم قال المفيد رحمه الله : فأمر به عبيد اللّه بن زياد أن يرمي من فوق القصر ، فرمي به ،

فوقع إلي الأرض مكتوفا ، فتكسّرت عظامه ، وبقي به رمق ، فأتاه رجل فذبحه(1) .

رؤيا السيدة زينب عليهاالسلام في منزل الخزيمية

وكان عبيد اللّه بن زياد أمر ، فأخذ ما بين واقصة إلي طريق الشام ، وإلي طريق البصرة ، فلا يدعون أحدا يلج ، ولا أحدا يخرج ، فأقبل الحسين عليه السلام يمشي حتي لقي الأعراب ، فسألهم ، فقالوا : لا واللّه ما ندري غير أنا لا نستطيع أن نلج ، ولا نخرج ، فسار عليه السلام تلقاء وجهه(2) .

وفي المناقب : ولما نزل عليه السلام الخزيمية أقام بها يوما وليلة ، فلمّا أصبح أقبلت إليه أخته زينب فقالت : يا أخي ألا أخبرك بشيء سمعته البارحة ، فقال الحسين عليه السلام : وما ذاك ؟ فقالت : خرجت في بعض الليل لقضاء حاجة ، فسمعت هاتفا يهتف وهو يقول :

ألا يا عين فاحتفلي بجهد

ومن يبكي علي الشهداء بعدي

علي قوم تسوقهم المنايا

بمقدار إلي إنجاز وعد

فقال لها الحسين عليه السلام : يا أختاه كلّ الذي قضي فهو كائن(3) .

في منزل « عقبة البطن »

روي ابن قولويه عن أبي عبد اللّه عليه السلام أنّه قال : لمّا صعد الحسين بن علي عليهماالسلام

« عقبة البطن » قال لأصحابه : ما أراني إلاّ مقتولاً ، قالوا : وما ذاك يا أبا عبد اللّه ؟ قال : رؤا رأيتها في المنام ، قالوا : وما هي ؟ قال : رأيت كلابا تنهشني ، أشدّها عليّكلب أبقع(4) .

1- الإرشاد : 2/71 ، اللهوف : 135 ، بحار الأنوار : 44/369 باب 37 .

2- الإرشاد : 2/72 ، بحار الأنوار : 44/370 باب 37 .

3- المناقب : 4/62 ، بحار الأنوار : 44/372 باب 37 .

4- كامل الزيارات : 75 الباب 23 ح14 .

خبر مقتل مسلم عليه السلام في منزل الثعلبية

روي عبد اللّه بن سليمان والمنذر بن المشمعل الأسديان قالا :

لمّا قضينا حجّتنا لم تكن لنا همّة إلاّ اللّحاق بالحسين عليه السلام في الطريق ، لننظر ما يكون من أمره .

فأقبلنا ترقل بنا ناقتانا مسرعين حتي لحقناه بزرود ،

فلمّا دنونا منه إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حتي رأي الحسين عليه السلام ، فوقف الحسين عليه السلام كأنّه يريده ، ثم تركه ومضي ، ومضينا نحوه ، فقال أحدنا لصاحبه : اذهب بنا إلي هذا لنسأله ، فإنّ عنده خبر الكوفة .

فمضينا حتي إنتهينا إليه ، فقلنا : السلام عليك ، فقال : وعليكما السلام ، قلنا : ممّن الرجل ؟ قال : أسدي ، قلنا له : ونحن أسديان ، فمن أنت ؟ قال : أنا بكر بن فلان ، فانتسبنا له ، ثم قلنا له : أخبرنا عن الناس وراءك ؟ قال : نعم لم أخرج من الكوفة حتي قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة ، ورأيتهما يجرّان بأرجلهما في السوق .

فأقبلنا حتي لحقنا بالحسين عليه السلام ، فسايرناه حتي نزل « الثعلبية » ممسيا ، فجئناه حين نزل ، فسلّمنا عليه ، فردّ علينا السلام ، فقلنا له : يرحمك اللّه إنّ عندنا خبرا ، إن شئت حدثناك به علانية ، وإن شئت سرّا .

فنظر إلينا وإلي أصحابه ، ثم قال : ما دون هؤاء سرّ ، فقلنا له : رأيت الراكب الذي استقبلته عشي أمس ؟ فقال : نعم قد أردت مسألته ، فقلنا : قد واللّه استبرأنا لك خبره ، وكفيناك مسألته ، وهو إمرؤمنّا ، ذو رأي وصدق وعقل ، وإنّه حدّثنا أنّه لم يخرج من الكوفة حتي قتل مسلم وهانئ ، ورآهما يجرّان في السوق بأرجلهما .

فقال : إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ ، رحمة اللّه عليهما - يردد ذلك مرارا -.

فقلنا له : ننشدك اللّه في نفسك وأهل بيتك إلاّ إنصرفت من مكانك هذا ، وإنّهليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة ، بل نتخوّف أن يكونوا عليك .

فنظر إلي بني عقيل ، فقال : ما ترون ؟ فقد قتل مسلم ، فقالوا : واللّه ما نرجع حتي

نصيب ثأرنا ، أو نذوق ما ذاق .

فأقبل علينا الحسين عليه السلام فقال : لا خير في العيش بعد هؤاء ، فعلمنا أنّه قد عزم رأيه علي المسير(1) .

الإمام الحسين عليه السلام يمسح علي رأس بنت مسلم الصغيرة

قالوا : كان لمسلم بنت صغيرة يحبّها كثيرا ، وكانت تسأل عن أبيها دائما ، وكان أهل البيت يسلونها ويصبّرونها ، فلمّا سمع الحسين عليه السلام خبر شهادة مسلم قام من مجلسه وجاء الي الخيمة ، فعزّز البنت وقرّبها من منزله ، فحست البنت بالمصيبة ، لأنّ الحسين عليه السلام كان قد مسح علي رأسها وناصيتها ، كما يفعل بالأيتام ، فقالت : يا عم ، ما رأيتك قبل هذا اليوم تفعل بي مثل ذلك ، أظنّ أنّ والدي قد إستشهد ؟ !

فلم يتمالك الحسين عليه السلام من البكاء ، وقال : يا ابنتي ، أنا أبوك ، وبناتي أخواتك .

[مسح الحسين برأسها فاستشعرت

باليتم وهي علامة تكفيها

لم يبكها عدم الوثوق بعمّها

كلا ولا الوجد المبّرح فيها

لكنّها تبكي مخافة أنّها

تمسي يتيمة عمّها وأبيها]

[وكم طفلة لك قد أعولت

وجمرتها في الحشا قادحه

يعززها السبط في حجره

لتغدو في قربه فارحه

فأوجعها قلبها لوعة

وحسّت بنكبتها القارحه

]

فصاحت ونادت بالويل ، فسمع أولاد مسلم ذلك الكلام ، فتنفسوا الصعداء ،وبكوا بكاءا شديدا ، ورموا بعمائمهم الي الأرض(2) ،

وإرتفعت منهم صرخات : واأباه وا مسلماه .

ص: 93

1- الإرشاد : 2/72 ، بحار الأنوار : 44/372 باب 37 .

2- المنتخب : 2/364 المجلس 7 .

[قليل بكائي علي ابن عقيل

وإن سال دمعي كلّ مسيل

سأبكيك ما عشت في أدمع

بطرف علي الدمع غير بخيل]

الإمام الحسين عليه السلام يشيد بمقام مسلم عليه السلام

وقال السيد طاووس رحمه الله : أتاه خبر مسلم في « زبالة » ، فارتجّ الموضع بالبكاء والعويل لقتل مسلم بن عقيل ، وسالت الدموع كلّ مسيل .

ثم إنّه عليه السلام سار ، فلقيه الفرزدق ، فسلّم عليه ، ثم قال : يا ابن رسول اللّه ، كيف تركن إلي أهل الكوفة ، وهم الذين قتلوا ابن عمّك مسلم بن عقيل وشيعته ؟

فإستعبر الحسين عليه السلام باكيا ، ثم قال : رحم اللّه مسلما ، فلقد صار إلي روح اللّه وريحانه ، وتحيته ورضوانه ، أما إنّه قد قضي ما عليه ، وبقي ما علينا ، ثم أنشأ أبياتا

تدلّ علي يأسه من الحياة فقال :

فإن تكن الدنيا تعدّ نفيسة

فدار ثواب اللّه أعلي وأنبل

وإن تكن الأبدان للموت أنشئت

فقتل امرئ بالسيف في اللّه أفضل

وإن تكن الأرزاق قسما مقدرا

فقلّة حرص المرء في الرزق أجمل

وإن تكن الأموال للترك جمعها

فما بال متروك به الحرّ يبخل(1)

وصول خبر شهادة رسول الحسين عليه السلام في زبالة

قال الشيخ المفيد رحمه الله : فسار عليه السلام حتي إنتهي إلي « زبالة » ، فأتاه خبر عبد اللّه ابن يقطر ، فأخرج إلي الناس كتابا ، فقرأه

عليهم : بسم اللّه الرحمن الرحيم ، أمّا بعد ، فإنّه قد أتانا خبر فظيع ، قتل مسلم بن عقيل ، وهانئ بن عروة ، وعبد اللّه

بن يقطر ، وقد خذلنا شيعتنا ، فمن أحبّ منكم الإنصراف فلينصرف غير حرج ،ليس عليه ذمام .

فتفرّق الناس عنه ، وأخذوا يمينا وشمالاً ، حتي بقي في أصحابه الذين جاءوا معه

ص: 94

1- اللهوف : 71 ، بحار الأنوار : 44/372 باب 37 .

من المدينة ، ونفر يسير ممّن انضووا إليه(1) .

لا أدري ماذا كان حال منتجب ذي الجلال في تلك الساعـة ؟ وماذا جري علي المخدرات حينما شاهدن إمامهن ومولاهن وحماهن غريبا يتفرّق عنه الناس ؟

أجل ، إنّه طريق لا يسـلكه أيّ واحـد من الناس ، وشـراب لا يستسـيغه إلاّ أهله ، ولهـذا لم يبق معه سوي عدد معدود طابت طينتهم ، وزاد يقينهم ومعرفتهم ، ولم تثقلهم الدنيا الي الأرض ، حيث كانوا منذ اليوم الأول في خدمة شمس فلك العصمة ، فثبتوا علي تلك الخدمة .

لا خير بعدك في الحياة ونحن في

ظلل الكرامة والسلامة نلعب

لا كان يوم لا تكون ولا خلت

منك الديار ولا القفار وسبسب

[في بطن العقبة]

ثم سار عليه السـلام حتي مرّ ببطن العقبـة ، فنزل عليها ، فلقيه شـيخ من بني عكرمة يقال له « عمرو بن لوذان » ، فسأله : أين تريد ؟ فقال له الحسين عليه السلام : الكوفة ، فقال الشيخ : أنشدك اللّه لما انصرفت ، فواللّه ما تقدم إلاّ علي الأسنة وحدّ السيوف ،

وإنّ هؤاء الذين بعثوا إليك لو كانوا كفوك مؤونة القتال ، ووطؤوا لك الأشـياء ، فقدمت عليهم كان ذلك رأيا ، فأمّا علي هذه الحال التي تذكر ، فإنّي لا أري لك أن تفعل .

فقال له : يا عبـد اللّه ، ليس يخفي عليّ الرأي ، ولكن اللّه تعالي لا يغلب علي أمره ،ثم قال عليه السـلام : واللّه لا يدعوني حتي يسـتخرجوا هذه العلقة من جوفي ، فإذا فعلوا

1- قال الشـيخ المفيد رحمه الله في الإرشاد : 2/76 : « وإنّما فعل ذلك ، لأنّه عليه السـلام علم أنّ الأعراب الـذين إتبعوه إنّما إتبعوه وهم يظنون أنّه يأتي بلدا قد استقامت له طاعة أهله ، فكره أن يسيروا معه إلاّ وهم يعلمون علي ما يقدمون » .

سلّط اللّه عليهم من يذلّهم حتي يكونوا أذلّ فرق الأمم(1) .

شيعتك فداء لقلبك المهتضم يا أبا عبد اللّه .

فأيّ عين عليك منهمل

وأيّ قلب عليك غير مفطور

يا وقعة الطف قد أضرمت نار جوي

في كلّ قلب من الأشجان مسجور

لقاء الحر مع الحسين عليه السلام في منزل شراف

روي أنّ عين ابن زياد أخبره بقدوم الحسين عليه السلام الي الكوفة ، فإنبري ابن الزنا الي تحريض الناس بالوعد والوعيد ، والمال والتهديد علي قتال الإمام المظلوم عليه السلام .

ثم أرسل ابن زياد الحر بن يزيد الرياحي في ألف فارس ليستقبل الحسين عليه السلام ، وينزله علي غير ماء ولا كلاء ، ويجعجع به حتي يأتيه أمر ابن زياد فيه ، فإنتشر الفرسان في الصحراء ، وملأوا الفجاج والبيداء بحثا عن منتهي غاية العارفين .

أمّا الإمام الحسين عليه السلام فإنّه سار من بطن العقبة حتي نزل شراف ، فلمّا كان السحر أمر فتيانه ، فاستقوا من الماء وأكثروا ، ثم سار حتي انتصف النهار ، فبينما هو يسير إذ

كبّر رجل من أصحابه، فقال له الحسين عليه السلام : اللّه أكبر، لم كبرت؟ فقال: رأيت النخل.

قال جماعة ممّن صحبه : واللّه إنّ هذا المكان ما رأينا فيه نخلة قط ، فقال الحسين عليه السلام : فما ترونه ؟ قالوا : واللّه نراه أسنة الرماح ، وآذان الخيل ، فقال : وأنا واللّه أري ذلك .

ثم قال عليه السلام : ما لنا ملجأ نلجأ إليه ، ونجعله في ظهورنا ، ونستقبل القوم بوجه واحد ؟ فقلنا له بلي هذا ذو جشم(2) إلي جنبك ، فمل إليه عن يسارك ، فإن سبقت إليه فهو كما تريد .فأخذ إليه ذات اليسار ، وملنا معه ، فما كان بأسرع من أن طلعت علينا هوادي

1- الإرشاد : 2/76 ، بحار الأنوار : 44/375 .

2- في المتن : « ذو حشم » .

الخيل ، فتبيّناها وعدلنا ، فلمّا رأونا عدلنا عن الطريق عدلوا إلينا ، كأنّ أسنتهم اليعاسيب ، وكأنّ راياتهم أجنحة الطير .

فاستبقنا إلي ذي جشم ، فسبقناهم إليه ، وأمر الحسين عليه السلام بأبنيته فضربت ، وجاء القوم زهاء ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي حتي وقف هو وخيله مقابل الحسين في حرّ الظهيرة ، والحسين عليه السلام وأصحابه معتمّون متقلّدون أسيافهم .

فقال الحسين عليه السلام لفتيانه : إسقوا القوم وإرووهم من الماء ، ورشّفوا الخيل ترشيفا ، ففعلوا ، وأقبلوا يملأون القصاع والطساس من الماء ، ثم يدنونها من الفرس ، فإذا عبّ فيها ثلاثا أو أربعا أو خمسا عزلت عنه ، وسقي آخر حتي سقوها عن آخرها .

قطرة من بحار الرحمة الحسينية

قال علي بن الطعان المحاربي : كنت مع الحر يومئذ ، فجئت في آخر من جاء من أصحابه ، فلمّا رأي الحسين عليه السلام ما بي وبفرسي من العطش ، قال : أنخ الراوية ، والراوية عندي السقاء ، ثم قال : يا ابن الأخ ، أنخ الجمل ، فأنخته ،

فقال : إشرب .

فجعلت كلّما شربت سال الماء من السقاء ، فقال الحسين عليه السلام : اخنث السقاء ، أي إعطفه ، فلم أدر كيف أفعل ، فقام فخنثه ، فشربت وسقيت فرسي(1) .

أجل ، سقاهم الحسين عليه السلام عن آخرهم ، ونجّاهم من كظة الضمأ ، ولكنّهم عوض أن يرووا عطشه ، رووا سيوفهم من دمه ، وقتلوه عطشانا .

وسقي الحسين عليه السلام خيلهم ورشّفها ترشيفا ، ولكنّهم سقوا رضيعه كأس الردي بدل الماء المعين ، بسهم ذبحه من الوريد الي الوريد .سقاهم الحسين عليه السلام قبل أن يستسقوه ، ولكنّهم لم يسقوه ، وهو يستغيث

1- بحار الأنوار : 44/375 .

وينادي : إسقوني شربة من الماء فقد تفتّت كبدي من الظمأ ، وكان كلّما قال : وا عطشاه ، أجابوه بالنبال والرماح والسباب والشتائم(1) .

سقاهم الحسين بن علي عليهماالسلام في البيداء المقفرة ماءا في حرّ الظهيرة ، وهجير الصحراء ، ولكنّ مصاصي الدماء منعوه جرعة من الماء ، والماء يجري في الفرات كأنّه بطون الحيات .

ومن العجائب أنّ عذب فراتها

تسدي مسلسله ولن يتفقّدا

ظام وقلب السبط ظام نحوه

وأبوه يسقي الناس سلسله غدا

قتلوه في البيداء ظمآن الحشا

والماء تنهله الذئاب مبرّدا

خطبة الحسين عليه السلام في أصحاب الحر

وكان مجيء الحر بن يزيد من القادسية ، وكان عبيد اللّه بن زياد بعث الحصين بن نمير وأمره أن ينزل القادسية ، وتقدّم الحر بين يديه في ألف فارس يستقبل بهم الحسين عليه السلام ، فلم يزل الحر موافقا للحسين عليه السلام حتي حضرت صلاة الظهر ، فأمر الحسين عليه السلام الحجاج بن مسروق أن يؤّن .

فلمّا حضرت الإقامة خرج الحسين عليه السلام في إزار ورداء ونعلين ، فحمد اللّه ، وأثني عليه ، ثم قال : أيّها الناس ، إنّي لم آتكم حتي أتتني كتبكم ، وقدمت عليّ رسلكم : أن أقدم علينا ، فليس لنا إمام ، لعل اللّه أن يجمعنا وإياكم علي الهدي والحقّ ، فإن كنتم علي ذلك فقد جئتكم فأعطوني ما أطمئن إليه من عهودكم ومواثيقكم ، وإن لم تفعلوا وكنتم لمقدمي كارهين انصرفت عنكم إلي المكان الذي جئت منه إليكم .فسكتوا عنه ، ولم يتكلّموا كلمة ، فقال للمؤن : أقم ، فأقام الصلاة ، فقال للحر :

1- انظر المنتخب : 2/451 ، بحار الأنوار : 45/51 .

أتريد أن تصـلّي بأصـحابك ؟ فقال الحر : لا ، بل تصـلّي أنت ونصـلي بصـلاتك ، فصلّي بهم الحسين عليه السلام ، ثم دخل فاجتمع عليه أصحابه .

وانصرف الحر إلي مكانه الذي كان فيه ، فدخل خيمة قد ضربت له ، فاجتمع إليه خمسمائة من أصحابه ، وعاد الباقون إلي صفّهم الذي كانوا فيه ، ثم أخذ كلّ رجل منهم بعنان فرسه وجلس في ظلها .

فلمّا كان وقت العصـر أمر الحسـين عليه السـلام أن يتهيئوا للرحيل ، ففعلوا ، ثم أمر مناديه فنادي بالعصـر ، وأقام فاسـتقدم الحسـين ، وقام فصلّي بالقوم ثم سلم ، وانصرف إليهم بوجهه ، فحمد اللّه ، وأثني عليه ، وقال :

أمّا بعـد ، أيّها الناس ، فإنّكم إن تتقوا اللّه وتعرفوا الحقّ لأهله يكن أرضـي للّه عنكم ، ونحن أهل بيت محمـد أولي بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المـدعين ما ليس لهم ، والسائرين فيكم بالجور والعدوان ، فإن أبيتم إلاّ الكراهة لنا ، والجهل بحقّنا ، وكان رأيكم الآن غير ما أتتني به كتبكم ، وقدمت عليّ به رسلكم انصرفت عنكم .

فقال له الحر : أنا واللّه ما أدري ما هذه الكتب والرسل التي تذكر .

فقال الحسين عليه السلام : لبعض أصحابه ، يا عقبة بن سمعان ، أخرج الخرجين اللذين فيهما كتبهم إليّ ، فأخرج خرجين مملوءين صحفا ، فنثرت بين يـديه ، فقال له الحر : لسـنا من هؤلاء الـذين كتبوا إليك ، وقـد أمرنا أنّا إذا لقيناك لا نفارقك حتي نقدمك الكوفة علي عبيد اللّه بن زياد . فقال الحسين عليه السلام : الموت أدني إليك من ذلك .

القوم يمنعون الحسين عليه السلام وأصحابه من الإنصراف

ثم قال لأصحابه : فقوموا فاركبوا ، فركبوا ، وانتظر حتي ركبت نساؤ ، فقال

لأصحابه : انصرفوا .

فلمّا ذهبوا لينصـرفوا حال القوم بينهم وبين الانصـراف ، فقال الحسين عليه السلاماللحر : ثكلتك أمّك ، ما تريد ؟ فقال له الحر : أما لو غيرك من العرب يقولهـا لي ، وهو علي مثـل الحال التي أنت عليها ، ما تركت ذكر أمّه بالثكل ، كائنا من كان ، ولكن واللّه ما لي من ذكر أمّك من سبيل إلاّ بأحسن ما نقدر عليه .

فقال له الحسـين عليه السلام : فما تريد ؟ قال : أريد أن أنطلق بك إلي الأمير عبيد اللّه بن زياد ، فقال : إذا واللّه لا أتبعك ، فقال : إذا واللّه لا أدعك ، فترادّا القول ثلاث مرات .

فلمّـا كثر الكلام بينهما قال له الحر : إنّي لـم أومر بقتالك ، إنّما أمرت أن لا أفارقك حتي أقـدمك الكوفـة ، فإذ أبيت فخـذ طريقا لا يـدخلك الكوفة ، ولا يردّك إلي المدينة ، يكون بيني وبينك نصـفا ، حتي أكتب إلي الأمير عبيد اللّه بن زياد ، فلعل اللّه أن يرزقني العافية من أن أبتلي بشيء من أمرك ، فخذ هاهنا .

فتياسـر عن طريق العذيب والقادسية ، وسار الحسين عليه السلام وسار الحر في أصحابه يسايره ، وهو يقول له : يا حسين إنّي أذكرك اللّه في نفسك ، فإنّي أشـهد لئن قاتلت لتقتلن ، فقال له الحسين عليه السلام : أفبالموت تخوّفني ، وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني ، وسأقول كما قال أخو الأوس لابن عمّه وهو يريد نصرة رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، فخوّفه ابن عمّه وقال : أين تذهب ، فإنّك مقتول ، فقال :

سأمضي وما بالموت عار علي الفتي

إذا ما نوي حقّا وجاهد مسلما

وآسي الرجال الصالحين بنفسه

وفارق مثبورا وودّع مجرما

فإن عشت لـم أندم وإن متّ لـم ألـم

كفي بك ذلاً أن تعيش وترغما

وزاد بعض العلماء قبل البيت الأخير هذا البيت :

أقدّم نفسي لا أريد بقاءهالتلقي خميسا في الوغي وعرمرما(1)

1- بحار الأنوار : 44/377 .

ثم أقبل الحسين عليه السلام علي أصحابه وقال : هل فيكم أحد يعرف الطريق علي غير الجادة ؟ فليسير بين أيدينا ، فسار الدليل واتبعه الحسين عليه السلام وأصحابه .

في قصر بني مقاتل

فلمّا سمع الحر ذلك تنحّي عنه ، وكان يسير بأصحابه ناحية والحسين عليه السلام في ناحية حتي انتهوا إلي عذيب الهجانات .

ثم مضي الحسين عليه السلام حتي انتهي إلي « قصر بني مقاتل » ، فنزل به ، وإذا هو بفسطاط مضروب ، فقال : لمن هذا ؟ فقيل : لعبيد اللّه بن الحر الجعفي ، قال : إدعوه إليّ .

فلمّا أتاه الرسول ، قال له : هذا الحسين بن علي عليهماالسلام يدعوك ، فقال عبيد اللّه : إِنّا لِلّهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ ، واللّه ما خرجت من الكوفة إلاّ كراهية أن يدخلها الحسين وأنا فيها ، واللّه ما أريد أن أراه ولا يراني .

فأتاه الرسول فأخبره ، فقام إليه الحسين عليه السلام ، فجاء حتي دخل عليه وسلّم وجلس ، ثم دعاه إلي الخروج معه ، فأعاد عليه عبيد اللّه بن الحر تلك المقالة ، واستقاله ممّا دعاه إليه ، فقال له الحسين عليه السلام ، فإن لم تكن تنصرنا ، فاتّق اللّه أن لا تكون ممّن يقاتلنا ، فواللّه لا يسمع واعيتنا أحد ثم لا ينصرنا إلاّ هلك ، فقال له : أمّا هذا فلا يكون أبدا ، إن شاء اللّه ، ثم قام الحسين عليه السلام من عنده حتي دخل رحله .

ولمّا كان في آخر الليلة أمر فتيانه بالاستقاء من الماء ، ثم أمر بالرحيل ، فارتحل من قصر بني مقاتل .

فلمّا أصبح نزل ، وصلّي بهم الغداة ، ثم عجّل الركوب ، وأخذ يتياسر بأصحابه يريد أن يفرقهم ، فيأتيه الحر بن يزيد فيردّه وأصحابه ، فجعل إذا ردّهم نحو الكوفةردّا شديدا امتنعوا عليه ، فارتفعوا .

وصول كتاب ابن زياد الملعون الي الحر

ص: 101

فلم يزالوا يتسايرون كذلك حتي انتهوا إلي نينوي بالمكان الذي نزل به الحسين عليه السلام ، فإذا راكب علي نجيب له ، عليه سلاح ، متنكبا قوسا ، مقبلاً من الكوفة ، فوقفوا جميعا ينتظرونه.

فلمّا انتهي إليهم سلّم علي الحر وأصحابه ، ولم يسلّم علي الحسين وأصحابه ، ودفع إلي الحر كتابا من عبيد اللّه بن زياد - لعنه اللّه - ، فإذا فيه :

أمّا بعد ، فجعجع بالحسين حين بلغك كتابي هذا ، ويقدم عليك رسولي ، ولا تنزله إلاّ بالعراء ، في غير خضر ، وعلي غير ماء ، وقد أمرت رسولي أن يلزمك ولا يفارقك ، حتي يأتيني بإنفاذك أمري ، والسلام .

فلمّا قرأ الكتاب قال لهم الحر : هذا كتاب الأمير عبيد اللّه ، يأمرني أن أجعجع بكم في المكان الذي يأتيني كتابه ، وهذا رسوله ، وقد أمره أن لا يفارقني حتي أنفذ أمره فيكم .

[فنظر يزيد بن المهاجر الكندي ، وكان مع الحسين عليه السلام إلي رسول ابن زياد فعرفه ، فقال له : ثكلتك أمك ما ذا جئت فيه ؟ قال : أطعت إمامي ووفي ببيعتي ، فقال له ابن المهاجر : بل عصيت ربّك وأطعت إمامك في هلاك نفسك ، وكسبت العار والنار ، وبئس الإمام إمامك ، قال اللّه - عزّ وجلّ - : « وَجَعَلْناهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَي النّارِ وَيَوْمَ الْقِيامَةِ لا يُنْصَرُونَ » ، فإمامك منهم] .

وأخذهم الحر بالنزول في ذلك المكان ، علي غير ماء ، ولا في قرية ، فقال له الحسين عليه السلام : دعنا - ويحك - ننزل هذه القرية ، أو هذه ، يعني نينوي والغاضرية ، أو هذه ، يعني شفية ، قال : لا واللّه ما أستطيع ذلك ، هذا رجل قد بعث إليّ عينا عليّ .

فقال له زهير بن القين : إنّي واللّه لا أري أن يكون بعد الذي ترون إلاّ أشدّ ممّاترون ، يا ابن رسول اللّه ، إنّ قتال هؤلاء القوم الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم ، فلعمري ليأتينا من بعدهم ما لا قبل لنا به ، فقال الحسين عليه السلام : ما

كنت لأبدأهم بالقتال ، ثم نزل(1) .

النزول في كربلاء

قال صاحب المناقب : فجمع الحسين عليه السلام ولده و إخوته وأهل بيته ، ثم نظر إليهم فبكي ساعة ، ثم قال :

اللّهم إنّا عترة نبيك محمـد ، وقـد أخرجنا وطردنا وأزعجنا عن حرم جـدّنا ، وتعدّت بنو أمية علينا ، اللّهم فخذ لنا بحقّنا ، وانصـرنا علي القوم الظالمين .

ثم قال : أهذه كربلاء ؟ فقالوا : نعم ، يا ابن رسول اللّه .

وروي أنّه لما سمع الحسين عليه السلام اسم كربلاء دمعة عيناه ، وقال : اللّهم أنّي أعوذ بك من الكرب والبلاء .

ثم قال : هذا موضع كرب وبلاء ، هاهنا مناخ ركابنا ، ومحطّ رحالنا ، ومقتل رجالنا ، ومسفك دمائنا(2) .

فيها يراق دمي فيها تري حرمي

حسري عليهن ثوب الذلّ سربال

فيها تقتل أولادي وتذبح أب-

-طالي وتستعبد الأحرار أرذال

حطّ الرحال بها يا قوم وانصرفوا

عنّي فما لي عنها قطّ ترحال

ثم أمر عليه السلام أن يضربوا سرادق العزّة والجلالة والعصمة والطهارة ، فضربت الخيام في تلك الصحراء المهولة التي حوّلها الحسين عليه السلام الي روضة من رياض الجنّة .

هي خيمة جبريل يخدم أهلها

والروح والأملاك خدمة قنبر

هي خيمة خضعت لها

خيم الملوك كتبّع وكقيصر

هي خيمة أبوابها في فتحها

بصريرها صاحت بكاء المستعبر

هي خيمة لو كان أحمد حاضرا

لبكي لها مثل السحاب الممطر

ص: 103

1- بحار الأنوار : 44/374 وما بعدها .

2- بحار الأنوار : 44/382 باب 37 .

هي خيمة يبكي وقوع عمودها

جزعا عمود الدين فاتح خيبر

روي بعض الثقاة : أنّه لمّا نزل الحسين عليه السلام في كربلاء جاءته أم كلثوم فقالت : يا أخي ، إنّها صحراء مهولة ، وإنّي شعرت أنّ الخوف هجم علي قلبي ، فقال عليه السلام : إعلمي ، أنّنا دخلنا هذه الأرض أنا وأبي أمير المؤمنين عليه السلام في طريقنا الي صفين ، فلمّا نزلنا وضع أبي رأسه في حجر أخي فنام ساعة ، وأنا جالس عنده ، فلمّا أفاق من نومه ، رأيته مهموما وهو يبكي بكاء شديدا ، فسأله أخي عن سبب بكائه ، فقال : رأيت رؤيا ، كأنّ هذه الصحراء بحرا من الدماء ، وولدي الحسين عليه السلام غارق فيها ، وهو يضرب بيده ورجله ، ويستغيث فلا يغاث .

ثم إلتفت اليّ وقال : يا أبا عبد اللّه ، كيف تكون إذا وقعت ها هنا الواقعة ؟ فقلت : أصبر .

ألا لعنة اللّه علي القوم الظالمين

المجلس الثالث: وقائع كربلاء منذ نزلها الحسين عليه السلام الي ليلة عاشوراء

اشارة

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه علي آلائه ، والشكر للّه علي نعمائه ، وحمدا يستعظمه سكّان أرضه وسمائه ، ويستكثر قطّان صقع جبروته .

والصلاة والسلام علي أشرف سفرائه ، وأفضل أصفيائه ، محمد سيد أنبيائه ، وأكمل أوليائه ، وعلي خلفائه وأوصيائه وأهل بيته وأمنائه .

خصوصا علي شبله وفرخه، البعيد عن وطنه وأحبّائه، والأسير بأيدي الطغاة من أعدائه ، المجاهد في اللّه مع إخوانه وأصحابه ، المقتول لوجه اللّه مع أولاده وعشيرته

وأقربائه ، المحروق خباؤه ، المسلوب رداؤه ، المرضّض أشلاؤه ، المقطّع أعضاؤه ، المنهوب نعله وحذاؤه ، المقتول إخوانه وأبناؤه ، المسبي عياله ونساؤه ، المأسور بناته

وإماؤه ، الممنوع ماؤه ، المخضّب شيبه بدمائه ، الذي تسفي عليه دبوره ورخاؤه ، ولم يمّرضه أحد في ضنائه ، الخائض في بحر المحن والبلايا في إبتداء وجوده الي إنتهائه .

سيّدنا المظلوم ، وإمامنا المعصوم ، المغموم المهموم ، أبي عبد اللّه عليه السلام ، واللعن الدائم ، والعذاب الحاطم علي قاتليه وظالميه ومانعيه شرب الماء ، وعلي من خذله وأعان عليه ، أو فرح بقتله ، أو رضي به ، أجمعين أبد الآبدين ، ودهر الداهرين .

أمّا بعد ، فقد قال اللّه سبحانه :

« مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاها مَذْمُوماً مَدْحُوراً وَمَنْ أَرادَ الآخِرَةَ وَسَعي لَها سَعْيَها وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ كانَ سَعْيُهُمْ

مَشْكُوراً كُلاًّ نُمِدُّ هؤلاءِ وَهَؤلاءِ مِنْ عَطاءِ رَبِّكَ » .

* * *

نظرة الي التقابل بين الدنيا والآخرة

يستفاد من الآية الشريفة أنّ من أراد الدنيا فإنّه لا خلاق له في الآخرة ، إلاّ السخط الإلهي ، والعذاب الخالد اللامتناهي ، وهذا الأمر طبيعي وواضح ، لأنّ من إختار الدنيا صارت همّه ومبلغ علمه ، لا يفكر في غيرها ، ولا يهتم إلاّ بها ، ولا يلهج لسانه إلاّ بذكرها ، ولا تتحرّك جوارحه إلاّ لأجلها ، فهو يتخذ من الآخرة وسيلة للدنيا ، ويسخر العاقبة للأولي .

روي عن رسول اللّه صلي الله عليه و آله أنّه قال : إنّ في طلب الدنيا إضرارا بالآخرة ، وفي طلب الآخرة إضرارا بالدنيا ، فأضروا بالدنيا ، فإنّها أولي بالإضرار(1) .

وروي عن إمام السالكين وأزهد الزاهدين أمير المؤمنين عليه السلام : إنّ الدنيا والآخرة عدوّان متفاوتان ، وسبيلان مختلفان ، فمن أحبّ الدنيا وتولاّها أبغض الآخرة وعاداها ، وهما بمنزلة المشرق والمغرب وماش بينهما ، كلّما قرب من واحد بعد من الآخر ، وهما بعد ضرّتان(2) .

أجل، ما خدع أهل الدنيا إلاّ نعمها العاجلة، ولذائذها الزائلة ، وزخارفها الباطلة، وذلك أنّها تعمي وتصم ، فلا يطربه إلاّ أنغامها ، ولا يسمع إلاّ أهلها ، ولا يري إلاّ الذهب والفضة، ولا يتذوّق إلاّ حلاوتها، ولا يلتذّ إلاّ بلذائذها، ولا يغرّه إلاّ زخرفها.

1- الكافي 2/131 ح12 ، بحار الأنوار : 70/61 ح30 .

2- نهج البلاغة : 386 ح103 ، بحار الأنوار : 70/129 ح133 .

ولكنه ما علم أنّ كلّ لذّة فيها يتبعها ألف ألف غصة ، وكلّ متعة فيها يتبعها ألف ألف لسعة ، وبعد كلّ كأس ألف سهم مسموم يصيب كبده ، وكلّ راحة فيها مشوبة بآلاف المنن ، وكلّ عزّة فيها مشوبة بالذلّة بعد الذلّة .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : أيّها الناس ، إنّما أنتم في هذه الدنيا غرض تنتضل فيه المنايا ، مع كلّ جرعة شرق ، وفي كلّ أكلة غصص ، لا تنالون منها نعمة إلاّ بفراق أخري ، ولا يعمّر معمّر منكم يوما من عمره إلاّ يهدم آخر من أجله(1) . .

بل إنّ أهلها يرحلون قبل أن يقطنوا ، ويغمضوا قبل أن يفتحوا عيونهم ، ويسافر قبل أن يقيم ، ويهدم قبل أن يتمّ بناءه ، قال عليه السلام : بلي ، الدنيا تغرّ وتضرّ وتمرّ(2) . .

إنّها فسطاط لا عمود له ، وسرادق بلا أوتاد ، وبستان بلا نبات ، وبناء بلا ثبات ، وريح هوجاء ، وبحر مظلم ، ونار هائجة ، وسراب لا حقيقة له ، « فالويل كلّ الويل ، لمن باع نعيما دائم البقاء بكسرة تفني وخزقة تبلي »(3) .

ولو كانت الدنيا تقبل علي من أقبل عليها ، وتذيقه ساعة من لذاتها ، وكان ذلك لها وفي طوع أمرها لكان حسنا ، ولكن ربّك يقول : « مَنْ كانَ يُرِيدُ الْعاجِلَةَ عَجَّلْنا لَهُ فِيها ما نَشاءُ لِمَنْ نُرِيدُ » .

وورد في بعض الأحاديث القدسية : يا ابن آدم ، إنّ رضيت بما قسمت لك أرحت قلبك وبدنك ، وأنت محمود عندي ، وإن لم ترض بما قسمت لك سلّطت عليك حبّ الدنيا حتي تركض فيها ركض الوحش في البرية ، ثم لا تنال منها إلاّ ماقدّرت لك ، وأنت مذموم عندي(4) . . .

1- نهج البلاغة الخطبة : 123 .

2- بحار الأنوار : 70/119 ح110 .

3- محاسبة النفس : 181 .

4- التحفة السنية مخطوط : 65 .

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام : إنّ أخسر الناس صفقة ، وأخيبهم سعيا ، رجل أخلق بدنه في طلب آماله(1) ، ولم تساعده المقادير علي إرادته ، فخرج من الدنيا بحسرته ، وقدم علي الآخرة بتبعته(2) .

فكم من رجل ركض ليله ونهاره خلف سراب الدنيا، وأتعب نفسه في طلب الجاه والجلال ، والمال وتحقيق الآمال ، ثم لم يذق منها شيئا ، وكم من رجل باع آخرته بالدنيا ولم يحصد من أشجار الآمال سوي الخيبة ، ولم تسعفه الدنيا بشيء ذي بال .

عقاب قتلة الحسين عليه السلام

ما أكثر الحكايات والقصص الواردة في المقام ، ولكنّ أهمّها تلك الحكايات التي تتحدّث عن أُولئك النفر الذين خرجوا طمعا في الرئاسة وإستهوتهم الدنيا ، وغرّهم الدينار والدرهم ، وباعوا الآخرة بالدنيا ، وقاتلوا سيد الأبرار ، وحاربوا فلذة كبد أحمد المختار صلي الله عليه و آله ، ولم يصل أحد منهم – بحمد اللّه – الي مراده ، وذاق وبال أمره في هذه الدنيا ، وأحاطت به النار ، وبئس القرار .

روي الشيخ الصدوق رحمه الله في عيون أخبار الرضا عليه السلام بالأسانيد الثلاثة عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله : إنّ قاتل الحسين بن علي عليهماالسلام في تابوت من نار ، عليه نصف عذاب أهل الدنيا ، وقد شدّ يداه ورجلاه بسلاسل من نار ، منكس في النار ، حتي يقع في قعر جهنم ، وله ريح يتعوّذ أهل النار إلي ربّهم من شدّة نتنه ، وهو فيها خالد ، ذائق العذاب الأليم ، مع جميع من شايع علي قتله ، كلّما نضجت جلودهم بدّل اللّه – عزّ وجلّ – عليهم الجلود غيرها ، حتي يذوقوا العذاب الأليم ، « لا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ » ساعة ، ويسقون من حميم جهنم ، فالويل لهممن عذاب النار(3) .

1- في النهج : « في طلب ماله » .

2- نهج البلاغة قصار الجمل : 435 ، بحار الأنوار : 100/38 ح85 .

3- عيون أخبار الرضا عليه السلام : 2/47 باب 31 ح178 ، بحار الأنوار : 44/300 باب 36 ح3 .

وروي الشيخ الصدوق أيضا بهذا الإسناد قال : قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله : إنّ موسي بن عمران عليه السلام سأل ربّه – عزّ وجلّ – فقال : يا ربّ إنّ أخي هارون مات فاغفر له ، فأوحي اللّه – عزّ وجلّ – إليه : يا موسي لو سألتني في الأولين والآخرين لأجبتك ،

ما خلا قاتل الحسين بن علي ، فإنّي أنتقم له من قاتله(1) .

وروي الشيخ الصدوق أيضا في ثواب الأعمال عن أبي جعفر عليه السلام قال : قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله : إنّ في النار منزلة لم يكن يستحقّها أحد من الناس إلاّ بقتل الحسين بن علي ويحيي بن زكريا عليهماالسلام(2) .

وفي حديث آخر : . . . يخرج عليهم شرار أمّتي ، لو أنّ أحدهم شفع له من في السماوات والأرضين ما شفعوا فيه ، وهم المخلّدون في النار(3) .

ما أعظم جرمهم ، وأكبر معصيتهم ، معصية زلزلت السماوات والأرضين ، وأبكت عيون العالمين ، وأقعدت للعزاء خاتم الأنبياء والمرسلين صلي الله عليه و آله ، وأحرقت قلب أمير المؤمنين عليه السلام .

جريمة عظيمة أحرقت القلوب ، وهدمت أركان الدين .

إخبار النبي صلي الله عليه و آله بشهادة الحسين عليه السلام

روي ابن قولويه بإسناده عن أبي جعفر عليه السلام قال : كان رسول اللّه صلي الله عليه و آله إذا دخل الحسين عليه السلام اجتذبه إليه ، ثم يقول لأمير المؤنين عليه السلام : امسكه ، ثم يقع عليه ، فيقبّله ويبكي ، فيقول : يا أبة ، لم تبكي ؟ فيقول : يا بني ، أقبّل موضع السيوف منك وأبكي ، قال : يا أبة ، وأقتل ؟ قال : إي واللّه ، وأبوك وأخوك وأنت .

1- عيون أخبار الرضا عليه السلام : 2/51 ح179 ، بحار الأنوار : 44/300 ح4 .

2- ثواب الأعمال : 275 ح2 ، بحار الأنوار : 44/301 ح9 .

3- تفسير فرات : 171 ، بحار الأنوار : 44/264 ح22 .

قال : يا أبة ، فمصارعنا شتي ؟ قال : نعم ، يا بني ، قال : فمن يزورنا من أمّتك ؟ قال : لا يزورني ، ويزور أباك وأخاك وأنت ، إلاّ الصدّيقون من أمّتي(1) .

وروي الشيخ أبو جعفر ابن نما عن عبد اللّه بن عباس أنّه قال : لمّا إشتدّ برسول اللّه صلي الله عليه و آله مرضه الذي مات فيه ، وقد ضمّ الحسين عليه السلام إلي صدره يسيل من عرقه عليه ، وهو يجود بنفسه ، ويقول : ما لي وليزيد ، لا بارك اللّه فيه ، اللّهم العن يزيد .

ثم غشي عليه طويلاً ، وأفاق ، وجعل يقبّل الحسين ، وعيناه تذرفان ويقول : أما إنّ لي ولقاتلك مقاما بين يدي اللّه عزّ وجلّ(2) .

وفي بعض الكتب المعتبرة عن عبد اللّه بن العباس قال : دخلت علي النبي صلي الله عليه و آله ، والحسن علي عاتقه ، والحسين علي فخذه ، يلثمهما ويقبّلهما ، ويقول : اللّهم وال من والاهما ، وعاد من عاداهما .

ثم قال : يا ابن عباس كأنّي به وقد خضبت شيبته من دمه ، يدعو فلا يجاب ، ويستنصر فلا ينصر ، قلت : فمن يفعل ذلك يا رسول اللّه ؟ قال : شرار أمّتي ، ما لهم ؟ لا أنالهم اللّه شفاعتي(3) .

اللّه أكبر يا له من حادث

أضحي له المجد الرفيع مهدّما

اللّه أكبر يا له من حادث

أمسي له الأفق المنوّر مظلما

اللّه أكبر يا له من حادث

أبكي المشاعر والمقام وزمزما

يا راكبا نحو المدينة قف بها

عند الرسول معزّيا متظلّما

السلام عليك يا خير الوري نسبا

وأكرمهم وأشرف منتمي

أوصيت بالثقلين أمّتك التي

لم تألها نصحا لها وتكرماها

قد أضاعت يا رسول اللّه ما

إئتمنت لذمّتها وعهدا مبرما

1- كامل الزيارات : 146 ح172 ، بحار الأنوار : 44/261 باب 31 ح14 .

2- مثير الأحزان : 22 ، بحار الأنوار : 44/266 ح24 .

3- كفاية الأثر : 16 ، بحار الأنوار : 36/285 باب 41 ح107 .

هذا الحسين بكربلا عهدي به

شفتاه ناشفتان من حرّ الظما

والخيل تركض في الطراز بجسمه

حتي فرت منه القري والأعظما

وبناتك الخفرات في أيدي العدي

خلّفتهن مكشفات كالإما

أبرزن من بعد الستور حواسرا

سلب العدي منها الردي والمعصما

أخذت سبا حرقت خبا شتمت أبا

ما كان أهلا أن يسبّ ويشتما

تأمّل كيف باع هؤلاء الأشقياء الآخرة بالدنيا ، وإشتروا سخط الجبار من أجل الدنيا الدنية العفنة .

روي عن ابن مسعود قال : بينا نحن جلوس عند رسول اللّه صلي الله عليه و آله في مسجده ، إذ دخل علينا فتية من قريش ، ومعهم عمر بن سعد – لعنه اللّه – ، فتغيّر لون رسول اللّه صلي الله عليه و آله .

فقلنا له : يارسول اللّه ما شأنك ؟ فقال : إنّا أهل بيت إختار اللّه لنا الآخرة علي

الدنيا ، وإنّي ذكرت ما يلقي أهل بيتي من أمّتي من بعدي من قتل وضرب وشتم وسبّ وتطريد وتشريد . وإنّ أهل بيتي سيشردون ويطردون ويقتلون .

وإنّ أول رأس يحمل علي رأس رمح في الإسلام رأس ولدي الحسين عليه السلام ، أخبرني بذلك أخي جبرائيل ، عن الربّ الجليل .

وكان الحسين عليه السلام حاضرا عند جدّه في ذلك الوقت ، فقال : يا جدّاه ، فمن يقتلني من أمّتك ؟ فقال : يقتلك شرار الناس ، وأشار النبي صلي الله عليه و آله إلي عمر بن سعد – لعنه اللّه – .

فصار أصحاب رسول اللّه صلي الله عليه و آله إذا رأوا عمر بن سعد داخلاً من باب المسجد ، يقولون : هذا قاتل الحسين عليه السلام .

قال : وجعل عمر بن سعد كلّما لقي الحسين عليه السلام يقول : يا أبا عبد اللّه إنّ في قومنا أُناسا سفهاء ، يزعمون أنّي أقتلك ، فيقول له الحسين عليه السلام : واللّه إنّهم ليسوا بسفهاء ،

ولكنّهم أُناس حلماء ، أما إنّه ستقرّ عيني حيث لا تأكل من برّ الري من بعد قتلي إلاّ قليلاً ، ثم تقتل من بعدي عاجلاً (1).

وفي رواية الشيخ : قال اللعين : في برّ العراق كفاية .

وفي كشف الغمة وإرشاد الشيخ المفيد رحمه الله : روي عبد اللّه بن شريك العامري قال : كنت أسمع أصحاب محمد صلي الله عليه و آله إذا دخل عمر بن سعد من باب المسجد يقولون : هذا قاتل الحسين بن علي عليهماالسلام ، وذلك قبل أن يقتل بزمان طويل(2) .

وروي الشيخ ابن بابويه عن الأصبغ بن نباتة قال : بينا أمير المؤنين عليه السلاميخطب

الناس ، وهو يقول : سلوني قبل أن تفقدوني ، فو اللّه لا تسألوني عن شيء يكون إلاّ نبأتكم به .

فقام إليه سعد بن أبي وقاص فقال : يا أمير المؤنين عليه السلام أخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة ؟

فقال له : أما واللّه لقد سألتني عن مسألة حدثني خليلي رسول اللّه صلي الله عليه و آله أنّك ستسألني عنها ، وما في رأسك ولحيتك من شعرة إلاّ وفي أصلها شيطان جالس ، وإنّ في بيتك لسخلاً يقتل الحسين ابني ، وعمر بن سعد يومئذ يدرج بين يديه(3) .

وروي الطبرسي رحمه الله : أنّ أمير المؤنين عليه السلام كان يخطب ، فقال في خطبته : سلوني قبل أن تفقدوني ، فو اللّه لا تسألوني عن فتنة تضلّ مائة وتهدي مائة إلاّ أنبأتكم بناعقها وسائقها إلي يوم القيامة .

فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤنين أخبرني كم في رأسي ولحيتي من طاقة شعر ؟

1- المنتخب : 326 المجلس 5 ، مدينة المعاجز : 4/61 ح140 .

2- كشف الغمة : 2/9 .

3- الأمالي للصدوق : 133 المجلس 28 ح1 .

فقال أمير المؤنين عليه السلام : واللّه لقد حدثني خليلي رسول اللّه صلي الله عليه و آله بما سألت عنه ، وأنّ علي كلّ طاقة شعر في رأسك ملكا يلعنك ، وعلي كلّ طاقة شعر في لحيتك شيطانا يستفزك ، وإنّ في بيتك لسخلاً يقتل ابن رسول اللّه ، ذلك مصداق ما أخبرتك به ، ولولا أنّ الذي سألت يعسر برهانه لأخبرتك به ، ولكن آية ذلك ما نبأتك من لعنك ، وسخلك الملعون .

وكان ابنه في ذلك الوقت صبيا صغيرا يحبو ، فلمّا كان من أمر الحسين عليه السلام ما كان تولّي قتله ، وكان الأمر كما قال أمير المؤنين عليه السلام(1) .

وقال الشيخ فخر الدين الطريحي رحمه الله : قيل : إنّ ذلك الصبي كان إسمه خولي بن يزيد الأصبحي ، وهو الذي طعن الحسين عليه السلام برمحه فخرج السنان من ظهره ، فسقط الحسين عليه السلام علي وجهه يخور في دمه ، ويشكو الي ربّه(2) .

وإذا أردت أن تعرف هذا اللعين ، فاعلم أنّه كان حامل راية عسكر ابن زياد – لعنه اللّه – ، وقد باشر اللعين بقتل جماعة من أصحاب الإمام الحسين عليه السلام وأهل بيته .

منهم : عثمان ابن أمير المؤمنين عليهماالسلام ، وكان عمره واحد وعشرين سنة ، فلمّا برز يقاتل رماه خولي بن يزيد الأصبحي علي جبينه ، فسقط عن فرسه ، وجزّ رأسه رجل آخر(3) .

ورمي هذا الملعون جعفر بن علي عليهماالسلام شقيق العباس عليه السلام ، فأصاب شقيقته ، فسقط عن فرسه ، وحلّقت روحه الي الجنان(4) .

1- الاحتجاج : 1/261 .

2- المنتخب : 1/160 المجلس8 .

3- بحار الأنوار : 45/37 .

4- بحار الأنوار : 45/38 .

وهو الذي حمل رأس ابن الرسول صـلي الله عليه و آله ، وفلذة كبد زوج البتول عليه السـلام ، من كربلاء الي الكوفة ، فوصل ليلاً ، فنزل في بيته – وكان علي فرسخ من الكوفة – فجعل الرأس المقدّس في التنور حتي الصباح ، فلمّا أصبح حمل الرأس المقدّس هدية الي ابن زياد .

وروي السـيد ابن طاووس وصاحب المناقب ومحمـد بن أبي طالب : إنّ اللعين كان من جملة الخبثاء الذين تحزّموا بالعداوة ، وعضّوا أنامل الغيض ، وأقدموا علي قتل سـيد الشـهداء عليه السـلام ، حينما دعا عمر بن سـعد شجعان عسكره لقتله عليه السلام ، وكان عليه السلامعلي الأـرض مرمّلاً بـدمائه ، ينوء برقبته ، ويلوك لسانه من شـدّة العطش ، ولكنهم هابوه وخافوا من الإقـدام عليه ، فبادر اليه هـذا اللعين ليشـجع الآخرين ، وكانوا خمس عشـرة نفرا يحوطون بالحسـين عليه السلام ، وسيوفهم مشهورة ، كلّ يطعنه بالسيف من جهة ، فقال هذا اللعين : أنا أقتله ، فنزل اليه ، فلمّا نظر اليه ، ارتعدت

يده ، وارتجف جسمه ، وولي هاربا(1) .

غلّت يمينك يا شقي وشلّت اليسري

وأبعدك المهيمن من عدي

أتحزّ رأس الرأس من رؤسائها

صدر الصدور هو الرئيس الأمجد

ريحانة المختار قرّة عينه

إنسان عين المرتضي والسيد

يا راكبا يطوي القفار مجعجعا

طول النهار وليله لا يرقد

خذ من غريب في العراق لساكني

أرض الحجاز رسالة بك تنفد

أبلغ قريشا أنّ سيّدهالقي

بالطف شلوا جثة لا تلحد

أبلغ قريشا أنّ سيّدها مضي

عطشا حشاه بالظمأ يتوقّد

أبلغ قريشا أنّ سيّدها علي

أعضائه تطأ الخيول وتطرد

أبلغ قريشا أنّ رأس أميرها

يهدي لنسل ولدان للرسالة يجحد

أبلغ قريشا أنّ رحل أميرها

ونساه صارا مغنما يتبدد

للّه مصرعه الشنيع ورزؤها

خطب الفضيع فمثله لا يوجد

1- انظر بحار الأنوار : 45/55 ، واللهوف : 176 .

فتعسا لأولئك الكفار الأشرار ، وبؤسا لهؤلاء الفجار ، لقد أبكوا عيني النبي المختار صلي الله عليه و آله ، وأحرقوا قلب الوصي الكرار ، فويل لهم ماذا يقولون حين يعرضون ؟ وماذا يجيبون حين يسألون ؟ « هُنالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ ما أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَي اللّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ ما كانُوا يَفْتَرُونَ » .

لست تـدري أيّ جمرة حرقوا بها قلوب أولياء اللّه ، وأيّ ثلمـة ثلموها في الإسـلام ، وأيّ عداوة نصـبوها للّه ورسوله ، وأيّ ضـجة أثاروها في العالم كلّه .

فعلوا فعلاً ضحك منهم اليهود والنصاري ، ولعنوهم ، ارتكبوا ظلما أنسي التاريخ ظلم فرعون ونمرود .

ماذا صنعوا بفلذة كبد الرسول صلي الله عليه و آله من أجل وعود كاذبة وعدهم بها ابن زياد الملعون ؟ ماذا صنعوا بقرّة عين حيدر الكرار من أجل دراهم معدودة ؟

عمر بن سعد علي مفترق طريقين

أجل ، هكذا هو الشقي المنكوس الذي يخذله اللّه ، ويكله الي نفسه ، ويستقي أصله وجذره من منابع الشقاء ومعادن السوء .

روي أنّ علي بن أبي طالب عليهماالسـلام لقي عمر بن سـعد يوما ، فقال له : كيف تكون إذا قمت مقاما تتخيّر فيه بين الجنّـة والنار ، فتختار لنفسك النار ؟

فقال له : معاذ اللّه ، أيكون ذلك ؟ فقال عليه السلام له : سيكون ذلك بلا شكّ(1) .

وروي في بعض مؤفـات العلماء : أنّه لمّا جمع ابن زياد – لعنه اللّه – قومه لحرب الحسـين عليه السـلام كانوا سـبعين ألف فارس ، فقال ابن زياد : أيّها الناس من منكم يتولّي قتل الحسين ، وله ولاية أيّ بلد شاء .

فلم يجبه أحد منهم ، فاستدعي بعمر بن سعد – لعنه اللّه – وقال له : يا عمر أريد أن تتولّي حرب الحسين بنفسك ، فقال له : اعفني من ذلك ، فقال ابن زياد :

1- المنتخب : 276/2 المجلس3 .

قد أعفيتك يا عمر ، فاردد علينا عهدنا الذي كتبنا إليك بولاية الري ، فقال عمر : أمهلنا الليلة ، فقال له : قد أمهلتك .

فانصرف عمر بن سعد إلي منزله وجعل يستشير قومه وإخوانه ومن يثق به من أصحابه ، فلم يشر عليه أحد بذلك ، وكان عند عمر بن سعد رجل من أهل الخير يقال له « كامل » ، وكان صديقا لأبيه من قبله ، فقال له : يا عمر ، ما لي أراك بهيئة وحركة ، فما الذي أنت عازم عليه ؟ وكان كامل كاسمه ذا رأي وعقل ودين كامل .

فقال له ابن سعد – لعنه اللّه – : إنّي قد ولّيت أمر هذا الجيش في حرب الحسين ، وإنّما قتله عندي وأهل بيته كأكلة آكل ، أو كشربة ماء ، وإذا قتلته خرجت إلي ملك الري .

فقال له كامل : أفّ لك يا عمر بن سعد ، تريد أن تقتل الحسين ابن بنت رسول اللّه ، أفّ لك ولدينك يا عمر ، أسفهت الحقّ وضللت الهدي ، أما تعلم إلي حرب من تخرج ؟ ولمن تقاتل إِنّا لِلّهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ . واللّه لو أعطيت الدنيا وما فيها علي قتل رجل واحد من أمّة محمد لما فعلت ، فكيف تريد تقتل الحسين بن بنت رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، وما الذي تقول غدا لرسول اللّه إذا وردت عليه وقد قتلت ولده وقرّة عينه وثمرة فؤده ، وابن سيدة نساء العالمين ، وابن سيد الوصيين ، وهو سيد شباب أهل الجنّة من الخلق أجمعين ، وإنّه في زماننا هذا بمنزلة جدّه في زمانه وطاعته فرض علينا كطاعته ، وإنّه باب الجنّة والنار ، فاختر لنفسك ما أنت مختار ، وإنّي أشهد باللّه

إن حاربته ، أو قتلته ، أو أعنت عليه ، أو علي قتله لا تلبث في الدنيا بعده إلاّ قليلاً .

فقال له عمر بن سعد : فبالموت تخوّفني وإنّي إذا فرغت من قتله أكون أميرا علي سبعين ألف فارس ، وأتولّي ملك الري .

فقال له كامل : إنّي أحدّثك بحديث صحيح أرجو لك فيه النجاة إن وفقت لقبوله :

اعلم أنّي سافرت مع أبيك سعد إلي الشام ، فانقطعت بي مطيّتي عن أصحابي وتهت وعطشت ، فلاح لي دير راهب ، فملت إليه ، ونزلت عن فرسي ، وأتيت إلي باب الدير لأشرب ماء ، فأشرف عليّ راهب من ذلك الدير وقال : ما تريد ؟ فقلت له : إنّي عطشان ، فقال لي : أنت من أمّة هذا النبي الذين يقتل بعضهم بعضا علي حبّ الدنيا مكالبة ، ويتنافسون فيها علي حطامها ؟ فقلت له : أنا من الأمّة المرحومة ، أمّة محمد صلي الله عليه و آله ، فقال : إنّكم أشرّ أمّة ، فالويل لكم يوم القيامة ، إنّي لأجد في كتبنا إنّكم تقتلون ابن بنت نبيكم ، وتسبون نساءه ، وتنهبون أمواله ، فقلت له : يا راهب ، نحن نفعل ذلك ؟ قال : نعم ، وإنّكم إذا فعلتم ذلك عجّت السماوات والأرضون والبحار والجبال والبراري والقفار والوحوش والأطيار باللعنة علي قاتله ، ثم لا يلبث قاتله في الدنيا إلاّ قليلاً ، ثم يظهر رجل يطلب بثأره ، فلا يدع أحدا شرك في دمه إلاّ قتله ، وعجّل اللّه بروحه إلي النار .

ثم قال الراهب : إنّي لأري لك قرابة من قاتل هذا الابن الطيب ، واللّه إنّي لو أدركت أيامه لوقيته بنفسي من حرّ السيوف .

فقلت : يا راهب ، إنّي أعيذ نفسي أن أكون ممّن يقاتل ابن بنت رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، فقال : إن لم تكن أنت ، فرجل قريب منك ، وإنّ قاتله عليه نصف عذاب أهل النار ، وإنّ عذابه أشدّ من عذاب فرعون وهامان ، ثم ردم الباب في وجهي ودخل يعبد اللّه تعالي ، وأبي أن يسقيني الماء .

قال كامل : فركبت فرسي ، ولحقت أصحابي ، فقال لي أبوك سعد : ما بطأك عنّا يا كامل ، فحدّثته بما سمعته من الراهب ، فقال لي : صدقت .

ثم إنّ سعدا أخبرني أنّه نزل بدير هذا الراهب مرّة من قبلي ، فأخبره أنّه هو الرجل الذي يقتل ابن بنت رسول اللّه ، فخاف أبوك سعد من ذلك ، وخشي أن تكون أنت قاتله ، فأبعدك عنه وأقصاك ، فاحذر يا عمر أن تخرج عليه يكون عليك نصف عذاب أهل النار .

قال : فبلغ الخبر ابن زياد – لعنه اللّه – ، فاستدعي بكامل وقطع لسانه ، فعاش يوما أو بعض يوم ، ومات رحمه اللّه (1) .

حرمان عمر بن سعد من ولاية الري

الحمد للّه الذي خيّب آمال اللعين ، فخسر الدنيا والآخرة ، أمّا الآخرة فواضح ، وأمّا الدنيا ، فقد روي في بعض كتب العلماء أنّه : لمّا فرغ عمر بن سعد من حرب الحسين عليه السلام ، وأدخلت الرؤوس والأسري الي عبيد اللّه بن زياد – لعنه اللّه – جاء عمر بن سعد – لعنه اللّه – ودخل علي عبيد اللّه بن زياد يريد منه أن يمكّنه من ملك

الري ، فقال له ابن زياد : آتني بكتابي الذي كتبته لك في معني قتل الحسين عليه السلام وملك الري .

فقال له عمر بن سعد : واللّه إنّه قد ضاع منّي ، ولا أعلم أين هو ؟

فقال له ابن زياد : لابد أن تجئني به في هذا اليوم ، وإن لم تأتني به فليس لك عندي جائزة أبدا ، لأنّي كنت أراك مستحيا معتذرا في أيام الحرب من عجائز قريش ، ألست القائل :

فواللّه ما أدري وإنّي لحائر(2)

أفكر في أمري علي خطرين

أأترك ملك الري والري منيتيأم أرجع مأثوما بقتل حسين

وهذا كلام معتذر مستح متردد في رأيه .

فقال عمر بن سعد : واللّه يا أمير ، لقد نصحتك في حرب الحسين نصيحة صادقة لو ندبني اليها أبي سعد لما كنت أدّيت حقّه كما أدّيت حقّك في حرب الحسين ، فقال عبيد اللّه بن زياد : كذبت يا لكع .

1- بحار الأنوار : 44/305 باب 36 .

2- في المنتخب : « لصادق » .

فقال عثمان بن زياد ، أخو عبيد اللّه بن زياد : واللّه يا أخي لقد صدق عمر بن سعد

في مقالته ، وإنّي لوددت أنّه ليس من بني زياد رجل إلاّ وفي أنفه خزمة الي يوم القيامة وأنّ حسينا لم يقتل أبدا .

فقال عمر بن سعد : فواللّه يا ابن زياد ، ما رجع أحد من قتلة الحسين عليه السلام بشرّ ممّا رجعت به أنا ، فقال له : وكيف ذلك ؟ فقال : لأنّي عصيت اللّه وأطعت عبيد اللّه ، وخذلت الحسين ابن رسول اللّه ونصرت أعداء اللّه ، وبعد ذلك إنّي قطعت رحمي ووصلت خصمي ، وخالفت ربّي ، فيا عظم ذنبي ، ويا طول كربي في الدنيا والآخرة .

ثم نهض من مجلسه مغضبا مغموما ، وهو يقول : وذلك هو الخسران المبين(1) .

فلعنة اللّه والأملاك قاطبة

علي ابن سعد وأرباب الضلالات

فاستبدلوا بعلي ابن هند شقي

وبالحسين يزيدا ذا الغوايات

فما رعوا فاطما في سفك مهجتها

ولا رأوا حرمة للفاطميات

بل أوقعوا الفتك في آل النبي وما

أبقوا علي الطفل أو سبي العليات

وأبرزوا الحاسرات الغر من حجب

مشهرات علي ظهر الجمالات

قتل وأسر وتشتيت ومسّ أذي

موزّعات علي خير البريّات

فمهنم من تمسّ الأرض جبهته

ومنهم خائض بحر المنيّات

فصاح هاتف أهل البيت من وله

هذا الحسين عري بالرمالات

برأس رمح بسنان رأسه أشرا

والنور يسطع منه أي سطعات

تزعزع العرش من هذا المصاب أسي

وأظلم الجو مكشوف المنيرات

كتاب ابن زياد - لعنه اللّه - الي الإمام الحسين عليه السلام

سمعت مجملاً من حكايات هؤلاء الأراذل ، فاستمع الي بعض حكاياته الأخري لتزداد بصيرة في شأن هؤلاء الأوباش الملاعين .

1- المنتخب : 2/323 المجلس 5 .

روي صاحب المناقب : فنزل القوم في كربلاء ، وأقبل الحر حتي نزل حذاء الحسين عليه السلام في ألف فارس ، ثم كتب إلي ابن زياد يخبره بنزول الحسين عليه السلام بكربلاء .

وكتب ابن زياد – لعنه اللّه – إلي الحسين – صلوات اللّه عليه – : أمّا بعد ، يا حسين ، فقد بلغني نزولك بكربلاء ، وقد كتب إليّ أمير المؤنين يزيد أن لا أتوسد الوثير ، ولا أشبع من الخمير ، أو ألحقك باللطيف الخبير ، أو ترجع إلي حكمي وحكم يزيد بن معاوية ، والسلام .

فلمّا ورد كتابه علي الحسين عليه السلام وقرأه رماه من يده ، ثم قال : لا أفلح قوم اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق .

فقال له الرسول : جواب الكتاب أبا عبد اللّه ، فقال : ما له عندي جواب ، لأنّه قد حقّت عليه كلمة العذاب .

فرجع الرسول إليه فخبره بـذلك ، فغضب عدو اللّه من ذلك أشدّ الغضب ، والتفت إلي عمر بن سـعد ، وأمره بقتال الحسـين ، وقد كان ولاّه الري قبل ذلك ، فاستعفي عمر من ذلك ، فقال ابن زياد : فاردد إلينا عهدنا ، فاستمهله ، ثم قبل بعد يوم خوفا عن أن يعزل عن ولاية الري(1) .

ورود عمر بن سعد الي كربلاء

قال المفيد رحمه الله : فلمّا كان من الغد قدم عليهم عمر بن سـعد بن أبي وقاص من الكوفة في أربعة آلاف فارس ، فنزل بنينوي ، فبعث إلي الحسـين عليه السـلام عروة بن قيس الأحمسـي ، فقال له : ائته فسـله ما الـذي جاء بك ؟ وما تريـد ؟ وكان عروة ممّن كتب إلي الحسـين ، فاستحيا منه أن يأتيه .

فعرض ذلك علي الرؤاء الذين كاتبوه ، وكلّهم أبي ذلك وكرهه .

1- المناقب : 4/98 فصل في مقتله عليه السلام ، بحار الأنوار : 44/382 باب 37 .

[فقام إليه كثير بن عبد اللّه الشعبي ، وكان فارسا لا يردّ وجهه ، فقال له : أنا أذهب إليه ، وواللّه لئن شئت لأفتكن به ، فقال له عمر بن سعد : ما أريد أن تفتك به ، ولكن ائته فسله ما الذي جاء به ؟

فأقبل كثير إليه ، فلمّا رآه أبو ثمامة الصيداوي قال للحسين عليه السلام : أصلحك اللّه يا أبا عبد اللّه ، قد جاءك شرّ أهل الأرض ، وأجرؤ علي دم ، وأفتكهم ، وقام إليه فقال له : ضع سيفك ، قال : لا واللّه ، ولا كرامة ، إنّما أنا رسول ، إن سمعتم كلامي بلغتكم ما أرسلت إليكم ، وإن أبيتم انصرفت عنكم ، قال : فإنّي آخذ بقائم سيفك ، ثم تكلّم بحاجتك ، قال : لا واللّه لا تمسه ، فقال له : أخبرني بما جئت به ، وأنا أبلغه عنك ولا أدعك تدنو منه ، فإنّك فاجر ، فاستبّا ، وانصرف إلي عمر بن سعد ، فأخبره الخبر] .

فدعا عمر بن سعد قرّة بن قيس الحنظلي ، فقال له : ويحك ، الق حسينا فسله ما جاء به ؟ وما ذا يريد ؟

فأتاه قرّة ، فلمّا رآه الحسين مقبلاً قال : أتعرفون هذا ؟

فقال حبيب بن مظاهر : هذا رجل من حنظلة تميم ، وهو ابن أختنا ، وقد كنت أعرفه بحسن الرأي ، وما كنت أراه يشهد هذا المشهد .

فجاء حتي سلّم علي الحسين وأبلغه رسالة عمر بن سعد إليه، فقال له الحسين عليه السلام:

كتب إليّ أهل مصركم هذا : أن أقدم ، فأمّا إذا كرهتموني فأنا أنصرف عنكم .

فقال حبيب بن مظاهر : ويحك يا قرّة أين تذهب إلي القوم الظالمين ؟ انصر هذا الرجل الذي بآبائه أيّدك اللّه بالكرامة ، فقال له قرة : أرجع إلي صاحبي بجواب رسالته ، وأري رأيي .

فانصرف إلي عمر بن سعد وأخبره الخبر ، فقال عمر بن سعد : أرجو أن يعافيني اللّه من حربه وقتاله . وكتب إلي عبيد اللّه بن زياد(1) .

1- بحار الأنوار : 44/385 .

كتاب ابن زياد - لعنه اللّه - الي عمر بن سعد

قال حسان بن قائد العبسي : كنت عند عبيد اللّه بن زياد حين أتاه كتاب ابن سعد ، فلمّا قرأه قال :

الآن إذ علقت مخالبنا به

يرجو النجاة وَلاتَ حِينَ مَناصٍ

وكتب إلي عمر بن سعد : أمّا بعد ، فقد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت ، فأعرض علي الحسين أن يبايع ليزيد هو وجميع أصحابه ، فإذا فعل ذلك رأينا رأينا ، والسلام(1) .

وفي بعض الأخبار : فلم يعرض ابن سعد علي الحسين ما أرسل به ابن زياد ، لأنّه علم أنّ الحسين لا يبايع يزيد أبدا(2) .

خطبة ابن زياد وتحريض الناس علي حرب الحسين عليه السلام

ثم جمع ابن زياد الناس في جامع الكوفة ثم خرج فصعد المنبر ، وخطب في الناس فمدح يزيد ومعاوية ودعا الناس لحرب سيد الشهداء عليه السلام ، ووعدهم بالمال والعطاء(3) .

ثم نزل عن المنبر ، ووفر الناس العطاء ، وأمرهم أن يخرجوا إلي حرب الحسين عليه السلام ، ويكونوا عونا لابن سعد علي حربه .

خروج شمر اللعين وتتابع الجيوش بالخروج الي كربلاء

فلمّا لمعت الصفراء والبيضاء في عيون أولئك القوم الذين تنكروا لدينهم ،واستعبدتهم الدنيا وزخارفها ، نسوا آخرتهم بالمرّة ، وسلكوا سبيل الجفاء ،

1- بحار الأنوار : 44/384 .

2- بحار الأنوار : 44/385 .

3- في بحار الأنوار : 44/385 : قال : أيّها الناس إنّكم بلوتم آل أبي سفيان فوجدتموهم كما تحبّون ، وهذا أمير المؤنين يزيد قد عرفتموه ، حسن السيرة ، محمود الطريقة ، محسنا إلي الرعية ، يعطي العطاء في حقّه ، قد أمنت السبل علي عهده ، وكذلك كان أبوه معاوية في عصره ، وهذا ابنه يزيد من بعده ، يكرم العباد ، ويغنيهم بالأموال ويكرمهم ، وقد زادكم في أرزاقكم مائة مائة ، وأمرني أن أوفرها عليكم وأخرجكم إلي حرب عدوه الحسين ، فاسمعوا له وأطيعوا .

وكفروا بالقيم والحياء ، وهكذا كان دأبهم ، وقنعوا بالقليل من عطاء أميرهم الذليل ، وخضعوا للدينار والدرهم ، وسلّوا سيوفهم علي سبط الرسول ، وخرجوا الي حربه ، وتدافعوا يتعجلون العذاب الي كربلاء .

فأول من خرج شمر بن ذي الجوشن في أربعة آلاف ، فصار ابن سعد في تسعة آلاف .

ثم أتبعه بيزيد بن ركاب الكلبي في ألفين من الكفار .

والحصين بن نمير السكوني في أربعة آلاف كافر .

وفلانا المازني في ثلاثة آلاف كافر .

ونصر بن فلان في ألفين من الكفار . فذلك عشرون ألفا .

وفي رواية ابن بابويه : وعبد اللّه بن الحصين التميمي في ألف فارس .

ومحمد بن الأشعث بن قيس في ألف فارس .

وفي رواية أخري : وشبث بن ربعي في أربعة آلاف(1) .

قال محمد بن أبي طالب الموسوي – وهو من ثقاة العلماء – : فما زال يرسل إليه بالعساكر حتي تكامل عنده ثلاثون ألفا ما بين فارس وراجل(2) .

هذا هو القول المشهور والموافق لكثير من الأخبار .

وروي : إثنان وعشرون ألفا .

وقال محمد بن إسماعيل البخاري – إمام أهل السنة – أنّهم أربعون ألفا .

وقال السيد ابن طاووس رحمه الله – وهو من أعاظم علماء الشيعة – : أنّهم مائة ألف .

قال أبو مخنف لوط بن يحيي الأزدي : إنّهم مائة وإثنان وعشرون ألف ، ثمانونالف فارس ، وألفا راجل ، وألف من الخوارج ، وثمانية آلاف يحملون الأرزاق ،

1- أمالي الصدوق : 219 ح239 ، بحار الأنوار : 44/385 ، وانظر الدمعة الساكبة : 4/261 .
2- بحار الأنوار : 44/385 .

ويجددون نعل الخيل ، ويصلحون السيوف والرماح استعدادا لقتل مولي العالمين ، وسيد الخافقين ، فكانوا يتدافعون أفواجا أفواجا ، ويصطفون أمام الغرباء الذين لا ناصر لهم ولا معين ، ويروّعون قلوب مخدرات معسكر الحسين عليه السلام .

وفي رواية الشيخ المفيد رحمه الله وغيره : نزل الحسين عليه السلام في كربلاء يوم الخميس الثاني من محرم(1) .

ووصل عمر بن سعد يوم الجمعة الثالث من محرم ، وتدافع الناس يتلو بعضهم بعضا ، وأمير العسكر كلّه عمر بن سعد ووزيره ابنه حفص .

وأمّا الشمر فكان له منصبان : كان أمير الرجالة ، ونقيب العسكر .

وكان سنان بن أنس النخعي كاتب العسكر ، وخولي الأصبحي وحرملة بن كاهل الأسدي أصحاب ألوية .

وكان أبو أيوب الغنوي علي أصحاب المساحي والمعاول ، وهو - لعنه اللّه - رمي الحسين عليه السلام بسهم وقع في حلقه المبارك .

وكان محمد بن الأشعث علي الرماة ، وهو ابن أخت أبي بكر ، وقد شارك أبوه في دم أمير المؤمنين عليه السلام ، وسمّت أخته أسماء الإمام الحسن عليه السلام ، وشارك هو نفسه في قتل سيد الشهداء عليه السلام ، وقد بني مسجدا في الكوفة فرحا بقتل سيد الشهداء ، وهو أحد المساجد الأربعة الملعونة .

وكان عمرو بن صبيح الصيداوي علي رماة الحجارة .

وكان منقذ بن مرّة العبدي - قاتل علي الأكبر عليه السلام - رسول الفتح(2) .

خرج هؤلاء جميعا لقتل فلذة كبد فاطمة البتول الزهراء عليهاالسلام ، وشبل عليالمرتضي عليه السلام . . . فدتك شيعتك يا أبا عبد اللّه ، فدتك وفدت غربتك ومظلوميتك ياأبا عبد اللّه .

1- الإرشاد : 2/82 ، بحار الأنوار : 44/380 .

2- انظر بحار الأنوار : 45/4 و44 ، مقتل الحسين عليه السلام : 114 .

فلمّا اجتمعت عساكر الكفر والشقاء في كربلاء كتب ابن زياد الي عمر بن سعد :

إنّي لم أجعل لك عذرا في كثرة الخيل والرجال ، فانظر لا أصبح ولا أمسي إلاّ وخبرك عندي غدوة وعشية(1) .

ابن زياد يأمر بمنع الماء علي الحسين عليه السلام

قال الشيخ المفيد رحمه الله : وورد كتاب ابن زياد في الأثر إلي عمر بن سعد : أن حل بين الحسين وأصحابه وبين الماء ، ولا يذوقوا منه قطرة ، كما صنع بالتقي الزكي عثمان بن عفان .

فبعث عمر بن سعد في الوقت عمرو بن الحجاج في خمسمائة فارس ، فنزلوا علي الشريعة ، وحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء ، ومنعوهم أن يسقوا منه قطرة ، وذلك قبل قتل الحسين عليه السلام بثلاثة أيام .

ونادي عبد اللّه بن حصين الأزدي ، وكان عداده في بجيلة ، قال بأعلي صوته : يا حسين ، ألا تنظرون إلي الماء كأنّه كبد السماء ، واللّه لا تذوقون منه قطرة واحدة حتي

تموتوا عطشا ، فقال الحسين عليه السلام : اللّهم اقتله عطشا ، ولا تغفر له أبدا .

قال حميد بن مسلم : واللّه لعدته في مرضه بعد ذلك ، فواللّه الذي لا إله غيره لقد

رأيته يشرب الماء حتي يبغر ، ثم يقيئه ويصيح : العطش العطش ، ثم يعود ويشرب حتي يبغر ، ثم يقيئه ، ويتلظّي عطشا ، فما زال ذلك دأبه حتي لفظ نفسه(2) .

وروي أنّه رجعت خيل ابن سعد حتي نزلوا علي شاطئ الفرات ، فحالوا بين الحسين وأصحابه وبين الماء ، وأضرّ العطش بالحسين وأصحابه ، فأخذ الحسين عليه السلام فأسا وجاء إلي وراء خيمة النساء ، فخطا في الأرض عدّة خطوات نحوالقبلة ، ثم حفر هناك ، فنبعت له عين من الماء العذب . فشرب الحسين عليه السلاموشربالناس بأجمعهم ، وملئوا أسقيتهم ، ثم غارت العين ، فلم ير لها أثر .

1- بحار الأنوار : 44/386 .

2- بحار الأنوار : 44/389 باب 37 .

وبلغ ذلك ابن زياد ، فأرسل إلي عمر بن سعد : بلغني أن الحسين يحفر الآبار ، ويصيب الماء فيشرب هو وأصحابه ، فانظر إذا ورد عليك كتابي فامنعهم من حفر الآبار ما استطعت ، وضيّق عليهم ولا تدعهم يذوقوا الماء ، فعندها ضيّق عمر بن سعد عليهم غاية التضييق(1) .

العباس يستقي الماء لمعسكر الحسين عليه السلام

فلمّا اشتدّ العطش بالحسين عليه السلام دعا بأخيه العباس عليه السلام ، فضمّ إليه ثلاثين فارسا وعشرين راكبا ، وبعث معه عشرين قربة .

فأقبلوا في جوف الليل حتي دنوا من الفرات ، فقال عمرو بن الحجاج : من أنتم ؟ فقال رجل من أصحاب الحسين عليه السلام يقال له « هلال بن نافع البجلي » : ابن عم لك جئت أشرب من هذا الماء . فقال عمرو : اشرب هنيئا . فقال هلال : ويحك ، تأمرني أن أشرب والحسين بن علي ومن معه يموتون عطشا ؟ ! فقال عمرو - لعنه اللّه - : صدقت ، ولكن أمرنا بأمر لابد أن ننتهي إليه .

فصاح هلال بأصحابه ، فدخلوا الفرات ، وصاح عمرو بالناس ، واقتتلوا قتالاً شديدا ، فكان قوم يقاتلون ، وقوم يملأون ، حتي ملأوها ، ولم يقتل من أصحاب الحسين أحد .

ثم رجع القوم إلي معسكرهم ، فشرب الحسين ومن كان معه ، ولذلك سمي العباس عليه السلام السقاء(2) .

معشر الشيعة ، يظهر من تتبع الأخبار ، وكلمات العلماء الأبرار ، أنّ معسكر الحسين عليه السلام لم يزوّدوا بالماء إلاّ في هاتين المرتين ، وسوي ذلك لم يذوقوا الماء أبدا ،وبقيت تلك الشفاه الذابلات ، والأكباد المحترقات ، في ذلك الحرّ الشديد ، بين الهجير والرمضاء ، حتي سقوا كؤوس الشهادة ، وارتووا من أفواه سيوف الكفار .

1- بحار الأنوار : 44/387 باب 37 .

2- بحار الأنوار : 44/387 باب 37 .

بنفسي شفاها ذابلات من الظمأ

ولم تحظ من ماء الفرات بقطرة

بنفسي عيونا عابرات شواهد

الي الماء منها نظرة بعد نظرة

بنفسي وجوها في التراب تعفّرت

ينفسي جسوما بالعراء تعرّت

بنفسي رؤوسا عاليات علي القنا

الي الشام تهدي بارقات الأسنة

اجتماع الحسين عليه السلام بعمر بن سعد - لعنه اللّه -

ثم أرسل الحسين عليه السلام إلي عمر بن سعد - لعنه اللّه - : إنّي أريد أن أكلمك ، فألقني الليلة بين عسكري وعسكرك ، فخرج إليه ابن سعد في عشرين ، وخرج إليه الحسين في مثل ذلك .

فلمّا التقيا أمر الحسين عليه السلام أصحابه فتنحوا عنه ، وبقي معه أخوه العباس ، وابنه علي الأكبر ، وأمر عمر بن سعد أصحابه فتنحّوا عنه ، وبقي معه ابنه حفص ، وغلام له .

فقال له الحسين عليه السلام : ويلك يا ابن سعد أما تتقي اللّه الذي إليه معادك ؟ أتقاتلني وأنا ابن من علمت ؟ ذر هؤلاء القوم ، وكن معي ، فإنّه أقرب لك إلي اللّه تعالي .

فقال عمر بن سعد : أخاف أن يهدم داري .

فقال الحسين عليه السلام : أنا أبنيها لك .

فقال : أخاف أن تؤذ ضيعتي .

فقال الحسين عليه السلام : أنا أخلف عليك خيرا منها من مالي بالحجاز .

وروي أنّه عليه السلام قال : أعطيك من مالي في البغيبغه ، وهي عين عظيمة في الحجاز دفع معاوية ألف دينار ثمنا لها فلم يبعها الحسين عليه السلام .فقال : لي عيال ، وأخاف عليهم ، ثم سكت(1) ، ولم يجبه إلي شيء ، لأنّه عليه السلامرأي الشقاء والخيانة والطغيان قد استولت علي هذا المنكوس ، فلا تنفعه الموعظة ،

1- قال المؤلف : أي الحسين عليه السلام .

ولا يستمع الي نصيحة ، وليس في قلبه الذي جانب الحقّ ، وختم عليه بالشقاوة ، وغرق في حبّ الرئاسة ، حتي صم وعمي عن سماع نداء الهداية ، ورؤية طريق الحقّ ، فصار مصداقا حقيقيا لقوله : « إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ » .

فانصرف عنه الحسين عليه السلام ، وهو يقول : ما لك ذبحك اللّه علي فراشك عاجلاً ، ولا غفر لك يوم حشرك ، فواللّه إنّي لأرجو أن لا تأكل من برّ العراق إلاّ يسيرا .

فقال ابن سعد : في الشعير كفاية عن البرّ ، مستهزئا بذلك القول(1) .

وكان من معاجز الإمام عليه السلام أن عمر بن سعد قد ابتلي ببلاء منعه من أكل البر حتي انتقل الي الجحيم .

كتاب آخر من عمر بن سعد الي ابن زياد وجوابه

فلمّا رجع الشقي الي مقرّه كتب إلي عبيد اللّه بن زياد : أمّا بعد ، فإنّ اللّه قد أطفأ النائرة ، وجمع الكلمة ، وأصلح أمر الأمّة ، هذا حسين قد أعطاني أن يرجع إلي المكان الذي منه أتي ، أو أن يسير إلي ثغر من الثغور ، فيكون رجلاً من المسلمين ، له ما لهم وعليه ما عليهم ، أو أن يأتي يزيد فيضع يده في يده(2) ، فيري فيما بينه وبينه رأيه ، وفي هذا لك رضي ، وللأمة صلاح .

فلمّا قرأ عبيد اللّه الكتاب قال : هذا كتاب ناصح مشفق علي قومه .

فقام إليه شمر بن ذي الجوشن فقال : أتقبل هذا منه وقد نزل بأرضك ،وأتي جنبك ، واللّه لئن رحل بلادك ولم يضع يده في يدك ليكونن أولي بالقوة ،

1- بحار الأنوار : 44/389 .

2- كذب الخبيث لعنه اللّه علي الحسين عليه السلام ، وقد اعترف بذلك ، واعترف بأنّه يعرف الحسين عليه السلامجيدا وأنّه عليه السلام لن يبايع يزيدا لعنه اللّه حيث سيقول بعد قليل مخاطبا شمرا لعنه اللّه : ما لك ويلك لا قرب اللّه دارك وقبح اللّه ما قدمت به علي واللّه إني لأظنك نهيته عما كتبت به إليه وأفسدت علينا أمرا قد كنا رجونا أن يصلح لا يستسلم واللّه حسين إن نفس أبيه لبين جنبيه .

ولتكونن أولي بالضـعف والعجز ، فلا تعطه هذه المنزلة ، فإنّها من الوهن ، ولكن لينزل علي حكمك ، هو وأصـحابه ، فإن عاقبت فأنت أولي بالعقوبة ، وإن عفوت كان ذلك لك .

فقال ابن زياد : نعم ما رأيت ، الرأي رأيك ، اخرج بهذا الكتاب إلي عمر بن سعد ، فليعرض علي الحسين وأصحابه النزول علي حكمي ، فإن فعلوا ، فليبعث بهم إليّ سلما ، وإن هم أبوا فليقاتلهم ، فإن فعل فاسمع له وأطع ، وإن أبي أن يقاتلهم

فأنت أمير الجيش ، فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه.

وكتب إلي عمر بن سـعد : لم أبعثك إلي الحسين لتكفّ عنه ، ولا لتطاوله ، ولا لتمنّيه السلامة والبقاء ، ولا لتعتذر عنه ، ولا لتكون له عندي شفيعا ، انظر فإن نزل حسـين وأصـحابه علي حكمي واستسلموا ، فابعث بهم إليّ سلما ، وإن أبوا فازحف إليهم حتي تقتلهم ، وتمثّل بهم ، فإنّهم لذلك مسـتحقّون ، فإن قتلت حسـينا فأوطئ الخيل صدره وظهره ، فإنّه عات ظلوم ! ! ولست أري أنّ هذا يضرّ بعد الموت شيئا ، ولكن علي قول قد قلته ، لو قد قتلته لفعلته هذا به .

لعنة اللّه علي هذا الخبيث ، أيّ دم سـفكه الحسين عليه السلام ظلما ؟ أو أيّ موجود ناله من الحسين عليه السلام ظلم ، حتي يقول فيه هذا اللعين هذا القول ؟

لماذا طحنوا أضلاعه بسنابك الخيل ؟

ما الذي فعله الحسين عليه السلام حتي يمثّل به ، ويقطعون يديه ، ويقطعون أذنيه ، ويجدعون أنفه ؟

صدور العلي أمست بعرصة كربلا

ترضّ بركض العاديات صدورها

عطاشا تبل السهم حرّ أوامها

ومن حولها عتبت فراتا نحورها

ثم قال اللعين الخبيث في كتابه الي الكافر العنيد : فإن أنت مضيت لأمرنا فيهجزيناك جزاء السامع المطيع ، وإن أبيت فاعتزل عملنا وجندنا ، وخلّ بين شمر بنذي الجوشن وبين العسكر ، فإنا قد أمرناه بأمرنا ، والسلام .

فأقبل شـمر بن ذي الجوشن بكتاب عبيد اللّه بن زياد إلي عمر بن سـعد ، فلمّا قدم عليه وقرأه قال له عمر : ما لك ويلك ، لا قرّب اللّه دارك ، وقبّح اللّه ما قدمت به عليّ ، واللّه إنّي لأظنّك نهيته عما كتبت به إليه ، وأفسدت علينا أمرا قد كنّا رجونا أن يصـلح ، لا يستسلم واللّه حسين ، إنّ نفس أبيه لبين جنبيه(1) .

فقال له شمر – ابن الزنا – : أخبرني ما أنت صانع ؟ أتمضي لأمر أميرك وتقاتل عدوّه ، وإلاّ فخلّ بيني وبين الجند والعسكر .

قال : لا ، ولا كرامة لك ، ولكن أنا أتولّي ذلك ، فدونك فكن أنت علي الرجالة(2) .

هجوم القوم علي خيام الحسين عليه السلام عصر تاسوعاء واضطراب زينب عليهاالسلام

ونهض عمر بن سـعد إلي الحسـين عليه السـلام عشـية الخميس لتسع مضـين من المحرم ، وأمر بالهجوم علي سـرادق العصمة التي كانت الملائكة تخدمها .

ثم نادي عمر : يا خيل اللّه اركبي وبالجنـة أبشـري ، فركب الناس ، ثم زحف نحوهم بعد العصـر ، والحسـين عليه السـلام جالس أمام بيته محتبئ بسيفه ، إذ خفق برأسه علي ركبتيه ، وسمعت أخته الصيحة ، فدنت من أخيها وقالت : يا أخي أما تسمع هذه الأصوات قد اقتربت .

فرفع الحسين عليه السلام رأسه فقال : إنّي رأيت رسول اللّه الساعة في المنام ، وهو يقول لي : إنّك تروح إلينا عن قريب .

فلطمت أخته وجهها ، ونادت بالويل ، فقال لها الحسين عليه السلام : مهلاً لا تشمتيالقوم بنا ، يا أخت اسكتي رحمك اللّه (3) .

1- الإرشاد : 2/88 ، بحار الأنوار : 44/389 باب 37 .

2- الإرشاد : 2/89 ، بحار الأنوار : 44/391 .

3- اللهوف : 150 ، بحار الأنوار : 44/391 .

العباس يستمهل القوم

قال الشيخ المفيد رحمه الله : فقال له العباس بن علي عليهماالسلام : يا أخي أتاك القوم ، فنهض ثم قال : اركب بنفسي أنت يا أخي حتي تلقاهم ، وتقول لهم : ما لكم ؟ وما بدا لكم ؟ وتسألهم عما جاء بهم ؟

فأتاهم العباس في نحو من عشرين فارسا ، [فيهم زهير بن القين وحبيب بن مظاهر] ، فقال لهم العباس عليه السلام : ما بدا لكم ؟ وما تريدون ؟

قالوا : قد جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم أن تنزلوا علي حكمه أو نناجزكم .

قال : فلا تعجلوا حتي أرجع إلي أبي عبد اللّه ، فأعرض عليه ما ذكرتم . فوقفوا فقالوا القه وأعلمه ، ثم القنا بما يقول لك .

فانصرف العباس راجعا يركض إلي الحسين عليه السلام يخبره الخبر ، ووقف أصحابه يخاطبون القوم ويعظونهم ويكفونهم عن قتال الحسين .

فجاء العباس إلي الحسين عليه السلام وأخبره بما قال القوم ، فقال : ارجع إليهم ، فإن استطعت أن تؤرهم إلي غد ، تدفعهم عنّا العشية لعلنا نصلّي لربّنا الليلة ، وندعوه ونستغفره ، فهو يعلم أنّي كنت قد أحبّ الصلاة له ، وتلاوة كتابه ، وكثرة الدعاء والاستغفار .

فمضي العباس إلي القوم الأشقياء ، وقال لهم : هذا ابن بنت نبيكم يستمهلكم سواد هذه الليلة ، ويقول : إنّها آخر ليلة من عمره ، وهو يريد أن يصلّي فيها لربّه ،

ويودّع عبادة ربّه .

فروي في بعض كتب العلماء : أنّ ابن سعد أبي أن يمهلهم ، فضجّ عليه العسكر وقالوا : واللّه لو أنّهم من الترك والديلم وسألونا مثل ذلك لأجبناهم ، فكيف وهم آل محمد صلي الله عليه و آله(1) ، وقد استمهلوكم للعبادة .

1- اللهوف : 89 .

فلمّا رأي عمر بن سعد ذلك أمر مناديه فنادي : إنّا قد أجلناكم إلي غد ، فإن استسلمتم سرحنا بكم إلي عبيد اللّه بن زياد ، وإن أبيتم فلسنا بتاركيكم ، فانصرف وجمع الحسين عليه السلام أصحابه عند قرب المساء(1) .

« إِنّا لِلّهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ »

1- الإرشاد : 2/90 ، بحار الأنوار : 44/391 .

المجلس الرابع: وقائع ليلة العاشر

اشارة

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه الذي رفع مدارج السعداء ، وأعلي معارج الشهداء ، واختبرهم بضروب الرزايا ، وصنوف الابتلاء ، وارتضاهم بجميل السلوات والعزاء ، وعوّضهم عن الحياة الفانية والنعمة الدانية حياة باقية ونعيما بلا فناء ، فقال : « وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ . » .

والصلاة والسلام علي قدوة خيل الأنبياء ، ونخبة أهل الأرض والسماء ، وأسرته البررة الأصفياء ، وعترته النجباء السعداء .

خصوصا علي سبطه ، وولده الشهيد ، جليل المناقب في البلاء ، والصابر في البأساء والضراء ، قتيل الظماء ، ومحروق الخباء ، مقطّع الأعضاء ، ومحزوز الرأس من القفاء ، مسلوب العمامة والرداء ، مخضّب الشيب من الدماء ، أبي الشهداء ، وأخي الشهداء ، وسيد الشهداء ، وخامس أصحاب الكساء ، أبي عبد اللّه الحسين المظلوم عليه السلام .

وعلي أهل بيته النجباء ، وأصحابه الشهداء ، السالكين مسالك المحبّة والوفاء ، المرتقين أعلي مدارج أرباب الودّ والولاء ، صلاة متّصلة دائمة ، ما ظهر للقمر نور وللشمس ضياء ، ولعنة اللّه علي أعدائهم الأشقياء .

وبعد ، فقد قال اللّه تبارك وتعالي :

« يـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصارَ اللّهِ كَما قالَ عِيسَـي ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوارِيِّينَ مَنْ أَنْصارِي إِلَي اللّهِ قالَ الْحَوارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصارُ اللّهِ فَآمَنَتْ طائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرائِيلَ وَكَفَرَتْ طائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلي عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظاهِرِينَ » .

* * *

نصر اللّه

اعلم ، أنّ اللّه غالب علي أمره ، ولا يعتريه العجز والإحتياج أبـدا ، فهو جلّت قـدرته ، لا يحتاج الي نصـر ناصـر ولا إعانة معين ، بل إنّ كلّ موجود في جنب جلاله وعظمته خاضع حقير ، وكلّ قوة الي جنب قوته وقدرته ضعيفة ذليلة .

وكيف لا يكون كـذلك وهو موجـد كلّ ذي قوة ، وخالق كلّ ذي قـدرة ، وهو الـذي تفيض منه القوة والقدرة والخير والبركة ، فإذا شاء أوجد الف الف عالم في آن واحد ، وإن شاء أعدم مثل ذلك في أقلّ من لمح البصر ، ولا حول ولا قوة إلاّ باللّه له

الحكم وله الأمر .

فلابد أن نحمل دعوة الحقّ القادر المؤمنين الي نصره علي ضرب من التجوّز ، ولابد أن يكون المراد من الاستعمال خلاف الظاهر .

مصاديق نصرة اللّه

فلابد أن يكون إذن نصر اللّه هو نصر المقرّبين منه ، المخصوصين به ، أو نصر دينه وشريعته ، وهي أقرب الأشياء اليه ، ومرجعهما واحد .

ومن هنا يتبيّن بمقتضـي الآيـة الشـريفة : أنّ المؤمنين جميعا مأمورين بنصـر الـدين الإلهي وتأييد الشـريعة الربانية ، والملّة الرحمانية ، بل يسـتفاد منها أنّ ذلك من مقتضـيات الإيمان ولوازمه ، فالواجب علي كلّ فرد من المؤمنين أن يسـعي بمقـدار ما آتاه اللّه من طاقـة في نصـر الدين وأعلاء كلمة الحقّ واليقين ، وترسيخ بناء شريعة

سيد المرسلين ، ودفع أذي الشياطين ، وفساد المفسدين ، وتحريف الضالين والمبطلين ، بيده ولسانه وأركانه .

ويكفي هؤلاء الجماعة أنّ اللّه عبّر عنه في كتابه ب- « أنصار اللّه » أحيانا ، و « جند اللّه » و« حزب اللّه » أحيانا أخري .

وكلّ واحد من الأنبياء والأوصياء والعلماء والصالحين والشهداء قد أدي دوره في نصرة الدين الإلهي .

فقام بعضهم بالسيف والسنان يذبّ عن دين الرحمن ، ويدفع شرور الأشرار عن حمي الإسلام ، ويقاتل أعداء اللّه ورسوله صلي الله عليه و آله ، الذين بذلوا جهدهم في هدم أركان الشريعة.

وقام بعضهم يذبّ عن حريم الدين بحدّ اللسان ، ويقاتل الأعداء بسيوف البيان ، فيقضي عليهم ، ويدمرهم تدميرا .

وانبري بعضهم حاملاً القلم والمداد ، يدفع شبهات المبتدعين ، ويردّ كيد الأعداء والمخالفين ، ويقطع دابر المبطلين .

وهكذا ، ساهم كلّ واحد في إعزاز دين اللّه ، وإعلاء كلمة اللّه ، وانخرط في صفوف حزب اللّه ، وأنت - يا عزيزي القاري ء - حرّك مطايا الهمم ، واسعَ في طريق الشرف والفخر والعزم ، واسلك سبيل هاتيك الأمم ، ولا يفوتك أخذ الموقع في هذا الخندق .

فإن استطعت أن تقاتل الأعداء بالسيف والسنان ، وتجاهد في سبيل اللّه ، فإن قتلت نلت وسام الشهادة ، وإن قتلت فأنت سعيد ، وإن عجزت عن القتال ، فتناول سنان اللسان ، وسيوف البيان ، ودمّر الكفار والأشرار ، لتدخل نفسك في زمرة العلماء الأبرار ، وتحشر مع الذين ابيضت وجوههم عند النبي صلي الله عليه و آله والأئمة الأطهار عليهم السلام .

فإذا كنت محروما من هـذا القدر ، فانصـر من ينصـر دين اللّه باليد واللسان ، وتمني ذلك وقل : يا ليتني كنت معكم فأفوز فوزا عظيما ، كما قال الإمام الرضا عليه السلام للريان بن شبيب :

يا ابن شبيب إن سـرّك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين عليه السلام ، فقل متي ما ذكرته : يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزا عظيما(1) .

وفي حديث آخر عن النبي صلي الله عليه و آله أنّه قال : من ضعف عن نصرتنا أهل البيت ، فلعن في خلواته(2) أعداءنا بلغ اللّه صوته جميع الأملاك ، من الثري إلي العرش ، فكلّما لعن هذا الرجل أعداءنا لعنا ساعدوه ، ولعنوا من يلعنه .

ثم ثنّوا فقالوا : اللّهم صلّ علي عبدك هذا الذي قد بذل ما في وسعه ، ولو قدر علي أكثر منه لفعل .

فإذا النداء من قبل اللّه – عزّ وجلّ – قد أجبت دعاءكم ، وسمعت نداءكم ، وصلّيت علي روحه في الأرواح ، وجعلته عندي من الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيارِ(3) .

أول من نصر دين اللّه

اعلم ، أنّ أول من نصـر دين اللّه ، بيده ولسانه ، وسـبق المجاهدين طرا في بذل نفسه وماله وجاهه ، وقدم كلّ ما عنده في سبيل اللّه هو النبي الأكرم صلي الله عليه و آله ، وقد تحمّل في ذلك الكير من أذي قومه .

لقـد ظلموا النبي صـلي الله عليه و آله ظلما بغير حساب ، وصبر هو علي الأذي في جنب اللّه ، فحاز قصب السـبق علي الممكنات جميعا في جميع المقامات .

1- بحار الأنوار : 44/285 ح23 .

2- ترجمها المؤلف : « في صلواته » .

3- تفسير الإمام عليه السلام : 47 ، بحار الأنوار : 27/222 باب 10 .

ثم من بعـده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السـلام الـذي قضـي عمره ، حاملاً روحه علي كفّه ، يـذبّ عن حياض الدين ، ويصـبّ صواعق العذاب بسيفه علي الكافرين ، ويذيب نفسه في لهيب سيفه الذي بني الدم عليه بنيانا من دماء المشركين ، حتي أحرق جذور الشرك والمشركين ، وأباد عساكر الكفر والملحدين .

ولولا سيفه لما مثل الدين شخصا وقاما ، ولولا ضرباته لما ارتفع لواء الايمان عاليا .

ثم من بعده ولده المظلوم السـموم الحسن الزكي عليه السـلام ، حيث رفع لواء النصـر الإلهي ، وجاهد في سبيل اللّه بماله ونفسه ، وضحّي بوجوده وقـدم نصـرة دين اللّه علي نفسه ، فداري الأعداء ، وصالح المنافقين ، لأنّه علم أن لو لم يفعل ذلك ، لهلكت العصابة الموحدة علي قلّة العدد والعدّة ، وانمحي الدين ، ولم يبق أثر لشريعة سيد المرسلين ، وانطوي بساط التوحيد واليقين ، ولذا ورد في الأخبار :

وَاللَّهِ لَلَّذِي صَنَعَهُ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عليهماالسلام كَانَ خَيْراً لِهَذِهِ الأُمَّةِ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ

الشَّمْسُ(1) .

طغيان أعداء أهل البيت

ولكن أولياء الكفر والضلالة ، لمّا رأوا أولياء الحقّ وأهل التوحيد في قلّة وضعف ، اغتنموا الفرصة ، وبادروا الي ترسيخ دعائم الكفر والطغيان ، وتشييد أساس بنيان الشيطان ، ودعوا الناس الي سنن الجاهلية ، وحملوهم علي الطريقة الشيطانية .

فقطعوا ظلما أيـدي بعضـهم وأرجلهم ، وحبسوا البعض وجلدوهم ، وهددوا البعض وبالوعيد والتهديد بالقتل والسـلب والنهب خوّفوهم ، ورغّبوا البعض بالصفراء والبيضاء واستمالوهم ، ووعدوا بعضا بالمناصب والزعامات ومن الدين أخرجوهم .

1- الكافي : 8/330 ، بحار الأنوار : 44/19 ح3 .

ثم وضعوا الأحاديث الكاذبة ، ونشروها بين الناس ، وأسمعوهم – كذبا وافتراء – مديح بني أمية وأوليائهم ، وافتروا الكذب علي أهل الحقّ ليخرجوهم من قلوب الناس ، ويرسخوا محبّة الشيخين وبني أمية في صدورهم ، ويزرعوا فيها بغض أهل البيت عليهم السلام حتي صار سبّ علي وفاطمة عليهماالسلام من ضروريات التعقيب بعد الصلاة وفي القنوت ، والخطب وبعد الأذان ، وفي كلّ وقت وآن ، بحيث لو نسي أحدهم قضي .

روي بعض العلماء : أنّ خطيبا في مصر سها يوم الجمعة عن سبّ علي بن أبي طالب عليه السلام علي المنبر ، فلمّا فرغ من الصلاة وخرج وصل إلي موضع من الطريق ، فذكر أنّه لم يسبّه ، فوقف وسبّه هناك قضاء لما نسيه ، فبني في الموضع المذكور مسجدا ، وسمي بمسجد الذكر تبركا(1) .

كانوا يقتلون الشيعة علي الظنّة والتهمة ، وكتب معاوية الي عماله كتابا يقول فيه : انظروا من ثبت عندكم أنّه من شيعة علي ، أو أنّه يذكر عليا وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فاقتلوه ، واقتلوهم علي الظنّة والتهمة ، فقتلوا عدّة آلاف بهذه التهمة(2) .

1- الغارات : 2/843 ، فرحة الغري : 24 .

2- في بحار الأنوار : 27/212 ح15 : عن كتاب سليم بن قيس الهلالي قال أبان بن أبي عياش : قال لي أبو جعفر الباقر عليه السلام : ما لقينا أهل البيت من ظلم قريش وتظاهرهم علينا ، وقتلهم إيانا ، وما لقيت شيعتنا ومحبّونا من الناس ، إن رسول اللّه صلي الله عليه و آله قبض وقد قام بحقّنا ، وأمر بطاعتنا ، وفرض ولايتنا ومودّتنا ، وأخبرهم بأنّا أولي بهم من أنفسهم ، وأمر أن يبلغ الشاهد الغائب ، فتظاهروا علي علي عليه السلام ، واحتج عليهم بما قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله فيه ، وما سمعت العامة فقالوا : صدقت قد قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، ولكن قد نسخه ، فقال : إنّا أهل بيت أكرمنا اللّه – عزّ وجلّ – واصطفانا ، ولم يرض لنا بالدنيا ، وإنّ اللّه لا يجمع لنا النبوة والخلافة ، فشهد له بذلك أربعة نفر ، عمر وأبو عبيدة ومعاذ بن جبل وسالم مولي أبي حذيفة ، فشبهوا علي العامة ، وصدقوهم وردوهم علي أدبارهم ، وأخرجوها من معدنها حيث جعلها اللّه ، واحتجوا علي الأنصار بحقّنا ، فعقدوها لأبي بكر ،ثم ردّها أبو بكر علي عمر يكافيه بها ، ثم جعلها عمر شوري بين ستة ، ثم جعلها ابن عوف لعثمان علي أن يردّها عليه ، فغدر به عثمان ، وأظهر ابن عوف كفره ، وطعن في حياته ، وزعم أنّ عثمان سمّه فمات ، ثم قام طلحة والزبير فبايعا عليا عليه السلامطائعين غير مكرهين ، ثم نكثا وغدرا ، وذهبا بعائشة معهما إلي البصرة ، ثم دعا معاوية طغاة أهل الشام إلي الطلب بدم عثمان ، ونصب لنا الحرب ، ثم خالفه أهل حروراء علي أنّ الحكم بكتاب اللّه وسنة نبيه ، فلو كانا حكما بما اشترط عليهما لحكما أنّ عليا أمير المؤنين في كتاب اللّه ، وعلي لسان نبيه صلي الله عليه و آله وفي سنته ، فخالفه أهل النهروان وقاتلوه ، ثم بايعوا الحسن بن علي عليهماالسلام بعد أبيه وعاهدوه ، ثم غدروا به وأسلموه ، ووثبوا به حتي طعنوه بخنجر في فخذه ، وانتهبوا عسكره ، وعالجوا خلاخيل أمهات الأولاد ، فصالح معاوية وحقن دمه ، ودم أهل بيته وشيعته ، وهم قليل حقّ قليل حتي لم يجد أعوانا ، ثم بايع الحسين عليه السلاممن أهل الكوفة ثمانية عشر ألفا ، ثم غدروا به ، فخرجوا إليه فقاتلوه حتي قتل عليه السلام ، ثم لم نزل أهل البيت مذ قبض رسول اللّه صلي الله عليه و آلهنذلّ ونقصي ونحرم ونقتل ونطرد ونخاف علي دمائنا ، وكلّ من يحبّنا ، ووجد الكذابون لكذبهم موضعا ، يتقرّبون إلي أوليائهم وقضاتهم وعمالهم في كلّ بلدة ، يحدّثون عدونا وولاتهم الماضين بالأحاديث الكاذبة الباطلة ، ويحدّثون ويروون عنّا ما لم نقل ، تهجينا منهم لنا ، وكذبا منهم علينا ، وتقرّبا إلي ولاتهم وقضاتهم بالزور والكذب ، وكان عظم ذلك وكثرته في زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام ، فقتلت الشيعة في كلّ بلدة ، وقطعت أيديهم وأرجلهم ، وصلبوهم علي التهمة والظنة ، من ذكر حبّنا والانقطاع إلينا ، ثم لم يزل البلاء الشديد يزداد من زمن ابن زياد بعد قتل الحسين عليه السلام ، ثم جاء

الحجاج ، فقتلهم بكلّ قتلة ، وبكلّ ظنة ، وبكلّ تهمة حتي أن الرجل ليقال له : زنديق ، أو مجوسي ، كان ذلك أحبّ إليه من أن يشار إليه بأنّه من شيعة الحسين عليه السلام ، وربما رأيت الرجل يذكر بالخير ، ولعله أن يكون ورعا صدوقا يحدث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من قد مضي من الولاة لم يخلق اللّه منها شيئا قط ، وهو يحسب أنّها حقّ لكثرة من سمعها منه ممّن لا يعرف بكذب ولا بقلّة ورع ، ويروون عن علي عليه السلام أشياء قبيحة ، وعن الحسن والحسين عليهماالسلام ما يعلم اللّه أنّهم رووا في ذلك الباطل والكذب والزور . قلت له : أصلحك اللّه ، سمّ لي من ذلك شيئا ؟ قال : روايتهم عمر سيد كهول الجنّة ، وإنّ عمر محدّث ، وإنّ الملك يلقنه ، وإنّ السكينة تنطق علي لسانه ، وعثمان الملائكة تستحي منه ، واثبت حري فما عليك إلاّ نبي وصديق وشهيد ، حتي عدد أبو جعفر عليه السلام أكثر من مائتي رواية يحسبون أنّها حقّ ، فقال : هي واللّه كلّها كذب وزور . قلت : أصلحك اللّه لم يكن منها شيء ؟ قال : منها موضوع ، ومنها محرف ، فأمّا المحرّف فإنّما عني أن عليك نبي وصديق وشهيد ، يعني عليا عليه السلام ، ومثله وكيف لا يبارك لك وقد علاك نبي وصديق وشهيد ، يعني عليا اللّهم اجعل قولي علي قول رسول اللّه صلي الله عليه و آله وعلي قول علي عليه السلامما اختلف فيه أمة محمد صلي الله عليه و آلهمن بعده إلي أن يبعث اللّه المهدي عليه السلام . وفي بحار الأنوار : 44/124 ح16 عن الإحتجاج عن سليم بن قيس قال : قدم معاوية بن أبي سفيان حاجا في خلافته ، فاستقبله أهل المدينة ، فنظر فإذا الذين استقبلوه ما منهم إلاّ قرشي ، فلمّا نزل قال : ما فعلت الأنصار ؟ وما بالهم لم يستقبلوني ؟ فقيل له : إنّهم محتاجون ليس لهم دواب ، فقال معاوية : وأين نواضحهم ؟ فقال قيس بن سعد بن عبادة ، وكان سيد الأنصار وابن سيدها : أفنوها يوم بدر وأحد وما بعدهما من مشاهد رسول اللّه صلي الله عليه و آله حين ضربوك وأباك علي الإسلام حتي ظَهَرَ أَمْرُ اللّهِ وأنتم كارهون ، فسكت معاوية ، فقال قيس : أما إنّ رسول اللّه صلي الله عليه و آلهعهد إلينا أنا سنلقي بعده أثرة ، قال معاوية : فما أمركم به ؟ فقال : أمرنا أن نصبر حتي نلقاه ، قال : فاصبروا حتي تلقوه . ثم إنّ معاوية مرّ بحلقة من قريش ، فلمّا رأوه قاموا غير عبد اللّه بن عباس ، فقال له : يا ابن عباس ما منعك من القيام كما قام أصحابك إلاّ لموجدة أنّي قاتلتكم بصفين ، فلا تجد من ذلك يا ابن عباس ، فإن عثمان قتل مظلوما ، قال ابن عباس : فعمر بن الخطاب قد قتل مظلوما ؟ قال : عمر قتله كافر ، قال ابن عباس : فمن قتل عثمان ؟ قال : قتله المسلمون ، قال : فذاك أدحض لحجتك ، قال : فإنا قد كتبنا في الآفاق ننهي عن ذكر مناقب علي وأهل بيته عليهم السلام ، فكف لسانك ، فقال : يا معاوية أتنهانا عن قراءة القرآن ؟ قال : لا ، قال : أفتنهانا عن تأويله ؟ قال : نعم ، قال : فنقرؤ ولا نسأل عما عني اللّه به ؟ ثم قال : فأيّهما أوجب علينا قراءته أو العمل به ؟ قال : العمل به ، قال : كيف نعمل به ولا نعلم ما عني اللّه ؟ قال : سل عن ذلك من يتأوله علي غير ما تتأوله أنت وأهل بيتك ، قال : إنّما أنزل القرآن علي أهل بيتي أنسأل عنه آل أبي سفيان ؟ يا معاوية أتنهانا أن نعبد اللّه بالقرآن بما فيه من حلال وحرام ، فإن لم تسأل الأمّة عن ذلك حتي تعلم تهلك وتختلف ، قال : اقرءوا القرآن وتأوّلوه ولا ترووا شيئا ممّا أنزل اللّه فيكم ، واروا ما سوي ذلك ، قال : فإنّ اللّه يقول في القرآن : يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِؤا نُورَ اللّهِ بِأَفْواهِهِمْ وَيَأْبَي اللّهُ إِلاّ أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ ، قال : يا ابن عباس أربع علي نفسك وكفّ لسانك ، وإن كنت لا بد فاعلا فليكن ذلك سرّا لا يسمعه أحد علانية . ثم رجع إلي بيته ، فبعث إليه بمائة ألف درهم ، ونادي منادي معاوية : أن برئت الذمة ممّن روي حديثا في مناقب علي وفضل أهل بيته . وكان أشدّ الناس بلية أهل الكوفة ، لكثرة من بها من الشيعة ، فاستعمل زياد ابن أبيه ، وضم إليه العراقين الكوفة والبصرة ، فجعل يتتبع الشيعة ، وهو بهم عارف ، يقتلهم تحت كلّ حجر ومدر ، وأخافهم وقطع الأيدي والأرجل ، وصلبهم في جذوع النخل ، وسمل أعينهم ، وطردهم وشردهم ، حتي نفوا عن العراق ، فلم يبق بها أحد معروف مشهور ، فهم بين مقتول أو مصلوب أو محبوس أو طريد أو شريد . وكتب معاوية إلي جميع عماله في الأمصار : أن لا تجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة ، وانظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه ومحبي أهل بيته وأهل ولايته ، والذين يروون فضله ومناقبه ، فادنوا مجالسهم وقربوهم وأكرموهم ، واكتبوا بمن يروي من مناقبه باسمه واسم أبيه وقبيلته ، ففعلوا حتي كثرت الرواية في عثمان وافتعلوها لما كان يبعث إليهم من الصلات والخلع والقطائع من العرب والموالي ، فكثر ذلك في كلّ مصر ، وتنافسوا في الأموال والدنيا ، فليس أحد يجيء من مصر من الأمصار ، فيروي في عثمان منقبة أو فضيلة إلاّ كتب اسمه وقرب وأجيز ، فلبثوا بذلك ما شاء اللّه . ثم كتب إلي عماله أنّ الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كلّ مصر ، فادعوا الناس إلي الرواية في معاوية وفضله وسوابقه

، فإنّ ذلك أحبّ إلينا ، وأقرّ لأعيننا ، وأدحض لحجة أهل هذا البيت ، وأشدّ عليهم . فقرأ كلّ أمير وقاض كتابه علي الناس ، فأخذ الناس في الروايات في فضائل معاوية علي المنبر في كلّ كورة وكلّ مسجد زورا ، وألقوا ذلك إلي معلمي الكتاتيب ، فعلموا ذلك صبيانهم كما يعلمونهم القرآن حتي علموه بناتهم ونساءهم وحشمهم ، فلبثوا بذلك ما شاء اللّه . وكتب زياد ابن أبيه إليه في حقّ الحضرميين أنّهم علي دين علي وعلي رأيه ، فكتب إليه معاوية اقتل كلّ من كان علي دين علي ورأيه ، فقتلهم ، ومثّل بهم ، وكتب معاوية إلي جميع البلدان : انظروا من قامت عليه البينة أنّه يحبّ عليا وأهل بيته ، فامحوه عن الديوان . وكتب كتابا آخر : انظروا من قبلكم من شيعة علي واتهمتموه بحبّه فاقتلوه ، وإن لم تقم عليه البينة ، فقتلوهم علي التهمة والظنة والشبهة تحت كلّ حجر حتي لو كان الرجل تسقط منه كلمة ضربت عنقه ، وحتي كان الرجل يرمي بالزندقة والكفر كان يكرم ويعظم ، ولا يتعرض له بمكروه ، والرجل من الشيعة لا يأمن علي نفسه في بلد من البلدان ، لا سيما الكوفة والبصرة ، حتي لو أنّ أحدا منهم أراد أن يلقي سرّا إلي من يثق به لأتاه في بيته فيخاف خادمه ومملوكه ، فلا يحدّثه إلاّ بعد أن يأخذ عليه الأيمان المغلظة ليكتمن عليه ، ثم لا يزداد الأمر إلاّ شدّة حتي كثر وظهر أحاديثهم الكاذبة ، ونشأ عليه الصبيان يتعلمون ذلك ، وكان أشدّ الناس في ذلك القراء المراءون المتصنعون الذين يظهرون الخشوع والورع ، فكذبوا وانتحلوا الأحاديث وولدوها ، فيحظون بذلك عند الولاة والقضاة ويدنون مجالسهم ويصيبون بذلك الأموال والقطائع والمنازل حتي صارت أحاديثهم ورواياتهم عندهم حقّا وصدقا ، فرووها وقبلوها وتعلموها وعلموها ، وأحبّوا عليها وأبغضوا من ردّها أو شكّ فيها ، فاجتمعت علي ذلك جماعتهم ، وصارت في يد المتنسكين والمتدينين منهم الذين لا يستحلون الافتعال لمثلها ، فقبلوها وهم يرون أنّها حقّ ، ولو علموا بطلانها وتيقنوا أنّها مفتعلة لأعرضوا عن روايتها ، ولم يدينوا بها ، ولم يبغضوا من خالفها ، فصار الحقّ في ذلك الزمان عندهم باطلا والباطل حقّا ، والكذب صدقا والصدق كذبا ، فلمّا مات الحسن بن علي عليهماالسلامازداد البلاء والفتنة ، فلم يبق للّه ولي إلاّ خائف علي نفسه أو مقتول أو طريد أو شريد . . .

وكانوا يبذلون الصلات والأموال والقطائع لمن قال شعرا في هجاء علي وفاطمة عليهماالسلام ، أو في مدح فلان وفلان ، أو في مدح بني أمية .

وكانوا يخلعون الخلع الفاخرة ويعطون الهدايا الجزيلة ، والمناصب العالية لمن يضع حديثا في ذمّ أهل البيت عليهم السلام أو في مدح أعدائهم .

وكانوا يأمرون الكتاتيب بتعليم الصبيان سبّ أمير المؤمنين بعد تعليمهم الشهادتين .

فعلوا هذا حتي رسخت عقيدة الباطل ، فشبّ عليها الصغير وهرم فيها الكبير ، فاختفت معالم الحقّ ، وسبل التوحيد ، وعمّ العالم ظلام الظلم والفسق والكفر ، واندرس الهدي ، وانطمست أعلام الهداية ، حتي وصل الأمر الي قوة شوكة اليهود والنصاري ، فاطلقوا ألسنتهم بالطعن علي المسلمين ، وتشجّع الكفار فاعتبروا أهل الإسلام من أراذل الأنام ، وأضاعوا جهود النبي صلي الله عليه و آله وصحبه الكرام ، التي بذلوها في قلع شوكة الكفر والجاهلية ، وكادت تضحيات علي أمير المؤمنين عليه السلام ومجاهداته تذهب أدراج الرياح ممّا صنع هؤلاء الطغام .

الإمام الحسين عليه السلام ينصر دين اللّه

أمّا سيد الشهداء عليه السلام فإنّه رفع راية المفاخر في عرصات الرجولة والفتوة في ميادين النصرة ، حيث قدم نفسه وأهله وعياله وأولاده وأمواله في نصر دين اللّه ، وجعل صدره شرعة للسهام والرماح ، وجعل من أفواج القساة فراشات تحوم

حوله ، عرض نفسه المقدّسة للبلاء ، واشتري السيوف والرماح بروحه ، حتي حزوا رأسه ، وسبوا عياله ، ورفعوا رأسه علي أطراف الرماح ، وطافوا به في الصحاري والبلدان ، وحملوا نساءه علي النياق بغير وطاء ، وادخلوهن في المجالس الخاصة والعامة .

حتي انفضح أمرهم ، لأنّ الأمر لا يمكن أن يستر ، ولا أن يبرر ، ولا أن يخدعوا الناس به ، كما كانوا يصنعون أيام معاوية ، حيث كانوا يبررون أعماله الشينعة القبيحة ، أو يحملونها علي الخطأ والاشتباه ، فهو مجتهد والمجتهد قد يخطأ ، وخطأ المجتهد مبرر ! ! .

ولكن قتل فلذة كبد الرسول صلي الله عليه و آله الذي كان يقول فيه مرّة بعد مرّة : « حسين مني وأنا من حسين » ، لا يمكن أن يبرر ، أو أن يحمل هذا العمل القبيح الجريمة الكبري علي أنّه اشتباه ، أو أنّه خطأ من سنخ أخطاء المجتهدين ! !

فأيّ مسلم لا يعلم أنّ أطفاله ونساءه مظلومون أبرياء لا ذنب لهم ، بل إنّ مظلومية سيد الشهداء عليه السلام نفسه لا تخفي علي أحد .

فلمّا وقعت هذه الرزية العظمي تنبّه الناس ، وتساءلوا لماذا قتل ريحانة رسول اللّه صلي الله عليه و آله ؟

وإذا كانوا يطالبونه بجريرة ! فلماذا تركوه في العراء ، لم يدفن ، وحملوا رأسه يطوفون به في البلدان ؟ لماذا سبوا عياله ؟ ! لماذا قتلوا أطفاله ؟

وبالجملة ، فإنّهم رأوا العالم يتغيّر ، وآثار الغضب الإلهي تظهر ، ولهذا انتفضوا علي تلك العصابة الملعونة من كلّ جانب ، وعلموا أنّ كلّ ما صنعوه ويصنعونه إنّما هو باطل وإجرام ، فإذا بقوا علي ما هم عليه فمصيرهم الي الهلاك .فثاروا حتي إجتثوا جذور تلك العصابة الظالمة ، وأماطوا بدعهم ، فتنفّس أهل الحقّ ، ورفعوا رؤوسهم من هنا ومن هناك ، فظهرت آثار العلوم والمعارف في الآفاق .

أصحاب الحسين عليه السلام ينصرون دين اللّه

اعلم ، أنّ أصحاب الحسين عليه السلام كان لهم سهم في نصر دين اللّه وتأييد الشريعة الغراء ، فقد أعرضوا عن الدنيا وزهرتها ، وفارقوا الحلائل والأولاد ، وضحوا بالأموال والأنفس في سبيل نصر ابن النبي المصطفي صلي الله عليه و آله ، ولم يولّوا ظهورهم للأعداء ، وقابلوا السيوف والرماح بوجههم ونحورهم .

روي القطب الراوندي رحمه الله بسند معتبر عن الباقر عليه السلام قال : قال الحسين عليه السلام لأصحابه قبل أن يقتل : إنّ رسول اللّه صلي الله عليه و آله قال لي : يا بني إنّك ستساق إلي العراق ، وهي أرض قد التقي بها النبيون وأوصياء النبيين ، وهي أرض تدعي « عمورا » ، وإنّك تستشهد بها ، ويستشهد معك جماعة من أصحابك ، لا يجدون ألم مس الحديد ، وتلا : « قُلْنا يا نارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلي إِبْراهِيمَ » ، يكون الحرب بردا وسلاما عليك وعليهم ، فأبشروا ، فواللّه لئن قتلونا ، فإنّا نرد علي نبينا(1) .

أجل واللّه ضحوا بأرواحهم ، ولم يقصّروا في نصر ابن بنت نبيهم صلي الله عليه و آله ، وأعرضوا عن دنياهم وأزواجهم وأولادهم ، ولم يلتفتوا الي الأمان الذي كان يعطي لهم ، بل لم يلتفتوا الي ما عرضوه عليهم من مال وجاه ، وألقوا بأنفسهم في لهوات المنايا ، وعرضوا أنفسهم لآلاف السيوف والرماح الشارعة في وجوههم ، فلم ينكلوا وهم يعلمون أن لا شيء ينتظرهم سوي القتل .

زهير بن القين ينصر الإمام الحسين عليه السلام

أجل ، إنّما كتبت هذه السعادة لأولئك الأشخاص الذين تنورت بصائرهم بنور العلم واليقين ، وخلعت هذه الخلعة علي أصحاب القلوب الممتحنة ، بل القلوب المطمئنة ، ولم تكتب لأولئك الذين تهيأت لهم فرص الإرتقاء الي

1- الخرائج : 2/848 ح63 ، بحار الأنوار : 45/80 ح6 .

هـذه المنزلة العظمي والمرتبة العليا ، فلم يغتنموا الفرصة لأنّ الدنيا تمكنت من قلوبهم ، وأعماهم حبّها ، فاختاروا الخسـران في هذه الدنيا قبل الآخرة .

روي الشـيخ المفيـد رحمه الله : حـدث جماعـة من فزارة ومن بجيلـة قـالوا : كنّا مع زهير بن القين البجلي حين أقبلنا من مكـة ، وكنّا نساير الحسين(1) عليه السـلام ، فلم يكن شيء أبغض علينا من أن ننازله في منزل ، وإذا سار الحسين عليه السلام ، فنزل في منزل لم نجد بدا من أن ننازله ، فنزل الحسين عليه السلام في جانب ، ونزلنا في جانب .

فبينـا نحن جلوس نتغـذي من طعـام لنا إذ أقبل رسول الحسـين عليه السـلام حتي سـلّم ، ثم دخل فقال : يا زهير بن القين ، إنّ أبا عبـد اللّه الحسين عليه السلام بعثني إليك لتأتيه .

فطرح كـلّ إنسان منّا ما في يـده حتي كأنّما علي رؤوسـنا الطير ، فقالت له إمرأته – وهي ديلم بنت عمرو – : سـبحان اللّه ، أيبعث إليك ابن رسول اللّه ثم لا تأتيه ؟ ! لو أتيته فسمعت كلامه ثم انصرفت .

فأتاه زهير بن القين ، فما لبث أن جاء مستبشـرا قد أشـرق وجهه ، فأمر بفسـطاطه وثقله ومتاعه فقوّض ، وحمل إلي الحسين عليه السلام ، ثم قال لإمرأته : أنت طالق الحقي بأهلك ، فإنّي لا أحبّ أن يصـيبك بسـببي إلاّ خير ، وقـد عزمت علي صـحبة الحسـين عليه السـلام لأفـديه بروحي وأقيه بنفسـي ، ثم أعطاهـا مالها ، وسـلّمها إليبعض بني عمّها ليوصـلها إلي أهلها ، فقامت إليه وبكت وودعته وقالت : خار اللّه لك أسألك أن تذكرني في القيامة عند جدّ الحسين عليه السلام(2) .

1- كيف كان ركب زهير يساير الحسـين عليه السـلام ، وقد عرفنا أنّ الحسين عليه السلام خرج من مكة يوم التروية ، أي في اليوم الثامن من ذي الحجة ، وكان عليه السـلام مجدّا في سـيره ، وكان زهير قد خرج من مكة بعد أداء الحج ، فهو لا يستطيع الخروج قبل اليوم الثالث عشر من ذي الحجة ، فالفاصل بين خروج الحسين عليه السلام المجدّ في السير وخروج زهير خمسة أيام علي الأقل ؟ ! نعم إلاّ أن يقال أن زهيرا كان خارجا أساسا لاسـتقبال الحسـين عليه السلام كما فعل الكثير من أنصاره عليه السلام ، ولنا أكثر من دليل يثبت ذلك وينفي ما اتهم به هذا البطل العظيم من كونه كان عثماني الهوي .

2- الإرشاد : 2/72 ، اللهوف : 133 ، بحار الأنوار : 44/371 .

وقد تقدّم هذا الرجل العظيم مع سعيد بن عبد اللّه الحنفي أمام سيد الشهداء عليه السلام ليصلّي صلاة الظهر والعصر عند الزوال يوم عاشوراء ، فصلّي عليه السلام صلاة الخوف ، فاستقبلوا السهام والنبال بنحورهم وصدورهم حتي سقط سعيد بن عبد اللّه الي الأرض شهيدا(1) .

أمّا زهير بن القين فإنّه جاء الي الإمام فقبّل الأرض بين يديه و إستأذنه في القتال ، وبرز يقاتل بين يدي سيد العرب والعجم عليه السلام وهو يرتجز ويقول :

أنا زهير وأنا ابن القين

أذودكم بالسيف عن حسين

إنّ حسينا أحد السبطين

من عترة البرّ التقي الزين

يا ليت نفسي قسمت قسمين

فحمل علي القوم وقتل منهم مائة ثم قتل ، فقال الحسين عليه السلام حين صرع زهير : لا يبعدك اللّه يا زهير ، ولعن قاتلك لعن الذين مسخوا قردة وخنازير(2) .

يا جبالاً مالت وما كنت أدري

قبل هذا إنّ الجبال تميل

يا سيوفا هزّت بيوم صدام

فرماها من الخطوب أفول

يا غصونا من دوحة المجد بالطف

عراها من الزمان ذبول

يا بحارا للعلم بالطف غارت

فبكاها التنزيل والتأويل

فلهذا لا غرو إن ظلم الشرع

وحار المعقول والمنقول

فلتبكهم عيون المعالي

وليرثهم الفخار والأثيلول

يبكهم التلاوة والذكر

ويبكي التسبيح والتهليل

وبيوم النزال يبكيهم الخيل

وتبكي سمر القنا والنصول

وبيوم النوال يبكيهم الوفد

ويبكي المعروف والتفضيل

ص: 146

1- انظر بحار الأنوار : 45/21 .

2- بحار الأنوار : 45/25 .

بعض خصائص أنصار الإمام الحسين عليه السلام

اعلم ، أنّ الأصحاب الكرام كانوا من العظماء والعلماء والزهاد والعرفاء والعبّاد ، وكان بعضهم من كبار أصحاب الإمام أمير المؤمنين والإمام الحسن عليهماالسلام ، وكان بعضهم ممّن قاتل الكفار والأشرار بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام ، وكانوا معروفين بالشجاعة والرجولة .

إنّهم كانوا من الأبطال ، لم تغرّهم الدنيا ، ولا استهواهم الطمع والمال والجاه ، فلم

يقصّروا في نصرة ابن نبيهم صلي الله عليه و آله ، بل إنّهم عرفوا الدنيا علي حقيقتها ، فلم يختاروها علي رضا اللّه .

كانت قلوبهم عامرة بحبّ أمير المؤمنين وأبنائه الطاهرين عليهم السلام ، وجدوا حلاوة الدنيا بدونهم مرارة لا تستساغ ، وراحة الدنيا بدون ولاية مولاهم محنة وشجي .

أما سمعت أنّ معاوية اللعين كان يسعي الي شراء ذمم الشيعة ، وتحويل قلوبهم عن محبّة أمير المؤمنين عليه السلام ، فكان يرسل اليهم بالهدايا والعطايا والتحف .

فأرسل الي أبي الأسود الدؤلي حلوي فرأت ابنته – وكان عمرها خمس أو ست سنوات – بين يدي أبيها خبيصا ، فقالت : يا أبه أطعمني ، فقال : افتحي فاك ، ففتحت ، فوضع فيه مثل اللوزة ، ثم قال لها : عليك بالتمر ، فهو أنفع وأشبع . فقالت :

هذا أنفع وأنجع ؟ فقال : هذا الطعام بعث به إلينا معاوية ، يخدعنا به عن حبّ علي بن

أبي طالب عليه السلام .

فقالت : قبّحه اللّه ، يخدعنا عن السيد المطهر بالشهد المزعفر ، تبّا لمرسله وآكله ، ثم عالجت نفسها وقاءت ما أكلت منه ، وأنشأت تقول باكية :

أبالشهد المزعفر يا ابن هند

نبيع إليك إسلاما ودينا

فلا واللّه ليس يكون هذا

ومولانا أمير المؤنينا(1)

1- الأربعون حديثا لمنتجب الدين بن بابويه : 81 .

أجل ، هكـذا هم الشـيعة والموالون ، عجنت طينتهم بولايـة أهل البيت عليهم السـلام ، ولهـذا بـذل أصـحاب الحسـين عليه السـلام عن أرواحهم وأمواله وأولادهم وعيالهم ، وأعرضوا عن الدنيا وزهرتها ، ولكنهم لم يتخلّوا عن نصـرة مولاهم ، بل كانوا يتمنون أن يقتلوا ثم يحيوا ثم يقتلوا ، ويفعل بهم ذلك ألف مرّة ليدافعوا عن إمامهم وسيدهم .

وهذه الخلعة فصّلت لهم منذ الأزل ، فكانت سابغة عليهم ، وكأنّ هذه السعادة كتبت لهم منذ ذلك اليوم ، كما ورد في الخبر : أنّ أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام كانوا يعرفون أصحاب الحسين عليه السلام ومن يرزق الشهادة منهم بين يديه .

بـل إنّهم أنفسـهم كانوا يعلمون ذلك وهو ممّا أخبرهم به الحسـين عليه السـلام ، فقـد روي عن أبي عبـد اللّه الصادق عليه السـلام قال : إنّ الحسين بن علي عليهماالسلام قال لأصحابه يوم أصيبوا : أشهد أنّه قد أذن في قتلكم ، فاتقوا اللّه واصبروا(1) .

بل إنّهم كانوا يعلمون ذلك قبل يوم الواقعة ، وكانوا ينتظرون هذا اليوم ، فقد روي الشيخ الكشي رحمه الله عن فضيل بن الزبير قال : مرّ ميثم التمار علي فرس له ، فاستقبل حبيب بن مظاهر الأسدي عند مجلس بني أسد ، فتحدّثا حتي اختلفت أعناق فرسيهما .

ثم قال حبيب : لكأنّي بشيخ أصلع ، ضخم البطن ، يبيع البطيخ عند دار الرزق ، قد صلب في حبّ أهل بيت نبيه عليهم السلام ، ويبقر بطنه علي الخشبة .

فقال ميثم : وإنّي لأعرف رجلاً أحمر ، له ضفيرتان ، يخرج لنصرة ابن بنت نبيه ،ويقتل ويجال برأسه بالكوفة . ثم افترقا ، فقال أهل المجلس : ما رأينا أحدا أكذبمن هذين !

قال : فلم يفترق أهل المجلس حتي أقبل رشـيد الهجري فطلبهما ، فسأل أهل المجلس عنهما ، فقالوا : افترقا ، وسمعناهما يقولان كذا وكذا !

1- كامل الزيارات : 152 ح185 ، بحار الأنوار : 45/86 ح19 .

فقال رشيد : رحم اللّه ميثما نسي : ويزاد في عطاء الذي يجيء بالرأس مائة درهم ، ثم أدبر .

فقال القوم : هذا واللّه أكذبهم ، فقال القوم : واللّه ما ذهبت الأيام والليالي حتي رأيناه مصلوبا علي باب دار عمرو بن حريث ، وجيء برأس حبيب بن مظاهر ، وقد قتل مع الحسين عليه السلام ، ورأينا كلّ ما قالوا .

وكان حبيب من السبعين الرجال الذين نصروا الحسين عليه السلام ، ولقوا جبال الحديد ، واستقبلوا الرماح بصدورهم ، والسيوف بوجوههم ، وهم يعرض عليهم الأمان والأموال ، فيأبون فيقولون : لا عذر لنا عند رسول اللّه إن قتل الحسين ومنّا

عين تطرف ، حتي قتلوا حوله(1) .

إنّهم جماعة كانت راسخة القدم في محبّة اللّه ورسوله ، وقد شربت شهد المحبّة والولاية ، فلم تكن محبّتهم مثل محبّة الآخرين ، إن هي إلاّ مجرد دعوي لا حقيقة لها ، وإدعاء المحبّة متيسر في كلّ آن ، ولكن الأوفياء يعرفون عند الإمتحان .

وإنّما تعرف المحبّة الحقيقية وتنكشف حينما يسقي المحبّ كؤوس المنية فينتشي بها ، ويلقي في أتون البلايا والمحن فلا تسمع له صوتا ، ويتجرّع آلاف الغصص ويرتاح لراح العناء .

روي القطب الراوندي عن سيد الساجدين عليه السلام قال : كنت مع أبي في الليلة التي قتل في صبيحتها ، فقال لأصحابه : هذا الليل فاتخذوه جنّة ، فإنّ القوم إنّما يريدونني ، ولو قتلوني لم يلتفتوا إليكم ، وأنتم في حلّ وسعة .فقالوا : واللّه لا يكون هذا أبدا .

فقال : إنّكم تقتلون غدا كلّكم ، ولا يفلت منكم رجل .

قالوا : الحمد للّه الذي شرفنا بالقتل معك .

1- رجال الكشي : 78 رقم 133 ، بحار الأنوار : 45/92 ح33 .

ثم دعا ، فقال لهم : ارفعوا رؤوسكم وانظروا ، فجعلوا ينظرون إلي مواضعهم ومنازلهم من الجنّة ، وهو يقول لهم : هذا منزلك يا فلان .

فكان الرجل يستقبل الرماح والسيوف بصدره ووجهه ليصل إلي منزلته من الجنّة(1) .

هكذا هم المحبّون ، يعدّون القتل في سبيل المحبوب شرفا ، ويعدّون التضحية بالروح في طريق المحبوب هدفا وغاية ، وكأنّهم ينادون : لو قرّضتني بالمقاريض ما أردت إلاّ حبّك(2) .

إنّهم علموا أنّهم لا يصلون الي مقام القرب إلاّ بالإعراض عن المال والعيال ، وأنّهم لا ينالون النظرة الإلهية الخاصة ، والرحمة والرضوان إلاّ ببذل الأرواح ، ولهذا

أعرضوا عن أيام الدنيا المعدودة واختاروا الخلود : « إِنَّ اللّهَ اشْتَرِي مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ » .

ويستفاد من الحديث المذكور آنفا وغيره : أنّ هؤلاء الأوفياء إنّما ضحّوا بأرواحهم حبّا وشوقا لشدّة إيمانهم ، وعمق حبّهم ، لا طمعا في الجنان والحور والولدان ، ضحّوا من أجل رضوان الرحمان ، ورضا نبي آخر الزمان صلي الله عليه و آله ، « ليس

للجنة شغل معنا ، ولا للنار سبيل الينا ، لأنّه ليس في قلبنا إلاّ السرور » « وَرِضْوانٌ

مِنَ اللّهِ أَكْبَرُ » .من مثل هؤلاء الأبطال وطي ء عرصات الحبّ ؟ ومن مثلهم شرب رحيق المحبّةوالوفاء حتي أعرضوا عن أنفسهم وأنانياتهم أعرضا كاملاً ؟

أما سمعت قصة العابس بن شبيب ، وهو من أولئك السعداء الشجعان ، وكان معروفا بالشجاعة والإقدام .

1- الخرائج والجرائح : 2/847 ، بحار الأنوار : 44/298 باب 35 .

2- في مدينة المعاجز : 2/71 ح404 : قال أمير المؤمنين عليه السلام : يا أصبغ ، أما علمت أنّ لنا محبّين لو سمّرنا أعينهم بالمسامير ، وقرّضنا لحومهم بالمقاريض ، ونشرناهم بالمناشير ما ازدادوا لنا إلاّ حبّا .

قال ربيع بن تميم : فلمّا رأيته مقبلاً عرفته ، وقد كنت شاهدته في المغازي ، وكان أشجع الناس ، فقلت : أيّها الناس ، هذا أسد الأسود ، هذا ابن أبي شبيب ، لا يخرجن إليه أحد منكم .

فأخذ ينادي : ألا رجل ، ألا رجل .

فقال عمر بن سعد : ارضخوه بالحجارة من كلّ جانب ، فلمّا رأي ذلك ألقي درعه ومغفره ، ثم شدّ علي الناس ، وألقي نفسه في لهوات الموت ، وعرّض نفسه الي آلاف السيوف والرماح والنبال ، سوي الحجارة التي رضخوه بها .

قال الراوي : فواللّه لقد رأيته يطرد أكثر من مائتين من الناس ، ثم إنّهم تعطّفوا عليه من كلّ جانب ، فقتل .

فرأيت رأسه في أيدي رجال ذوي عدّة ، هذا يقول : أنا قتلته ، والآخر يقول كذلك ، فقال عمر بن سعد : لا تختصموا ، هذا لم يقتله إنسان واحد ، حتي فرّق بينهم بهذا القول(1) .

يلقي الرماح بنحره فكأنّما

في قلبه عود من الريحان

ويري السيوف وصوت رقع حديدها

عرسا تجلّيها عليه غواني

أجل ، جاهدوا في اللّه ، وشربوا رحيق الشهادة ، فترمّلوا بدمائهم ، وسقطوا الي الأرض شهداء كرام .

« آه ، آه ، فكم من أكباد محروقة بالظماء ، وأجساد مرملة بالدماء ، وكم من كريمعلي السنان ، وشريف بسام الخسف والهوان .

فوا أسفاه ! علي تلك الأفواه اليابسة من الظماء ، والشيبات المخضوبة من الدماء .

وا حرّ قلباه ، علي تلك الجثث العاريات ، والأبدان المطروحة في الفلوات » .

1- بحار الأنوار : 45/28 بقية الباب 37 .

بنفسي رؤوسا ساميات علي القنا

كمثل بدور وافقتها سعودها

بنفسي نحورا داميات علي الثري

تأرج من جاري دماها صعيدها

مخضبة بالدم منها جباهها

فيا طالما للّه طال سجودها

بنفسي جسوم تركض الخيل فوقها

كأن لم يطل من فوقهن صعودها

ملابسها ما بين أغبر قائم

وأحمر قان قد كساه شديدها

تجرّ عليه الناشرات ذبولها

وحراسها وحش الفلا وأسودها

بنفسي نساء كانت الرشمس لا تري

لهن وجوها ثم تدمي خدودها

لهن مقاليد السياط مقانع

وأما قيود القوم فهي عقودها

فمن مبلغ بنت النبي بناتها

تسبّ وتسبي ثم تلحي جدودها

تجاذب أعداها الستور حواسرا

يرقّ لها من ظالميها حقودها

وإنّ بنيها للسيوف ضيافة

علي رغمها فوق الرغام رقودها

ورؤوسهم فوق الرماح مشالة

بأيدي بني صخر بن حرب تميدها

وأنّ ابنها السجاد يقاد صاغرا !

حقيرا ! ! أسيرا أثخنته قيودها

أنصار الإمام الحسين عليه السلام في ميدان الإمتحان

أجل ، إنّ هؤلاء السعداء ضحوا بأنفسهم ، وقدّموا أرواحهم ، ولكنهم وصلوا الي الخلود ، ونالوا السعادة الأبدية في الدارين ، وسارعوا الي حضيرة القدس ، وتبوؤا مقاعدهم في منازل « حزب اللّه » و« جند اللّه » و« أنصار اللّه » ، وغبطهم

جميع الشهداء الي يوم القيامة ، وخوطبوا بخطاب « بأبي أنتم وأمي » ، و« ذلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ » .لا تظنّ أنّ هذا الأمر ميسر لكلّ من أراد أن يقتحم هذا الميدان ، ويدعي هذه الدعوي دون دليل أو برهان ، فما أكثر الإدعاءات وأكذب الدعاوي ، فالذين يكتفون بالبحث والنقاش في هذا الخضم ، فإنّهم يبقون عطاشي وهم

علي الساحل ، وما أكثر السالكين دروب المحبّة إلاّ أنّهم لما استروحوا رائحة البلاء قادمة – والبلاء من لوازم المحبّة والولاء – « لِيَمِيزَ اللّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ » وجدتهم يتفرّقون ، وفي دروب الجفاء عن اليمين والشمال يفرّون .

روي في تفسير الإمام العسكري عليه السلام قال عليه السلام : ولمّا امتحن الحسين عليه السلام ومن معه بالعسكر الذين قتلوه ، وحملوا رأسه ، قال لعسكره : أنتم من بيعتي في حلّ ، فألحقوا بعشائركم ومواليكم . وقال لأهل بيته : قد جعلتكم في حلّ من مفارقتي ، فإنّكم لا تطيقونهم لتضاعف إعدادهم وقواهم ، وما المقصود غيري ، فدعوني والقوم ، فإنّ اللّه – عزّ وجلّ – يعينني ولا يخلّيني من حسن نظره ، كعادته في أسلافنا الطيبين .

فأمّا عسكره ففارقوه ، وأمّا أهله والأدنون من أقربائه فأبوا ، وقالوا : لا نفارقك ، ويحلّ بنا ما يحلّ بك ، ويحزننا ما يحزنك ، ويصيبنا ما يصيبك ، وإنّا أقرب

ما نكون إلي اللّه إذا كنّا معك .

فقال لهم : فإن كنتم قد وطنتم أنفسكم علي ما وطنت نفسي عليه ، فاعلموا أنّ اللّه إنّما يهب المنازل الشريفة لعباده لصبرهم باحتمال المكاره . وإنّ اللّه وإن كان خصّني مع من مضي من أهلي الذين أنا آخرهم بقاء في الدنيا من الكرامات بما يسهل معها علي احتمال الكريهات ، فإنّ لكم شطر ذلك من كرامات اللّه تعالي .

واعلموا أنّ الدنيا حلوها ومرّها حلم ، والانتباه في الآخرة ، والفائز من فاز فيها ، والشقي من شقي فيها . . (1) .

ليلة العاشر برواية السيدة سكينة عليهاالسلام

روي عن كتاب « نور العيون » عن سكينة بنت الحسين عليه السلام قالت : إنّها كانت ليلة مقمرة ، وكنت جالسة في الفسطاط ، فاذا سمعت صوت البكاء من خلف

1- تفسير الإمام العسكري عليه السلام : 218 ، بحار الأنوار : 45/90 ح29 .

الفسـطاط ، فسـكتُّ خوفا من اطّلاع الأخوات وسائر النّسوة ، فخرجت وقلبي لا يشـهد بالخير ، وكنت أمشـي وأضـرب قـدمي علي ذيلي ، وأسقط وأقوم ، فرأيت أبي جالساً ، وأصحابه حوله ، فسمعت أبي يقول لهم :

أنتم جئتم معي لعلمكم بأنّي أذهب الي جماعـة بايعوني قلباً ولساناً ، والآن تجـدونهم قـد اسـتحوذ عليهم الشّـيطان ، ونسوا اللّه ، والآن لم يكن لهم مقصد سوي قتلي ، وقتل من يجاهد بين يديّ ، وسبي حريمي بعد سلبهم ، وأخاف أن لا تعلموا ذلك ، وتعلموا ولا تتفرّقوا للحياء منّي ، ويحرم المكر والخدعـة عندنا أهل البيت عليهم السـلام ، فكلّ من يكره نصـرتنا فليذهب في هذه اللّيلة السّاترة ، ومن نصـرنا بنفسه ، فيكون معنا في الدّرجات العالية من الجنان .

فقد أخبرني جدّي وقال : إنّ ولدي الحسـين عليه السلام يقتل بطفّ كربلا غريباً وحيداً عطشاناً ، فمن نصره فقد نصرني ، ونصر ولده القائم ، ومن نصرنا بلسانه ، فإنّه في حزبنا في القيامة .

قالت سكينة : واللّه ما أتمّ كلامه إلاّ وتفرّق القوم من نحو عشرة وعشرين ، فلم يَبْقَ معه إلاّ ما ينقص عن الثّمانين ، ويزيد عن السّبعين .

فنظرت الي ابي فوجـدته قد نكس رأسه في حزن وكرب ، فلمّا رأيت ذلك فخنقتني العبرة ، فرددتها ولزمت السّـكوت ، وتوجّهت الي السّـماء وقلت : اللّهمّ إنّهم

خـذلونا فاخـذلهم ، ولاـ تجب دعائهم ، ولا تجعل لهم في الأرض مسـكناً ، وسـلّط عليهم الفقر ، ولا تنلهم شـفاعة جـدّي .فرجعت الي الفسـطاط وتنهمل دموعي ، فنظرت عمّتي أمّ كلثوم إليّ فقالت : ما لك ؟ فقصـصت القصّة لها ، فلمّا سمعت ذلك فنادت : وا جدّاه وا عليّاه وا حسناه وا حسيناه ، وا قلّة ناصراه ، ولا أدري كيف لنا المخلص من أيدي الأعادي ، وليت الأعادي يرضون أن يقتلونا بدلاً عن أخي .

فاجتمعت النّساء من بكائها فبكين ، وسمع أبي بكائهنّ ، فخرج من الفسطاط باكيا ، فدخل علي فسطاطهنّ ، فقال : ما هذا البكاء ؟ فقرّبت عمّتي وقالت : يا أخي ، رُدّنا الي حرم جدّنا .

فقال : كيف لي ذلك مع كثرة الأعادي .

فقالت : أجل ، ذكّرهم محلّ جدّك وأبيك وجدّتك وأخيك .

فقال : ذكرتهم فلم يذكروا واوعظتهم فلم يتّعظوا ، ولم يسمعوا قولي ، وليس لهم رأيٌ سوي قتلي ، ولا بدّ أن تروني علي الثّري جديلاً ، ولكن أوصيكم بالصّبر والتّقوي ، وذلك أخبر به جدّكم ، ولا خُلف لوعده ، وأسلمكم علي من لو هتك السّتر لم يستره أحد(1) .

ليلة العاشر برواية الإمام السجاد عليه السلام

في رواية الشيخ المفيد رحمه الله والسيد ابن طاووس رحمه الله : لما كانت ليلة العاشر جمع الحسين عليه السلام أصحابه الكرام وخطب فيهم ، قال علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام : فدنوت منه لأسمع ما يقول لهم ، وأنا إذ ذاك مريض ، فسمعت أبي يقول لأصحابه :

أثني علي اللّه أحسن الثناء ، وأحمده علي السراء والضراء ، اللّهم إنّي أحمدك علي أن أكرمتنا بالنبوة ، وعلّمتنا القرآن ، وفقهتنا في الدين ، وجعلت لنا أسماعا وأبصارا

وأفئدة ، فاجعلنا من الشاكرين .

أمّا بعد ، فإنّي لا أعلم أصحابا أوفي ولا خيرا من أصحابي ، ولا أهل بيت أبروأوصل من أهل بيتي ، فجزاكم اللّه عنّي خيرا ، ألا وإنّي لأظن يوما لنا من هؤاء ، ألاّ وإنّي قد أذنت لكم ، فانطلقوا جميعا في حلّ ، ليس عليكم حرج منّي ولا ذمام ، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا ، وليأخذ كلّ رجل منكم بيد رجل من أهل بيتي ، وتفرّقوا في سواد هذا الليل ، وذروني وهؤلاء القوم ، فإنّهم لا يريدون غيري .

1- الدمعة الساكبة : 4/271 نقلا عن نور العيون .

بنو هاشم يعلنون الوفاء

فقال له إخوته وأبناؤ وبنو أخيه وابنا عبـد اللّه بن جعفر – وهم بنو أخته – : لم نفعل ذلك ؟ لنبقي بعـدك ؟ لا أرانا اللّه ذلك أبـدا ، بدأهم بهذا القول العباس بن علي

وأتبعته الجماعة عليه ، فتكلموا بمثله ونحوه .

فقال الحسين عليه السلام : يا بني عقيل ، حسبكم من القتل بمسلم بن عقيل ، فاذهبوا أنتم فقد أذنت لكم .

فقـالوا – وفي روايـة ابن بابويه : قال عبـد اللّه بن مسـلم – : سـبحان اللّه ما يقول الناس ؟ نقول : إنّا تركنا شـيخنا وسـيدنا وبني عمومتنا خير الأعمام ، ولم نرم معهم بسـهم ، ولم نطعن معهم برمـح ، ولم نضـرب معهم بسـيف ، ولا ندري ما صـنعوا ، لا واللّه ما نفعل ذلك ، ولكن نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلنا ، ونقاتل معك حتي نرد موردك ، فقبّح اللّه العيش بعدك .

الأنصار يعلنون الوفاء

وقـام إليه مسـلم بن عوسـجة فقـال : أنحن نخلّي عنـك ؟ ! وبما نعتـذر إلي اللّه في أداء حقّك ؟ لا واللّه حتي أطعن في صـدورهم برمحي ، وأضـربهم بسيفي ما ثبت قائمه في يدي ، ولو لـم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة ، واللّه لا نخلّيك حتي يعلم اللّه أنا قد حفظنا غيبة رسول اللّه فيك .

أمـا واللّه لو علمت أنّي أقتـل ، ثم أحيـا ، ثم أحرق ، ثم أحيـا ، ثم أذري ، يفعـل ذلك بي سـبعين مرّة ما فارقتك حتي ألقي حمامي دونك ، فكيف لا أفعل ذلك وإنّما هيقتلة واحدة ، ثم هي الكرامة التي لا انقضاء لها أبدا .

وقام زهير بن القين فقال : واللّه لوددت أنّي قتلت ، ثم نشـرت ، ثم قتلت حتي أقتل هكـذا ألف مرّة ، وإنّ اللّه يدفع بذلك القتل عن نفسك ، وعن أنفس هؤاء الفتيان من إخوتك وأهل بيتك .

وقام برير بن خضير فقال : واللّه يا ابن رسول اللّه ، لقد منّ اللّه بك علينا أن نقاتل بين يديك ، فيقطع فيك أعضاؤا ، ثم يكون جدّك شفيعنا يوم القيامة(1) .

وتكلّم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضا في وجه واحد ، فجزاهم الحسين عليه السلام خيرا ، وانصرف إلي مضربه .

وقال السيد ابن طاووس : وقيل لمحمد بن بشر الحضرمي في تلك الحال : قد أسر ابنك بثغر الري ، فقال : عند اللّه أحتسبه ونفسي ، ما أحبّ أن يؤر وأنا أبقي بعده .

فسمع الحسين عليه السلام قوله ، فقال : رحمك اللّه ، أنت في حلّ من بيعتي ، فاعمل في فكاك ابنك ، فقال : أكلتني السباع حيّا إن فارقتك .

قال : فأعط ابنك هذه الأثواب البرود يستعين بها في فداء أخيه ، فأعطاه خمسة أثواب ، قيمتها ألف دينار(2) .

تتمة رواية الإمام السجاد عليه السلام

روي الشيخ المفيد رحمه الله : قال الإمام سيد الساجدين عليه السلام : ثم خرج الحسين عليه السلامإلي أصحابه ، فأمرهم أن يقرّب بعضهم بيوتهم من بعض ، وأن يدخلوا الأطناب بعضها في بعض ، وأن يكونوا بين البيوت ، فيستقبلون القوم من وجه واحد ، والبيوت من ورائهم ، وعن أيمانهم ، وعن شمائلهم ، قد حفّت بهم إلاّ الوجه الذييأتيهم منه عدوهم(3) .

ثم إنّ الحسين عليه السلام أمر بحفيرة فحفرت حول عسكره شبه الخندق ، وأمر فحشيت حطبا ، وأرسل عليا ابنه عليهماالسلام في ثلاثين فارسا وعشرين راجلاً ليستقوا الماء .

1- بحار الأنوار : 44/381 باب 37 .

2- الإرشاد : 2/91 ، أمالي الشيخ الصدوق : 220 المجلس 30 ، اللهوف : 153 ، بحار الأنوار : 44/393 .

3- الإرشاد : 2/93 ، بحار الأنوار : 45/2 بقية الباب 37 .

ثم قال لأصحابه : قوموا فاشربوا من الماء ، يكن آخر زادكم وتوضئوا ، واغتسلوا ، واغسلوا ثيابكم لتكون أكفانكم(1) .

آه ، آه ، ماذا أقول ؟ هذه الثياب التي جعلوها أكفانا لهم ، تمزقت وتقطعت قطعا يوم عاشوراء من أثر السهام وضربات السيوف وطعنات الرماح ، وترملت بالدماء الزاكيات ، ومع ذلك لم يتركها الأعداء علي أبدانهم الشريفة ، وسلبوها منهم ، وتركوهم علي الرمضاء تسفي عليهم الذاريات ، تصهرهم حرارة الشمس .

بأبي الجسوم العاريات علي الثري

ما سترها إلاّ مثار غبار

بأبي الجسوم الضايعات وحيدة

ما أنسها إلاّ وحوش قفار

سعادة جماعة ليلة العاشر بإلتحاقهم بمعسكر الحسين عليه السلام

وبات الحسين عليه السلام وأصحابه تلك الليلة ، ولهم دوي كدوي النحل ، ما بين راكع وساجد ، وقائم وقاعد .

فتنبّه جماعة من معسكر الأعداء الي ذلك ، فقالوا : كيف نقاتل هؤلاء ؟

قال السيد ابن طاووس رحمه الله : فعبر إليهم في تلك الليلة من عسكر عمر بن سعد اثنان وثلاثون رجلاً(2) .

ليلة العاشر ليلة العبادة والمناجاة

ورجع الإمام الحسين عليه السلام إلي فسطاطه ، فقام ليلته كلّها يصلّي ويدعوويتضرّع ويناجي ربّه(3) ، ويستغرق في بحار العبادة والعبودية للّه ، ويخرج أحيانا ليتابع شؤون الحرب ، والإعداد لها ، ويدخل أحيانا أخري ليواسي الأطفال ويهدأ روعهم .

1- الأمالي للصدوق : 154 المجلس 30 ، بحار الأنوار : 44/315 باب 37 .

2- اللهوف : 91 ، بحار الأنوار : 44/393 باب 37 .

3- بحار الأنوار : 45/2 بقية الباب 37 .

ليلة ما أشدّها علي مخدرات أهل البيت ، ليلة لم تذق فيها بنات الرسالة ، نساءا وأطفالاً ، سوي الإضطراب والوجل والخوف والترقّب ، فمرّة يبكين علي غربة سيد الغرباء ، وسلطان المظلومين ، ومرّة يفكرن في ما سيجري عليهن غدا من الأسر والسبي والنهب ، أقسم باللّه إنّها ليلة مرّت عليهم بما لم تمرّ به ليلة علي أحد من العالمين .

لا أقمرت ليلة صارت صبيحتها

بدور آل رسول اللّه في خسف

لا أشرقت شمس يوم صار في غده

شموس آل رسول اللّه في كسف

ليلة العاشر آخر ليلة من عمر الإمام الحسين عليه السلام

قال علي بن الحسين عليهماالسلام : إنّي جالس في تلك الليلة التي قتل أبي في صبيحتها ، وعندي عمّتي زينب تمرّضني ، إذ اعتزل أبي في خباء له ، وعنده فلان مولي أبي ذر الغفاري ، وهو يعالج سيفه ويصلحه ، وأبي يقول :

يا دهر أفّ لك من خليل

كم لك بالإشراق والأصيل

من صاحب وطالب قتيل

والدهر لا يقنع بالبديل

وإنّما الأمر إلي الجليل

وكلّ حيّ سالك سبيلي

فأعادها مرّتين أو ثلاثا حتي فهمتها ، وعلمت ما أراد ، فخنقتني العبرة ، فرددتها ولزمت السكوت ، وعلمت أنّ البلاء قد نزل .

وأمّا عمّتي فلمّا سمعت ما سمعت ، وهي امرأة ، ومن شأن النساء الرقّة والجزع ،فلم تملك نفسها أن وثبت تجرّ ثوبها ، وهي حاسرة ، حتي انتهت إليه وقالت : وا ثكلاه ، ليت الموت أعدمني الحياة ، اليوم ماتت أمي فاطمة ، وأبي علي ، وأخي الحسن ، يا خليفة الماضي ، وثمال الباقي .

فنظر إليها الحسين عليه السلام وقال لها : يا أخته ، لا يذهبن حلمك الشيطان ، وترقرقت عيناه بالدموع ، وقال : لو ترك القطا ليلاً لنام .

فقالت : يا ويلتاه ، أفتغتصب نفسك اغتصابا ، فذلك أقرح لقلبي ، وأشدّ علي نفسي ، ثم لطمت وجهها ، وهوت إلي جيبها وشقّته ، وخرّت مغشية عليها .

فقام إليها الحسين عليه السلام ، فصبّ علي وجهها الماء ، وقال لها : يا أختاه اتقي اللّه وتعزي بعزاء اللّه ، واعلمي أنّ أهل الأرض يموتون ، وأهل السماء لا يبقون ، وأنّ كلّ شيء هالك إلاّ وجه اللّه تعالي الذي خلق الخلق بقدرته ، ويبعث الخلق ويعودون ، وهو فرد وحده ، وأبي خير مني ، وأمي خير مني ، وأخي خير مني ، ولي ولكلّ مسلم برسول اللّه أسوة .

فعزّاها بهذا ونحوه ، وقال لها : يا أختاه ، إنّي أقسمت عليك فأبري قسمي ، لا تشقّي عليّ جيبا ، ولا تخمشي عليّ وجها ، ولا تدعي عليّ بالويل والثبور إذا أنا قتلت ، ثم جاء بها حتي أجلسها عندي(1) .

ويستفاد من بعض الروايات : أنّ عين الإمام الحسين عليه السلام لم تذق النوم تلك الليلة أبدا ، حيث قام ليلته كلّها يصلّي ويدعو ويستغفر ويتضرّع .

وكذلك كان أصحابه ، حيث كانوا يبكون علي مظلومية إمامهم وأهل بيته ، وهم يرون انسداد الطرق أمامهم ، فلا يقدرون علي دفع الهم والغم عن ساداتهم ، وتلهبهم الأشواق أحيانا الي ربّهم وبارئهم ، والي المقامات التي كشفها لهم سيد الأبرار عليه السلام .

رؤيا الإمام الحسين عليه السلام وقت السحر ليلة العاشر

فلمّا كان وقت السحر خفق الحسين عليه السلام برأسه خفقة ، ثم استيقظ ، فقال : أتعلمون ما رأيت في منامي الساعة ؟

فقالوا : وما الذي رأيت يا ابن رسول اللّه ؟

فقال : رأيت كأنّ كلابا قد شدّت عليّ لتنهشني ، وفيها كلب أبقع ، رأيته أشدّها عليّ ، وأظنّ أنّ الذي يتولّي قتلي رجل أبرص من بين هؤلاء القوم .

1- الإرشاد : 2/93 ، بحار الأنوار : 45/2 .

ثم إنّي رأيت بعد ذلك جدّي رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، ومعه جماعة من أصحابه ، وهو يقول لي : يا بني أنت شهيد آل محمد ، وقد استبشر بك أهل السماوات وأهل الصفيح الأعلي ، فليكن إفطارك عندي الليلة ، عجّل ولا تؤر ، فهذا ملك قد نزل من السماء ليأخذ دمك في قارورة خضراء .

فهذا ما رأيت ، وقد أزف الأمر ، واقترب الرحيل من هذه الدنيا ، لا شكّ في ذلك(1) .

آه ، لا أدري ما جري علي أولئك الأصحاب الأوفياء حينما سمعوا هذا الكلام من إمامهم عليه السلام ؟ وكيف تحمّلوا ذلك ؟

أليلة الحشر لا بل ليل عاشور

أنفخة الصور لا بل نفث مصدور

ليل به خسفت بدر الهدي أسفا

وأصبح الدين فيه كاسف النور

يوم به ذهبت أبناء فاطمة

للبين ما بين مقتول ومأسور

فأيّ دمع عليهم غير منهمل

وأيّ قلب عليهم غير مفطور

يا وقعة الطف خلدت القلوب أسي

كأنّما كلّ يوم يوم عاشور

يا وقعة الطف هل تدرين أيّ فتي

أوقعته رهن تعقير وتعفير

هذا الحسين قتيلاً رهن مصرعه

يبكي له كلّ تهليل وتكبير

إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ

1- بحار الأنوار : 45/3 عن المناقب لابن شهرآشوب .

المجلس الخامس: وقائع صبح عاشوراء المؤلمة فترة الصبح والضحي والظهر

اشارة

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه الذي آتانا من رحمته كفلين ، وأنعم علينا من نعمته قسمين عظيمين ، والصلاة والسلام علي كاشف أسرار العالمين ، المقصود بإيجاد النشأتين ، المخصوص بمقام قاب قوسين ، محمد سيد الكونين ، وشفيع المطاع في الدارين .

وعلي أهل بيته المصطفين وأوصيائه المجتبين .

ولا سيما علي قرّة عينه ، ونور بصريه ، الشهيد المقتول ، المقطوع الودجين ، المحزوز الوريدين ، المعفّر الخدّين ، المخضّب الجبينين ، المقروع الشفتين ، مقطوع الكفين ، أسير الفراتين ، غريب العراقين ، المبعّد عن الحرمين ، الظمآن لدي النهرين ، ابن الأذن والعين ، والفضة ابن الذهبين ، والكوكب ابن القمرين ، والمرجان الخارج من البحرين ، مولانا أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام .

ولعنة اللّه علي قاتليه وظالميه لعنة مستمرّة ما استفيد النور من الكوكبين ، وما استقام نظالم العالمين .

ص: 163

وبعد ، فقد قال اللّه سبحانه في كتابه العزيز :

« يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

* * *

اعلم ، أنّ « الكفل » هو الحظّ الأوفر ، والنصيب الأعظم ، وقد يكون المراد من الكفلين : النصيبين الأوفرين ، يعني الدنيا والآخرة ، أو النجاة من النيران ودخول الجنان(1) ، كذا قال بعض المفسرين .

روي علي بن إبراهيم والكليني عن الصادق عليه السلام فِي قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « يُؤتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ » قَالَ : الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ ، « وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ » ، قَالَ : إِمَامٌ تَأْتَمُّونَ بِهِ(2) .

وروي : « وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ » قال : أمير المؤنين علي بن أبي طالب عليهماالسلام(3) .

أجل ، إنّهم أنوار إلهية مقدّسة نورت العالم بنورها ، وميّزت طريق النجاة عن طريق الضلالة والشبهات ، وأوضحت معالم سبيل المعرفة والعبودية والتوحيد .

كلّ من أشعل مشعل هداية إنّما اقتبس نوره من مشاعل معارفهم ، وكلّ من رفع لواء العبودية إنّما استفاد من سفن كلامهم .

إنّهم شموس فلك الخلافة ، وبدور سماء الهداية ، ونجوم آفاق الرسالة ، وقطب دوائر الإمامة ، وصبح فلاح الأمّة .

1- في تفسير القمي : 2/352 : « يُؤتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ » قال : نصيبين من رحمته : أحدهما : أن لا يدخله النار ، والثانية : أن يدخله الجنّة ، وقوله : « وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ » يعني الإيمان .

2- تفسير القمي : 2/364 ، الكافي : 2/430 ح86 .

3- تأويل الآيات : 2/669 ح28 و29 ، تفسير فرات الكوفي : 468 ، بحار الأنوار : 23/319 ح32 و33 .

إنّهم اللجج الربانية الغامرة ، والحجج السبحانية القاطعة ، وعمود فسطاط العلم والعرفان ، وباسطوا بساط العلم واليقين .

إنّهم مصابيح الأنوار ، ومفاتيح الأسرار ، ومعادن الحكمة ، ومساكن البركة ، ومنازل التقوي ، ومحافل الهدي ، وأخيار الدهر ، ونواميس العصر ، وأعلام العباد ، ومنار البلاد ، ومصابيح الظلام ، ومفاتيح الكلام ، ودعائم الإسلام .

إنّهم الحوت الأعظم في بحار المعرفة الإلهية ، والواقفين علي الأسرار كما هي ، وأسود عرين الفتوة ، وجواهر معادن المروة ، أئمة من اللّه يهدون وبه يعدلون .

روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال في حديث طويل :

نحن نور لمن تبعنا ، وهدي لمن اهتدي بنا ، ومن لم يكن منّا فليس من الإسلام في شيء ، وبنا فتح اللّه الدين ، وبنا يختمه ، وبنا أطعمكم اللّه عشب الأرض ، وبنا أنزل

اللّه قطر السماء ، وبنا آمنكم اللّه من الغرق في بحركم ، ومن الخسف في بركم ، وبنا

نفعكم اللّه في حياتكم ، وفي قبوركم ، وفي محشركم ، وعند الصراط ، وعند الميزان ، وعند دخولكم الجنان.

مثلنا في كتاب اللّه كمثل مشكاة ، والمشكاة في القنديل نور علي نور ، فالمصباح محمد صلي الله عليه و آله ، « نُورٌ عَلي نُورٍ » ، علي وفاطمة عليهماالسلام ، « يَهْدِي اللّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ » يهدي اللّه لولايتنا من يشاء(1) ، فنحن النجباء ، ونحن النقباء ، ونحن النور والضياء .

وورد في تفسير قوله تعالي : « اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَي النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِياؤهُمُ الطّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَي الظُّلُماتِ » .

1- تفسير القمي : 2/104 وفيه تتمة الحديث : « . . فنحن المشكاة فيها مصباح ، المصباح محمد رسول اللّه صلي الله عليه و آله « الْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ » من عنصرة طاهرة « الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ » لا دعية ولا منكرة « يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ »القرآن « نُورٌ عَلي نُورٍ يَهْدِي اللّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ وَيَضْرِبُ اللّهُ الأَمْثالَ لِلنّاسِ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ » ، فالنور علي عليه السلام يهدي اللّه لولايتنا من أحب . . . » .

إنّ « الظلمات » ولاية أئمة الجور ، و« النور » الإسلام وولاية أئمة الدين(1) .روي الكليني عَنْ أَبِي خَالِدٍ الْكَابُلِيِّ قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ – عَزَّ وَجَلَّ – : « فَآمِنُوا بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنا » ، فَقَالَ : يَا أَبَا خَالِدٍ ، النُّورُ

وَاللَّهِ الأَئِمَّةُ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ صلي الله عليه و آله إِلَي يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَهُمْ وَاللَّهِ نُورُ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ ، وَهُمْ وَاللَّهِ نُورُ اللَّهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الأَرْضِ ، وَاللَّهِ يَا أَبَا خَالِدٍ لَنُورُ الأَءِمَامِ فِي قُلُوبِ الْمُؤمِنِينَ أَنْوَرُ مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ بِالنَّهَارِ ، وَهُمْ وَاللَّهِ يُنَوِّرُونَ قُلُوبَ الْمُؤمِنِينَ ، وَيَحْجُبُ اللَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ – نُورَهُمْ عَمَّنْ يَشَاءُ ، فَتُظْلَمُ قُلُوبُهُمْ .

وَاللَّهِ يَا أَبَا خَالِدٍ ، لاَ يُحِبُّنَا عَبْدٌ وَيَتَوَلاَّنَا حَتَّي يُطَهِّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ ، وَلا يُطَهِّرُ اللَّهُ قَلْبَ عَبْدٍ حَتَّي يُسَلِّمَ لَنَا ، وَيَكُونَ سِلْماً لَنَا ، فَإِذَا كَانَ سِلْماً لَنَا سَلَّمَهُ اللَّهُ مِنْ شَدِيدِ الْحِسَابِ ، وَآمَنَهُ مِنْ فَزَعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الأَكْبَرِ(2) .

اعلم ، أنّ اطلاق « النور » علي هذه الأنوار المقدّسة إطلاقا حقيقيا ، كما ورد في هذا الخبر وغيره من الأخبار التي يطول بذكره المقام .

فهم الأنوار الإلهية المقدّسة المستورة بجلابيب الأبدان ، وأشعة أنوارهم تسطع في قلوب المؤمنين ، ولو رفع الحجاب لتحيّرت الخلائق من أنوارهم المضيئة ، كما تحيّرت الملائكة في بدو الخلق .

روي الشيخ الصدوق رحمه الله في إكمال الدين وعلل الشرائع وعيون أخبار الرضا عليه السلام عن النبي صلي الله عليه و آله : ما خلق اللّه خلقا أفضل منّي ، ولا أكرم عليه منّي .

قال علي عليه السلام : فقلت : يا رسول اللّه ، فأنت أفضل أم جبرئيل ؟ فقال : يا علي إنّ اللّه – تبارك وتعالي – فضّل أنبياءه المرسلين علي ملائكته المقربين ، وفضّلني

1- في الصراط المستقيم : 2/74 فصل 13 : عن الباقر عليه السلام : « وَالَّذِينَ كَفَرُوا » بولاية علي « أَوْلِياؤهُمُالطّاغُوتُ » أعداؤ وأتباعهم أخرجوا الناس « مِنَ النُّورِ »، وولاية علي إِلَي « الظُّلُماتِ » ولاية أعدائه.
2- الكافي : 1/194 ح1 ، بحار الأنوار : 23/308 ح5 .

علي جميع النبيين والمرسلين ، والفضل بعدي لك يا علي وللأئمة من بعدك ،وإنّ الملائكة لخدامنا ، وخدام محبّينا .

يا علي « الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ . .وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا » بولايتنا .

يا علي لولا نحن ما خلق اللّه آدم ولا حواء ، ولا الجنّة ولا النار ، ولا السماء ولا

الأرض ، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة ، وقد سبقناهم إلي معرفة ربّنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه ، لأنّ أول ما خلق اللّه – عزّ وجلّ – خلق أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتحميده ، ثم خلق الملائكة .

فلمّا شاهدوا أرواحنا نورا واحدا استعظموا أمرنا، فسبحنا لتعلم الملائكة أنا خلق مخلوقون ، وأنّه منزّه عن صفاتنا ، فسبحت الملائكة بتسبيحنا ، ونزهته عن صفاتنا .

فلمّا شاهدوا عظم شأننا هلّلنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلاّ اللّه ، وأنّا عبيد ولسنا بآلهة يجب أن نعبد معه أو دونه ، فقالوا : لا إله إلاّ اللّه .

فلمّا شاهدوا كبر محلنا كبّرنا لتعلم الملائكة أنّ اللّه أكبر من أن ينال عظم المحل

إلاّ به .

فلمّا شاهدوا ما جعله اللّه لنا من العزّة والقوة ، قلنا : لا حول ولا قوّة إلاّ باللّه لتعلم الملائكة أن لا حول لنا ولا قوة إلاّ باللّه .

فلمّا شاهدوا ما أنعم اللّه به علينا وأوجبه لنا من فرض الطاعة ، قلنا : الحمد للّه لتعلم الملائكة ما يحقّ للّه – تعالي ذكره – علينا من الحمد علي نعمته ، فقالت الملائكة : الحمد للّه . فبنا اهتدوا إلي معرفة توحيد اللّه وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده .

ثم إنّ اللّه – تبارك وتعالي – خلق آدم ، فأودعنا صلبه ، وأمر الملائكة بالسجود له تعظيما لنا وإكراما ، وكان سجودهم للّه – عزّ وجلّ – عبودية ، ولآدم إكراما وطاعة ، لكوننا في صلبه . فكيف لا نكون أفضل من الملائكة ، وقد سجدوا لآدم كلّهم أجمعون ؟

وأنّه لمّا عرج بي إلي السماء أذّن جبرئيل مثني مثني ، وأقام مثني مثني ، ثم قال لي :تقدّم يا محمد ، فقلت له : يا جبرئيل ، أتقدّم عليك ؟ فقال : نعم ، لأنّ اللّه – تبارك وتعالي – فضّل أنبياءه علي ملائكته أجمعين ، وفضلك خاصة ، فتقدّمت فصلّيت بهم ، ولا فخر .

فلمّا انتهيت إلي حجب النور قال لي جبرئيل : تقدّم يا محمد ، وتخلّف عنّي ، فقلت : يا جبرئيل في مثل هذا الموضع تفارقني ؟ ! فقال : يا محمد ، إنّ انتهاء حدي الذي وضعني اللّه – عزّ وجلّ – فيه إلي هذا المكان ، فإن تجاوزته احترقت أجنحتي بتعدي حدود ربّي – جلّ جلاله – .

فزجّ بي في النور زجّة حتي انتهيت إلي حيث ما شاء اللّه من علو ملكه ، فنوديت : يا محمد ، فقلت : لبّيك ربّي وسعديك تباركت وتعاليت ، فنوديت : يا محمد ، أنت عبدي وأنا ربّك ، فإياي فاعبد ، وعليّ فتوكّل ، فإنّك نوري في عبادي ، ورسولي إلي خلقي ، وحجتي علي بريتي ، لك ولمن اتبعك خلقت جنتي ، ولمن خالفك خلقت ناري ، ولأوصيائك أوجبت كرامتي ، ولشيعتهم أوجبت ثوابي .

فقلت : يا ربّ ومن أوصيائي ؟ فنوديت : يا محمد ، أوصياؤ المكتوبون علي ساق عرشي .

فنظرت وأنا بين يدي ربّي – جلّ جلاله – إلي ساق العرش ، فرأيت اثني عشر نورا ، في كلّ نور سطر أخضر ، عليه اسم وصي من أوصيائي ، أولهم علي بن أبي طالب ، وآخرهم مهدي أمّتي .

فقلت : يا ربّ هؤاء أوصيائي من بعدي ؟ فنوديت : يا محمد هؤاء أوليائي وأحبّائي وأصفيائي ، وحججي بعدك علي بريتي ، وهم أوصياؤ وخلفاؤ ، وخير خلقي بعدك ، وعزّتي وجلالي ، لأظهرن بهم ديني ، ولأعلين بهم كلمتي ، ولأطهرن الأرض بآخرهم من أعدائي ، ولأمكننه مشارق الأرض ومغاربها ،

ولأسخرن له الرياح ، ولأذللن له السحاب الصعاب ، ولأرقينه في الأسباب ،ولأنصرنه بجندي ، ولأمدنه بملائكتي ، حتي تعلو دعوتي ، ويجتمع الخلق علي توحيدي ، ثم لأديمن ملكه ، ولأداولن الأيام بين أوليائي إلي يوم القيامة(1) .

يقول المؤلف :

يعلم من هذا الحديث وأمثاله : أنّهم أنوار حقيقة إلاّ أنّهم تلبّسوا بلباس هذه الصورة .

ولعل المراد من قوله تعالي : « وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ » أنّهم هداة سبيل النجاة ، وأدلة طرق التوحيد والسداد ، ومصابيح العبادة والرشاد ، تماما كما هو النور الظاهري الذي يكشف الظلمات ، وينجي من الهلكات ، فهم أيضا يكشفون الظلمات الواقعية وينجون منها ويوصلون الي المقاصد الأصلية .

وهذا المعني ظاهر ، لأنّ كلّ من سلك طريق المعرفة فإنّما عرفه بهم ، ومن بياناتهم وكلماتهم عرفه ، وكلّ من سلك سبيل العبودية والتوحيد فإنّما عرفه بأقوالهم وأفعالهم وسلوكهم .

روي الشيخ الصدوق رحمه الله في التوحيد بإسناده عن الإمام الصادق عليه السلام قال : . . نحن العاملون بأمره ، والداعون الي سبيله ، بنا عرف اللّه ، وبنا عبد اللّه ، نحن الأدلاء علي اللّه ، ولولانا ما عبد اللّه (2) .

فالمستفاد من هذا الحديث وأمثاله : أنّ كلّ من سلك طريقا في هذا العالم لمعرفة اللّه إنّما سلكه بواسطتهم عليهم السلام ، كما روي الشيخ الصدوق رحمه الله عن جابر بن عبد اللّه أنّه قال : سمعت رسول اللّه صلي الله عليه و آله يقول : إنّ اللّه – عزّ وجلّ – خلقني وعليا وفاطمة

1- كمال الدين : 1/254 باب 23 ، عيون أخبار الرضا عليه السلام : 1/262 باب 26 ، علل الشرائع : 1/5 باب 7 ح 1 .
2- التوحيد : 152 ح9 .

والحسن والحسين من نور ، فعصر ذلك النور عصرة ، فخرج منها شيعتنا ، فسبّحنافسبّحوا ، وقدّسنا فقدّسوا ، وهللنا فهللوا ، ومجّدنا فمجّدوا ، ووحّدنا فوحّدوا .

ثم خلق السماوات والأرضين وخلق الملائكة ، فمكثت الملائكة مائة عام لا تعرف تسبيحا ولا تقديسا ، فسبّحنا فسبّحت شيعتنا ، فسبّحت الملائكة ، وكذلك في البواقي .

فنحن الموحدون حيث لا موحد غيرنا ، وحقيق علي اللّه - عزّ وجلّ - كما اختصنا واختص شيعتنا أن ينزلنا وشيعتنا في أعلي عليين ، إنّ اللّه اصطفانا واصطفي شيعتنا من قبل أن تكون أجساما ، فدعانا فأجبنا ، فغفر لنا ولشيعتنا من قبل أن نستغفر اللّه تعالي(1) .

إشارة الي فضائل الإمامين الحسن والحسين عليهماالسلام

أمّا كون الحسنين عليهماالسلام هما الكفلين من رحمته ، والنصيبين العظيمين من كرامته ، فظاهر ، وذلك أنّهما سبب نزول الرحمات الإلهية ، ومنبع الكرامة الربانية ، والوسيلة

العظمي الموصلة الي الرحمة .

فقد روي ابن عباس عن النبي صلي الله عليه و آله أنّه قال في الحسنين عليهماالسلام : من أحبّهما كان معي في الجنّة ، ومن أبغضهما كان في النار(2) .

وروي عن طريق المخالفين عن أبي هريرة قال : خرج علينا رسول اللّه صلي الله عليه و آلهومعه حسن وحسين عليهماالسلام ، هذا علي عاتقه ، وهذا علي عاتقه ، وهو يلثم هذا مرّة ، وهذا مرّة حتي انتهي إلينا ، فقال له رجل : يا رسول اللّه ، إنّك لتحبّهما ! فقال : من أحبّهما فقد أحبّني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني(3) .

1- كشف الغمة : 1/458 ، بحار الأنوار : 37/80 باب 50 .

2- انظر بحار الأنوار : 43/275 باب 12 .

3- كشف الغمة : 2/61 ، المناقب : 3/382 ، بحار الأنوار : 43/281 باب 12 .

وروي عن النبي صلي الله عليه و آله قال : بي أنذرتم ، وبعلي بن أبي طالب اهتديتم ، وقرأ « إِنَّماأَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هادٍ » ، وبالحسن أعطيتم الإحسان ، وبالحسين تسعدون ، وبه تشبثون ، ألا وإنّ الحسين باب من أبواب الجنّة من عانده حرم اللّه عليه ريح الجنّة(1) .

وإذا تأملت قليلاً علمت أنّ أكثر الخلق يدخلون الجنّة من هذه الباب ، فما أكثر الداخلين الجنّة بسبب هذا الإمام الرؤوف في كلّ يوم ، ويستحقونها إمّا بسبب زيارته ، أو بسبب البكاء عليه ، أو بسبب إعانة الباكين عليه ، أو بسبب إقامة العزاء

عليه ، أو بأسباب أخري كثيرة تعود اليه عليه السلام .

ثواب زيارة الحسين عليه السلام

أجل ، فإنّك ما عرفت قدر زيارته ، ولا عرفت مقام البكاء عليه ، فاستمع لتعرف قدر ذلك إجمالاً :

روي عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام قال : إنّ الرجل ليخرج إلي قبر الحسين عليه السلام ، فله إذا خرج من أهله بأول خطوة مغفرة ذنوبه ، ثم لم يزل يقدّس بكلّ خطوة حتي يأتيه ، فإذا أتاه ناجاه اللّه تعالي فقال : عبدي سلني أعطك ، ادعني أجبك ، اطلب مني أعطك ، سلني حاجة أقضيها لك .

وقال أبو عبد اللّه عليه السلام : وحقّ علي اللّه أن يعطي ما بذل(2) .

وروي في كشف الغمة : أنّ النبي صلي الله عليه و آله كان ذات يوم جالسا وحوله علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ، فقال لهم : كيف أنتم إذا كنتم صرعي وقبوركم شتي ؟

فقال له الحسين عليه السلام : أنموت موتا أو نقتل قتلاً ؟

1- مئة منقبة : 22 المنقبة 4 ، بحار الأنوار : 35/405 باب 20 ح28 .

2- كامل الزيارات : 132 الباب 49 ح2 ، بحار الأنوار : 98/24 باب 4 ح21 .

فقال : بل تقتل يا بني ظلما وعدوانا ، ويقتل أخوك ظلما وعدوانا ، وتشرّددذراريكم في الأرض شرقا وغربا .

فقال الحسين عليه السلام : ومن يقتلنا يا رسول اللّه ؟

قال : شرار الناس .

قال : فهل يزورنا بعد قتلنا أحد ؟

قال : نعم يا بني ، طائفة من أمّتي يريدون بزيارتكم برّي وصلتي ، فإذا كان يوم القيامة جئتها إلي الموقف حتي آخذ بأعضادها ، فأخلّصها من أهواله وشدائده(1) .

وروي ابن قولويه عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : لو يعلم الناس ما في زيارة قبر الحسين عليه السلام من الفضل لماتوا شوقا ، وتقطعت أنفسهم عليه حسرات .

قلت : وما فيه ؟ قال : من أتاه تشوّقا كتب اللّه له ألف حجّة متقبلة ، وألف عمرة مبرورة ، وأجر ألف شهيد من شهداء بدر ، وأجر ألف صائم ، وثواب ألف صدقة مقبولة ، وثواب ألف نسمة أريد بها وجه اللّه ، ولم يزل محفوظا سنته من كلّ آفة ، أهونها الشيطان ، ووكّل به ملك كريم يحفظه من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله ، ومن فوق رأسه ، ومن تحت قدمه ، فإن مات سنته حضرته ملائكة الرحمة ، يحضرون غسله واكفانه والاستغفار له ، ويشيّعونه إلي قبره بالاستغفار له ، ويفسح له في قبره مدّ بصره ، ويؤنه اللّه من ضغطة القبر ، ومن منكر ونكير أن يروعانه ، ويفتح له باب إلي الجنّة ، ويعطي كتابه بيمينه ، ويعطي له يوم القيامة نورا يضيء لنوره ما بين المشرق والمغرب ، وينادي مناد : هذا من زار الحسين شوقا إليه ، فلا يبقي أحد يوم القيامة إلاّ تمنّي يومئذ أنّه كان من زوار الحسين عليه السلام(2) .

1- كشف الغمة : 2/8 .

2- كامل الزيارات : 142 الباب 56 ح3 .

وروي بإسناد معتبر عن داود بن يزيد(1) عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال : من زار قبرالحسين عليه السلام في كلّ جمعة غفر اللّه له البتة ، ولم يخرج من الدنيا وفي نفسه حسرة منها ، وكان مسكنه في الجنّة مع الحسين بن علي عليهماالسلام ، ثم قال : يا داود من لا يسرّه أن يكون في الجنّة جار الحسين عليه السلام ؟ قلت : من لا أفلح(2) .

وروي عن دعبل بن علي الخزاعي قال : لمّا انصرفت عن أبي الحسن الرضا عليه السلام

بقصيدتي التائية نزلت بالري ، وإنّي في ليلة من الليالي ، وأنا أصوغ قصيدة ، وقد ذهب من الليل شطره ، فإذا طارق يطرق الباب ، فقلت : من هذا ؟ فقال : أخ لك .

فبدرت إلي الباب ففتحته ، فدخل شخص اقشعرّ منه بدني ، وذهلت منه نفسي ، فجلس ناحية وقال لي : لا ترع ، أنا أخوك من الجن ، وُلدت في الليلة التي ولدت فيها ، ونشأت معك ، وإنّي جئت أحدثك بما يسرّك ، ويقوّي نفسك وبصيرتك .

قال : فرجعت نفسي ، وسكن قلبي ، فقال : يا دعبل ، إنّي كنت من أشدّ خلق اللّه بغضا وعداوة لعلي بن أبي طالب ، فخرجت في نفر من الجن المردة العتاة ، فمررنا بنفر يريدون زيارة الحسين عليه السلام قد جنّهم الليل ، فهممنا بهم ، وإذا ملائكة تزجرنا من السماء ، وملائكة في الأرض تزجر عنهم هوامها ، فكأنّي كنت نائما ، فانتبهت أو غافلا فتيقظت ، وعلمت أنّ ذلك لعناية بهم من اللّه تعالي ، لمكان من قصدوا له وتشرفوا بزيارته ، فأحدثت توبة وجددت نية ، وزرت مع القوم ، ووقفت بوقوفهم ، ودعوت بدعائهم ، وحججت بحجهم تلك السنة ، وزرت قبر النبي صلي الله عليه و آله ، ومررت برجل حوله جماعة ، فقلت : من هذا ؟ فقالوا : هذا ابن رسول اللّه الصادق عليه السلام .

1- في المتن : « داود بن فرقد » .

2- كامل الزيارات : 183 الباب 74 ح3 .

قال : فـدنوت منه ، وسـلّمت عليه ، فقال لي : مرحبا بك يا أهل العراق ، أتذكرليلتك ببطن كربلاء ، وما رأيت من كرامة اللّه تعالي لأوليائنا ، إنّ اللّه قـد قبل توبتك ، وغفر خطيئتك ، فقلت : الحمد للّه الذي منّ عليّ بكم ، ونوّر قلبي بنور هدايتكم ، وجعلني من المعتصـمين بحبل ولا يتكم ، فحدثني يا ابن رسول اللّه بحديث أنصرف به إلي أهلي وقومي .

فقال : نعم ، حدثني أبي محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب عليهم السلام قال لي رسول اللّه صلي الله عليه و آله : يا علي الجنّـة محرمـة علي الأنبياء حتي أدخلها أنا ، وعلي الأوصـياء حتي تـدخلها أنت ، وعلي الأمم حتي تدخلها أمّتي ، وعلي أمّتي حتي يقرّوا بولا يتك ، ويدينوا بإمامتك .

يا علي ، والذي بعثني بالحقّ لا يدخل الجنّة أحد إلاّ من أخذ منك بنسب أو سبب .

ثم قال : خذها يا دعبل ، فلن تسمع بمثلها من مثلي أبدا ، ثم ابتلعته الأرض ، فلم أره(1) .

وروي ابن قولويه عن أبي عبـد اللّه عليه السـلام قال : من أراد أن يكون في كرامة اللّه يوم القيامة ، وفي شـفاعة محمد صـلي الله عليه و آله ، فليكن للحسـين زائرا ، ينال من اللّه الفضل والكرامـة ، أفضل الكرامـة ، وحسن الثواب ، ولا يسأله عن ذنب عمله في حياة الدنيا ، ولو كانت ذنوبه عدد رمل عالج وجبال تهامة وزبد البحر ، إنّ الحسين عليه السلام قتل مظلوما مضطهدا نفسه عطشانا ، هو وأهل بيته وأصحابه(2) .

1- المنتخب : 1/208 ، بحار الأنوار : 45/402 باب 50 .

2- كامل الزيارات : 153 الباب 62 ح6 .

فهـذه يا عزيزي جملـة مختصـرة ممّا أعدّ لزائره عليه السـلام ، وأما احصاء ذلك فهو غير ممكن بحال ، وكيف يحصـي ذلك والإمام الصادق عليه السلام يقول : واللّه لو إنّي حدثتكم بفضل زيارته ، وبفضل قبره ، لتركتم الحجّ رأسا ، وما حجّ منكم أحد(1) .

وهـذا الحـديث وأمثاله من الروايات لم تتعرّض الي بيان غايـة الفضـيلة مع كلّ ما فيها من ذكر للفضائل ، من قبيل ما ورد عن أبي عبـد اللّه الصادق عليه السـلام قال : من زار قبر الحسـين عليه السلام يوم عرفة كتب اللّه له ألف ألف حجّة مع القائم ، وألف ألف عمرة مع رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، وعتق ألف ألف نسـمة ، وحملان ألف ألف فرس في سبيل اللّه ، وسـمّاه اللّه : عبـدي الصـديق آمن بوعـدي ، وقالت الملائكة : فلان صديق زكّاه اللّه من

فوق عرشه ، وسمّي في الأرض كروبا(2) .

أيّ رحمة أعظم من هذه الرحمة ؟ وأي إحسان أكمل من هذا الإحسان ؟

وهذا سبيل واحد من سبل الرحمة التي توصل الي اللّه بسبب هذا الإمام العظيم ، والحال أنّ سبله كثيرة ، وأسبابه لا تعد ولا تحصي :

فمنهم من يرحم بسبب زيارته .

ومنهم من يرحم بسبب إقامة العزاء عليه .

ومنهم من يرحم بسبب إنشاد المراثي فيه .

ومنهم من يرحم بسبب إعمار مجالس عزائه .

ومنهم من يرحم بسبب قراءة مصيبته .

ومنهم من يرحم بسبب البكاء عليه .

ومنهم من يرحم بسبب الحزن عليه .

ومنهم من يرحم بسبب إعمار قبره .

1- كامل الزيارات : 266 الباب 88 ، بحار الأنوار : 89/33 ح33 .

2- كامل الزيارات : 172 الباب 70 .

ومنهم من يرحم بسبب اللجوء الي قبره .

روي أبو هارون المكفوف قال : دخلت علي أبي عبد اللّه عليه السلام فقال لي : أنشدني ، فأنشدته ، فقال : لا ، كما تنشدون ، وكما ترثيه عند قبره .

قال : فأنشدته :

امرر علي جدث الحسين

فقل لأعظمه الزكيه

قال : فلمّا بكي أمسكت أنا ، فقال : مرّ ، فمررت ، قال : ثم قال : زدني زدني .

قال : فأنشدته :

يا مريم قومي فاندبي مولاك

وعلي الحسين فاسعدي ببكاك

قال : فبكي وتهايج النساء ، قال : فلمّا أن سكتن ، قال لي : يا با هارون ، من أنشد في الحسين عليه السلام ، فأبكي عشرة فله الجنّة ، ثم جعل ينقص واحدا واحدا حتي بلغ الواحد ، فقال : من أنشد في الحسين عليه السلام ، فأبكي واحدا فله الجنّة ، ثم قال : من ذكره فبكي فله الجنّة(1) .

وروي عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام قال : من ذُكرنا عنده ، ففاضت عيناه حرّم اللّه وجهه علي النار(2) .

فتأمل جيدا لتعرف مقام الشخص الجليل عند الربّ العظيم ، وارتفاع شأنه عند الجبار الكريم .

وتأمل أيّ ظلم وجور أنزلوا بهذا الإمام الهمام عليه السلام ، فحقّ واللّه أن تتفتت في مصيبته الأكباد .

فوا حرّ قلباه ، علي تلك الشمائل اللطيفة ، والأبدان الروحانية الشريفة ، التي كافورها التراب ، ونعوشها القنا النشاب ، وقبورها قلوب الأحباب .

1- كامل الزيارات : 105 الباب 33 ح5 .

2- كامل الزيارات : 104 الباب 32 ح10 .

ووا أسفاه ، للنواصي المخضوبة بالدم ، والأحشاء المبعّضة بسيوف الكرب والهم .

ووا حزناه ، علي تلك الرؤوس الساميات ، المرفوعة علي الرماح والقنوات ، التي دارت به الفيافي والفلوات .

ووا غمّاه ، علي تلك النسوة البارزات ، والبنات الضايعات مناديات الجدود ، لاطمات الخدود ، ساترات الوجوه بالأكف والزنود .

فلا عمرت بعد خلوّ ديارهم وأوطانهم المنازل ، ولا جري الماء بعد عطشهم في الجداول .

يا نكبة لبس الدين القويم له

سور الحداد وغاص العلم والعمل

وقرحة أورثت في قلب فاطمة

رزءا عظيما وجرحا ليس يندمل

فكيف أحمد بسط البال من جذل

وسبط أحمد في البوغاء منجدل

أم كيف أشتمّ ريحانا وقد تركت

ريحانة المصطفي تنتابها الأسل

أم كيف أشرب ماء لا أغصّ به

والسبط صار تسقيه الردي الذبل

أم كيف أفرش فرشا وهو منجدل

بجندل قد علا علياءه وعل

أم كيف يعبق بي طيب ونسوته

شُعث ترامي بهن العجف والهزل

بلا وطاء ولا ستر يجلّلها

عن أعين الناس إلا الحزن والثكل

مسبيّة مثل سبي الروم قد سُلبت

منها القلائدُ والأسوار والحجل

سواجعا كحمام الايك نادبة

ينهد من شجوهن الصخر والجبل

إشارة الي عظم مصيبة الإمام الحسين عليه السلام

لا أدري لماذا لم ينقلب العالم ؟ ولماذا لم يتناثر نظام الكون ؟ وأعجب لماذا لم تمطر نارا وشهبا وصواعق ؟

وأعجب واللّه كيف ترتسم الضحكة علي شفاه شيعته ؟ وكيف يعيشون وبالحياة يهنئون ؟ وكيف يلبسون ملابس جديدة ويسكنون مساكن فارهة ؟

ص: 177

والأعجب ، كيف يسمعون مصيبته ويصغون الي ما جري عليه ثم لا يبكونهبدل الدموع دما ، ولا تخرج أرواحهم مع زفراتهم ؟

وهل ثمة مصيبة أخري أعظم من مصيبته يدخرون الدموع لها ؟ وهل ثمة شخص أعزّ منه يحبسون الزفرات عليه ؟

أما علمت أنّ مصيبته سلبت الراحة والروح من أهل بيت الرسالة عليهم السلام ؟ وأنّ رسول اللّه صلي الله عليه و آله مع كلّ صبره وحلمه جزع وفزع في مصيبته ؟ وأنّ أمير المؤمنين عليه السلام مع حلمه ووقاره جزع ولم يتمالك في رزيته ؟

روي ابن قولويه عن الصادق عليه السلام قال : لمّا أن هبط جبرئيل عليه السلام علي رسول اللّه صلي الله عليه و آله بقتل الحسين عليه السلام أخذ بيد علي فخلا به مليّا من النهار ، فغلبتهما العبرة ، فلم يتفرقا حتي هبط عليهما جبرئيل عليه السلام ، أو قال : رسول ربّ العالمين ، فقال لهما : ربّكما يقرؤما السلام ويقول : عزمت عليكما لمّا صبرتما ، قال : فصبرا(1) .

أجل ، إنّهما صبرا ، وكانا أعظم من أن لا يصبرا علي نوائب الدهر ومصائبه ، ولكن قلبيهما جرحا ، وصدريهما قرحا ، وكانا كلّما ذكرا المصيبة بكيا ، وتنفسا الصعداء ، حتي ربما أغمي عليهما من شدّة البكاء أحيانا .

روي عن ابن عباس قال : كنت مع علي بن أبي طالب عليهماالسلام في خرجته إلي صفين ، فلمّا نزل بنينوي ، وهو شط الفرات ، قال بأعلي صوته : يا ابن عباس ، أتعرف هذا الموضع ؟ قلت : نعم ، قال : لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتي تبكي كبكائي .

قال : فبكي طويلاً حتي اخضلّت لحيته ، وسالت الدموع علي صدره ، وبكينا معه ، ثم قال : هذا مناخ ركابهم ، وهذا ملقي رحالهم ، وهنا تهرق دماؤم ،

1- كامل الزيارات : 55 الباب 16 ح1 ، بحار الأنوار : 44/231 . .

طوبي لك من تربة عليك تهرق دماء الأحبة ، ثم بكي طويلاً فبكينا معه حتي سقطلوجهه مغشيا عليه(1) .

1- جمع بين روايتين مختصرا وهما : في الخرائج والجرائح : 3/1144 ، الأمالي للصدوق : 597 المجلس 87 ، بحار الأنوار : 44/252 باب 31 : عن ابن عباس قال : كنت مع علي بن أبي طالب عليهماالسلام في خرجته إلي صفين ، فلمّا نزل بنينوي ، وهو شط الفرات ، قال بأعلي صوته : يا ابن عباس أتعرف هذا الموضع ؟ قلت : نعم ، قال : لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتي تبكي كبكائي . قال : فبكي طويلاً حتي اخضلت لحيته ، وسالت الدموع علي صدره ، وبكينا معه ، وهو يقول : أوه أوه ، ما لي ولآل أبي سفيان ، ما لي ولآل حرب حزب الشيطان وأولياء الكفر ، صبرا أبا عبد اللّه ، فقد لقي أبوك مثل الذي تلقي منهم . ثم دعا بماء فتوضأ وضوء الصلاة ، فصلّي ما شاء اللّه أن يصلّي ، ثم ذكر نحو كلامه الأول ، إلاّ أنّه نعس عند انقضاء صلاته ساعة ، ثم انتبه فقال : يا ابن عباس ، فقلت : ها أنا ذا ، قال : ألا أحدثك بما رأيت في منامي آنفا عند رقدتي ؟ قلت : نامت عيناك ، ورأيت خيرا . قال : رأيت كأنّي برجال بيض قد نزلوا من السماء ، معهم أعلام بيض ، قد تقلدوا سيوفهم ، وهي بيض تلمع ، وقد خطّوا حول هذه الأرض خطة ، ثم رأيت كأنّ هذه النخيل ، وقد ضربت بأغصانها الأرض ، وهي تضطرب بدم عبيط ، وكأنّي بالحسين سخلي وفرخي وبضعتي قد غرق فيه ، يستغيث فلا يغاث ، وكأنّ الرجال البيض الذين نزلوا من السماء ينادونه ويقولون : صبرا آل الرسول ، فإنّكم تقتلون علي أيدي شرار الناس ، وهذه الجنّة يا أبا عبد اللّه إليك مشتاقة ، ثم يعزونني ويقولون : يا أبا الحسن ، أبشر فقد أقرّ اللّه به عينك يوم القيامة ، يوم يقوم الناس لربّ العالمين ، ثم انتبهت هكذا . والذي نفسي بيده ، لقد حدثني الصادق المصدق أبو القاسم صلي الله عليه و آله أنّي سأراها في خروجي إلي أهل البغي علينا ، وهذه أرض كرب وبلاء ، يدفن فيها الحسين وسبعة عشر رجلاً ، كلّهم من ولدي وولد فاطمة ، وأنّها لفي السماوات معروفة ، تذكر أرض « كرب وبلاء » كما تذكر بقعة الحرمين وبقعة بيت المقدس . ثم قال : يا ابن عباس ، اطلب لي حولنا بعر الظباء ، فواللّه ما كذبت ولا كذبت ، ولا كذبني قط ، وهي مصفرة ، لونها لون الزعفران . قال ابن عباس : فطلبتها فوجدتها مجتمعة ، فناديته يا أمير المؤنين قد أصبتها علي الصفة التي وصفتها ، فقال علي : صدق اللّه وصدق رسوله . ثم قام يهرول إلينا ، فحملها وشمها ، فقال : هي هي بعينها ، أتعلم يا ابن عباس ما هذه الأباعر ؟ هذه قد شمّها عيسي ابن مريم وقال : هذا الطيب لمكان حشيشها ، وتكلّم بكلّ ما قدمناه . . إلي أن قال : اللّهم فأبقها أبدا حتي يشمها أبوه ، فتكون له عزاء . قال : فبقيت إلي يوم الناس هذا ، ثم قال علي : اللّهم يا ربّ عيسي ابن مريم لا تبارك في قتلته والحامل عليه والمعين عليه والخاذل له . ثم بكي طويلاً فبكينا معه حتي سقط لوجهه مغشيا عليه ، ثم أفاق وأخذ البعر وصرّه في ردائه ، وأمرني أن أصرّها كذلك ، ثم قال : إذا رأيتها تنفجر دما عبيطا فاعلم أنّ أبا عبد اللّه قد قتل بها ودفن . قال ابن عباس : لقد كنت أحفظها ولا أحلّها من طرف كمي ، فبينا أنا في البيت نائم ، وقد خلا عشر المحرم ، إذ انتبهت فإذا تسيل دما ، فجلست وأنا باك فقلت : قتل الحسين ، وذلك عند الفجر ، فرأيت المدينة كأنّها ضباب ، ثم طلعت الشمس وكأنّها منكسفة ، وكأنّ علي الجدران دما ، فسمعت صوتا يقول وأنا باك : اصبروا آل الرسول قتل الفرخ البجولنزل الروح الأمين ببكاء وعويل ثم بكي وبكيت ، ثم حدثت الذين كانوا مع الحسين ، فقالوا : لقد سمعنا ما سمعت ونحن في المعركة ، فكنّا نري أنّه الخضر عليه السلام . وفي كامل الزيارات : 269 الباب 88 ح11 : عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال : مرّ أمير المؤنين عليه السلامبكربلاء في أناس من أصحابه ، فلمّا مرّ بها أغرورقت عيناه بالبكاء ، ثم قال : هذا مناخ ركابهم ، وهذا ملقي رحالهم ، وهنا تهرق دماؤم ، طوبي لك من تربة عليك تهرق دماء الأحبة .

يا أمير المؤمنين ، مررتَ بكربلاء التي سيقتل فيها فلذة كبدك بعد مدّة من السنين ، فبكيت حتي سقطت علي وجهك مغمي عليك ، فكيف بك لو رأيت قرّة عينك ، وهو ملقي علي الرمضاء ، مقطع الأعضاء ، مقطوع الرأس من القفا ، مسلوب العمامة والرداء ، مرمّل بالدماء ؟

فأين ليث بني عدنان والده

أين العشائر أين السادة الأُول

أما دروا أنّ نحرا كان يلثمه

فم الرسول بسيف الشمر مبتذل

أما دروا أنّ جسما كان يحمله

خير البرية فوق الترب منجدل

وهل دروا أنّ رأسا قد علا شرفا

علي السنان أصمّ الكعب قد جعلوا

ص: 180

وأنّ نسوته أسري بلا وطأ

ولا قناع علي الأقتاب قد حملوا

للّه كم بدر سعد في التراب ثوي

وأنجم في عراص الطف قد أفلوا

وكم وجوه لقد أبلي محاسنَها

حرُّ الظماء وهجرُ الشمس والذبل

وكم رؤوس علي الأرماح قد رُفعت

ومن نجيع دماها شيبها عطل

اصطفاف جيش العدو صبح عاشوراء

روي الشيخ المفيد رحمه الله والسيد الجليل ابن طاووس رحمه الله ومحمد بن أبي طالب الموسوي رحمه الله وغيرهم في كتبهم بألفاظ ومعان متقاربة قالوا :لما أصبح صباح اليوم العاشر المشؤوم نادي مناد بين السماء والأرض : يا خيل اللّه اركبي وبالجنة أبشري .

فأذن الإمام المظلوم ، فاجتمع أصحابه للصلاة ، وتيمموا بدل الوضوء ، ثم إئتموا بإمام العالمين فصلّي عليه السلام بهم ، ثم التفت اليهم فقال :

أشهد أنّنا سنقتل اليوم جميعا وننجو من ذلّ الدنيا ، ولا يبقي إلاّ ولدي علي زين العابدين(1) .

قال الشيخ المفيد رحمه الله : وأصبح الحسين فعبأ أصحابه بعد صلاة الغداة ، وكان معه اثنان وثلاثون فارسا ، وأربعون راجلاً .

وقال السيد رحمه الله : روي عن الباقر عليه السلام أنّهم كانوا خمسة وأربعين فارسا ومائة راجل .

وقال صاحب المناقب : اثنان وثمانون راجلاً .

1- في كامل الزيارات : 73 الباب 23 ح8 وبحار الأنوار : 45/86 بقية الباب 37 : وحدثني الحسن بن عبد اللّه عن محمد بن عيسي عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن علي بن رئاب عن الحلبي قال : سمعت أبا عبد اللّه عليه السلام يقول : إنّ الحسين عليه السلام صلّي بأصحابه الغداة ، ثم التفت إليهم فقال : إنّ اللّه قد أذن في قتلكم فعليكم بالصبر .

فجعل الحسين عليه السلام زهير بن القين في ميمنة أصحابه ، وحبيب بن مظاهر في ميسرة أصحابه ، وأعطي رايته – راية الهدي – العباس أخاه ، وجعلوا البيوت في ظهورهم ، وأمر بحطب وقصب كان من وراء البيوت أن يترك في خندق كان قد حفر هناك ، وأن يحرق بالنار مخافة أن يأتوهم من ورائهم .

وأصبح عمر بن سعد في ذلك اليوم ، فعبأ أصحابه ، وخرج فيمن معه من الناس نحو الحسين عليه السلام ، وكان علي ميمنته عمرو بن الحجاج ، وعلي ميسرته شمر بن ذي الجوشن ، وعلي الخيل عروة بن قيس ، وعلي الرجالة شبث بن ربعي ، وأعطي الراية – المشؤومة – دريدا مولاه(1) .وقال بعض العلماء : كان حامل راية عمر بن سعد خولي وحرملة ، وكان أبو أيوب الغنوي علي أصحاب المساحي والمعاول ، وعلي الرماة محمد بن الأشعث ، وعلي رماة الحجارة عمر بن صبيح .

فأقبل القوم يجولون حول بيت الحسين عليه السلام ، فيرون الخندق في ظهورهم ، والنار تضطرم في الحطب والقصب الذي كان ألقي فيه(2) .

قال السيد ابن نما رحمه الله : وجاء رجل ملعون فقال : أين الحسين ؟ فقال : ها أنا ذا ، قال : أبشر بالنار تردها الساعة ، قال : بل أبشر بربّ رحيم وشفيع مطاع ، من أنت ؟ قال : أنا محمد بن الأشعث ، قال : اللّهم إن كان عبدك كاذبا فخذه إلي النار ،

واجعله اليوم آية لأصحابه ، فما هو إلاّ أن ثني عنان فرسه ، فرمي به وثبتت رجله في الركاب ، فضربه حتي قطعه ، ووقعت مذاكيره في الأرض(3) .

ثم جاء اللعين شمر بن ذي الجوشن فنادي بأعلي صوته : يا حسين ، أتعجلت

1- بحار الأنوار : 45/3 بقية الباب 37 .

2- بحار الأنوار : 45/4 بقية الباب 37 .

3- مثير الأحزان : 64 .

بالنار قبل يوم القيامة ؟ فقال الحسين عليه السلام : من هذا كأنّه شمر بن ذي الجوشن ؟ فقالوا : نعم ، فقال له : يا ابن راعية المعزي ، أنت أَوْلي بِها صِلِيًّا(1) .

وفي رواية أخري : قال الحسين عليه السلام اللّه أكبر ، قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله : رأيت كأنّ كلبا أبقع يلغ في دماء أهل بيتي .

وقال الحسين عليه السلام : رأيت كأنّ كلابا تنهشني ، وكأنّ فيها كلبا أبقع كان أشدّهم عليّ ، وهو أنت ، وكان أبرص(2) .ورام مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم ، فمنعه الحسين عليه السلام من ذلك ، فقال له :دعني حتي أرميه ، فإنّ الفاسق من أعداء اللّه وعظماء الجبارين ، وقد أمكن اللّه منه ، فقال له الحسين عليه السلام : لا ترمه ، فإنّي أكره أن أبدأهم بقتال(3) .

برير يكلّم القوم

وركب أصحاب عمر بن سعد ، فقرّب إلي الحسين عليه السلام فرسه فاستوي عليه ، وتقدّم نحو القوم في نفر من أصحابه ، وبين يديه برير بن خضير – وكان من العلماء الزهاد – فقال له الحسين عليه السلام : كلّم القوم ، فتقدّم برير ، فقال : يا قوم اتقوا اللّه ، فإنّ ثقل محمد قد أصبح بين أظهركم ، هؤاء ذريته وعترته وبناته وحرمه ، فهاتوا ما عندكم ، وما الذي تريدون أن تصنعوه بهم ؟

فقالوا : نريد أن نمكّن منهم الأمير ابن زياد ، فيري رأيه فيهم .

فقال لهم برير : أفلا تقبلون منهم أن يرجعوا إلي المكان الذي جاءوا منه ؟ ويلكم يا أهل الكوفة ، أنسيتم كتبكم وعهودكم التي أعطيتموها ، وأشهدتم اللّه عليها ، يا ويلكم أدعوتم أهل بيت نبيكم ، وزعمتم أنّكم تقتلون أنفسكم دونهم

1- بحار الأنوار : 45/4 بقية الباب 37 .

2- مثير الأحزان : 64 .

3- بحار الأنوار : 45/4 بقية الباب 37 .

حتي إذا أتوكم أسلمتموهم إلي ابن زياد ، وحلأتموهم عن ماء الفرات ، بئس ما خلفتم نبيكم في ذريّته ، ما لكم لا سقاكم اللّه يوم القيامة ، فبئس القوم أنتم .

فقال له نفر منهم : يا هذا ما ندري ما تقول ؟

فقال برير : الحمد للّه الذي زادني فيكم بصيرة ، اللّهم إنّي أبرأ إليك من فعال هؤاء القوم ، اللّهم ألق بأسهم بينهم حتي يلقوك وأنت عليهم غضبان ، فجعل القوم يرمونه بالسهام ، فرجع برير إلي ورائه(1) .

الإمام الحسين عليه السلام يكلّم القوم

ثم إنّ الحسين دعا بفرس رسول اللّه « المرتجز » ، فركبه(2) ، وفي بعضكتب العلماء : اِسْتَدْعي بِدِرْعِ(3) جَدِّهِ رَسُولِ اللّهِ صلي الله عليه و آله ، وَتَعَمَّمَ بِعَمامَتِهِ ، وَتَقَلَّدَ بِسَيْفِ رسول اللّه صلي الله عليه و آله(4) ، ثم تقدّم نحو القوم ورفع صوته الشريف ليسمعهم ويتمم الحجة عليهم .

قال صاحب المناقب : وأحاطوا بالحسين عليه السلام من كلّ جانب حتي جعلوه في مثل الحلقة ، فخرج عليه السلام حتي أتي الناس فاستنصتهم ، فأبوا أن ينصتوا ، حتي قال لهم :

ويلكم ما عليكم أن تنصتوا إليّ فتسمعوا قولي ، وإنّما أدعوكم إلي سبيل الرشاد ، فمن أطاعني كان من المرشدين ، ومن عصاني كان من المهلكين ، وكلّكم عاص لأمري غير مستمع قولي ، فقد ملئت بطونكم من الحرام ، وطبع علي قلوبكم ، ويلكم ألا تنصتون ؟ ألا تسمعون ؟

1- بحار الأنوار : 45/4 بقية الباب 37 .

2- بحار الأنوار : 45/10 بقية الباب 37 .

3- في المتن : « دراعة » وهي القباء .

4- مقتل أبي مخنف : 64 .

فتلاوم أصحاب عمر بن سعد بينهم ، وقالوا : أنصتوا له(1) .

قال الشيخ المفيد رحمه الله : ونادي الحسين عليه السلام بأعلي صوته ، وكلّهم يسمعونه ، فقال : يا أهل العراق ، وكان أكثرهم يعرفونه ، ثم تكلّم بكلام بليغ فصيح ، ثم حمد اللّه وأثني عليه وصلّي علي النبي صلي الله عليه و آله ، فلم يسمع متكلّم قطّ بعده ولا قبله أبلغ في منطق منه(2) .

ثم قال : أمّا بعد ، فانسبوني وانظروا من أنا ؟ ثم ارجعوا إلي أنفسكم وعاتبوها ،فانظروا هل يصلح لكم قتلي ؟ وانتهاك حرمتي ؟

ألست ابن بنت نبيكم ، وابن وصيه ، وابن عمّه ، وأول المؤنين المصدّقين لرسول اللّه ، وبما جاء به من عند ربّه ؟

أو ليس حمزة سيد الشهداء عمّ أبي ؟

أو ليس جعفر الطيار بجناحين عمّي ؟

أو لم يبلغكم ما قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله لي ولأخي : هذان سيدا شباب أهل الجنّة ؟

فإن صدقتموني بما أقول ، وهو الحقّ ، فواللّه ما تعمدت كذبا منذ علمت أنّ اللّه تعالي يمقت عليه ، وإن كذبتموني فإنّ فيكم من إذا سألتموه عن ذلك أخبركم ، سلوا جابر بن عبد اللّه الأنصاري ، وأبا سعيد الخدري ، وسهل بن سعد الساعدي ، وزيد بن أرقم ، وأنس بن مالك ، يخبرونكم أنّهم سمعوا هذه المقالة من رسول اللّه صلي الله عليه و آله لي ولأخي ، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي(3) ؟

1- بحار الأنوار : 45/7 بقية الباب 37 .

2- في المصدر : فقال : أيّها الناس اسمعوا قولي ، ولا تعجلوا حتي أعظكم بما يحقّ عليّ لكم ، وحتي أعذر إليكم ، فإن أعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد ، وإن لم تعطوني النصف من أنفسكم ، فاجمعوا رأيكم ، ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون « إِنَّ وَلِيِّيَ اللّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتابَ وَهُوَ يَتَوَلَّي الصّالِحِينَ » .

3- إعلام الوري : 240 الفصل 4 .

ثم قال لهم الحسين عليه السلام : فإن كنتم في شكّ من هذا ، أفتشكون أنّي ابن بنت نبيكم ، فواللّه ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري فيكم ، ولا في غيركم ، ويحكم أتطلبوني بقتيل منكم قتلته ؟ أو مال لكم استهلكته ؟ أو بقصاص جراحة(1) ؟

فهل سنّة غيرتها أو شريعة

وهل كنت في دين الإله مبدلا

أحلّلت ما قد حرم الطهر أحمد

أحرّمت ما قد كان قبل محلّلا(2)

وفي رواية السيد ابن طاووس رحمه الله قالوا : اللّهم نعم ، صدقت يا حسين فيما تقول ،قال : فبم تستحلون دمي ، وأبي صلي الله عليه و آله الذائد عن الحوض ، يذود عنه رجالاً كما يذادالبعير الصادر عن الماء(3) .

وروي أنّ أخوات الحسين وبناته ونساءه كانوا يسمعون كلام الإمام مع الأعداء ، لأنّ الأعداء كانوا قد أحاطوا بخيام الإمام ، فارتفعت أصواتهن بالبكاء والنحيب ، وفزعن فزعا شديدا ولطمن الخدود .

فيا ليتنا متنا ولم نر ما نري

ويا ليتنا لم نمتحن بحياة

فقال الامام عليه السلام : لا حول ولا قوة إلاّ باللّه العلي العظيم ، ثم أمر ابنه علي الأكبر وأخاه العباس أن يسكتوهن ، وقال لهم : قولوا لهن : إنّ البكاء أمامكن ، فلمّا بلغهن

كلام الإمام سكتن(4) .

فقال الإمام عليه السلام : اتركوني ارجع الي حرم جدّي ، وارجع عيالي ، اسقوني جرعة من الماء فقد واللّه تفتت كبدي من العطش .

1- الإرشاد : 2/97 وفيه : « فقال له شمر بن ذي الجوشن : هو يعبد اللّه علي حرف إن كان يدري ما تقول ! فقال له حبيب بن مظاهر : واللّه إنّي لأراك تعبد اللّه علي سبعين حرفا ، وأنا أشهد أنّك صادق ، ما تدري ما يقول ، قد طبع اللّه علي قلبك ، ثم قال لهم الحسين عليه السلام فإن كنتم في شكّ . . » .

2- بحار الأنوار : 45/262 باب 44 .

3- اللهوف : 86 المسلك الثاني .

4- تذكرة الشهداء : 353 ترجمة سيد علي جمال أشرف .

وروي الشيخ المفيد رحمه الله قال : فأخذوا لا يكلّمونه ، فنادي : يا شبث بن ربعي ، يا حجار بن أبجر ، يا قيس بن الأشعث ، يا يزيد بن الحارث ، ألم تكتبوا إليّ أن قد أينعت الثمار ، وأخضر الجناب ، وإنّما تقدم علي جند لك مجند ؟

فقال له قيس بن الأشعث : ما ندري ما تقول ! ولكن انزل علي حكم بني عمّك ، فإنّهم لم يروك إلاّ ما تحبّ .

فقال له الحسين عليه السلام : لا واللّه ، لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ، ولا أقرّ قرار(1)

العبيد ، ثم نادي : يا عباد اللّه ، « إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ » أعوذ « بِرَبِّي وَرَبِّكُمْمِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسابِ »(2) .

كلام عمر بن سعد مع الإمام الحسين عليه السلام

قال صاحب المناقب : بعد أن وعظهم الإمام الحسين عليه السلام وأتمّ عليه الحجة قال : أين عمر بن سعد ؟ ادعوا لي عمر .

فدعي له ، وكان كارها لا يحبّ أن يأتيه ، فقال : يا عمر أنت تقتلني ؟ تزعم أن يوليك الدعي بن الدعي بلاد الري وجرجان ؟ واللّه لا تتهنأ بذلك أبدا ، عهدا معهودا ، فاصنع ما أنت صانع ، فإنّك لا تفرح بعدي بدنيا ولا آخرة ، ولكأنّي برأسك علي قصبة قد نصب بالكوفة يتراماه الصبيان ويتّخذونه غرضا بينهم .

فاغتاظ عمر من كلامه ، ثم صرف بوجهه عنه ونادي بأصحابه : ما تنتظرون به ؟ احملوا بأجمعكم ، إنّما هي أكلة واحدة(3) .

ونادي عمر بن سعد – لعنه اللّه – : يا دريد – وهو حامل رايته – أدن رايتك ، فأدناها ، ثم وضع سهما في كبد قوسه ، ثم رمي وقال : اشهدوا لي عند الأمير أنّي أول من رمي السهم الي الحسين عليه السلام .

1- في الإرشاد : « أفرّ فرار » .

2- الإرشاد : 2/97 ، بحار الأنوار : 45/7 بقية الباب 37 .

3- بحار الأنوار : 45/9 بقية الباب 37 .

وقال محمد بن أبي طالب : فرمي أصحابه كلّهم ، فما بقي من أصحاب الحسين عليه السلام

إلاّ أصابه من سهامهم ، فلمّا رموهم هذه الرمية قلّ أصحاب الحسين عليه السلام ، وقتل في

هذه الحملة خمسون رجلاً(1) .

فليت أحمد والكرار والده

تنشق بالطف عن شخصيهما الترب

وليت يكشف عن وجه البتول له

براقع القبر لو يكشفنها الكرب

أهوت عليه الصبا لمّا علقن به

كأنّها الطير إذ تهوي فتخلب

وقال السيد ابن طاووس رحمه الله : فقال عليه السلام لأصحابه : قوموا رحمكم اللّه إلي الموت الذي لابد منه ، فإنّ هذه السهام رسل القوم إليكم ، فاقتتلوا ساعة من النهار حملةوحملة حتي قتل من أصحاب الحسين عليه السلام جماعة(2) .

للّه كم من ذي شيبة وشبيبة

في كربلاء بشبا الصوارم قطع

أسفا لهاتيك الجسوم علي الثري

مصروعة تسفي عليها الأصبع

للّه هاتيك الوجوه تعفّرت

ولطالما للّه كانت تركع

قال : فعندها ضرب الحسين عليه السلام يده علي لحيته وجعل يقول : اشتدّ غضب اللّه علي اليهود إذ جعلوا له ولدا ، واشتدّ غضبه علي النصاري إذ جعلوه ثالث ثلاثة ، واشتدّ غضبه علي المجوس إذ عبدوا الشمس والقمر دونه ، واشتدّ غضبه علي قوم اتفقت كلمتهم علي قتل ابن بنت نبيهم ، أما واللّه لا أجيبهم إلي شيء ممّا يريدون حتي ألقي اللّه تعالي وأنا مخضّب بدمي(3) .

وروي أنّه عليه السلام قال : أتممت عليكم الحجة ، وسأقاتلكم مع قلّة الأنصار والأعوان ، ولكنّي سأقاتلكم بهذه العصابة القليلة ، وإنّي لأعلم أنّنا سنقتل جميعا ، ثم لوي عنان فرسه وعاد الي أصحابه .

1- بحار الأنوار : 45/12 بقية الباب 37 .

2- اللهوف : 100 المسلك الثاني ، بحار الأنوار : 45/12 بقية الباب 37 .

3- اللهوف : 100 المسلك الثاني ، بحار الأنوار : 45/12 بقية الباب 37 .

المجلس السادس: في بيان شهادة بعض أصحابه الكرام

اشارة

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه الذي رفع مدارج أوليائه ، وأعلي معارج شهدائه ، وأعزّهم باشتراءأنفسهم وأموالهم ، وأكرمهم بتعويض دار كرامته ، كما هو منتهي آمالهم .

والصلاة والسلام علي أشرف أوليائه ، وأفضل أحبّائه ، محمد خاتم أنبيائه عليهم السلام ، والأئمة من بعده ، سادات أهل أرضه وسمائه .

سيّما علي الحسين المظلوم عليه السلام ، سيد شهدائه ، وأحبّ أنصاره وأحبّائه ، الذي أريق دمه في محبّته ، واستبيح حرمه في نصرته ، وعلي أنصاره المجاهدين ، وأوليائه المستشهدين .

السلام علي الأعضاء المقطّعات ، والأجسام المضرّجات ، السلام علي الدماء السائلات ، والشفاه الذابلات ، والعيون الباكيات ، والبطون الجائعات ، والقلوب المايعات ، السلام علي الوجوه المعفّرة ، والأيدي المقطوعة ، والرؤوس المرفوعة ، والأفواه اليابسة ، والأبدان المرضضة ، والصدور المحطّمة ، والأضلاع المنكسرة ، والأبدان السليبة العارية ، والأجساد الناعمة البالية .

السلام علي الديار الخاليات ، وعلي العيال الضائعات ، وعلي الذراري الموتورات ، السلام علي الغرباء الأسراء ، السلام علي الشهداء النجباء ، السلام علي الأتقياء الأزكياء ورحمة اللّه وبركاته .

وبعد ، فقد قال اللّه سبحانه :

« إِنَّ اللّهَ اشْتَري مِنَ الْمُؤمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ وَالاْءِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفي بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ وَذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ » .

* * *

الشهداء ومقام القرب الإلهي

اعلم أنّ القرب الإلهي لا يحصل إلاّ بسلوك طريق العبودية ، فكلّ من كان أرسخ قدما في مقام العبودية ، كان أعلي رتبة في مقام القرب من الربّ الجليل ، وكلّ من كان أعظم سعيا في ميادين الطاعة كان أرفع درجة عند اللّه عزّ وجلّ .وأعظم مراتب العبودية أن يضحي الإنسان بروحه في سبيل المحبوب ، لأنّ الروح أعزّ ما يملكه الإنسان ، وهي مقدّمة علي كلّ شيء ، وكلّ ما يريده الإنسان إنّما يريده من أجلها .

ولهذا فضّل المجاهدين علي غيرهم ، كما قال تعالي : « فَضَّلَ اللّهُ الْمجاهِدِينَ عَلَي الْقاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً » .

وكيف لا يكون كذلك وقد خاض إمتحانا عظيما ، وبلغ مرتبة عالية ، فاسترخص ماله ونفسه في سبيل اللّه ، فاشتراها اللّه منه بالجنة كما قال : « إِنَّ اللّهَ اشْتَري مِنَ الْمُؤمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ » .

روي الشيخ الصدوق رحمه الله في الخصال عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عن جدّه عن علي عليه السلام قال : إنّ للجنّة ثمانية أبواب ، باب يدخل منه النبيون والصديقون ، وباب يدخل منه الشهداء والصالحون(1) .

1- الخصال : 2/407 ح6 . وتتمة الحديث : « وخمسة أبواب يدخل منها شيعتنا ومحبونا ، فلا أزال واقفا علي الصراط أدعو وأقول : ربّ سلّم شيعتي ومحبّي وأنصاري ومن تولاّني في دار الدنيا ، فإذا النداء من بطنان العرش : قد أجيبت دعوتك وشفّعت في شيعتك ، ويشفع كلّ رجل من شيعتي ومن تولاّني ونصرني وحارب من حاربني بفعل أو قول في سبعين ألف من جيرانه وأقربائه ، وباب يدخل منه سائر المسلمين ممّن شهد أن لا إله إلاّ اللّه ، ولم يكن في قلبه مقدار ذرة من بغضنا أهل البيت » .

وروي الشيخ الطوسي رحمه الله بإسناده عن النبي صلي الله عليه و آله قال : لِلشَّهِيدِ سَبْعُ خِصَالٍ

مِنَ اللَّهِ :

أَوَّلُ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهِ مَغْفُورٌ لَهُ كُلُّ ذَنْبٍ .

وَالثَّانِيَةُ : يَقَعُ رَأْسُهُ فِي حجْرِ زَوْجَتَيْهِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ، وَتَمْسَحَانِ الْغُبَارَ عَنْ وَجْهِهِ ، تَقُولاَنِ : مَرْحَباً بِكَ ، وَيَقُولُ هُوَ مِثْلَ ذَلِكَ لَهُمَا .

وَالثَّالِثَةُ : يُكْسَي مِنْ كِسْوَةِ الْجَنَّةِ .

وَالرَّابِعَةُ : يَبْتَدِرُهُ خَزَنَةُ الْجَنَّةِ بِكُلِّ رِيحٍ طَيِّبَةٍ ، أَيُّهُمْ يَأْخُذُهُ مَعَهُ .وَالْخَامِسَةُ : أَنْ يُرَي مَنْزِلَتَهُ .

وَالسَّادِسَةُ : يُقَالُ لِرُوحِهِ اسْرَحْ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْتَ .

وَالسَّابِعَةُ : أَنْ يَنْظُرَ فِي وَجْهِ اللَّهِ ، وَإِنَّهَا لَرَاحَةٌ لِكُلِّ نَبِيٍّ وَشَهِيدٍ(1) .

وروي عن النبي صلي الله عليه و آله قال : لِلْجَنَّةِ بَابٌ يُقَالُ لَهُ « بَابُ الْمجَاهِدِينَ » يَمْضُونَ إِلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ مَفْتُوحٌ ، وَهُمْ مُتَقَلِّدُونَ بِسُّ يُوفِهِمْ ، وَالْجَمْعُ فِي الْمَوْقِفِ وَالْمَلاَئِكَةُ تُرَحِّبُ بِهِمْ(2) . . .

وفي نهج البلاغة عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال : . . فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ ، فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ ، وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَي ، وَدِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةُ ، وَجُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ(3) ، فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذُّلِّ ، وَشَمِلَهُ الْبَلاَءُ ، وَدُيِّثَ بِالصَّغَارِ

وَالْقَمَاءَةِ(4) .

1- تهذيب الأحكام : 6/121 باب 54 ح3 .

2- الكافي : 5/2 ح2 .

3- في المتن : « ودرع اللّه الحصينة ، وجنّته الوثيقة ، ألا ومن أهل ذلك الشهداء من الأنصار والأقرباء » .

4- نهج البلاغة : 69 .

وروي عن النبي صلي الله عليه و آله قال : فوق كلّ برّ برّ حتي يقتل الرجل في سبيل اللّه – عزّ وجلّ – ، فإذا قتل في سبيل اللّه فليس فوقه برّ(1) .

وفي حديث آخر : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلي الله عليه و آله : إِنَّ جَبْرَئِيلَ أَخْبَرَنِي بِأَمْرٍ قَرَّتْ بِهِ عَيْنِي

وَفَرِحَ بِهِ قَلْبِي ، قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، مَنْ غَزَا غَزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أُمَّتِكَ فَمَا أَصَابَهُ قَطْرَةٌ مِنَ السَّمَاءِ أَوْ صُدَاعٌ إِلاَّ كَانَتْ لَهُ شَهَادَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ(2) .

واعلم ، أنّ في هذا المقام مقامات عديدة ومراتب متفاوتة وأفضلها خدمةالإمام العادل أو النبي المرسل ، وتقديم الروح بين يديه من دون أيّ طمع دنيوي .

وأفضل المجاهدين المجاهد الذي سبق في الجهاد قال تعالي : « لا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقاتَلَ » .وقد أجمعت الأمّة أنّ السابقين للجهاد هم البدريون ، الذين قاتلوا في أول غزوة وقعت في الإسلام ، وكان الإسلام ضعيفا ، والمسلمون قليل ، وقد خرج فيها النبي صلي الله عليه و آله بنفسه .

فالأفضل هم الذين سبقوا الي الإسلام ، وأعرضوا عن الأموال والأنفس في نصر الإسلام وسيد أهل الأسلام .

ولكن الظاهر أنّ أهل بدر لم ينقطعوا عن الأهل والمال والدنيا قطعا تاما ، ولم ييأسوا منها يأسا كاملا ، وذلك أنّ النبي صلي الله عليه و آله كان قد أخبرهم بالنصر وبظفرهم بعدوهم .

ثم إنّهم كانوا من المهاجرين والأنصار ، أمّا المهاجرون فإنّهم وإن كانوا غرباء إلاّ أنّهم كانوا قد استوطنوا المدينة ، وأمّا الأنصار فإنّهم كانوا في أرضهم ووطنهم ، ولذا كان الجميع مطمئنون بما خلفهم من العيال والأهل والوطن .

1- الخصال : 1/9 ح31 .
2- الكافي : 5/8 ح8 .

شهداء كربلاء أفضل من أصحاب الرسول صلي الله عليه و آله

لو تأمّلت جيدا وجدت أنّ الذين استشهدوا بين يدي سيد الشهداء عليه السلام أولي وأفضل من عدّة وجوه :

وذلك أنّ هؤلاء أحيطوا بعدد لا يحصي في بلاد الغربة ، واختاروا البقاء مع الحسين عليه السلام بالرغم من الأمان المعروض عليهم ، والدنيا المعروضة عليهم من الولايات والرئاسة وامارة العسكر ، رفضوا كلّ ذلك وهم يعلمون أنّ الموت بانتظارهم البتة لما بلغهم من الأخبار المتظافرة عن النبي صلي الله عليه و آله وأمير المؤمنين عليه السلام(1) .

وقد أخبرهم سيد الشهداء عليه السلام مرّة بعد مرّة أنّهم يقتلون جميعا ، وبالرغم من ذلك صمدوا أمام جبال الحديد من السيوف والرماح والنبال ، ولم يقصروا فيالدفاع عن إمامهم حتي شربوا كؤوس المنية ، وتنافسوا في المسارعة الي الجنان .

لمّا قتل البدريون صلّي عليهم النبي صلي الله عليه و آله وأمير المؤمنين عليه السلام وخيار الصحابة ، ودفنوهم معززين مكرمين ، بينما بقي شهداء كربلاء مطرحين علي الرمضاء لم يصلّي عليهم أحد .

كان المجاهدون في بدر – علي أشهر الروايات – ثلاثمائة وثلاثة عشر ، وكان عدد عسكر الأعداء ألفا أو تسعمائة ، وكان أصحاب سيد الشهداء – علي أشهر الروايات – إثنين وسبعين ، وكان عدد عسكر الأعداء ثلاثين ألفا(2) .

خاف المسلمون في بدر خوفا شديدا ، فأرسل اللّه – تبارك وتعالي – جبرئيل في ألف ، وميكائيل في ألف ، وإسرافيل في ألف من الملائكة مسومين لينصروا النبي صلي الله عليه و آله ، وروي أنّهم كانوا ألفين ، وروي أنّهم خمسة آلاف من الملائكة علي خيل بلق ، علي رؤوسهم عمائم بيض .

1- انظر بحار الأنوار : 44/250 باب 31 .

2- اعلام الوري : 1/168 ، بحار الأنوار : 45/4 .

روي عن سهل بن عمرو قال : لقد رأيت يوم بدر رجالاً بيضا علي خيل بلق بين السماء والأرض معلّمين يقتلون ويأسرون .

وروي عن أبي رهم الغفاري عن ابن عم له قال : بينا أنا وابن عم لي علي ماء بدر ، فلمّا رأينا قلّة من مع محمد صلي الله عليه و آله ، وكثرة قريش ، قلنا : إذا التقت الفئتان عمدنا إلي عسكر محمد وأصحابه فانتهبناه .

فانطلقنا نحو المجنبة اليسري من أصحاب محمد صلي الله عليه و آله ، ونحن نقول : هؤاء ربع قريش ، فبينا نحن نمشي في الميسرة إذ جاءت سحابة فغشيتنا ، فرفعنا أبصارنا لها ، وسمعنا أصوات الرجال والسلاح ، وسمعنا قائلاً يقول لفرسه : أقدم حيزوم ، وسمعناهم يقولون : رويدا تتام أخراكم ، فنزلوا علي ميمنة رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، ثم جاءت أخري مثل تلك ، فكانت مع النبي صلي الله عليه و آله ، فنظرنا إلي أصحاب محمد ، وإذا همعلي الضعف من قريش ، فمات ابن عمي ، وأمّا أنا فتماسكت ، وأخبرت النبي صلي الله عليه و آله بذلك وأسلمت .

وعن صهيب قال : ما أدري كم يد مقطوعة وضربة جائفة لم يدم كلمها يوم بدر قد رأيتها . وكانت علامة علي ضربات الملائكة .

وروي أبو بردة(1) قال : جئت يوم بدر بثلاثة أرؤ ، فوضعتها بين يدي رسول اللّه ، فقلت : يا رسول اللّه ، أمّا إثنان فقتلتهما ، وأمّا الثالث فإنّي رأيت رجلاً طويلاً أبيض ضربه ، فتدهدي أمامه ، فأخذت رأسه ، فقال رسول اللّه صلي الله عليه و آله : ذاك فلان من الملائكة(2) .

وكان انهزام قريش حين زالت الشمس ، فخرج رسول اللّه صلي الله عليه و آله من بدر ، فمرّ بالأثيل فصلي العصر بالأثيل ، فلمّا صلّي ركعة تبسّم ، فلمّا سلّم سئل عن تبسّمه ،

1- في المتن : « أبو هريرة » .

2- بحار الأنوار : 19/343 باب 10 .

فقـال : مرّ بي ميكائيـل وعلي جنـاحه النقع ، فتبسّم إليّ وقال : إنّني كنت في طلب القوم ، وأتاني جبرئيل علي فرس أنثي معقود الناصـية قد عصم ثنيته الغبار ، فقال : يا محمد ، إنّ ربّي بعثني إليك وأمرني أن لا أفارقك حتي ترضي ، فهل رضيت ؟ فقلت : نعم(1) .

وكـذلك لم يكن عدد الكفار في معركة بدر أكثر من ألف ، وقد داخلهم الرعب والخوف وهم ثلاثمائة أو يزيدون ، حتي أنّ النبي صـلي الله عليه و آله دعا ربّه لما رأي ما بهم ، وقال

اللّه تعالي : « إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ » .

فيما كان أصحاب الحسين عليه السلام مع قلّة العدد ، وكثرة العدو لا يبالون بهم ، وكانوا يتمازحون فيما بينهم .خرج أصحاب بدر طمعا في الغنائم والإستيلاء علي القافلـة ، فلمّا أخبرهم جبرئيل أنّ القافلة فاتتهم ، وأنّ المشـركين خرجوا لقتالهم قالوا : إنّنا لم نخرج للقتال ، فجعلوا يأتمرون ويفكرون كيف يتخلّصون من المواجهة والقتال .

فيما كان سـيد الشـهداء عليه السـلام يقول لأصـحابه : أنتم في حلّ مني ، إذهبوا واتركوني مع هؤلاء القوم ، فكانوا يقولون : قبّح اللّه العيش بعدك يا ابن رسول اللّه ، وما نصنع بالحياة بعدك ؟

كان أصحاب بدر موعودون من قبل اللّه ورسوله بالنصر ، فيما كان أصحاب الحسين عليه السلام يعلمون أنّهم مقتولون جميعا .

كان أصـحاب بـدر آمنون علي عيالهم وأطفالهم ، فيما كان أصـحاب سـيد الشـهداء يفكرون بأنفسـهم من جانب ، ويفكرون بسبي عيالهم وأطفالهم من جهة أخري .

لم يمنع الماء عن أصحاب بدر ، فيما قتل أصحاب سيد الشهداء ظمايا ذبلت شفاههم ، وجفت حلوقهم من العطش .

1- بحار الأنوار : 19/346 باب 10 .

نزلت الملائكة ونصـرت أهل بدر ، فيما قاتل أصـحاب الحسـين عليه السلام وحدهم لم ينصرهم أحد حتي قتلوا ، أمّا الملائكة الذين نزلوا في كربلاء فإنّهم لم يفعلوا لأنّ قتل أصحاب الحسين عليه السلام كان مقدرا .

روي عن الإمام الرضا عليه السلام قال : . . ولقد نزل إلي الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره ، فوجدوه قد قتل ، فهم عند قبره شعث غبر إلي أن يقوم القائم ، فيكونون من أنصاره ، وشعارهم « يا لثارات الحسين »(1) .

لهفي علي الجسد المغادر بالفلا

شلوا تقبّله حدود ضباك

لهفي علي الخدّ التريب تخدّه

سفها بأطراف القنا سفهاك

لهفي لآلك يا رسول اللّه في

أيدي الطغاة نوائح وبواكيت

اللّه لا أنساك زينب والعدي

جبرا تجاذب عنك فضل رداك

حتي إذا همّوا لسلبك صحت باس-

-م أبيك واستصرخت ثمّ أخاك

لهفي لندبك باسم أخيك وهو

مجروح الجوارح بالسياق يراك

تستصرخيه أذي وعزّ عليه أن

تستصرخيه ولا يجيب نداك

أفضلية شهداء كربلاء

وبالجملة ، لو أنّك تأمّلت جيدا علمت أنّ شـهداء كربلاء أعظم درجة وأعلي رتبة ، ولهم مقام جليل ، كيف لا ؟ وأمير المؤمنين عليه السلام يقول في حديث طويل : وخير الخلق وسيدهم بعد الحسن ابني أخوه الحسين المظلوم بعد أخيه المقتول في أرض كربلاء ، أما إنّه وأصحابه من سادة الشهداء يوم القيامة(2) .

وروي عن الصادق عليه السلام قال : كان الحسين بن علي عليهماالسلام يضع قتلاه بعضهم علي بعض ، ثم يقول : قتلانا قتلي النبيين وآل النبيين(3) .

ص: 196

1- بحار الأنوار : 44/285 باب 34 .

2- كمال الدين : 1/259 باب 24 .

3- الغيبة للنعماني : 211 باب 12 ، بحار الأنوار : 45/80 بقية الباب 37 .

وروي الشيخ الصدوق رحمه الله عن جبلة المكيّة قالت : سمعت ميثم التمار يقول : واللّه لتقتلن هذه الأمّة ابن نبيها في المحرم لعشر مضين منه ، وليتّخذن أعداء اللّه ذلك اليوم يوم بركة ، وإنّ ذلك لكائن قد سبق في علم اللّه – تعالي ذكره – أعلم ذلك بعهد عهده إليّ مولاي أمير المؤنين صلي الله عليه و آله .

ولقد أخبرني أنّه يبكي عليه كلّ شيء حتي الوحوش في الفلوات ، والحيتان في البحار ، والطير في جوّ السماء ، وتبكي عليه الشمس والقمر والنجوم ، والسماء والأرض ، ومؤنو الإنس والجن ، وجميع ملائكة السماوات ، ورضوان ومالك ، وحملة العرش ، وتمطر السماء دما ورمادا .

ثم قال : وجبت لعنة اللّه علي قتلة الحسين عليه السلام كما وجبت علي المشركين الذينيجعلون مع اللّه إلها آخر ، وكما وجبت علي اليهود والنصاري والمجوس .

قالت جبلة : فقلت له : يا ميثم ، وكيف يتّخذ الناس ذلك اليوم الذي يقتل فيه الحسين بن علي عليهماالسلام يوم بركة ؟

فبكي ميثم رضي الله عنه ، ثم قال : سيزعمون بحديث يضعونه أنّه اليوم الذي تاب اللّه فيه علي آدم عليه السلام ، وإنّما تاب اللّه علي آدم

عليه السلام في ذي الحجة .

ويزعمون أنّه اليوم الذي قبل اللّه فيه توبة داود ، وإنّما قبل اللّه توبته في ذي الحجة .

ويزعمون أنّه اليوم الذي أخرج اللّه فيه يونس من بطن الحوت ، وإنّما أخرجه اللّه من بطن الحوت في ذي القعدة .

ويزعمون أنّه اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح علي الجودي ، وإنّما استوت علي الجودي يوم الثامن عشر من ذي الحجة .

ويزعمون أنّه اليوم الذي فلق اللّه فيه البحر لبني إسرائيل ، وإنّما كان ذلك في شهر ربيع الأول .

ثم قال ميثم : يا جبلة اعلمي أنّ الحسين بن علي عليهماالسلام سيد الشهداء يوم القيامة ، ولأصحابه علي سائر الشهداء درجة . وفي رواية : وإنّ فضل أصحابه علي سائر الشهداء كفضل السماء .

يا جبلة ، إذا نظرت إلي الشمس حمراء كأنّها دم عبيط فاعلمي أنّ سيدك الحسين عليه السلام قد قتل .

قالت جبلة : فخرجت ذات يوم فرأيت الشمس علي الحيطان كأنّه الملاحف المعصفرة ، فصحت حينئذ وبكيت وقلت : قد واللّه قتل سيدنا الحسين بن علي عليهماالسلام(1) .وروي صاحب البصائر قال : وروي أنّ رسول اللّه كان يوما مع جماعة من أصحابه مارّا في بعض الطريق ، وإذا هم بصبيان يلعبون في ذلك الطريق ، فجلس النبي صلي الله عليه و آله عند صبي منهم وجعل يقبّل ما بين عينيه ويلاطفه ، ثم أقعده علي حجره ، وكان يكثر تقبيله ، فسئل عن علّة ذلك ، فقال صلي الله عليه و آله : إنّي رأيت هذا الصبي يوما يلعب مع الحسين ، ورأيته يرفع التراب من تحت قدميه ويمسح به وجهه وعينيه ، فأنا أحبّه لحبّه لولدي الحسين ، ولقد أخبرني جبرئيل أنّه يكون من أنصاره في وقعة كربلاء(2) .

وروي عن أبي الحسن موسي بن جعفر عليهماالسلام : إذا كان يوم القيامة نادي مناد : أين حواري محمد بن عبد اللّه رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، الذين لم ينقضوا العهد ، ومضوا عليه ؟ فيقوم سلمان ، والمقداد ، وأبو ذر .

ثم ينادي : أين حواري علي بن أبي طالب ، وصي محمد بن عبد اللّه رسول اللّه صلي الله عليه و آله ؟ فيقوم عمرو بن الحمق الخزاعي ، ومحمد بن أبي بكر ، وميثم بن يحيي التمار مولي بني أسد ، وأويس القرني .

1- الأمالي للصدوق : 126 المجلس 27 ، بحار الأنوار : 45/202 باب 40 .

2- بحار الأنوار : 44/242 باب 30 ح36 .

ثم ينادي المنادي : أين حواري الحسن بن علي وابن فاطمة بنت محمد رسول اللّه صلي الله عليه و آله ؟ فيقوم سفيان بن أبي ليلي الهمداني ، وحذيفة بن أسيد الغفاري .

ثم ينادي : أين حواري الحسين بن علي عليهماالسلام ؟ فيقوم كلّ من استشهد معه ، ولم يتخلّف عنه . . .(1) .

أجل ، واللّه لم ينصره أحد ، ولكنّهم أحسنوا نصرته ، ولم يغثه أحد ، إلاّ أنّهم أعرضوا عن المال والعيال والولد حتي قتلوا في محبّته ظمايا قد ذبلت شفاههم من العطش وتفتت أكبادهم ، لم ينهلوا من عذب فراتها ، لأنّهم استعذبوا شهد الشهادة ،واستهوتهم كؤوس المنايا ، فقاتلوا حتي وقعوا مرمّلين في دمائهم .

فيا لهف لهفي علي الكهول والشبّان ، ويا تأسفي علي تلك الأجسام والأبدان ، هي جسوم طالما أتعبوها في عبادة الرحمن ، وتلاوة القرآن ، وملقاة علي التراب من غير فراش ، ولا مهاد ، ولا وطاء ، ولا وساد ، تهبّ عليها الصبا والدبور ، وتعدو عليها العقبان والنسور .

ووا أسفاه ، علي تلك الجثث الشريفة ، والشمائل اللطيفة .

ووا غصّتاه علي ذبح أشبالهم ، وسبي عيالهم ، ونهب رحالهم ، وقسمة فيئهم وأموالهم .

فياليتني كنت عنهم فداء ، ولأنفسهم وقاء .

كانوا ليوث الوغي جمعا وبحر ندي

للوافدين وأقمار بأسحار

أقمار حسن عراها الخسف فاحتجبت

عن البرايا ولم تحجب عن البار

دارت عليهم رحي الهيجاء قاطبة

حتي فنوا تحت خطّار وبطّار

أفدي الجسوم الزواكي لا وطاء لها

تسفو عليها سوافي ريح أعصار

أضحت نساؤهم في السبي بارزة

تحكي بدورا عراها خسف أضرار

1- الاختصاص : 61 .

تدور حول الحسين الطهر حاسرة

كواله ولها نوح بتذفار

وزينب أخته في البين نادبة

يا قوم من لغريب الأهل والدار

قد كنتم قبل ذا تخشون صولته

ورأسه الآن أضحي فوق خطّار

ذبحتم سندي أحرقتم كبدي

كسرتم عضدي أخمدتم ناري

عزيز قوم رماه الذلّ بينكم

ربّ الصيانة بل مختار مختار

ليت المنية قبل اليوم بي نزلت

ومقلتي عميت عن هتك أستار

الإخبار بشهادة الإمام الحسين عليه السلام

لا أدري أيّ قلب لا يذوب في هذه البلية ؟ وأيّ عين لا تسيل دموعهافي هذه الرزية ؟

أما علمت أنّها مصيبة تزلزل لها الكون ، وبكت لها السماء والأرض دما ؟

بكي لها الحجر والشجر ، واحترق في نيران الآهات الوحش والطير ، وقعد فيها الملائكة المقرّبين للعزاء .

إنّه قتيل أقاموا عزاءه وبكوا له قبل أن يقتل . . فقد روي أنّ ملكا من ملائكة الصفيح الأعلي اشتاق لرؤة النبي صلي الله عليه و آله ، واستأذن ربّه بالنزول إلي الأرض لزيارته ، وكان ذلك الملك لم ينزل إلي الأرض أبدا منذ خلقت .

فلمّا أراد النزول أوحي اللّه تعالي إليه يقول : أيّها الملك ، أخبر محمدا أنّ رجلاً من أمّته اسمه « يزيد » يقتل فرخه الطاهر بن الطاهرة نظيرة البتول مريم بنت عمران .

فقال الملك : لقد نزلت إلي الأرض ، وأنا مسرور برؤة نبيك محمد صلي الله عليه و آله ، فكيف أخبره بهذا الخبر الفضيح ، وإنّني لأستحيي منه أن أفجعه بقتل ولده ، فليتني لم أنزل إلي الأرض .

قال : فنودي الملك من فوق رأسه أن افعل ما أمرت به ، فـدخل الملك إلي رسول اللّه ، ونشـر أجنحته بين يديه ، وقال : يا رسول اللّه ، اعلم ، أنّي استأذنت ربّي

ص: 200

في النزول إلي الأرض شوقا لرؤتك وزيارتك ، فليت ربّي كان حطّم أجنحتي ولم آتك بهـذا الخبر ، ولكن لابد من إنفاذ أمر ربّي – عزّ وجلّ – .

اعلم يا محمد ، أنّ رجلاً من أمتك اسـمه « يزيد » – زاده اللّه لعنا في الدنيا وعذابا في الآخرة – يقتل فرخك الطاهر بن الطاهرة ، ولم يتمتّع قاتله في الدنيا من بعده إلاّ قليلاً ، ويأخذه اللّه مقاصا له علي سوء عمله ، ويكون مخلّدا في النار .

فبكي النبي صـلي الله عليه و آله بكاء شديـدا وقال : أيّها الملك ، هل تفلـح أمّة بقتل ولدي وفرخ ابنتي ؟فقال : لا يا محمد ، بل يرميهم اللّه باختلاف قلوبهم وألسنتهم في دار الدنيا ، ولهم في الآخرة عذاب أليم(1) .

وروي أيضا : أنّ ملك المطر استأذن أن يأتي رسول اللّه ، فقال النبي صلي الله عليه و آله لأم سلمة : املكي علينا الباب لا يدخل علينا أحد ، فجاء الحسين ليدخل ، فمنعته ، فوثب حتي دخل ، فجعل يثب علي منكبي رسول اللّه صلي الله عليه و آله ويقعد عليهما .

فقال له الملك : أتحبّه ؟ قال : نعم ، قال : فإنّ أمّتك سـتقتله ، وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه ، فمدّ يده ، فإذا طينة حمراء ، فأخذتها أم سلمة فصيّرتها إلي

طرف خمارها(2) .

وروي شرحبيل بن أبي عون أنّه قال : لمّا ولد الحسين عليه السلام هبط ملك من ملائكة الفردوس الأعلي ، ونزل علي البحر الأعظم ، ونادي في أقطار السموات والأرض : يا عباد اللّه إلبسوا ثوب الأحزان ، وأظهروا التفجّع والأشجان ، فإنّ فرخ محمد مذبوح مظلوم مقهور .

1- بحار الأنوار : 45/314 باب 46 .

2- الأمالي للطوسي : 329 المجلس 11 ح105 ، بحار الأنوار : 44/231 باب 30 ح14 .

ثم جاء ذلك الملك الي النبي صلي الله عليه و آله وقال : يا حبيب اللّه يقتل علي هذه الأرض قوم من أهل بيتك ، تقتلهم فرقة باغية من أمّتك ظالمة معتدية فاسقة ، يقتلون فرخك الحسين ابن ابنتك الطاهرة ، يقتلوه بأرض كربلاء ، وهذه تربته .

ثم ناوله قبضة من أرض كربلاء ، وقال له : يا محمد ، احفظ هذه التربة عندك حتي تراها ، وقد تغيرت واحمرت ، وصارت كالدم ، فاعلم أنّ ولدك الحسين قد قتل .

ثم إنّ ذلك الملك حمل من تربة الحسين عليه السلام علي بعض أجنحته ، وصعد الي السماء بها ، فلم يبق ملك في السماء إلاّ وشمّ تربة الحسين عليه السلام ، وتبرّك وهو يقول : قتل اللّه قاتلك يا حسين ، وأصلاه في نار الجحيم ، اللّهم لا تبارك في قاتله ، وأصله حرّ نار جهنّم ، وبئس المصير .

ثم دفع تلك التربة من تربة الحسين الي زوجته أم سلمة ، وأخبرها بقتل الحسين عليه السلام بطف كربلاء وقال لها : يا أم سلمة خذي هذه التربة اليك ، وتعاهديها بعد وفاتي ، فإذا رأيتيها وقد تغيّرت واحمرت وصارت دما عبيطا ، فاعلمي أنّ ولدي الحسين قد قتل بطف كربلاء .

فلمّا أتي للحسين سنة كاملة من مولده هبط الي رسول اللّه إثني عشر ألف ملك علي صور شتي ، محمرة وجوههم ، باكية عيونهم ، ونشروا أجنحتهم بين يدي رسول اللّه ، وهم يقولون : يا محمد ، إنّه سينزل بولدك الحسين مثل ما نزل بهابيل من قابيل .

قال : ولم يبق ملك في السماء إلاّ ونزل علي رسول اللّه صلي الله عليه و آله يعزّيه بولده الحسين عليه السلام ، ويخبره بما يعطي من الأجر لزائره والباكي عليه ، والنبي مع ذلك يبكي ويقول : اللّهم اخذل من خذله ، واقتل من قتله ، ولا تمتعه بما أمله في الدنيا ، وأصله حرّ نارك في الآخرة(1) .

1- المنتخب : 62/1 المجلس 4 .

أجل ، إنّها مصـيبة أعلنت منذ ولادة صاحبها علي المقرّبين ، وأخبروا بشـهادته يوم بشّروا بولادته ، وأقيم عزاؤه يوم ولادته ، ولبسوا لها أثواب الحزن قبل وقوعها .

اللّه أكبر إنّها لمصيبة

ثلّت عروش الدين بثلثل

اللّه أكبر إنّها لرزيّة

ألقت علي الإسلام صفحة كلكل

عجبا من السبع الطرائق كيف لم

تنشق والأرضين لم تتزلزل

أسفا عليه والكواكب كيف لم

تنقضّ والأفلاك لم تتعطّل

قتل ابن فاطمة وتلك حريمه

بيد الأعادي لا كفيل ولا ولي

أيبيت بالطف الحسين مجدّلا

يا للرجال علي الثري والجندل

وتبيت من أمن أمية نوّما

لم تخش من خوف ولم تتوجّل

هل تقبلون بأنّ خير نسائكم

في الأسر يستعطفن من لم يقبل

ويقاد في الأصفاد من أمّلتم

بعد ابن فاطمة لكلّ مؤمّل

يسري به ونساؤه من حوله

مبارزات أنصار الإمام الحسين عليه السلام وشهادتهم

اشارة

اعلم أنّ العدد المعدود الذي كان في خدمة سيد الشهداء عليه السلام كانوا من المؤمنين الخواص الذين أعرضوا بالمرّة عن الدينا ، وضحوا بأرواحهم شوقا وتلهّفا الي تحقيق رضا اللّه ورضا الإمام . فاستمع الي مجمل من أخبار شهادتهم ، وما أبلوه من بلاء حسن في الدفاع عن إمامهم .

فقد روي العلماء الأعلام من أمثال الشيخ المفيد والشيخ الصدوق والسيد ابن طاووس وغيرهم هذه المحنة كالتالي :

شهادة الحر

وهو أول من استشـهد من أنصار الحسـين عليه السلام بعد الحملة الأولي ، حيث سارع الكثير من أنصار الإمام عليه السلام الي دار السرور في الحملة الأولي ، فرفع الحسين عليه السلام

صوته إتماما للحجة ونادي : أما من مغيث يغيثنا لوجه اللّه ؟ أما من ذابّ يذبّ عن حرم رسول اللّه صلي الله عليه و آله ؟

فإذا الحر بن يزيد قد أقبل إلي عمر بن سعد فقال : أمقاتل أنت هذا الرجل ؟قال : إي واللّه قتالاً أيسره أن تطير الرؤوس وتطيح الأيدي .

فمضي الحر ووقف موقفا من أصحابه ، وأخذه مثل الأفكل ، فقال له المهاجر بن أوس : واللّه إنّ أمرك لمريب ! ولو قيل لي : من أشجع أهل الكوفة لما عدوتك ! فما هذا الذي أري منك ؟

فقال : واللّه إنّي أخيّر نفسي بين الجنّة والنار ، فواللّه لا أختار علي الجنّه ولو

قطعت وأحرقت .

ثم ضرب فرسه قاصدا إلي الحسين عليه السلام ويده علي رأسه وهو يقول : اللّهم إليك أنبت فتب عليّ فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد بنت نبيك .

وقال للحسـين عليه السـلام : جعلت فـداك ، أنا صاحبك الذي حبسك عن الرجوع وجعجع بك ، وما ظننت أنّ القوم يبلغون منك ما أري ، وأنا تائب إلي اللّه تعالي ، فهل تري لي من توبة ؟

فقال الحسين عليه السلام : نعم يتوب اللّه عليك ، فانزل ، فقال : أنا لك فارسا خير منّي لك راجلاً ، وإلي النزول يصير آخر أمري(1) .

وروي السـيد ابن نما في مثير الأحزان : أنّه قال للحسـين عليه السـلام : لمّا وجهني عبيد اللّه إليك خرجت من القصـر فنوديت من خلفي : أبشر يا حر بخير !

1- اللهوف : 102 .

فالتفت فلم أر أحدا ! فقلت : واللّه ما هذه بشارة ، وأنا أسير إلي الحسين عليه السلام ، وما أحدّث نفسي باتباعك ، فقال عليه السلام : لقد أصبت أجرا وخيرا(1) .

وفي بعض كتب المقاتل : قال الحر للحسين عليه السلام : سيدي رأيت الليلة أبي في المنام ، فقال لي : أين كنت في هذه الأيام ؟ قلت : خرجت لأخذ الطريق علي الحسين عليه السلام ، فصاح عليّ وقال : وا ويلاه ، ما أنت وابن رسول اللّه صلي الله عليه و آله ؟ إن كنتتريد أن تعذّب وتخلّد في النار فاخرج الي حربه ، وإن أحببت أن يكون جدّه شفيعك في القيامة ، وتحشر معه في الجنّة ، فانصره وجاهد معه(2) .

قال الشيخ الصدوق رحمه الله : فكان أول من تقدّم إلي براز القوم ، فاستأذن الإمام الحسين عليه السلام فأذن له ، فبرز وجعل ينشد ويقول :

إنّي أنا الحر ومأوي الضيف

أضرب في أعناقكم بالسيف

عن خير من حلّ بأرض الخيف

أضربكم ولا أري من حيف(3)

وروي أنّ الحر لما لحق بالحسين عليه السلام قال رجل من تميم يقال له « يزيد بن سفيان » : أما واللّه لو لحقته لأتبعته السنان ، فبينما هو يقاتل ، وإنّ فرسه لمضروب علي أذنيه وحاجبيه ، وإنّ الدماء لتسيل ، إذ قال الحصين : يا يزيد ، هذا الحر الذي كنت تتمنّاه ، قال : نعم ، فخرج إليه ، فما لبث الحر أن قتله ، وقتل أربعين فارسا وراجلاً .

وروي أنّه التفت في تلك الحالة الي الحسين عليه السلام فقال : هل رضيت عنّي يا أبا عبد اللّه ؟ فقال الحسين عليه السلام : نعم ، أنت حرّ كما سمّتك أمّك .

فلم يزل يقاتل حتي عرقب فرسه ، وبقي راجلاً ، فقال :

إن تعقروا بي فأنا ابن الحر

أشجع من ذي لبد هزبر

1- مثير الأحزان : 60 .

2- روضة الشهداء : 278 .

3- بحار الأنوار : 45/14 .

ثم لم يزل يقاتل ، ويضربهم بسيفه ، وتكاثروا عليه ، فاشترك في قتله أيوب بن مسرح ، ورجل آخر من فرسان أهل الكوفة(1) .

وروي أنّهم طعنوه برمح في صدره ، فصاح : أدركني يا ابن رسول اللّه .

وقال السيد ابن طاووس : فأتاه الحسين عليه السلام ودمه يشخب ، فقال : بخ بخ ياحر ، أنت حر كما سميت في الدنيا والآخرة ، ثم أنشأ الحسين عليه السلام يقول :

لنعم الحر حرّ بني رياح

صبور عند مختلف الرماح

ونعم الحرّ إذ نادي حسينا

فجاد بنفسه عند الصباح(2)

فجعل الحسين عليه السلام يمسح وجهه ويقول : أنت الحر كما سمّتك أمّك ، وأنت الحر في الدنيا ، وأنت الحر في الآخرة(3) .

وفي بعض كتب المقاتل : أنّ أخاه مصعب تاب أيضا ، وجاء عند الحسين عليه السلام

واستأذنه في القتال فأذن له ، فبرز يقاتل حتي قتل(4) .

وكذا إلتحق بالحسين عليه السلام ولده وغلامه(5) ، ولم يثبت عندي صحّة الخبر !!

شهادة برير بن خضير الهمداني

ثم برز برير بن خضير الهمداني بعد الحر ، وكان من عباد اللّه الصالحين ، فبرز وهو يقول :

أنا برير وأبي خضير

ليث يروع الأسد عند الزئر

يعرف فينا الخير أهل الخير

أضربكم ولا أري من ضير

كذاك فعل الخير من برير

1- الإرشاد : 2/103 .

2- بحار الأنوار : 44/319 باب 37 .

3- أمالي الصدوق : 223 المجلس 30 .

4- انظر رياض الشهداء : 2/122 .

5- انظر الدمعة الساكبة : 4/293 .

وجعـل يحمـل علي القوم وهو يقول : اقتربوا منّي يـا قتلـة المؤنين ، اقتربوا منّي يا قتلـة أولاد البـدريين ، اقتربوا منّي يا قتلـة أولاد رسول ربّ العالمين وذريته الباقين ، وكان برير أقرأ أهل زمانه .

فلم يزل يقاتل حتي قتل ثلاثين رجلاً ، فبرز إليه رجل يقال له « يزيد بن معقل » ، فقال لبرير : أشـهد أنّك من المضلّين ، فقال له برير : هلم فلندع اللّه أن يلعن الكاذب منّا ، وأن يقتل المحقّ منّا المبطل ، فتصاولا ، فضـرب يزيد لبرير ضربة خفيفةلم يعمل شيئا ، وضربه برير ضربة قدّت المغفر ، ووصلت إلي دماغه ، فسقط قتيلاً .

فحمـل رجـل من أصـحاب ابن زياد ، فقتل بريرا رحمه اللّه ، وكان يقال لقاتله « بحير بن أوس الضبي » ، فجال في ميـدان الحرب ، وجعل يقول :

سلي تخبري عنّي وأنت ذميمة

غداة حسين والرماح شوارع

ألم آت أقصي ما كرهت ولم يحل

غداة الوغي والروع ما أنا صانع

معي مزني لم تخنه كعوبه

وأبيض مشحوذ الغرارين قاطع

فجردته في عصبة ليس دينهم

كديني وإنّي بعد ذاك لقانع

وقد صبروا للطعن والضرب حسرا

وقد جالدوا لو أنّ ذلك نافع

فأبلغ عبيد اللّه إذ ما لقيته

بأنّي مطيع للخليفة سامع

قتلت بريرا ثم جلت لهمة

غداة الوغي لما دعا من يقارع

ثم ذكر له بعـد ذلـك أنّ بريرا كان من عباد اللّه الصالحين ، وجاءه ابن عم له وقال : ويحك يا بحير ، قتلت برير بن خضـير ، فبأي وجه تلقي ربّك غدا ؟

فندم الشقي وأنشأ يقول :

فلو شاء ربّي ما شهدت قتالهم

ولا جعل النعماء عند ابن جائر

لقد كان ذا عارا عليّ وسبّة

يعيّر بها الأبناء عند المعاشر

فيا ليت أنّي كنت في الرحم حيضة

ويوم حسين كنت ضمن المقابر

فيا سوأتا ماذا أقول لخالقي

وما حجّتي يوم الحساب القماطر(1)

1- بحار الأنوار : 45/15 بقية الباب 37 .

شهادة وهب بن عبد اللّه الكلبي

ثم برز من بعده وهب بن عبد اللّه بن حباب الكلبي ، وقد كانت معه أمّه يومئذ ، وكان وهب شابا جميلاً وسيما ، وجهه كالبدر ، وكان جديد عهد بالزواج ، أي أنّه كان قد تزوج قبل سبعة عشر يوما(1) ، وكان نصرانيا أسلم علي يدي الحسين عليه السلامهو وأمّه فاتبعوه(2) عليه السلام .فلمّا قتل جماعة من أصحاب الحسين عليه السلام ، جاءته أمّه فقالت : قم – يا بني – فانصر ابن بنت رسول اللّه ، فقال : أفعل يا أمّاه ولا أقصر(3) . ولكن لو أذنت لي أن أذهب الي هذه الحرّة ، فإنّها ابتلت بطريقتنا ، وهي جديدة عهد بالعرس ، ولم تذق طعم الحياة معنا ، فأسلّيها وأطيّب خاطرها .

فقالت له أمّه : اذهب ، ولكن احذر أن تصدّك عن قصدك ، وتحرمك من حظّك ، فتحرم من الخلود في النعيم المقيم ، فقال لها : اطمئني يا أمّاه ليس في قلبي شي ء سوي الحبّ والوفاء لابن خاتم الأنبياء .

فأقبل الي زوجته وتحدّث لها عن غربة ابن فاطمة عليهاالسلام ، وقال لها : أترضين أن أفديه بنفسي ليكون جدّه محمد صلي الله عليه و آله شفيعنا غدا يوم القيامة ؟ ونرضي أمّه فاطمة وأباه عليا عليهماالسلام ، فتحسرت زوجته وقالت : ليت لي ألف نفس أفدي بها الحسين عليه السلام ، ولو كان القتال مباحا للنساء لقاتلت معك وفديته بنفسي ، ولكن قم معي لنقف بين يديه فإنّي أريد أن تشرط لي أمامه أن لا تدخل الجنّة غدا يوم القيامة حتي تدخلني معك .

فقاما الي الإمام عليه السلام وتعاهدا عنده ، ثم التفت الي الامام عليه السلام وقالت : يا ابن رسول اللّه صلي الله عليه و آله اجعلني في حرمك ، وسلّمني الي أهل بيتك لأنال شرف خدمتهم ،

1- ناسخ التواريخ : 1/320 ترجمة وتحقيق سيد علي جمال أشرف .

2- بحار الأنوار : 44/320 باب 37 .

3- بحار الأنوار : 45/16 الباب 37 .

وأكون أمة لهم ، فيصيبني ما يصيبهم ، وأكون في حمايتهم وعصمتهم ، فلا يتعرّض لي الأجانب ، وأكون في صيانة عفافهم مصونة الجانب . فبكي الإمام الحسين عليه السلام وقال لها : ادخلي في حرمي ،فدخلت مع حرمه .

واستاذن وهب فاذن له ، فبرز علي فرسه وهو يرتجز :

إن تنكروني فأنا ابن الكلب

سوف تروني وترون ضربي

وحملتي وصولتي في الحرب

أدرك ثأري بعد ثأر صحبيوأدفع الكرب أمام الكرب

ليس جهادي في الوغي باللعب

فحمل علي القوم وقتل منهم مقتلة عظيمة ، ثم جاء الي زوجته وأمّه فقال لها : أرضيت يا أماه ؟ فقالت : لا حتي تقتل بين يدي الحسين عليه السلام .

فقالت إمرأته : باللّه لا تفجعني في نفسك ، فقالت أمّه : يا بني لا تقبل قولها ، وارجع فقاتل بين يدي ابن رسول اللّه ، فيكون غدا في القيامة شفيعا لك بين يدي اللّه .

فرجع وهب الي الميدان يقاتل وهو يرتجز ويقول :

إنّي زعيم لك أمّ وهب

بالطعن فيهم تارة والضرب

ضرب غلام مؤن بالربّ

حتي يذيق القوم مرّ الحرب

إنّي امرؤذو مرّة وعصب

ولست بالخوار عند النكب

حسبي إلهي من عليم حسبي

فلم يزل يقاتل يمينا وشمالاً حتي قتل تسعة عشر فارسا واثني عشر راجلاً ، ثم قطع رجل يمينه فأخذ السيف بشماله ، فقطع رجل من كندة شماله ، فأخذت امرأته عمودا ، وأقبلت نحوه وهي تقول : فداك أبي وأمي قاتل دون الطيبين حرم رسول اللّه ، فقال لها : كنت تنهيني عن نصرة الحسين عليه السلام والآن جئت تحرضينني ؟ قالت : لا تلمني يا وهب ، فإنّي عفت الحياة وتركت الدنيا منذ سمعت نداء الحسين

عليه السلام وهو ينادي : وا غربتاه ، وا قلّة ناصراه ، وا وحدتاه ، أما من ذاب يذبّ عنّا ؟ أمّا من مجير يجيرنا ؟

ص: 209

قال وهب : ارجعي فإنّ الجهاد مرفوع عن النساء ، قالت : لن أعود أو أموت معك ، فقال الحسين عليه السلام : جزيتم من أهل بيتي خيرا ، ارجعي إلي النساء رحمك اللّه ، فانصرفت .

وجعل يقاتل حتي سقط علي الأرض مثقلا بالجراح ، فذهبت امرأته تمسح الدم عن وجهه ، فبصر بها شمر ، فأمر غلاما له فضربها بعمود كان معه ، فشدخهاوقتلها ، وهي أول امرأة قتلت في عسكر الحسين عليه السلام(1) .

قال صاحب البحار : ورأيت حديثا أن وهب قتل في المبارزة أربعة وعشرين راجلاً وإثني عشر فارسا ، ثم أخذ أسيرا ، فأتي به عمر بن سعد ، فقال : ما أشدّ صولتك ، ثم أمر فضربت عنقه ، ورمي برأسه إلي عسكر الحسين عليه السلام ، فأخذت أمّه الرأس فقبّلته ، ثم رمت بالرأس إلي عسكر ابن سعد ، فأصابت به رجلاً فقتلته ، ثم شدّت بعمود الفسطاط فقتلت رجلين ، فقال لها الحسين عليه السلام : ارجعي يا أم وهب أنت وابنك مع رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، فإنّ الجهاد مرفوع عن النساء ، فرجعت وهي تقول : إلهي لا تقطع رجائي ، فقال لها الحسين عليه السلام : لا يقطع اللّه رجاك يا أم وهب(2) .

شهادة عمرو بن خالد الأزدي وابنه

ثم برز من بعده عمرو بن خالد الأزدي وهو يقول :

إليك يا نفس إلي الرحمن

فأبشري بالروح والريحان

اليوم تجزين علي الإحسان

قد كان منك غابر الزمان

ما خطّ في اللوح لدي الديان

لا تجزعي فكلّ حيّ فان

والصبر أحظي لك بالأماني

يا معشر الأزد بني قحطان

ثم قاتل حتي رزق الشهادة .

1- بحار الأنوار : 45/16 .

2- بحار الأنوار : 45/17 الباب 37 .

ثم تقدّم ابنه خالد بن عمرو وهو يرتجز ويقول :

صبرا علي الموت بني قحطان

كي ما تكونوا في رضي الرحمن

ذي المجد والعزّة والبرهان

وذي العلي والطول والإحسان

يا أبتا قد صرت في الجنان

في قصر ربّ حسن البنيان

ثم تقدّم فلم يزل يقاتل حتي قتل رزق الشهادة .

شهادة سعد التميمي

ثم برز من بعده سعد بن حنظلة التميمي وهو يقول :

صبرا علي الأسياف والأسنه

صبرا عليها لدخول الجنه

وحور عين ناعمات هنه

لمن يريد الفوز لا بالظنه

يا نفس للراحة فاجهدنه

وفي طلاب الخير فارغبنه

ثم حمل وقاتل قتالاً شديدا حتي خلعت عليه خلعة الشهادة ، وشرب كأس المنية سائغا .

شهادة عمران المذحجي

وخرج من بعده عمير بن عبد اللّه المذحجي وهو يرتجز ويقول :

قد علمت سعد وحي مذحج

أنّي لدي الهيجاء ليث محرج

أعلو بسيفي هامة المدجج

وأترك القرن لدي التعرج

فريسة الضبع الأزل الأعرج

ولم يزل يقاتل حتي قتله مسلم الضبابي وعبد اللّه البجلي ، فالتحق بركب السعداء في دار القرار(1) .

1- بحار الأنوار : 45/18 .

شهادة مسلم بن عوسجة الأسدي

ثم برز من بعده مسلم بن عوسجة(1) ، وكان من زعماء عسكر سيد الشهداء عليه السلام ، وكان شجاعا شريفا زعيما من مشاهير الدهر ، وأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، جاهد بين يديه ، وأبدي بطولة ورجولة في الدفاع عنه عليه السلام .

قيل : أنّ أمير المؤمنين كان يدعوه « أخي » ، وقد قرأ القرآن علي الإمام عدّة مرات .قال شبث بن ربعي : لربّ موقف له في المسلمين كريم ، لقد رأيته يوم آذربيجان قتل ستة من المشركين قبل أن تلتام خيول المسلمين(2) .

برز يقاتل وهو يرتجز ويقول :

إن تسألوا عنّي فإنّي ذو لبد

من فرع قوم من ذري بني أسد

فمن بغانا حائد عن الرشد

وكافر بدين جبار صمد

ثم تقدّم يطلب مبارزا ، فجعل القوم يتقدّمون لحربه ، وهو يلحقهم بالجحيم واحدا بعد واحد ، حتي قتل منهم خمسين ، فتكاثروا عليه ، وهو يقاتل ، فقتل منهم ستة قبل أن يسقط الي الأرض من كثرة الجراحات ، وبه رمق ، فنادي : أدركني يا ابن رسول اللّه ، فمشي اليه الحسين عليه السلام ومعه حبيب ، فرآه مرمّلاً بدمائه ، فقال له الحسين عليه السلام : رحمك اللّه يا مسلم ، فزت بالشهادة وأدّيت ما كان عليك ، ثم تلا « فَمِنْهُمْ مَنْ قَضي نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً » .

وصية مسلم بن عوسجة

ثم دنا منه حبيب ، فقال : يعزّ عليّ مصرعك ، يا مسلم أبشر بالجنة .

فقال له قولاً ضعيفا : بشّرك اللّه بخير ، فقال له حبيب : لولا أعلم أنّي في الأثر لأحببت أن توصي إليّ بكلّ ما أهمك .

1- بحار الأنوار : 45/19 الباب 37 .

2- بحار الأنوار : 45/19 الباب 37 .

فقال مسلم: فإنّي أوصيك بهذا – وأشار إلي الحسين عليه السلام – ، فقاتل دونه حتي تموت.

فقال حبيب : لأنعمنّك عينا ، ثم فاضت روحه الطاهرة .

قال محمد بن أبي طالب : وصاحت جارية له : يا سيداه ، يا مسلماه ، يا ابن عوسجتاه ، فنادي أصحاب ابن سعد مستبشرين : قتلنا مسلم بن عوسجة .

فقال شبث بن ربعي لبعض من حوله : ثكلتكم أمهاتكم ، أما إنّكم تقتلونأنفسكم بأيديكم ، وتذلّون عزّكم ، أتفرحون بقتل مسلم بن عوسجة ، أما والذي أسلمت له لربّ موقف له في المسلمين كريم ، لقد رأيته يوم آذربيجان قتل ستة من المشركين قبل أن تلتام خيول المسلمين(1) .

شهادة نافع بن هلال واشتداد حملات أنصار الحسين عليه السلام

قال الشيخ المفيد رحمه الله : وبرز نافع بن هلال وهو يقول :

أنا ابن هلال البجلي

أنا علي دين علي

فبرز إليه مزاحم بن حريث ، فقال له : أنا علي دين عثمان ، فقال له نافع : أنت علي دين الشيطان ، وحمل عليه فقتله .

ثم حمل عمرو بن الحجاج في أصحابه علي الحسين عليه السلام من نحو الفرات ، فاضطربوا ساعة ، فصرع مسلم بن عوسجة الأسدي ، وانصرف عمرو وأصحابه ، وانقطعت الغبرة ، فوجدوا مسلما صريعا(2) .

ثم تراجع القوم إلي الحسين عليه السلام ، فحمل شمر بن ذي الجوشن – لعنه اللّه – علي أهل الميسرة ، فثبتوا له فطاعنوه ، وحمل علي الحسين وأصحابه من كلّ جانب ، وقاتلهم أصحاب الحسين قتالاً شديدا ، فأخذت خيلهم تحمل ، وإنّما هي اثنان وثلاثون فارسا ، فلا تحمل علي جانب من خيل الكوفة إلاّ كشفته .

1- بحار الأنوار : 45/19 الباب 37 .

2- الإرشاد : 2/103 .

وقاتـل أصـحاب الحسـين بن علي عليهماالسـلام القوم أشـدّ قتال حتي انتصف النهار ، فلمّا رأي الحصـين بن نمير ، وكان علي الرماة صبر أصـحاب الحسـين عليه السـلام تقدّم إلي أصحابه ، وكانوا خمس مائة نابل أن يرشقوا أصحاب الحسين عليه السلام بالنبل ، فرشقوهم ، فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم ، وجرحوا الرجال وأرجلوهم ، واشـتدّالقتال بينهم ساعة ، وجاءهم شمر بن ذي الجوشن في أصحابه ، فحمل عليهم زهيربن القين في عشرة رجال من أصحاب الحسين ، فكشفهم عن البيوت ، وعطف عليهم شمر بن ذي الجوشن(1) .

واشـتدّ القتـال ولم يقـدروا أن يـأتوهم إلاّـ من جـانب واحـد لاجتمـاع أبنيتهم ، وتقارب بعضـها من بعض ، فأرسل عمر بن سـعد الرجال ليقوضوها عن أيمانهم وشـمائلهم ليحيطوا بهم ، وأخـذ الثلاثـة والأربعـة من أصـحاب الحسـين عليه السـلاميتخلّلون فيشدّون علي الرجل يعرض وينهب ، فيرمونه عن قريب فيصرعونه فيقتلونه .

فقال ابن سـعد : احرقوها بالنار ، فأضـرموا فيها ، فقال الحسـين عليه السـلام دعوهم يحرقوها ، فإنّهم إذا فعلوا ذلك لم يجوزوا إليكم ، فكان كما قال(2) عليه السلام .

أمحمد المختار إنّ أمية

هدموا بيوتك عامدين وأحرقوا

وبناتك الخفرات أضحت بعد ذا

بالسلب والضرب العنيف تعذّب

خلّفتها وقلوبها كبيوتها

حنقا يشبّ به الحريق ويثقب

شهادة عمرو بن قرظة الأنصاري

فخرج عمرو بن قرظة الأنصاري ، فاستأذن الحسين عليه السلام فأذن له ، فقاتل قتال المشتاقين إلي الجزاء ، وبالغ في خدمة سلطان السماء ، حتي قتل جمعا كثيرا

1- الإرشاد : 2/104 .

2- بحار الأنوار : 45/21 .

من حزب ابن زياد ، وجمع بين سداد وجهاد ، وكان لا يأتي إلي الحسين عليه السلام سهم إلاّ اتقاه بيده ، ولا سيف إلاّ تلقاه بمهجته ، فلم يكن يصل إلي الحسين عليه السلام سوء حتي أثخن بالجراح .

فالتفت إلي الحسين عليه السلام وقال : يا ابن رسول اللّه ، أوفي ؟ قال : نعم ، أنت أمامي في الجنّة ، فأقرأ رسول اللّه منّي السلام ، وأعلمه أنّي في الأثر ، فقاتل حتي قتلرضوان اللّه عليه(1) .

صلاة الظهر يوم عاشوراء

فلمّا رأي ذلك أبو ثمامة الصيداوي قال للحسين عليه السلام : يا أبا عبد اللّه ، نفسي لنفسك الفداء ، هؤاء اقتربوا منك ، ولا واللّه لا تقتل حتي أ قتل دونك ، وأحبّ أن ألقي اللّه ربّي وقد صلّيت هذه الصلاة ، فرفع الحسين رأسه إلي السماء ، وقال : ذكرت

الصلاة جعلك اللّه من المصلين ، نعم هذا أول وقتها . ثم قال : سلوهم أن يكفّوا عنّا

حتي نصلّي .

فقال الحصين بن نمير : إنّها لا تقبل ، فقال حبيب بن مظاهر : لا تقبل الصلاة زعمت من ابن رسول اللّه وتقبل منك يا ختار ، فحمل عليه حصين بن نمير وحمل عليه حبيب ، فضرب وجه فرسه بالسيف ، فشبّ به الفرس ، ووقع عنه الحصين ، فاحتوشته أصحابه فاستنقذوه .

فقال الحسين عليه السلام لزهير بن القين وسعيد بن عبد اللّه تقدّما أمامي حتي أصلّي الظهر ، فتقدّما أمامه في نحو من نصف أصحابه حتي صلّي بهم صلاة الخوف .

وروي أنّ سعيد بن عبد اللّه الحنفي تقدّم أمام الحسين عليه السلام ، فاستهدف لهم يرمونه بالنبل ، كلّما أخذ الحسين عليه السلام يمينا وشمالاً قام بين يديه ، فما زال يرمي به حتي سقط إلي الأرض وهو يقول : اللّهم العنهم لعن عاد وثمود ، اللّهم أبلغ نبيك السلام عنّي ،

1- بحار الأنوار : 45/22 الباب 37 .

وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح ، فإنّي أردت بذلك نصرة ذرية نبيك ، ثم سلّم روحه الي بارئها ، فوجد به ثلاثة عشر سهما ، سوي ما به من ضرب السيوف وطعن الرماح .

وروي أنّه صلّي الحسين عليه السلام وأصحابه فرادي بالإيماء(1) .

شهادة جون غلام أبي ذر

ثم تقدّم جون مولي أبي ذر الغفاري ، وكان عبدا أسود ، فقال له الحسين عليه السلام : أنت في إذن منّي ، فإنّما تبعتنا طلبا للعافية فلا تبتل بطريقنا .

فقال : يا ابن رسول اللّه ، أنا في الرخاء ألحس قصاعكم ، وفي الشدّة أخذلكم ؟ ! واللّه إنّ ريحي لمنتن ، وإنّ حسبي للئيم ، ولوني لأسود ، فتنفس عليّ بالجنة ، فتطيب

ريحي ، ويشرف حسبي ، ويبيّض وجهي ، لا واللّه لا أفارقكم حتي يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم .

ثم برز للقتال وهو ينشد ويقول :

كيف يري الكفار ضرب الأسود

بالسيف ضربا عن بني محمد

أذبّ عنهم باللسان واليد

أرجو به الجنّة يوم المورد

ثم قاتل عساكر الظلم والكفر حتي قتل ، فوقف عليه الحسين عليه السلام وقال : اللّهم بيّض وجهه ، وطيّب ريحه ، واحشره مع الأبرار ، وعرّف بينه وبين محمد وآل محمد عليهم السلام .

وروي عن الباقر عليه السلام عن علي بن الحسين عليهماالسلام : أنّ الناس كانوا يحضرون المعركة ويدفنون القتلي ، فوجدوا جونا بعد عشرة أيام يفوح منه رائحة المسك رضوان اللّه عليه(2) .

1- بحار الأنوار : 45/21 الباب 37 .

2- بحار الأنوار : 45/22 الباب 37 .

شهادة عمرو بن خالد الصيداوي

قال السيد ابن طاووس رحمه الله : ثم برز عمرو بن خالد الصيداوي فقال للحسين عليه السلام : يا أبا عبد اللّه قد هممت أن ألحق بأصحابي ، وكرهت أن أتخلّف وأراك وحيدا من أهلك قتيلاً ، فقال له الحسين عليه السلام : تقدّم فإنّا لاحقون بك عن ساعة ، فتقدّم فقاتل بينيدي سيد الأبرار وابن حيدر الكرار حتي قتل والتحق بركب السعداء(1) .

شهادة حنظلة الشبامي

شهادة حنظلة الشبامي(2) :

قال السيد الجليل ابن طاووس رحمه الله : وجاء حنظلة بن سعد الشبامي ، فوقف بين يدي الحسين عليه السلام يقيه السهام والرماح والسيوف بوجهه ونحره ، وأخذ ينادي : « يا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الأَحْزابِ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبادِ وَيا قَوْمِ إِنِّي أَخافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنادِ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ ما لَكُمْ مِنَ اللّهِ مِنْ عاصِمٍ » ، يا قوم لا تقتلوا حسينا فَيُسْحِتَكُمْ اللّه بِعَذابٍ وَقَدْ خابَ مَنِ افْتَرى .

فقال له الحسين عليه السلام : يا ابن سعد إنّهم قد استوجبوا العذاب حين ردّوا عليك ما دعوتهم إليه من الحقّ ، ونهضوا إليك يشتمونك وأصحابك ، فكيف بهم الآن وقد قتلوا إخوانك الصالحين .

قال : صدقت جعلت فداك أفلا نروح إلي ربّنا فنلحق بإخواننا ؟ فقال له : رح إلي ما هو خير لك من الدنيا وما فيها ، وإلي ملك لا يبلي .

فقال : السلام عليك يا ابن رسول اللّه ، صلّي اللّه عليك وعلي أهل بيتك ، وجمع بيننا وبينك في جنته ، قال : آمين آمين .

ثم استقدم فقاتل قتالاً شديدا ، فحملوا عليه فقتلوه رضوان اللّه عليه(3) .

1- بحار الأنوار : 45/24 .

2- في المتن : « الشامي » في المواضع كلّها .

3- بحار الأنوار : 45/24 .

شهادة سويد بن عمرو

وقال السيد ابن طاووس رحمه الله : فتقدّم سويد بن عمرو بن أبي المطاع ، وكان

شريفا كثير الصلاة ، فقاتل قتال الأسد الباسل ، وبالغ في الصبر علي الخطبالنازل ، حتي سقط بين القتلي وقد أثخن بالجراح ، فلم يزل كذلك ، وليس به حراكحتي سمعهم يقولون : قتل الحسين عليه السلام ، فتحامل وأخرج سكينا من خفّه ، وجعل يقاتل حتي قتل(1) .

شهادة الحجاج بن مسروق مؤذن الحسين عليه السلام

ثم خرج الحجاج بن مسروق ، وهو مؤن الحسين عليه السلام ، ويقول :

أقدم حسين هاديا مهديا

اليوم تلقي جدّك النبيا

ثم أباك ذا الندا عليا

ذاك الذي نعرفه وصيا

والحسن الخير الرضي الوليا

وذا الجناحين الفتي الكميا

وأسد اللّه الشهيد الحيا

ثم حمل فقاتل حتي قتل ونال شرف الشهادة(2) .

شهادة زهير بن القين

ثم خرج من بعده زهير بن القين ، وكان من عظماء عسكر سيد الشهداء عليه السلام ، وكان قد التحق بالحسين عليه السلام في الطريق وعزم علي الموت بين يديه ، فطلّق إمرأته ، وأرجعها الي قومها .

فإستأذن الإمام الحسين عليه السلام ثم برز وهو يرتجز ويقول :

أنا زهير وأنا ابن القين

أذودكم بالسيف عن حسين

إنّ حسينا أحد السبطين

من عترة البرّ التقي الزين

1- بحار الأنوار : 45/24 .

2- بحار الأنوار : 45/25 .

ذاك رسول اللّه غير المين

أضربكم ولا أري من شين

يا ليت نفسي قسمت قسمين

فقاتل حتي قتل مائة وعشرين رجلاً ، فشدّ عليه كثير بن عبد اللّه الشعبي ، ومهاجر بن أوس التميمي فقتلاه .

فقال الحسين عليه السلام حين صرع زهير : لا يبعدك اللّه يا زهير ، ولعن قاتلك لعن الذين مسخوا قردة وخنازير(1) .

شهادة حبيب بن مظاهر

ثم برز حبيب بن مظاهر الأسدي ، وكان شيخا كبيرا ، صحب رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، وعليا عليه السلام(2) ، وكان فاضلاً يختم القرآن بليلة ، فلمّا تقدّم يستأذن الحسين عليه السلام ، قال له الحسين عليه السلام : إنّك ذكرياي من جدّي وأبي ، وقد أكلت السنين عمرك ، وأدركتك الشيخوخة ، فكيف آذن لك بالبراز ؟

فقال حبيب : أريد أن يبيضّ وجهي عند جدّك وأبيك وأخيك ، حتي أكون من أنصاركم جميعا .

فلمّا بالغ حبيب في طلب الإذن أذن له الإمام عليه السلام فبرز وهو يقول :

أنا حبيب وأبي مظهر

فارس هيجاء وحرب تسعر

وأنتم عند العديد أكثر

ونحن أعلي حجّة وأظهر

وأنتم عند الوفاء أغدر

ونحن أوفي منكم وأصبر

حقّا وأنمي منكم وأعذر

وقاتل قتالاً شديدا ، وأرسل عليهم صواعق سيفه البتار ، حتي قتل علي كبر سنّه إثنين وستين وأرسلهم الي دركات سجين .

1- بحار الأنوار : 45/26 .

2- روضة الشهداء : 304 .

ثم حمل عليه رجل من بني تميم ، فطعنه فذهب ليقوم ، فضربه الحصين بن نمير – لعنه اللّه – علي رأسه بالسيف ، فوقع ونزل التميمي فاجتز رأسه .

وقال محمد بن أبي طالب : فقتله الحصين بن نمير وعلق رأسه في عنق فرسه .

وقال صاحب المناقب : بل قتله رجل يقال له « بديل بن صريم » وأخذ رأسهفعلقه في عنق فرسه ، فلمّا دخل « مكة(1) » رآه ابن حبيب ، وهو غلام غير مراهق ، فوثب إليه فقتله ، وأخذ رأسه(2) .

قال صاحب المناقب : فهدّ مقتله الحسين عليه السلام ، فقال : عند اللّه أحتسب نفسي وحماة أصحابي(3) .

شهادة هلال بن نافع البجلي

ثم برز هلال بن نافع البجلي وهو يقول :

أرمي بها معلمة أفواقها

والنفس لا ينفعها إشفاقها

مسمومة تجري بها أخفاقها

ليملأن أرضها رشاقها

فلم يزل يرميهم حتي فنيت سهامه ، ثم ضرب يده إلي سيفه فاستلّه ، وجعل يقول :

أنا الغلام اليمني البجلي

ديني علي دين حسين وعلي

إن أقتل اليوم فهذا أملي

فذاك رأيي وألاقي عملي

فقتل ثلاثة عشر رجلاً ، فكسروا عضديه وأخذ أسيرا ، فقام إليه شمر فضرب عنقه وألحقه بركب الشهداء السعداء(4) .

1- في مقتل أبي مخنف : « الكوفة » ، ولعل قوله « مكة » تصحيف ، واللّه العالم .

2- بحار الأنوار : 45/26 الباب 37 .

3- بحار الأنوار : 45/27 .

4- بحار الأنوار : 45/27 .

شهادة شاب قتل أبوه في المعركة

قال محمـد بن أبي طالب الموسوي : ثم خرج شاب قتل أبوه في المعركـة ، وكانت أمّه معه ، فقالت له أمّه : اخرج يا بني وقاتل بين يـدي ابن رسول اللّه ، فخرج ، فقالالحسـين عليه السلام : هذا شاب قتل أبوه ، ولعل أمّه تكره خروجه ، فقال الشاب : أمّيأمرتني بذلك ، فبرز وهو يقول :

أميري حسين ونعم الأمير

سرور فؤد البشير النذير

علي وفاطمة والداه

فهل تعلمون له من نظير

له طلعة مثل شمس الضحي

له غرّة مثل بدر منير

وقاتل حتي قتل ، وجزّ رأسه ورمي به إلي عسـكر الحسين عليه السلام ، فحملت أمّه رأسه وقالت : أحسنت يا بني يا سرور قلبي ويا قرة عيني .

ثم رمت برأس ابنها رجلاً فقتلته ، وأخذت عمود خيمته وحملت عليهم وهي تقول :

أنا عجوز سيدي ضعيفه

خاوية بالية نحيفه

أضربكم بضربة عنيفه

دون بني فاطمة الشريفه

وضربت رجلين فقتلتهما ، فأمر الحسين عليه السلام بصرفها ، ودعا لها(1) .

ثم قال محمـد بن أبي طالب وغيره : وكان يأتي الحسـين عليه السـلام الرجل بعـد الرجل ، فيقول : السـلام عليك يا ابن رسول اللّه ، فيجيبه الحسـين عليه السـلام ويقول : وعليـك السـلام ونحن خلفـك ، ثم يقرأ « فَمِنْهُمْ مَنْ قَضـي نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ » ، حتي قتلوا عن آخرهم رضوان اللّه عليهم ، ولم يبق مع الحسين عليه السلام إلاّ أهل بيته(2) .

1- بحار الأنوار : 45/28 .

2- بحار الأنوار : 45/31 .

شهادة عابس الشاكري ومولاه

وجاء عابس بن أبي شبيب الشاكري معه شوذب مولي شاكر ، وقال : يا شوذب ما في نفسك أن تصنع ؟

قال : ما أصـنع ؟ ! أقاتل حتي أقتل .قال : ذاك الظن بك ، فتقدّم بين يدي أبي عبد اللّه حتي يحتسبك كما احتسب غيرك ، فإنّ هذا يوم ينبغي لنا أن نطلب فيه الأجر بكلّ ما نقدر عليه ، فإنّه لا عمل

بعد اليوم ، وإنّما هو الحساب .

فتقدّم فسلّم علي الحسين عليه السلام وقال : يا أبا عبد اللّه ، أما واللّه ما أمسي علي وجه الأرض قريب ولا بعيد أعزّ عليّ ولا أحبّ إليّ منك ، ولو قدرت علي أن أدفع عنك الضـيم أو القتل بشيء أعزّ عليّ من نفسي ودمي لفعلت ، السلام عليك يا أبا عبد اللّه ، أشهد أنّي علي هداك وهدي أبيك ، ثم مضي بالسيف نحوهم .

قال ربيع بن تميم : فلمّا رأيته مقبلاً عرفته ، وقـد كنت شاهدته في المغازي ، وكان أشـجع الناس ، فقلت : أيّها الناس هذا أسد الأسود ، هذا ابن أبي شبيب ، لا يخرجن إليه أحد منكم .

فأخذ ينادي : ألا رجل ؟ ألا رجل ؟

فقال عمر بن سـعد : ارضـخوه بالحجارة من كلّ جانب ، فلمّا رأي ذلك ألقي درعه ومغفره ، ثم شدّ علي الناس ، فواللّه لقد رأيت يطرد أكثر من مائتين من الناس ، ثم إنّهم تعطّفوا عليه من كلّ جانب ، فقتل .

فرأيت رأسه في أيـدي رجال ذوي عـدّة ، هذا يقول : أنا قتلته ، والآخر يقول كذلك ، فقال عمر بن سـعد : لا تختصـموا ، هذا لم يقتله إنسان واحد ، حتي فرّق بينهم بهذا القول(1) .

1- بحار الأنوار : 45/29 .

شهادة عبد اللّه وعبد الرحمن الغفاريان

ثم جاءه عبد اللّه وعبد الرحمن الغفاريان ، فقالا : يا أبا عبد اللّه ، السلام عليك إنّه جئنا لنقتل بين يديك وندفع عنك .

فقال : مرحبا بكما ، ادنوا منّي ، فدنوا منه وهما يبكيان ، فقال : يا ابني أخي مايبكيكما ، فواللّه إنّي لأرجو أن تكونا بعد ساعة قريري العين .

فقالا : جعلنا اللّه فداك ، واللّه ما علي أنفسنا نبكي ، ولكن نبكي عليك ، نراك قد

أحيط بك ولا نقدر علي أن ننفعك .

فقال : جزاكما اللّه يا ابني أخي بوجدكما من ذلك ، ومواساتكما إياي بأنفسكما أحسن جزاء المتقين .

ثم استقدما وقالا : السلام عليك يا ابن رسول اللّه ، فقال : وعليكما السلام ورحمة اللّه وبركاته ، فقاتلا حتي قتلا(1) ، وتسلقا المجد والعزّة مع السعداء .

شهادة الغلام التركي

ثم خرج غلام تركي كان للحسين عليه السلام ، وكان قارئا للقرآن ، فجعل يقاتل ويرتجز ويقول :

البحر من طعني وضربي يصطلي

والجو من سهمي ونبلي يمتلي

إذا حسامي في يميني ينجلي

ينشق قلب الحاسد المبجل

وفي بعض الكتب : أنّه لمّا استأذن من الإمام عليه السلام قال له عليه السلام : إنّي قد وهبتك لولدي زين العابدين عليه السلام ، فاطلب الرخصة منه .

فجاء الي الإمام السجاد عليه السلام فقال : إنّي استأذنت أباك للبراز ، فقال : إنّ أمري بيدك ، فلو أذنت لي سيدي حتي أضحي بنفسي دون أبيك ؟

فقال له الإمام السجاد عليه السلام : إنّي قد أعتقتك ، ولك أن تختار ما تحبّ .

1- بحار الأنوار : 45/29 .

فجاء الغلام الي الإمام الهمام عليه السلام فحكي له ما جري ، ثم استأذن فأذن له ، فجاء الي خيمة النساء ، وقال : يا سيدات الخدر والعزّة والكرامة ، خدمتكم مدّة من الزمان فأرجو أن تعذروني ، وتجعلوني في حلّ من كلّ تقصير بدا منّي ، وأن لا تنسوني في القيامة .

فلمّا سمع النساء قوله ارتفعت أصواتهن بالبكاء ، فودعهم ، وخرج الي الميدان وهو يرتجز ، فأمر الإمام السجاد عليه السلام فرفعوا له طرف الخيمة لينظر الي غلامه كيف يقاتل ، فإذا به قد غاص في أعماق القوم الكفّار ، وجعل يضرب وجوههم السوداء ، حتي سقط صريعا من شدّة العطش ، وكثرة الجراح ، وجهد القتال ، فجاءه الحسين عليه السلام كالصقر إذا جلّي علي فريسته ، فبكي ووضع خدّه علي خدّه ، ففتح عينه ، فرأي سيد الشهداء عليه السلام ، فتبسّم ، ثم صار الي رياض القدس ، والي ربّه راضيا مرضيا(1) .

شهادة يزيد بن زياد

ثم رماهم يزيد بن زياد بن الشعثاء بثمانية أسهم ما أخطأ منها بخمسة أسهم ، وكان كلّما رمي قال الحسين عليه السلام : اللّهم سدّد رميته ، واجعل ثوابه الجنّة ، فحملوا عليه فقتلوه(2) .

شهادة أبو عمرو النهشلي

ثم برز أبو عمرو النهشلي ، وكان متهجّدا كثير الصلاة قارئا للقرآن ، فقاتل قتالاً شديدا ، وكان لا يحمل علي قوم إلاّ كشفهم ، ثم يرجع الي الحسين عليه السلام ، وهو يرتجز ويقول :

أبشر هديت الرشد تلقي أحمدا

في جنة الفردوس تعلو صعدا

1- بحار الأنوار : 45/30 .

2- بحار الأنوار : 45/30 .

فاعترضه عامر بن نهشل فقتله واجتز رأسه(1) .

للّه كم بدر سعد في التراب ثوي

وأنجم في عراص الطف قد أفلوا

وكم وجوه لقد أبلي محاسنها

حرّ الظما وهجير الشمس والذبل

وكم رؤوس علي الأرماح قد رفعت

ومن نجيع دماها شيبها عطل

ألا لعنة اللّه علي القوم الظالمين

« وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ »

1- مثير الأحزان : 57 ، بحار الأنوار : 45/30 .

المجلس السابع: في شهادة أولاد عقيل وشهادة القاسم بن الحسن عليهماالسلام

اشارة

الحمد للّه والصلاة والسلام علي رسول اللّه ، وعلي أهل بيت رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، وعلي أنصار دين اللّه ، وعلي حفّاظ شريعة اللّه ، وعلي المجاهدين في سبيل ، وعلي الناصحين في جنب اللّه ، وعلي باذلي الأرواح لوجه اللّه ، وعلي الخائضين في بحار السيوف والأسنة في محبّة اللّه ، وعلي الثابتين في نيران الكفاح في طاعة اللّه ، وعلي

الأبدان الضعيفة في عبادة اللّه ، وعلي الدماء السائلة والدموع السائلة من خشية اللّه .

السلام علي السادات العلوية ، السادة علي البنات الهاشمية ، السلام علي الشيوخ والشبان ، السلام علي الرجال والنسوان ، السلام علي الأبدان السليبة ، السلام علي الأجسام التريبة ، السلام علي الخدود المعفّرة ، الجباه المخضّبة ، والأعضاء المقطّعة ، والرؤوس المشالة .

السلام علي المذبوح من القفا ، السلام علي المخروق الخباء ، ومسلوب العمامة والرداء .

السلام علي من بكي عليه جبرئيل ، وتزلزل له العرش الجليل ، وعلي أنصاره من ولد جعفر وعقيل ، السلام علي الصريع المرتجي ، وعلي من نصره من ولد المجتبي عليه السلام ، ورحمة اللّه وبركاته .

وبعد ، قال اللّه سبحانه :

« وَوَصَّيْنَا الأِنْسانَ بِوالِدَيْهِ إِحْساناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتّي إِذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلي والِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي » .

* * *

البرّ والإحسان للوالدين

ظاهر الآية الكريمة بيان وجوب أو رجحان الإحسان والبر للوالدين ، وبيان وجه استحقاقهم للإحسان ، وذلك لما يتحمّلونه من الجهد والمشقّة ، فهذه الأم تحمله كرها ، وتتحمل ما تتحمل في فترة حمله ، ثم تضعه كرها ، وتبدأ رحلة العناء معه في فترة الرضاع ، وتصبر علي كلّ ما تلقاه خلال ثلاثين شهرا علي أقل التقادير .

وقد قرّرت الشريعة لزوم أو رجحان الإحسان للوالدين ، وقد تكرر الأمر به في الكتاب والسنة ، بل إنّ العقل يحكم بوجوب شكرهما وشكر كلّ منعم .

ومن المعلوم أنّ إنعام الوالدين علي الولد إنعام عظيم ، وذلك أنّهما واسطة وجوده أولا ، وأنّهما يحفظانه ويدفعان عنه المكاره في فترة لا يميّز هو بين نفعه وضرره ، ويجوعان ويشبعانه ، ويضيقان علي أنفسهما ويوسعان عليه ثانيا .

ولهذا أمر اللّه سبحانه بتعظيم شكرهما ، وقرن شكرهما بشكره فقال : « أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوالِدَيْكَ » .

وقد أكدت الأوامر الإلهية علي أحترامهما والاحسان اليهما ، وذمّ مخالفتهما وأذيّتهما ، ورعاية حقوقهما التي تفوق حدّ الإحصاء والحصر .

بل إنّ القرآن قرن الإحسان اليهما بالتوحيد فقال : « وَقَضي رَبُّكَ أَلاّ تَعْبُدُوا إِلاّ إِيّاهُ وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً » .

وفي الحديث : يفعل البار ما يشاء أن يفعل فلن يدخل النار ، ويفعل العاقّ ما يشاء أن يفعل فلن يدخل الجنّة(1) .

وروي عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصادق عليه السلام قَالَ : أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صلي الله عليه و آله ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي رَاغِبٌ فِي الْجِهَادِ نَشِيطٌ ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صلي الله عليه و آله : فَجَاهِدْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَإِنَّكَ إِنْ تُقْتَلْ تَكُنْ حَيّاً عِنْدَ اللَّهِ تُرْزَقْ ، وَإِنْ تَمُتْ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُكَ عَلَي اللَّهِ ، وَإِنْ رَجَعْتَ رَجَعْتَ مِنَ الذُّنُوبِ كَمَا وُلِدْتَ .

قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ لِي وَالِدَيْنِ كَبِيرَيْنِ يَزْعُمَانِ أَنَّهُمَا يَأْنَسَانِ بِي وَيَكْرَهَانِ خُرُوجِي .

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلي الله عليه و آله : فَقِرَّ مَعَ وَالِدَيْكَ ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأُنْسُهُمَا بِكَ يَوْماً وَلَيْلَةً خَيْرٌ مِنْ جِهَادِ سَنَةٍ(2) .

الإمام هو الوالد الحقيقي

إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ الحياة نوعان :

الحياة الصورية الظاهرية .

الحياة المعنوية الحقيقية .

أمّا الحياة المعنوية الحقيقية ، فإنّها حياة لا موت فيها ، ولا يتعقّبها فناء ، وهي عزّ لا ذلّ فيه ، وغني لا فقر بعده .

فإذا كان الوالدان الصوريان اللذان يمثّلان الواسطة في الحياة الصورية ، يستحقّان كلّ هذه الحقوق عقلاً وشرعا ، فكيف بالأب والأم الحقيقيان اللذان يسببان الحياة الحقيقية ، فماذا سيكون قدرهم وعظمتهم وحرمتهم .

1- زبدة البيان : 377 .

2- الكافي : 2/160 ح10 .

والوالد الحقيقي هو الإمام عليه السلام الذي يمنح الحياة الحقيقة ، بل إنّ الحياة الظاهرية والآية الدنيوية أيضا من جود فيوضات وجوده عليه السلام .

فلولا بركات وجوده عليه السلام لما كان العالم وما فيه ، ولما خلق الكون ، فبنفوسهم القدسية تنزل البركات ، وبهم تدفع البليّات .

وهذه المراتب واضحة جدّا لأهل المعرفة ، وقد بيّنتها أخبار أهل البيت عليهم السلام بصراحة ، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام لطارق بن شهاب في حديث طويل : فهم رأس دائرة الإيمان ، وسماء الوجود ، وقطب دائرة الموجود ، وضوء شمس المشرق(1)(2) .

وفي رواية أخري عن الإمام الباقر عليه السلام في حديث طويل : . . بنا فتح اللّه ، وبنا يختم اللّه ، ونحن أئمة الهدي ، والعروة الوثقي ، ونحن الأولون ، ونحن الآخرون . .

وفي حديث آخر : ونحن السراج لمن استضاء بنا ، ونحن السبيل لمن اقتدي بنا ، ونحن الهداة الي الجنّة ، ونحن عزّ الإسلام ، ونحن الجسور والقناطر . . نحن السنام الأعظم ، بنا ينزل الغيث ، وبنا تنزل الرحمة ، وبنا يدفع العذاب والنقمة(3) .

1- في البحار : « وقطب الوجود ، وسماء الجود ، وشرف الموجود ، وضوء شمس الشرف . . » .

2- بحار الأنوار : 25/170 ح38 .

3- بحار الأنوار : 26/259 باب 5 ح37 : عن محمد بن سنان عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال : نحن جنب اللّه ، ونحن صفوة اللّه ، ونحن خيرة اللّه ، ونحن مستودع مواريث الأنبياء ، ونحن أمناء اللّه ، ونحن وجه اللّه ، ونحن آية الهدي ، ونحن العروة الوثقي ، وبنا فتح اللّه ، وبنا ختم اللّه ، ونحن الأولون ، ونحن الآخرون ، ونحن أخيار الدهر ، ونواميس العصر ، ونحن سادة العباد ، وساسة البلاد ، ونحن النهج القويم والصراط المستقيم ، ونحن علّة الوجود ، وحجّة المعبود ، لا يقبل اللّه عمل عامل جهل حقّنا ، ونحن قناديل النبوة ، ومصابيح الرسالة ، ونحن نور الأنوار ، وكلمة الجبّار ، ونحن راية الحقّ التي من تبعها نجا ، ومن تأخر عنها هوي ، ونحن أئمة الدين ، وقائد الغرّ المحجّلين ، ونحن معدن النبوة ، وموضع الرسالة ، وإلينا تختلف الملائكة ، ونحن سراج لمن استضاء ، والسبيل لمن اهتدي ، ونحن القادة إلي الجنّة ، ونحن الجسور والقناطر ، ونحن السنام الأعظم ، وبنا ينزل الغيث ، وبنا ينزل الرحمة ، وبنا يدفع العذاب والنقمة ، فمن سمع هذا الهدي فليتفقد في قلبه حبّنا ، فإن وجد فيه البغض لنا ، والإنكار لفضلنا ، فقد ضلّ عن سواء السبيل ، لأنّا حجّة المعبود ، وترجمان وحيه ، وعيبة علمه ، وميزان قسطه ، ونحن فروع الزيتونة ، وربائب الكرام البررة ، ونحن مصباح المشكاة التي فيها نور النور ، ونحن صفوة الكلمة الباقية إلي يوم الحشر المأخوذ لها الميثاق والولاية من الذر .

تفسير الوالدين بالحسنين عليهماالسلام

وقد ورد في تفسير الآية الكريمة المذكورة أنّ الوالدين هما الحسن والحسين عليهماالسلام ، كما ورد في تفسير علي بن إبراهيم : « الإحسان » رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، وقوله : « بوالديه » إنّما عني الحسن والحسين(1) عليهماالسلام .

فالإحسان منصوب للعلّة ، فيكون حاصل مفاد الآية : وصينا الإنسان بالحسنين من حيث انتسابهما الي رسول اللّه صلي الله عليه و آله .

وتتمة آية صريح في هذا المعني ، وذلك أنّ الحسين عليه السلام هو الذي حملته أمّه كرها ، ووضعته كرها ، لمّا أخبرت أنّه يقتل ، فقالت : ما أصنع بولد تقتله الأمّة ؟

فقد ورد في الحديث : أنّ اللّه أخبر رسول اللّه صلي الله عليه و آله وبشّره بالحسين عليه السلام قبل حمله ، وأنّ الإمامة تكون في ولده إلي يوم القيامة ، ثم أخبره بما يصيبه من القتل والمصيبة في نفسه وولده ، ثم عوضه بأن جعل الإمامة في عقبه . . فأخبر رسول اللّه صلي الله عليه و آله فاطمة عليهاالسلام بخبر الحسين عليه السلام وقتله ، فحملته كرها .

ثم قال أبو عبد اللّه عليه السلام : فهل رأيتم أحدا يبشّر بولد ذكر فيحمله كرها ؟ أي إنّها اغتمت وكرهت لما أخبرت بقتله ، ووضعته كرها لما علمت من ذلك(2) .

وروي ابن قولويه عن أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام : أنّ جبرئيل عليه السلام نزل علي محمد صلي الله عليه و آله ، فقال : يا محمد ، إنّ اللّه يقرأ عليك السلام ، ويبشّرك بمولود يولد من فاطمة عليهاالسلام تقتله أمّتك من بعدك .

1- تفسير القمي : 2/272 .

2- تفسير القمي : 2/297 ، بحار الأنوار : 53/102 باب 29 .

فقال : يا جبرئيل ، وعلي ربّي السلام ، لا حاجة لي في مولود يولد من فاطمة تقتله أمّتي من بعدي .

فعرج جبرئيل عليه السلام إلي السماء ، ثم هبط فقال له مثل ذلك ، فقال : يا جبرئيل ، وعلي ربّي السلام ، لا حاجة لي في مولود تقتله أمّتي من بعدي .

فعرج جبرئيل إلي السماء ، ثم هبط فقال له : يا محمد ، إنّ ربّك يقرئك السلام ، ويبشّرك أنّه جاعل في ذريته الإمامة والولاية والوصية ، فقال : قد رضيت .

ثم أرسل إلي فاطمة عليهاالسلام : إنّ اللّه يبشّرني بمولود يولد منك تقتله أمّتي من بعدي ، فأرسلت إليه ، أن لا حاجة لي في مولود يولد منّي تقتله أمّتك من بعدك .

فأرسل إليها إنّ اللّه جاعل في ذريّته الإمامة والولاية والوصية ، فأرسلت إليه : إنّي قد رضيت .

فحملته كرها ووضعته كرها « وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتّي إِذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلي والِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي »(1) . .

وفي حديث آخر صرّح الصادق عليه السلام فقال : « وَوَصَّيْنَا الْأِنْسانَ » يعني الحسين(2) .

الشكر والإحسان للوالدين الحقيقيين

فمقتضي الوصية الإلهية لزوم الإحسان لهما ، ومقتضي دلالة العقل والنقل وجوب شكرهما ، وشكر هذين الوالدين مقرون بشكر اللّه – عزّ وجلّ – ، والإحسان اليهما مقرون بالتوحيد ، فمن لا يشكرهما لا يشكر اللّه ، ومن ترك الإحسان اليهما فقد ترك التوحيد ناقصا .

1- كامل الزيارات : 56 الباب 16 ، بحار الأنوار : 44/232 ح17 .

2- تأويل الآيات الظاهرة : 564 .

قال السـيد ابن طاووس رحمه الله : أشكر من لولاهم لما خلقت ، فهم – صلّي اللّه عليهم – مشكاة الأنوار الإلهية ، وحجاب أسرار الربوبية . . فمن صلّي عليهمفقد سبّح اللّه وقدّسه(1) ..

أما سـمعت ابن عباس يروي عن النبي صـلي الله عليه و آله أنّه قال : لمّا خلق اللّه العرش خلق سبعين ألف ملك ، وقال لهم : طوفوا بعرش النور ، وسبحوني ، واحملوا عرشي ، فطافوا وسبحوا ، وأرادوا أن يحملوا العرش فما قدروا ، فقال لهم اللّه : طوفوا بعرش

النور ، فصلّوا علي نور جلالي محمد حبيبي ، واحملوا عرشي ، فطافوا بعرش الجلال وصلّوا علي محمد وحملوا العرش ، فأطاقوا حمله .

فقالوا : ربّنا أمرتنا بتسبيحك وتقـديسك ، ثم أمرتنا أن نصـلّي علي نور جلالك محمـد ، فتنقص من تسبيحك وتقديسك ؟ فقال اللّه لهم : يا ملائكتي إذا صلّيتم علي حبيبي محمد ، فقد سبحتموني وقدستموني وهللتموني(2) .

فالإحسان اليهم من الضـرورات ، والبر بهما من الواجبات عقلاً وشرعا ، لأنّ العقل حاكم بضرورة الإحسان الي الوالدين ، وحرمة عقوقهما . فكيف بالإحسان لهؤلاء الأطهار وهم الوالد الحقيقي ، وسـببا لوجود كلّ الأشياء ؟ ويجب علي كلّ شيء أن يحسن لهم ويعظّمهم ، وقد أحسن لهم كلّ شيء وسعي في نصرتهم .

فقـد روي زائـدة عن الإمام السـجاد عليه السـلام قال : . . فإذا كان ذلك اليوم الـذي يقتل فيه سـبطك وأهله ، وأحاطت به كتائب أهل الكفر واللعنة تزعزعت الأرض من أقطارها ، ومادت الجبال ، وكثر اضـطرابها ، واصطفقت البحار بأمواجها ، وماجت السماوات بأهلها غضبا لك يا محمد ولذريتك ، واستعظاما لما ينتهك من حرمتك ،

1- مشارق أنوار اليقين تحقيق سيد علي جمال أشرف : 342 نقلاً عن السيد ابن طاووس .

2- مشارق أنوار اليقين : 327 ، بحار الأنوار : 27/258 باب 15 ح8 .

ولشرّ ما تكافي ء به في ذريتك وعترتك ، ولا يبقي شيء من ذلك إلاّ استأذن اللّه- عزّ وجلّ - في نصرة أهلك المستضعفين المظلومين(1) .

.

إلاّ الإنسان الذي وصاه الربّ الجليل بالإحسان اليهم والبر بهم ، فمنهم من عدا عليهم فأمعن في ظلمهم والتعدّي عليهم ، وقتلهم وتشريدهم وسبيهم وأسرهم ، ومنهم من خذلوهم وهم ينظرون الي ظليمتهم ، ومنهم من فرّ من بين أيديهم وهو قادر علي نصرهم ، ومنهم من أظهر الشماتة والفرح بما نزل بهم من مصائب .

سبحان اللّه ، كيف يمكن أن يتصوّر ذلك ؟

أجل ، لقد إمتثل وصية الربّ الجليل في الإمامين الهمامين عليهماالسلام أمة من محبّيهم ، فسمعوا الأمر بالإحسان والبر بهما من اللّه - عزّ وجلّ - ، فها هم شيعتهم لم يقصّروا

في الإحسان اليهم والبر بهم ، فمن عاصرهم من الشيعة أدي الإحسان اليهم باليد واللسان والمال والنفس ، والطاعة لأوامرهم ونواهيهم .

والذين أدوا حقّ الإحسان أولئك الذين بذلوا أنفسهم في سبيل محبتهم عليهم السلام ، وفدوهم بأموالهم وأعراضهم ، فكانت نتيجة إحسانهم أن اللّه سبحانه جازاهم بالإحسان ، فأنزلهم منزلة يغبطهم عليها أهل العالم جميعا من أعاظم العلماء والمؤمنين ، ويخاطبونهم بقولهم : « بأبي أنتم وأمي » .

أمّا بالنسبة لنا ، فإنّنا حرمنا من فيض خدمتهم ، ولم نوفق لإدراك أيامهم ، فيمكن أن نمارس الإحسان اليهم من خلال محبّتهم وذكر مناقبهم ، وزيارة قبورهم ، والبكاء عليهم .

فإذا تركنا البكاء عليهم وزيارتهم فأيّ إحسان أسديناه اليهم ؟ وكيف يقال عنّا أنّنا قد عملنا بوصية اللّه ورسوله صلي الله عليه و آله ؟

1- كامل الزيارات : 263 الباب 88 ، بحار الأنوار : 45/179 ح30 .

ومن هنا يمكن أن نقول : بوجوب إقامة العزاء والبكاء عليهم وزيارتهم من باب لزوم البر والإحسان اليهم الثابت عقلاً ونصّا الذي يتحقّق من خلالالموارد المذكورة .

فهي أمور واجبة علي نحو التخيير في كلّ فرد من أفرادها ، ولا شكّ في أنّ أفراد الواجب المخيّر تتّصف في الجملة بالوجوب بنحو ما .

الإحسان والبر بالبكاء وإقامة العزاء

وقد صرّحت الإخبار بأنّ البكاء عليهم إحسان ، وهذا من الواضحات في الروايات ، فقد روي ابن قولويه بسند معتبر عن زرارة بن أعين عن الصادق عليه السلام في حديث طويل قال :

. . ما من عين أحبّ إلي اللّه ، ولا عبرة من عين بكت ودمعت عليه ، وما من باك يبكيه إلاّ وقد وصل فاطمة عليهاالسلام وأسعدها عليه ، ووصل رسول اللّه ، وأدّي حقّنا .

وما من عبد يحشر إلاّ وعيناه باكية إلاّ الباكين علي جدّي الحسين عليه السلام ، فإنّه يحشر وعينه قريرة ، والبشارة تلقاه ، والسرور بيّن علي وجهه ، والخلق في الفزع وهم آمنون ، والخلق يعرضون وهم حدّاث الحسين عليه السلام تحت العرش ، وفي ظلّ العرش ، لا يخافون سوء يوم الحساب .

يقال لهم : ادخلوا الجنّة ، فيأبون ويختارون مجلسه وحديثه ، وإنّ الحور لترسل إليهم : أنّا قد اشتقناكم مع الولدان المخلدين ، فما يرفعون رؤوسهم إليهم لما يرون في

مجلسهم من السرور والكرامة(1) .

فتأمّل عزيزي القاري ء وانظر الي الحقوق العظيمة التي عليك للمولي عليه السلام ، بل علي أهل العالم جميعا .

1- كامل الزيارات : 80 الباب 26 ، بحار الأنوار : 45/206 ح13 .

ومن تلك الحقوق أنّ اللّه الجليل هداك الي الإسـلام ببركة خير الإنام وهم جدّ الحسـين وأبوه وأمّه وأخوه عليهم السلام ، وحرّم بذلك بدنك علي النار ، ونجاك من العذابالأبدي ، ورفعك علي عرش السلطنة السرمدي في الجنّة .

إنّهم علّموك المعرفة والتوحيد ، والعبادة والعبودية ، والسلوك الي الربّ ، وعرّفوك من هو المنعم عليك وكيف تشكره علي نعمه ، ودلّوك علي من تـدعوه في كلّ ورطة ومحنة وحاجة فيجيبك ، وعلّموك العلوم والآداب والأحكام والمعارف ، ورتبة العلم أعلي كلّ رتبة ، ومقام المعرفة فوق كلّ مقام .

وقد ورد أنّ من علّمني حرفا فقد صيّرني عبدا(1) ، وقد علّموك كلّ تلك العلوم ، فكيف لا تكون لهم عبدا ؟

فإذا كنت عبـده وأنت تري مولاك قـد ذبحوه ، وقطعوا رأسه وعلي أطراف السـنان رفعوه ، وسـبوا نساءه وهجموا علي عياله ، واعتدوا علي ماله فنهبوه ، وقتلوا أصـحابه وأهـل بيته وظلموه ، وبعـد كلّ هـذا فلا تخرج نفسك مع زفراتك ، ولا ترتفع من أعماق قلبك آهـة حري ، ولا تجود عينك بدمعة ، ولا تقعد للعزاء ، ولا تلطم ، ولا تندب ، ولا تصرخ ، ولا تجزع ، فأف لك ، وخيبة لسعيك .

أفّ لعيني كيف تلتذّ الكري

وجفونهم لم تكتحل برقاد

أفّ لقلبي بالزلال شرابه

وقلوبهم بلظي الهجير صواد

أفّ لجسمي كيف يهناه الوطي

وجسومهم ما وطّئت بمهاد

بأبي وأمي الهاشميات التي

قد هشّمت بالقيد والأصفاد

يسري بهن علي المطايا حسّرا

شعثا بغير وطا علي الأعواد

ترنوا الي رأس الحسين وتشتكي

ما نالها من معشر الأوغاد

1- عوالي اللئالي : 1/292 ح163 .

أأخي بعد العزّ عزّ نصيرنا

فعزاؤنا يبدو مدي الآباد

أأخي يا روحي وروح مسرّتي

وقرين أفراحي محلّ وداديقم

وانظر الأولاد في ذلّ السبا

والسبّ للآباء والإجداد

هل نظرة يا واحدي أطفي بها

ما أشتكيه من لظي الابعاد

إشارة الي مصائب أهل البيت عليهم السلام

أجل ، لا يمكن أن تقاس حقوق الوالـدين الظاهريين بحقوقهم ، ولا تقاس نعمتهم بنعمتهم ، فإذا كان الوالـدان الظاهريان واسـطة لوجودك فإنّهم واسطة لوجودك ووجود والديك ووجود العالم بأسره .

وإذا حفظـك الوالـدان من البلايـا ، وتحنّنـا عليك ، وأحبّاك وتعطفا عليك ، فإنّهم كانوا أشـدّ عليك حنان وعطفا من والـديك ، وذلك لأنّهم تحمّلوا من أجلك البلايا العظيمة ، ولكي تطمئن لما أقول اسمع ما أتلوه عليك في هذا الحديث :

عن أم سلمة قالت : دخل رسول اللّه ذات يوم ، ودخل في أثره الحسن والحسين عليهماالسلام ، وجلسا إلي جانبيه .

فأخذ الحسن علي ركبته اليمني ، والحسين علي ركبته اليسري ، وجعل يقبّل هذا تارة ، وهذا أخري ، وإذا بجبرئيل عليه السلام قد نزل وقال : يا رسول اللّه إنّك لتحبّ الحسن والحسين ؟ فقال : وكيف لا أحبّهما ؟ وهما ريحانتاي من الدنيا ، وقرّتا عيني .

فقال جبرئيل عليه السلام : يا نبي اللّه ، إنّ اللّه قد حكم عليهما بأمر فاصبر له ، فقال : وما هو يا أخي ؟

فقال : قد حكم علي هذا الحسن أن يموت مسـموما ، وعلي هذا الحسين أن يموت مذبوحا ، وإنّ لكلّ نبي دعوة مستجابة ، فإن شئت كانت دعوتك لولديك الحسن والحسـين ، فادع اللّه أن يسـلّمهما من السمّ والقتل ، وإن شـئت كانت مصـيبتهما ذخيرة في شـفاعتك للعصاة من أمّتك يوم القيامة .

فقال النبي صلي الله عليه و آله : يا جبرئيل ، أنا راض بحكم ربّي ، لا أريد إلاّ ما يريده ، وقد أحببت أن تكون دعوتي ذخيرة لشفاعتي في العصاة من أمّتي ، ويقضي اللّه في ولدي ما يشاء(1) .

ومن هنا قال بعض العرفاء : إنّ الحقّ تعالي خلق الخلق في عالم الذر ، ثم حكم عليهم أنّ من عصي منهم فإنّه سيكون في جهنم من المخلّدين ، فتقدّم الحسين عليه السلام وضمن ذنوب شيعته بقتله في كربلاء وسبي نسائه .

وقال الشيخ أحمد الإحسائي في بعض مراثيه مشيرا الي هذا المعني ، حينما تقدّم الأصحاب يفدون الحسين عليه السلام بأرواحهم ، فقال لهم الحسين عليه السلام :

فديتموني وأنا إنّما

جئت لكم أفديكم من لظي

بمهجتي اشتريتكم نادبا

كيف سبقتم بالفدا والشرا

فدتك شيعتك يا أبا عبد اللّه ، وفدت حنانك ورأفتك ومحبّتك ، ليت شيعتك كلّهم فداءا لشعرة منك ، ولكن الشيعة – بل العالم كلّه – لم يكونوا عوضا لشوكة تخدش قدمك فتؤذيك .

للحسين عليه السلام درجة لا ينالها أحد من المخلوقين

أجل علم اللّه ذلك ، فجعل له – وهو الحكيم الخبير – من الآثار والثمرات ما لا يعدّ ولا يحصي ، وجعل له درجة لا ينالها إلاّ بالشهادة .

روي عن الصادق عليه السلام قال : . . فقال النبي صلي الله عليه و آله : يا أم سلمة ، إنّ هذا جبرئيل

يخبرني : أنّ هذا مقتول وهذه التربة التي يقتل عليها ، فضعيه عندك ، فإذا صارت دما فقد قتل حبيبي .

فقالت أم سلمة : يا رسول اللّه ، سل اللّه أن يدفع ذلك عنه ، قال : قد فعلت ، فأوحي اللّه – عزّ وجل – إليّ أنّ له درجة لا ينالها أحد من المخلوقين ، وأنّ له

1- بحار الأنوار : 44/241 باب 30 ح35 .

شيعة يشفعون فيشفعون ، وأنّ المهدي من ولده ، فطوبي لمن كان من أولياءالحسين ، وشيعته هم – واللّه – الفائزون يوم القيامة(1) .

فاعلم ، أنّ الحقيقة تكمن في أنّه عليه السلام ضحّي بنفسه من أجل شريعة جدّه ، وفداءا لأمر ربّه ، وتسليما لما أمر به .

روي الشيخ الجليل الشيخ حسين بن عصفور البحراني في كتاب الفوادح نقلاً عن كتاب الثاقب في المناقب عن جابر بن عبد اللّه قال : لمّا عزم الحسين بن علي عليهماالسلام علي الخروج إلي العراق أتيته ، فقلت له : أنت ولد رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، وأحد سبطيه ، لا أري إلاّ أنّك تصالح كما صالح أخوك الحسن ، فإنّه كان موفقا راشدا .

فقال لي : يا جابر ، قد فعل أخي ذلك بأمر اللّه وأمر رسوله ، وإنّي أيضا أفعل بأمر اللّه وأمر رسوله ، أتريد أن أستشهد لك رسول اللّه صلي الله عليه و آله وعليا وأخي الحسن بذلك الآن ؟

ثم نظرت ، فإذا السماء قد انفتح بابها ، وإذا رسول اللّه وعلي والحسن وحمزة وجعفر وزيد نازلين عنها حتي استقروا علي الأرض ، فوثبت فزعا مذعورا .

فقال لي رسول اللّه صلي الله عليه و آله : يا جابر ، ألم أقل لك في أمر الحسن قبل الحسين : لا تكون مؤمنا حتي تكون لأئمتك مسلّما ، ولا تكن معترضا ؟ أتريد أن تري مقعد معاوية ، ومقعد الحسين ابني ، ومقعد يزيد قاتله لعنه اللّه ؟

قلت : بلي يا رسول اللّه .

فضرب برجله الأرض ، فانشقت وظهر بحر فانفلق ، ثم ضرب فانشقت هكذا ، حتي انشقت سبع أرضين ، وانفلقت سبعة أبحر ، فرأيت من تحت ذلك كلّه النار ، فيها سلسلة قرن فيها الوليد بن مغيرة وأبو جهل ومعاوية الطاغية ويزيد ، وقرن بهم مردة الشياطين ، فهم أشدّ أهل النار عذابا .

1- الأمالي للصدوق : 139 المجلس 29 ، بحار الأنوار : 44/225 ح5 .

ثم قال صلي الله عليه و آله : ارفع رأسك ، فرفعت ، فإذا أبواب السماء متفتحة ، وإذا الجنّة أعلاها ، ثم صعد رسول اللّه صلي الله عليه و آله ومن معه إلي السماء ، فلمّا صار في الهواء صاحبالحسين : يا بني الحقني ، فلحقه الحسين عليه السلام ، وصعدوا حتي رأيتهم دخلوا الجنّة من أعلاها .

ثم نظر إليّ من هناك رسول اللّه ، وقبض علي يد الحسين ، وقال : يا جابر ، هذا ولدي معي ها هنا ، فسلّم له أمره ، ولا تشك لتكون مؤمنا .

قال جابر : فعميت عيناي إن لم أكن رأيت ما قلت من رسول اللّه صلي الله عليه و آله(1) .

أجل ، فلو تأمّلت عرفت أنّ كلّ ما تحملّوه من بلايا ومحن ومصائب وأذي إنّما كان من أجل خلاص هذه الأمّة ونجاتها ، فأيّ إحسان يبلغ كلّ هذا الإحسان ؟ !

أرأيت إن مات أبوك كيف تلبس السواد ، وتمزق ثياب الصبر والوقار ، فلا أدري ماذا تفعل في مصيبة قتل الحسين عليه السلام وقد أيتم الشيعة جمعا ، وأغلقت عليهم بذلك أبواب الفيوضات الإلهية ، وأحرق قلوب العالمين من الأولين والآخرين .

أتظنّ أنّ هذه الدموع وهذا البكاء والأنين والحنين والتعازي تليق بساحة سيد الأنس والجان ، وبضعة قلب نبي آخر الزمان ؟

لا واللّه ، لو بكاه الأولون والآخرون ، وأهل السموات والأرضين ، أبد الآبدين ، وأداموا النياحة والأنين ، لكانوا مقصرين بالقطع واليقين ، لعظمة مصابه الحزين ، ورزيته وبليته التي تذيب القلوب وتقطع الوتين .

فيا معشر الأحباب قوموا وهرّجوا

وصيحوا صياحا يسمع الصم بالوغي

يا زمرة الندّاب رنّوا وحنّنوا

أصمّوا صماخ الخلق من شدّة الرنا

فإنّ ابن خير المرسلين محمد

صريع مع الأعقاب ملقي بنينوي

لهفي لقوم ذي نفوس كريمة

أحيطوا بإخوان الخنازير والضري

1- الثاقب في المناقب لابن حمزة الطوسي : 322 ح1 .

أحاطتهم الباغون يبغون قتلهم

لحقد قديم كان في صدرهم غلا

لقد قتلوا ظلما وصارت رؤوسهم

تدور علي الآفاق كالبدر في الدجي

فها تلك أبدان هوت دون مجدها

وتلك رؤوس عاليات علي القنا

وتلك الذراري من سلالة أحمد

بقين أساري لا خفير ولا مطا

أساري لأهل الهند تفدي وتطلق

أساري لأهل البيت تبقي بلا فدا

فيا صاح اجزع من يزيد وجوره

وبغي أهالي الضيم والغي والردي

المّوا بأمر ليس يعهد مثله

وهمّوا بنكر لم يكن سيري

أباحوا حمي قد حذّروا من حريمه

أحلّوا دما ليست تكافئه الدما

عزيز علي الخلق التعيّش غيّما

مضي أهل بيت لا يقاسون بالوري

الأمم الأخري وإقامة عزاء الحسين عليه السلام

لا أدري أيّ قلب هـذا الـذي لا يـذوب في هذه المصـيبة ؟ وأيّ صدر لا يتفتّق ولا ينشق في هذه البلية ؟ وأي عين لا تتفجّر دموعها في هذه الرزية ؟

الكفار لا يعرفون الحسين عليه السلام ، إلاّ أنّهم يبكون في عزائه ، ويرفعون لواء مأتمه .

وقد صحّ الخبر أنّ المشركين في الهند يمتنعون عن العمل أيام إقامة مأتمه ، ويتركون التشاغل بالدنيا تركا باتا ، ويفترشون الأرض علي التراب وهم في الغالب ممّن لا يجلس إلاّ علي الأسرة والعروش ، بل يجلسون علي الرماد ، ويمتنعون عن الأطمعة اللذيذة ، من قبيل اللحم وغيره ، ويبذلون أموالاً طائلة في سبيل مأتمه ، وإقامة عزائه .

وهؤلاء عبرة لأهل الإسلام ، وذلك أنّهم يفترشون الرماد ويتركون اللذائذ ، ولا يتخذون هذه الأيام وسيلة ، يزيّنون بها مجالسهم بأنواع الزينة ، وكأنّها مجالس أفراح وسرور ، ويأكلون الأطعمة اللذيذة ، ويدعون في مجالس الرجال أصحاب الأصوات الجميلة الشجية يتغنون لهم بالأكاذيب ، ويرقصون كما يرقص الرقاصون ، ثم يسمّون ذلك إقامة العزاء والمأتم .

ص: 241

لم لا تغلّف قلبك بأبراد الأحزان ؟

لم لا تقرح عينيك بالبكاء ؟

لم لا تظهر عليك آثار الحزن والغموم ؟

روي أحد الثقاة عن رجل عاش في الهند مدّة من الزمان أنّه قال : ذهبت الي أحد بلدان الهند ، فسألتهم : لماذا تقيمون العزاء وتبكون ؟ فقالوا : نبكي علي ابن وزير اللّه !

عزيزي القاري ء ، إنّه أجاب غلطا ، لم يكن للّه وزيرا حتي يكون لوزيره ولد ، أمّا أنت فابك لمقتل ابن النبي صلي الله عليه و آله ، وسبي بنات النبي صلي الله عليه و آله .

أجل ، إنّك ما عرفت الحسين عليه السلام حقّ معرفته ، ولم تستشعر مدي شناعة هذا الظلم وقباحته .

قال صاحب كشف الغمة في أحوال الأئمة عليهم السلام : واللّه تعالي يعلم أنّي لا أحبّ الخوض في ذكر مصرعه عليه السلام وما جري عليه وعلي أهل بيته وتبعه ، فإنّ ذلك يفتت الأكباد ، ويفتّ في الأعضاد ، ويضرم في القلب نارا وارية الزناد ، فإنا للّه وإنا إليه

راجعون ، ولا حول ولا قوة إلاّ باللّه العلي العظيم(1) .

ثم قال بعد أن ذكر بعض مصائبه : ولمّا وصل القلم في ميدان البيان إلي هذا المقام أبدت الأيام من إلمام الآلام ما منع من إتمام المرام علي أتم الأقسام ولم ير حزم نظام

الكلام دون موقف الاختتام(2) .

وقال في موضع آخر : قلت : من سماع هذه الأقوال واستفظاع هذه الأفعال كنت أكره الخوض في ذكر مصرعه عليه السلام ، وبقيت سنين لم أسمعه يقرأ في عاشوراء ، كما جرت عوائد الناس بقراءته ، لأنّي كنت أجد لما جري عليه وعلي أهل بيته عليهم السلام

1- كشف الغمة : 2/44 .

2- كشف الغمة : 2/52 .

ألما قويا ، وجزعا تاما ، وتحرّقا مفرطا ، وانزعاجا بالغا ، ولوعـة مبرحـة ، ثم كان قصاري أن أبكي وألعن ظالميه وأسـبّهم ، ولم أر ذلك مطفيا غليلي ، ولا مطامنا منغلواء حزني وجزعي ، ولا مسكنا حركة نفسي في طلب الانتقام من أعدائه(1) .

قال الإمام السـجاد عليه السـلام : أيّها الناس ، أيّ قلب لا ينصدع لقتله ؟ أم أيّ فؤد لا يحنّ إليه ؟ أم أيّ سـمع يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام ؟

أيّها الناس أصـبحنا مطرودين مشـردين مذودين شاسعين عن الأمصار ، كأنّا أولاد ترك وكابل ، من غير جرم اجترمناه ، ولا مكروه ارتكبناه ، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها(2) . .

فياعزيزي ، إن لم يحترق قلبك في هذه البلية ، ولم تدمع عينك في هذه الرزية ؟ فمتي ستبكي عينك ؟ !

فلا خير واللّه في دمع يعاذب عن سادات الزمان وأولياء الرحمن .

فوا أسفاه ، علي تلك الأجسام المرمّلة بغير فراش ولا مهاد .

وا محنتاه ، علي الأبدان المطروحة بغير وطاء ولا وساد ، جسوم طالما أتعبوها في عبادة الرحمن وتلاوة القرآن .

فيا ليتني قد وقعت في تلك الأيام ، ويا ليتني كنت ترابا لتلك الأقدام .

إن كنت باكيا فابك علي الحسين عليه السلام

قال الإمام الرضا عليه السلام للريان بن شبيب : يا ابن شبيب ، إن كنت باكيا لشيء فابك للحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، فإنّه ذبح كما يذبح الكبش ، وقتل معه من أهل بيته وثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيهون(3) . .

1- كشف الغمة : 2/63 .

2- اللهوف : 200 ، بحار الأنوار : 45/147 باب 39 .

3- بحار الأنوار : 44/285 ح23 .

أجل واللّه ، صدقت يا مولاي يا علي بن موسي الرضا عليهماالسلام ، إنّهم قتلوا عصابة ما لهم في الأرض شبيهون .

وأيّ شاب مثل القاسم بن الحسن عليهماالسلام ، الذي استأذن عمّه للبراز ، فلمّا أذن له تعانقا ، فبكي الحسين عليه السلام حتي أغمي عليه ؟

وأيّ شباب مثل شباب بني هاشم ، الذين كانوا نخيلاً باسقات في بساتين الإمامة ، وأشجار باسقة في دروب الرسالة ، وأغصان يانعة في أشجار العصمة .

ولنعم ما قاله الشيخ حسن بن زين الدين صاحب المعالم :

عطب أقام عمد الشرك منتصبا

وشدّ أعضاد أهل الغي والزور

خطب تزلزل منه العرش وانطمست

معالم الرشد في الأحقاف والنور

خطب تضعضع منه الدين واضطربت

قواعد المجد في الأعراف والطور

يا للحماة حماة الدين من مضر

ويا ذوي الحزم والبيض المتابير

أيقتل السبط ظمآنا علي حنق

والماء يشربه صادي اليعافير

ورأسه فوق عسال يطاف به

في كلّ قاص من البلدان مشهور

وجسمه غير كاس لا يكفّنه

من مروه غير خفاق من المور

وغرّ أصحابه صرعي كأنّهم

أعجاز نخل طويل القدّ مقعور

ولا نسيت وما أنسي كرائمه

يرزها كل أفاك ومغرور

وتستغيث إله العرش صارخة

والدمع ما بين منظور ومنثور

وترفع الصوت ندبا وهي قائلة

يا جدّ قد رأينا عكس التقادير

يا جدّ قد أصبحت أبناء فاطمة

في كلّ أطراف قفر غير محيور

يا جدّ قد أحرقتنا كلّ هاجرة وفا

جرة وعاهرات ابن حرب فيالمقاصير

يا جدّ قد جردتنا كلّ قاصرة

وخائن الطرف عنّا غير مقصور

يا جدّ قد هتكت أستارنا عصب

يقادها كلّ فسّيق وخمير

ص: 244

شهادة آل الحسين عليه السلام

اشارة

لقـد روي العلماء الأعلام ورواة أئمة الأنام من أمثال الشـيخ المفيد رحمه الله والسـيد الجليل ابن طاووس رحمه الله ومحمد بن أبي طالب الموسوي رحمه الله وغيرهم هذه المحنة بألفاظ مختلفة ، ومعاني متقاربة ، وخلاصة ما قالوه فيها :

بعد أن تسـربل الأصـحاب السـعداء بوشاح الشـهادة ، ولـم يبق مع الحسـين عليه السـلام إلاّ أهل بيته وأقربائه وأولاده ، تقدّموا الي الموت ، وعزموا علي الشهادة ، وهم :

أولاد عقيل عليه السلام ، وأولاد جعفر عليه السلام ، وأولاد أمير المؤمنين عليه السلام ، وأولاد الحسن الزكي المجتبي عليه السلام ، وأولاد الإمام الحسين عليه السلام .

فلمّا وجدوا الفرصة مؤاتية ، اجتمعوا وتوادعوا ، وسالت دموعهم حزنا علي فراق الأحبة ، وإستعدوا للشهادة والفداء(1) .

شهادة عبد اللّه بن مسلم عليهماالسلام

فأوّل من برز من أهل بيته عبد اللّه بن مسـلم بن عقيل بن أبي طالب عليهم السـلام ، أمّه رقية بنت الإمام علي بن أبي طالب عليهم السـلام ، وكان بمقتضي « ولد الحلال يشبه الخال » ، شاب ليس له في العالم شبيه بنص الحديث(2) ، فاستأذن من خاله فأذن له فخرج

وهو يرتجز ويقول :

1- في البحار : 45/32 : « ولما قتل أصـحاب الحسـين ولم يبق إلاّ أهل بيته ، وهم ولـد علي وولـد جعفر وولد عقيل وولد الحسن وولده عليهم السلام اجتمعوا يودّع بعضهم بعضا وعزموا علي الحرب .

2- إشارة الي الحديث الذي مرّ ذكره : « قتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيهون . . » .

اليوم ألقي مسلما وهو أبي

وفتية بادوا علي دين النبي

ليسوا بقوم عرفوا بالكذب

لكن خيار وكرام النسب

من هاشم السادات أهل الحسب

فقاتل حتي قتل ثمانية وتسعين رجلاً في ثلاث حملات ، فوقف ووضع يده علي جبينه ، فجاءه سهم فأصابه ، فأثبته في راحته وجبهته ، ثم قتله عمرو بن صبيح الصيداوي ، وروي أنّه أسد بن مالك(1) .

شهادة محمد بن مسلم عليهماالسلام

وبرز من بعده محمد بن مسلم بن عقيل عليهم السلام ، أمّه أم ولد ، فاحتوشوه بالسيوف والرماح والنبال ، حتي اكتسي خلعة الشهادة .

ثم خرج من بعده جعفر بن عقيل ، وهو يرتجز ويقول :

أنا الغلام الأبطحي الطالبي

من معشر في هاشم وغالب

ونحن حقّا سادة الذوائب

هذا حسين أطيب الأطايب

من عترة البرّ التقي العاقب

فقتل خمسة عشر فارسا ، ثم قتله بشر بن سوط الهمداني ، وقيل : قتله عروة بن عبد اللّه الخثعمي .

شهادة عبد الرحمن بن عقيل عليهماالسلام

وقالوا ثم خرج من بعده أخوه عبد الرحمن بن عقيل وهو يقول :

أبي عقيل فاعرفوا مكاني

من هاشم وهاشم إخواني

كهول صدق سادة الأقران

هذا حسين شامخ البنيان

وسيد الشيب مع الشبان

فقتل سبعة عشر فارسا ، ثم قتله عثمان بن خالد الجهني(2) .

1- البحار : 45/32 .

2- بحار الأنوار : 45/33 .

شهادة عبد اللّه بن عقيل وبقية آل عقيل عليهم السلام

قال أبو الفرج : وعبد اللّه بن عقيل بن أبي طالب ، أمّه أم ولد ، وقتله عثمان بن خالد بن أشيم الجهني ، وبشر بن حوط القابضي .

وعبد اللّه الأكبر بن عقيل ، ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل ، وجعفر بن محمد بن عقيل ، قتلوا يومئذٍ(1) .

والوارد في كلمات العلماء وزيارة الشهداء إثنين من أولاد عقيل وإثنين من أولاد مسلم .

وفي تظلم الزهراء عليهاالسلام : وروي قتل يومئذٍ ثلاثة من أولاد مسلم وثلاثة من أولاد عقيل .

شهادة أولاد جعفر عليهم السلام

اشارة

ثم تقدّم أولاد جعفر ، ولم يكن فيهم أحد من أولاده الصلبيين ، وإنّما هم إثنان من أولاد عبد اللّه بن جعفر ، وروي أنّهم ثلاثة ، وأمّهم السيدة زينب عليهاالسلام .

وقد خرج بهم عبد اللّه الي سيد الشهداء عليه السلام لما لحقه الي مكة وحاول أن يثنيه عن وجهه الذي توجه اليه ، فلمّا رأي الحسين عليه السلام عازما علي الخروج أرسل اليه أولاده ، وأمرهم أن يكونوا في خدمته ، وأن يفدوه بأنفسهم ، ثم رجع .

ولم نعرف وجها لرجوعه ، إلاّ أنّنا نجزم أنّ له عذرا ، لأنّه أجلّ وأكبر من أن يقصّر في نصرة إمامه .

شهادة محمد بن عبد اللّه بن جعفر

وخرج من بعده محمد بن عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب ، بعد أن استأذن من خاله عليه السلام وهو يقول :

1- بحار الأنوار : 45/34 .

نشكو إلي اللّه من العدوان

قتال قوم في الردي عميان

قد تركوا معالم القرآن

ومحكم التنزيل والتبيان

وأظهروا الكفر مع الطغيان

ثم قاتل حتي قتل عشرة أنفس ، ثم قتله عامر بن نهشل التميمي(1) .

شهادة عون بن عبد اللّه بن جعفر

ثم خرج من بعده عون بن عبد اللّه بن جعفر – وظاهر زيارة الشهداء أنّه تقدّم قبل أخيه – وهو يقول :

إن تنكروني فأنا ابن جعفر

شهيد صدق في الجنان أزهر

يطير فيها بجناح أخضر

كفي بهذا شرفا في المحشر

ثم قاتل حتي قتل من القوم ثلاثة فوارس وثمانية عشر راجلاً ، ثم قتله عبد اللّه بن بطة الطائي .

قال أبو الفرج بعد ذكر قتل محمد وعون : وعبيد اللّه بن عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب قتل مع الحسين عليه السلام بالطف(2) .

شهادة أولاد الإمام الحسن عليه السلام

اشارة

ثم تقدّم أولاد الإمام الحسن عليه السلام وهم علي أشهر الروايات إثنان : عبد اللّه والقاسم عليهماالسلام ، وفي بعض الروايات ثلاثة ، وثالثهم أبو بكر بن الحسن عليهماالسلام أمّه أم ولد ، قتله عبد اللّه بن عقبة الغنوي ، وروي أنّ قاتله عقبة الغنوي ، وأمّا عبد اللّه فقاتله حرمله بن كاهل رماه بسهم فأرداه قتيلاً(3) ، وسيأتي بيانه .

1- بحار الأنوار : 45/34 .

2- مقاتل الطالبيين : 95 ، بحار الأنوار : 45/34 .

3- مقاتل الطالبيين : 95 ، بحار الأنوار : 45/34 .

شهادة القاسم بن الحسن عليهماالسلام

ثم خرج القاسم بن الحسن عليهماالسلام ، وهو غلام صغير لم يبلغ الحلم ، وكان وجههكفلقة القمر ، وروي أنّ أمّه كانت معه في كربلاء ، فلمّا نظر الحسين إليه قد برزاعتنقه ، وجعلا يبكيان حتي غشي عليهما ، ثم استأذن الحسين عليه السلام في المبارزة ، فأبي الحسين أن يأذن له ، فلم يزل الغلام يقبّل يديه ورجليه حتي أذن له ، فخرج ودموعه تسيل علي خديه .

وروي أنّه قال له الحسين عليه السلام : يا ولدي أتمشي الي الموت ؟ فقال له القاسم عليه السلام : وكيف يا عمّ ، وأنت بين الأعداء وحيدا غريبا ، لم تجد محاميا ولا صديقا ، روحي لروحك الفداء ، ونفسي لنفسك الوقاء(1) .

وروي أنّ الحسين عليه السلام شقّ أزياق القاسم ، وقطع عمامته نصفين ، ثم أدلاها علي وجهه ، ثم ألبسه ثيابه بصورة الكفن وشدّ سيفه بوسط القاسم ، وأرسله الي المعركة . . فتقدّم القاسم وهو يقول :

إن تنكروني فأنا ابن الحسن

سبط النبي المصطفي والمؤمن

هذا حسين كالأسير المرتهن

بين أناس لا سقوا صوب المزن

وروي أنّ القاسم قدم الي عمر بن سعد ، وقال : يا عمر ، أما تخاف اللّه ؟ أما تراقب اللّه ؟ يا أعمي القلب ، أما تراعي رسول اللّه صلي الله عليه و آله ؟ لا جزاك اللّه خيرا ، تدعي الإسلام وآل رسول اللّه عطاشي ظماء ، قد اسودت الدنيا بأعينهم ؟

ثم إنّه طلب المبارز ، وحمل علي القوم ، فقاتل قتالاً شديدا حتي قتل علي صغره خمسة وثلاثين رجلاً(2) .

1- المنتخب : 2/366 .

2- المنتخب : 2/366 ، بحار الأنوار : 45/34 .

وروي أنّه غلب عليه العطش ، فسار الي الحسين عليه السلام وقال : يا عماه العطش العطش ، أدركني بشربة من الماء ، فصبّره الحسين عليه السلام ، وأعطاه خاتمه ، وقال : حطّه في فمك ومصه .

قال القاسم : فلمّا وضعته في فمي كأنّه عين ماء ، فارتويت ، وانقلبت الي الميدان ، ثم جعل همّته علي حامل لواء الأعداء ، وأراد قتله ، فأحاطوه بالنبل(1) .

مصرع القاسم عليه السلام

روي أنّ لعين كان يرمي القاسم بالحجارة ويقول : اقتلوا ابن الخارجي .

وروي عن حميد بن مسلم قال : كنت في عسكر ابن سعد ، فكنت أنظر إلي هذا الغلام عليه قميص وإزار ونعلان ، قد انقطع شسع أحدهما ، ما أنسي أنّه كان اليسري .

فقال عمرو بن سعد الأزدي : واللّه لأشدّن عليه ، فقلت : سبحان اللّه ، وما تريد بذلك ، واللّه لو ضربني ما بسطت إليه يدي ، يكفيه هؤاء الذين تراهم قد احتوشوه ، قال : واللّه لأفعلن .

فشدّ عليه ، فما ولّي حتي ضرب رأسه بالسيف ، ووقع الغلام لوجهه(2) .

وروي أنّ شيبة بن سعد الشامي ضربه بالرمح علي ظهره ، فأخرجه من صدره ، فوقع القاسم يخور بدمه ، ونادي : يا عمّاه أدركني(3) .

فجاء الحسين عليه السلام كالصقر المنقض ، فتخلّل الصفوف ، وشدّ شدّة الليث الحرب ، فضرب عمرا قاتله بالسيف ، فاتقاه بيده ، فأطنّها من المرفق ، فصاح ثم تنحي عنه ، وحملت خيل أهل الكوفة ليستنقذوا عمرا من الحسين عليه السلام ، فاستقبلته بصدورها ، وجرحته بحوافرها ، ووطئته حتي مات الغلام .

1- المنتخب : 2/366 .

2- بحار الأنوار : 45/35 .

3- المنتخب : 2/366 .

قد أوطئوه الصافنات فصدره

المضمار للإصدار والإيراد

محطوم جسم هشّمت أضلاعه

وكسّر ظهر من خيول زياد

فانجلت الغبرة ، فإذا بالحسين عليه السلام قائم علي رأس الغلام ، وهو يفحص برجله ،فقال الحسين عليه السلام : يعزّ واللّه علي عمّك أن تدعوه فلا يجيبك ، أو يجيبك فلا يعينك ، أو يعينك فلا يغني عنك ، بعدا لقوم قتلوك .

ثم احتمله ، فكأنّي أنظر إلي رجلي الغلام يخطان في الأرض ، وقد وضع صدره علي صدره ، فقلت في نفسي : ما يصنع ؟ فجاء حتي ألقاه بين القتلي من أهل بيته(1) .

وروي أنّه حمل القاسم الي الخيمة ، فوضعه فيها ، ففتح القاسم عينه ، فرأي الحسين عليه السلام قد احتضنه وهو يبكي ويقول : يا ولدي لعن اللّه قاتليك ، يعزّ واللّه علي عمّك أن تدعوه وأنت مقتول ، يا بني قتلوك الكفار ، كأنّهم ما عرفوا من جدّك وأبوك !

ثم إنّ الحسين عليه السلام بكي بكاءا شديدا ، وبكي جميع النساء ، ولطموا الخدود وشقوا الجيوب ، ونادوا بالويل والثبور(2) .

ثم قال الحسين عليه السلام : اللّهم أحصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تغادر منهم أحدا ، ولا تغفر لهم أبدا ، صبرا يا بني عمومتي ، صبرا يا أهل بيتي ، لا رأيتم هوانا بعد هذا

اليوم أبدا(3) .

« إِنّا لِلّهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ »

1- بحار الأنوار : 45/36 .

2- المنتخب : 2/367 .

3- بحار الأنوار : 45/35 .

المجلس الثامن: في بيان شهادة أولاد أمير المؤمنين عليهم السلام

اشارة

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه العلي العظيم ، والصلاة والسلام علي نبيّه العطوف الرحيم ، ورسوله الجواد الكريم ، محمد صاحب السيف والقضيم ، وعلي آله الفراغيم ، وأولاده الهداة العلاجيم .

خصوصا علي شبله الكريم ، ونجله اليتيم ، صاحب الرزء الجسيم ، والبلاء التميم ، الذي بكي عليه الكليم ، ودنف في حزنه الخليل ، فقال : إنّي سقيم ، وكان أمره

أعجب من الكهف والرقيم ، المنقطع عن الصديق والحميم ، المأسور بأيدي كلّ مذنب جريم ، وكلّ فاجر صديم ، المقتول بالسهم والسنان والحجارة والعصا والقضيم ، والممنوع من المياه الطاحيم ، المطروح علي الأرض كالطحيم ، المرضوض أعضائه من نعال أخفاف القارشيم ، المهشّم أضلاعه من حوافر خيول الأضاميم ، المطروح علي وجهه كالمضرب السليم ، لا بل كالمدنف السقيم ، ينقلب يمينا وشمالاً ، ولا يستطيع جوابا ولا سؤالاً ، الذي نهبوا ماله ، وأيتموا أطفاله ، وأسروا عياله ، وداروا بهم وبرأسه في البلاد بين العباد .

فيا للّه من رزء عظيم ، وفادح تميم ، لم يسمع مثله في الأقاويم ، فلعنة اللّه علي

العصابة الملعونة الآمرة والمبايعة والتابعة علي هذا الأمر الجسيم .

وبعد ، قال اللّه في كتابه المبين وخطابه المستبين :

« إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتابِ اللّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ مِنْها أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَما يُقاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ » .

* * *

الأشهر الحرم وحرمتها

الظاهر أنّ المقصود في الخطاب بيان عدد الشهور ، وبيان حرمة بعضها ، وحكم الأشهر الحرم منها .

والأشهر الحرم أربعة ، ولها حرمة خاصة حتي حرّم فيها القتال بنص القرآن ، فلا ظلم ولا قتال ولا جدال فيها إحتراما لها .

واعلم ، أنّ الناس كانوا في الضلالة والجهل والشرك قبل الإسلام ، ولذلك فهم لم يدخلوا الإسلام بمجرد دعوتهم ، لتمسكهم بطريقتهم القديمة التي وجدوا آباءهم عليها ، فكان أن قابلهم النبي صلي الله عليه و آله بالجهاد والسيف ، وضرب خراطيمهم حتي أدخلهم في الإسلام .

وفي ذاك الجهاد حكم كثيرة ، وإن كان بعضها خافيا علينا ، وقد قسم الفقهاء الجهاد الي قسمين :

الجهاد الواجب ، وهو مرّة في السنة إذا تحقّقت شروطه ، ومن ثم يكون مستحبا ، وهو حرام في الأشهر الحرم الأربعة ، حيث كانت هذه الشهور مخصصة للحج والعمرة والعبادة عند المسلمين ، فهم لا يقاتلون أحدا ، ولكنّ اللّه أذن لهم بالدفاع عن أنفسهم فيها إذا تعرض لهم الكفار وقاتلوهم .

والأشهر الحرم هي : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب .

وقد حرّم الأسلام هذه الأشهر ، ولا ينافي تحريمها حرمة شهر رمضانوأفضليته ، وعدم حرمة القتال فيه ، فإنّ مثل ذلك كثير في الشرع المقدّس .

ألا تري زيارة الحسين عليه السلام فإنّها أفضل من الحج والعمرة بمراتب كثيرة ، بل إنّ كلّ خطوة في زيارته تعدل ثواب حجّة وعمرة ، ومع ذلك لم تكن واجبة !

وكذا أرض كربلاء فإنّها أفضل من مكة كما صرحت به الكثير من الأخبار(1) ، ولكنه لم يوجب الطواف فيها ، ولم يجر فيها أحكام الحرم المكي .

فالأشهر الحرم محترمة في الإسلام ، بل كانت محترمة قبل الإسلام أيضا ، وكان أهل الجاهلية يعظّمونها ، ويحرّمون القتال والظلم فيها .

كما حدث لهم مع رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، عندما اشتبه عليهم الشهر الحرام ، وقد تعرض النبي صلي الله عليه و آله لعيرهم فكتبوا اليه يعيرونه علي ما فعل بهم في الشهر الحرام(2) .

حرمة شهر المحرم

روي عن الرضا عليه السلام أنّه قال : إنّ المحرّم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضي يحرّمون فيه الظلم والقتال لحرمته ، فما عرفت هذه الأمّة حرمة شهرها ، ولا حرمة نبيها ، لقد قتلوا في هذا الشهر ذريّته ، وسبوا نساءه ، وانتهبوا ثقله ، فلا غفر

اللّه لهم ذلك أبدا(3) .

ما هو المقصود من الأشهر الإثني عشر في هذه الآية

اعلم ، أنّ ما ذكرناه هو الظاهر من الآية الكريمة ، ولكن للقرآن بطون ، وهي عند النبي صلي الله عليه و آله وأوصيائه الكرام ، وقد فسروا الشهور في هذه الآية بالأئمة الإثني عشر – صلوات اللّه عليهم – وهو معني يناسب سياق الآية حيث يقول :

« إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللّهِ اثْنا عَشَرَ شَهْراً فِي كِتابِ اللّهِ » وهو اللوح المحفوظ– ظاهر – « يَوْمَ خَلَقَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ » .

1– انظر كامل الزيارات : 449 ح2 ، بحار الأنوار : 101/106 ح3 .

2– انظر البحار : 19/191 ح45 .–

3– بحار الأنوار : 44/285 باب 34 .

وليس ثمة ثمرة شرعية تترتب علي كون الشهور إثني عشر شهرا ، ولو ثبتت لما احتاجت الي كلّ هذا التأكيد ، وكذلك جعل الأشهر الحرم الأربعة من الدين القيم ، يدل علي أنّ المراد شيء آخر وراء هذا المعني الظاهري الملحوظ في الآية أيضا .

وقد ورد عن الإمام الباقر عليه السلام في تأويل هذه الآية أنّ الشهور هم الأئمة عليهم السلام(1) ، وكذا ورد في أخبار كثيرة : أنّنا نحن الشهور(2) .

وعن ابن عباس قال : سمعت رسول اللّه صلي الله عليه و آله يقول : معاشر الناس ، اعلموا أنّ للّه تعالي بابا من دخلها أمن من النار ، ومن الفزع الأكبر .

فقام إليه أبو سعيد الخدري فقال : يا رسول اللّه اهدنا إلي هذا الباب حتي نعرفه .

فقال : هو علي بن أبي طالب سيد الوصيين ، وأمير المؤنين ، وأخو رسول ربّ العالمين ، وخليفته علي الناس أجمعين .

معاشر الناس ، من أحبّ أن يتمسّك بالعروة الوثقي التي لا انفصام لها فليستمسك بولاية علي بن أبي طالب عليه السلام ، فإنّ ولايته ولايتي ، وطاعته طاعتي .

معاشر الناس ، من أحبّ أن يعرف الحجة بعدي فليعرف علي بن أبي طالب عليه السلام .

معاشر الناس ، من سرّه أن يتوالي ولاية اللّه ، فليقتد بعلي بن أبي طالب ، فإنّه خزانة علمي .

معاشر الناس ، من أحبّ أن يلقي اللّه وهو عنه راض ، فليوال عدّة الأئمة عليهم السلام .

فقام جابر بن عبد اللّه فقال : وما عدّة الأئمة ؟

فقال : يا جابر سألتني - يرحمك اللّه - عن الإسلام بأجمعه ، عدّتهم عدّة الشهور ،وهي عند اللّه إثنا عشر شهرا في كتاب اللّه يوم خلق السماوات والأرض .

1- تفسير البرهان : 3/412 ح4 .

2- انظر تفسير نور الثقلين : 2/214 .

وعدّتهم عدّة العيون التي انفجرت لموسي بن عمران عليهماالسلام حين ضرب بعصاه البحر فانفجرت منه إثنتا عشرة عينا .

وعدّتهم عدّة نقباء بني إسرائيل ، قال اللّه تعالي : « وَلَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثاقَ بَنِي إِسْرائِيلَ وَبَعَثْنا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً » .

والأئمة – يا جابر – اثنا عشر : أولهم علي بن أبي طالب عليه السلام ، وآخرهم القائم(1) عليه السلام .

وروي الشيخ الصدوق رحمه الله عن ابن عباس قال : قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله : ذكر اللّه – عزّ وجلّ – عبادة ، وذكري عبادة ، وذكر علي عبادة ، وذكر الأئمة من ولده عبادة .

والذي بعثني بالنبوة وجعلني خير البرية ، إنّ وصيي لأفضل الأوصياء ، وإنّه لحجّة اللّه علي عباده ، وخليفته علي خلقه ، ومن ولده الأئمة الهداة بعدي ، بهم يحبس اللّه العذاب عن أهل الأرض ، وبهم يمسك السماء أن تقع علي الأرض إلاّ بإذنه ، وبهم يمسك الجبال أن تميد بهم ، وبهم يسقي خلقه الغيث ، وبهم يخرج النبات ، أولئك أولياء اللّه حقّا ، وخلفائي صدقا ، عدّتهم عدّة الشهور ، وهي اثنا

عشر شهرا ، وعدتهم عدّة نقباء موسي بن عمران .

ثم تلا صلي الله عليه و آله هذه الآية : « وَالسَّماءِ ذاتِ الْبُرُوجِ » ، ثم قال : أتقدر – يا ابن عباس – أنّ اللّه يقسم بالسماء ذات البروج ، ويعني به السماء وبروجها ؟

قلت : يا رسول اللّه ، فما ذاك ؟

قال : أمّا السماء فأنا ، وأمّا البروج فالأئمة بعدي ، أولهم علي وآخرهم المهدي ، صلوات اللّه عليهم أجمعين(2) .

1- إرشاد القلوب : 2/293 ، بحار الأنوار : 36/263 ح84 .

2- الاختصاص : 223 ، بحار الأنوار : 36/37 ح234 .

وجه التعبير عن الأئمة عليهم السلام بالشهور

قال المؤلف : لعل الوجه في التعبير عن الأئمة بالشهور :

أنّ ما يقوم به صـلاح معاش الخلق وجميع العالم بحيث لو انعدم لانعدم العالم أجمع إنّما هو الليل والنهار ، وهما في وقت الاعتدال عبارة عن إثني عشـر ساعة ، والشـهر والسـنة إنّما تحصل من خلال حركة الشمس والقمر ، ولكلّ منهما إثنا عشر برجا ، والسنة تتكوّن من الفصول الأربعة وجميع الحكم الزمانية التي لها دور مؤثر في نظام العالم ، وهي عبارة عن إثني عشر شهرا .

وكذلك هم أئمة الدين وخلفاء سـيد المرسـلين عليهم السلام فإنّهم نظام عالم الدين والإيمان ، وهم أساس الإسلام وعماد الدين ، وعدّتهم إثنا عشر إماما عليهم السلام .

فالمقصود من الشـهور التي هي أجزاء السـنة وفقا للبيان المذكور هو بيان عدد شـهور عالم الإيمان ، والتنبيه علي نقصان عالم الإيمان ، بل انعدامه بانعدام ولاية الأئمة الأثني عشر أو بعضهم .

وبهذا المعني يفهم عدد حروف « لا إله إلاّ اللّه » و« محمد رسول اللّه » ، وكلّ واحدة منهما أصل من أصول الإيمان ، ومركبة من إثني عشر حرفا ، فشهادة التوحيد لا تتمّ إلاّ بولاية الأئمة الإثني عشر ، كما أنّ الشهادة بالرسالة لا تتمّ

إلاّ بولايتهم .

وفي هذا سرّ غريب ، ولغز عجيب ، واضح لأهل البصيرة ، ولا يخفي علي اللبيب .

وذلك قال العلماء : أنّ الرياح التي بها صـلاح العالم وفساده ، وبها يطوي البرّ والبحر ، وبها تلقح الأشجار ، وتينع الثمار ، وتظهر البركات ، وهي إثنا عشـر ريحا : أربعـة في الجو ، وأربعـة في العالم ، وأربعـة في نفس بـدن الإنسان .وقال الأطباء : قوام البدن علي العروق ، والعروق الأصلية فيها إثنا عشر عرقا ، ينشعب من كلّ واحد منها ألف عرق .

وكذا قوام بدن الإسلام والإيمان أيضا بإثني عشر إماما ، يفتح كلّ واحد منهم مائة ألف باب من أبواب الرحمة علي كلّ شخص .

ولو أنّك تأمّلت بعين البصيرة ، وتدبّرت بقلب صاف ، فإنّ أبواب المعارف تتفتح من كلّ إتجاه « وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالأَرْضِ » .

قال علماء النسب : النضر بن كنانة هو دوحة يتفرّع صفة الشرف عليها ، وينبعث منها ، وترجع إليها .

وهـذه القبيلة الشـريفة كمل شـرفها ، وعظم قدرها ، واشـتهر ذكرها ، واسـتحقت التقدّم علي بقية القبائل ، وسائر البطون من العرب وغيرها برسول اللّه صلي الله عليه و آله .

فنسب قريش انحدر من نضـر بن كنانة إلي رسول اللّه صـلي الله عليه و آله ، وشـرف قريش إن بقي لها من رسول اللّه صـلي الله عليه و آله . فرسول اللّه في الشـرف بمنزلة مركز الدائرة بالنسـبة إلي محيطها ، فمنه يرقي الشـرف ، فإذا فرضت الشـرف خطا متصاعدا متراقيا متصـلاً إلي المحيط مركبا من نقطة هي آباؤ وأبا فأبا وجدته صـلي الله عليه و آله محمد بن عبد اللّه بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر .

فالمركز الذي انبعث منه الشـرف متصاعدا هو رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، ووجدت المحيط الذي تنتهي الصفة الشريفة القرشية إليه هو النضـر بن كنانـة ، فالخط المتصاعـد الـذي بين المركز وبين المنتهي المحيط أجزاؤ إثنا عشـر جزءا ، فإذا كانت درجات الشـرف المعدودة متصاعدة إثنا عشر ، فيكون لاستحالة أن يكون الخطان الخارجان من المركز إلي المحيط متفاوتين .

فالنبي صـلي الله عليه و آله منبع الشـرف الذي الإمامة منه بنفسه متصاعدا ، وهو منبع الشـرفالذي هو محل الإمامة متنازلاً ، فيلزم أن تكون الأئمة إثني عشر ، فكما أنّ الخط المتصاعد إثنا عشر ، فالخط المتنازل إثنا عشر .

فأول من ثبتت له الصفة بأنّه قرشي مالك بن النضر ، ولا تتعداه صاعدا ، وهو الثاني عشر ، فكذلك منتهي من ثبتت له الإمامة ، ولا تتعداه نازلاً ، واستقرت فيه محمد بن الحسن المهدي ، وهو الثاني عشر صلّي اللّه عليهم أجمعين(1) .

أجل ، إنّهم نظام عالم الإيمان والإسلام ، بل نظام عالم الوجود ، وبوجودهم دار الفلك ، قال اللّه تعالي : « وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها » قال المعصوم في تفسير الآية : ربّ الأرض الإمام الذي نور اللّه في عباده وبلاده(2) .

واعلم ، أنّ اللّه تعالي جعل لأربعة من هذه الشهور حرمة خاصة ، وأمر بتعظيمها واحترامها ، وجعل حرمتها من الدين القيم ، وهي ثلاثة سرد وواحد فرد ، والثلاثة السرد هم : علي والحسن والحسين عليهم السلام ، وهي ذو القعدة ، وفيه دحو الأرض ، وذو الحجة والمحرم ، « فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ » .

اللّهم أنت الشاهد والعالم أنّهم ما رعوا حرمة الشهور الحرم الظاهرية ، ولم يرعوا حرمة الشهور الواقعية ، إنّهم ظلموا الدين القيّم في محرم الحرام ، فسفكوا دمه ، وفصلوا رأسه عن جسده ، وسبوا عياله وحرمه ، ونهبوا ماله .

إنّهم فعلوا ما لم يفعله الكفّار ، وأتوا ما لا مهم عليه اليهود والنصاري ، ظلموا ظلما لم يعرفه ظالم ، وفجعوا القلوب فجيعة لا تنسي أبدا ، وجرحوها جرحا لا يلتئم يوما .إنّهم ارتكبوا جريمة فضحت هذه الأمّة بين الأمم ، فلا تجد أمة ارتكبت

1- العدد القوية : 79 .

2- في تفسير القمي : 2/253 وبحار الأنوار : 7/326 باب 17 ح1 بإسناده عن المفضل بن عمر أنّه سمع أبا عبد اللّه عليه السلام يقول في قول اللّه : « وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّها » قال : ربّ الأرض إمام الأرض ، قلت : فإذا خرج يكون ماذا ؟ قال : إذا يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر ويجتزؤون بنور الإمام .

ما ارتكبوه .

وفي الحديث : لم تكن أمة آمنة بنبي ثم صنعت بذريته ما صنعوا بذرية رسول اللّه محمد صلي الله عليه و آله .

وفي حديث آخر : وما من نسمة خلقت إلاّ وقد رفعت إلي آدم في عالم الذر ، وعرضت عليه ، ولقد عرضت عليه هذه الأمّة ، ونظر إليها وإلي اختلافها وتكالبها علي هذه الدنيا الدنية ، فقال آدم عليه السلام : يا ربّ ما لهذه الأمّة الزكية وبلاء الدنيا وهم أفضل الأمم ؟

فقال له : يا آدم إنّهم اختلفوا فاختلفت قلوبهم ، وسيظهرون الفساد في الأرض كفساد قابيل حين قتل هابيل ، وإنّهم يقتلون فرخ حبيبي محمد المصطفي .

ثم مثّل لآدم عليه السلام مقتل الحسين ومصرعه ووثوب أمة جدّه عليه ، فنظر إليهم فرآهم مسودّة وجوههم ، فقال : يا ربّ ابسط عليهم الانتقام كما قتلوا فرخ نبيك الكريم عليه أفضل الصلاة والسلام(1) .

مقارنة بين الإمام الحسين ويحيي عليهماالسلام

أجل ، لقد ظلمت الأمم السالفة ذرية الأنبياء عليهم السلام ، ولكنّ ذلك لم يفعله أتباع النبي الذين آمنوا به وبرسالته ، وإنّما فعله أعداء دعوته من الكفّار لا من آمن منهم

وأطاع ، ولم يكن الظلم كما كان مع ذرية نبي آخر الزمان .

وما أشبه قصة الحسين عليه السلام بقصة يحيي ، فقد روي عن الباقر عليه السلام : إنّ الحسين عليه السلام لمّا خرج من مكة متوجها إلي العراق لم يجلس مجلسا إلاّ وذكر يحيي بن زكريا ، وكان دائما في طريقه يقول : ومن هوان الدنيا علي اللّه أنّ رأس يحيي بنزكريا أهدي إلي بغي من بغايا بني إسرائيل(2) ، ومن هوان الدينا علي اللّه أن يهدي

1- بحار الأنوار : 45/315 باب 46 .

2- عوالي اللآلي : 4/81 ح83 .

رأسي الي ابن سمية .

فهناك وجه شبه بين القصتين ، ولكن يحيي لم يقتل عطشانا ، ولم تسبي عياله ، ولم يترك في العراء بلاـ غسل ولا كفن ، ولم يقتل أولاده وأصحابه وأهل بيته .

وقد تكلّم رأس يحيي في مجلس الملك الظالم حينما وضع بين يديه فقال : إتق اللّه ودع الزنا(1) .

فيما تكلّم الرأس المقدّس مرارا ، وقد سمعوه كرارا يتكلّم ويرتّل القرآن ، كما حدث في سوق الكوفة حيث كان يرتّل سورة الكهف حتي بلغ قوله تعالي : « إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْناهُمْ هُدىً »(2) .

وروي عن زيد بن أرقم أنّه قال : مرّ بالرأس عليّ ، وهو علي رمح ، وأنا في غرفة لي ، فلمّا حاذاني سمعته يقرأ : « أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً » ، فقفّ واللّه شعري ، وناديت : رأسك واللّه يا ابن رسول اللّه ، وأمرك واللّه أعجب(3) يا ابن رسول اللّه (4) .

أعلي السنان سنان يرفع رأسه

بين الملا يا ليت فاطم حاضره

ذبح الحسين فأيّ عيش يصطفي

أو أيّ نفس بعده متباشره

أو يرتضي غير البكاء عقيبه

أو يهتني طيب البقا ومفاخره

مات العزيز ومن يرجّي للهدي

والمرتجي للنائبات الضائره

والخيل أجروها عليه فمزّقت

منه بواطنه ورضّت ظاهره

1- في بحار الأنوار : 14/358 : « فأتوا برأس يحيي عليه السلام في الطست ، وكان الرأس يكلّمه ويقول له : يا هذا اتق اللّه لا يحلّ لك هذا » .

2- انظر العوالم : 17/386 .

3- كشف الغمة : 2/66 .

4- المناقب : 4/60 .

لهفي لزينب واليتامي حولها

تبكي عليهم وهي ولهي ناشره

تدعو بفاطمة البتول بصوتها

يا أمّنا يا ليت عينك باصره

لتري حسينا نور عينك ما لقي

من بعد فقدك من عصاة غادره

ذبحوه ذبح الشاة ظلما ظاميا

تسدو عليه الصافنات الغابره

سلبوا بناتك جهرة يا أمّنا

فوجهها بين الأعادي سافره

فبنات هند في القصور أعزّة

مخبيّة تحت الخدور الساتره

وبنوك أسري في القفار أذلّة

من غير ستر ما عليها حاسره

ويزيد في تخت الخلافه جالس

وحسين في حرّ الشموس السعاره

بكاء الملائكة والجن علي الحسين عليه السلام

سبحـان اللّه ، ما أعجبها من بليـة ، وما أعجبها من مصـيبة ، وما أعجبها من رزيـة نزلت بالشـيعة ، وما أعظمها من غمـة غمرت السـماوات والأرض بالغم والهم والحزن .

ما أعظمها من رزية اضطرب لها الإسلام ، وتزلزل لها العالم ، واهتز لها الثقلان ، وروّعت الإنس والجان .

روي ابن قولويه عن صـفوان الجمال عن أبي عبد اللّه عليه السـلام قال : سألته في طريق المدينة ونحن نريد مكة ، فقلت : يا ابن رسول اللّه ،

ما لي أراك كئيبا حزينا منكسرا ؟

فقال : لو تسمع ما أسمع لشغلك عن مساءلتي ، فقلت : وما الذي تسمع ؟

قال : ابتهال الملائكة إلي اللّه – جلّ وعزّ – علي قتلة أمير المؤنين وقتلة الحسين عليهماالسلام ، ونوح الجن ، وبكاء الملائكة الذين حوله ، وشدّة جزعهم ، فمن يتهنأ

مع هذا بطعام أو شراب أو نوم(1) .

وعن الحارث الأعور قال : قال علي عليه السلام : بأبي وأمي الحسين المقتول بظهر الكوفة ، واللّه كأنّي أنظر إلي الوحش مادّة أعناقها علي قبره ، من أنواع الوحش يبكونه ويرثونه ليلاً حتي الصباح ، فإذا كان كذلك فإيّاكم والجفاء(2) .

قتلوا بقتله الإسلام

سبحان اللّه ، أيّ فساد حدث في الإسلام ؟

وأيّ فتنة وقعت في الأنام ؟

وأيّ أمر عظيم ارتكبوه ؟

وأيّ جريمة عظمي صدرت منهم ؟

وأيّ عار وشنار ألصقوه بالمسلمين حتي عاب عليهم اليهود والنصاري .

يرحب قوم حافرا زعم أنّه

لمركوب بعض الأنبياء الذي مضي

ويقتل قوم ابن بنت نبيهم

تأمّل بانصاف تري منتهي الشقا

ماذا صنع هؤلاء الأوغاد حتي فضحوا الأنسان هذه الفضيحة الشنيعة ، وحقّروا بني آدم بين جميع المخلوقات ، وقد كرّمه اللّه عليها .

وهذا هو مقصود الملائكة حينما جاءهم الخطاب الأقدس : « إِنِّي جاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً » .

فقال الملائكة : يا ربّ « أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ » .

فأجابهم ربّ العزّة : « إِنِّي أَعْلَمُ ما لا تَعْلَمُونَ » .

أجل ، لقد ارتكبوا عظيما ، وكادت السموات والأرضين أن تنهد له ، لولا حمكة الباري تعالي ، ولعل الحكمة في ذلك كانت في اخراج النسل الطيب والحجج الإلهية

1- كامل الزيارات : 92 الباب 28 ح18 ، بحار الأنوار : 45/226 باب 41 ح19 .

2- كامل الزيارات : 291 الباب 97 ح3 ، بحار الأنوار : 45/205 باب 40 ح9 .

الـذين يتمني الملائكـة المقربون أن يجلسوا بين أيـديهم ، ويطوفوا في حريمهم ،وبوجودهم يغمر الخلق بالرحمـة الإلهية التي يسـتحقونها بفضل وجود الحجج بينهم .

أجل ، إنّهم اشتروا بما فعلوا العار لبني آدم .

روي ابن قولويه عن الحسـين بن علي بن صاعـد البربري – قيم لقبر الرضـا عليه السـلام – قـال : حـدثني أبي قـال : دخلت علي الرضا عليه السلام فقال لي : تري هذه البوم ما يقول الناس ؟

قلت : جعلت فداك جئنا نسألك ؟

فقال : هذه البومة كانت علي عهد جدّي رسول اللّه صـلي الله عليه و آله تأوي المنازل والقصور والدور ، وكانت إذا أكل الناس الطعام تطير وتقع أمامهم ، فيرمي إليها بالطعام وتسـقي ، وترجع إلي مكانها ، فلمّا قتل الحسـين عليه السـلام خرجت من العمران إلي الخراب والجبال والبراري ، وقالت : بئس الأمّة أنتم ، قتلتم ابن بنت نبيكم ، ولا آمنكم علي نفسي(1) .

وروي عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال : سمعته يقول في البومة ، قال : هل أحد منكم رآها بالنهار ؟ قيل له : لا تكاد تظهر بالنهار ولا تظهر إلاّ ليلاً .

قال : أما إنّها لم تزل تأوي العمران أبدا ، فلمّا أن قتل الحسـين عليه السـلام آلت علي نفسها أن لا تأوي العمران أبدا ، ولا تأوي إلاّ الخراب ، فلا تزال نهارها صائمة حزينة حتي يجنّها الليل ، فإذا جنّها الليل ، فلا تزال ترن ترث علي الحسين عليه السلام حتي تصبح(2) .

فوا عجباه من داهية أحرق فؤاد كلّ مبرور ، وأحرق بها أكباد كلّ مدرور .

وواحسرتا علي مصيبة بكت عليها الطيور في الأوكار ، والوحوش في القفار ، والحيتان في لجج البحار .

1- كامل الزيارات : 99 الباب 31 ح2 .

2- كامل الزيارات : 99 ح1 .

ما هذه الزفرات الصاعدات أسي

كأنّها شعل ترمي بها شعل

ما للعيون عيون الدمع جارية

منها تخدّ خدودا حين تنهمل

ماذا النواح الذي عط القلوب وما

هذا الضجيج وذا الضوضاء والزجل

كأنّ نفخة صور الحشر قد فجأت

فالناس سكري ولا سكر ولا ثمل

قد هل عاشورا لو غمّ الهلال به

كأنّما هو من شؤم به زحل

شهر دهي ثقليها منه داهية

ثقل النبي حصيد فيه والثقل

قامت قيامة أهل البيت وانكسرت

سفن النجاة وفيها العلم والعمل

وارتجت الأرض والسبع الشداد وقد

أصاب أهل السموات العلي الوجل

واهتز من دهشة عرش الجليل فلو

لا اللّه ماسكه أهوي به الميل

جلّ الإله فليس الحزن بالغه

لكن قلبا هواه حزنه جلل

قضي المصاب بأن تقضي النفوس له

لكن قضي اللّه أن لا تسبق الأجل

وأنت تعجب أن مطرت السماء دما ، وأنا أعجب أن لم تصب عليهم حمم النيران !

وأنت تعجب أن كسفت الشمس وانخسف القمر ، وانا أعجب أنّها لا زالت تبعث بالنور والضياء بعد قتل الحسين عليه السلام .

وأنت تعجب أنّ الطير والوحوش بكت عليه ، وأنا أعجب أنّها أكلت الحب وشربت الماء بعده .

وأنت تعجب أنّ الناس لا زالوا يقيمون عزاءه ويبكون عليه ، وأنا أعجب أنّهم يفرحون ويخضبون وفي مجالس السرور والحبور يحضرون .

أجـل ، إنّك ما عرفت مقامه ولا فهمت منزلته ، بل ما عرفها أحـد إلاّ الـذين هم في منزلته ومقامه ، ومن ذا الـذي يعرف الإمام ، وهو مظهر الصفات الإلهية ؟ !

مقتطفات من فضائل الحسين عليه السلام التي لا تحصي

ص: 266

روي : عن أبي عبد اللّه الحسين عليه السلام قال : أتيت يوما جدّي رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، فرأيت أبي بن كعب جالسا عنده ، فقال جدّي : مرحبا بك يا زين السماوات والأرض ، فقال أبي : يا رسول اللّه ، وهل أحد سواك زين السماوات والأرض ؟

فقال النبي صلي الله عليه و آله : يا أبي بن كعب ، والذي بعثني بالحقّ نبيا ، إنّ الحسين بن علي في السماوات أعظم ممّا هو في الأرض ، واسمه مكتوب عن يمين العرش : إنّ الحسين مصباح الهدي وسفينة النجاة .

ثم إنّ النبي صلي الله عليه و آله أخذ بيد الحسين عليه السلام ، وقال : أيّها الناس ، هذا الحسين بن علي

ألا فاعرفوه ، وفضّلوه كما فضّله اللّه - عزّ وجلّ - ، فواللّه لجدّه علي اللّه أكرم من جدّ يوسف بن يعقوب ، هذا الحسين جدّه في الجنّة ، وجدّته في الجنّة ، وأمّه في الجنّة ،

وأبوه في الجنّة ، وأخوه في الجنّة ، وعمّه في الجنّة ، وعمّته في الجنّة ، وخاله في الجنّة ، وخالته في الجنّة ، ومحبّوهم في الجنّة ، ومحبّو محبّيهم في الجنّة(1) .

روي أنس بن مالك قال : خرج الحسين عليه السلام في تشيع جنازة ، فرأيت أبا هريرة يتبعه فيأخذ من تراب مواضع أقدامه ويمسحه علي وجهه ، فقال له الحسين عليه السلام : وأنت تفعل هذا يا أبا هريرة ؟ فقال : دعني يا ابن رسول اللّه ، فواللّه لو يعلم الناس مثل ما أعلم من فضائلك لحملوك علي أحداقهم فضلاً عن أعناقهم .

ثم قال : يا ابن رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، لطالما سمعت جدّك يقول غير مرّة : إنّ هذا ولدي الحسين عليه السلام سيد شباب أهل الجنّة ، وإنّه سيموت مذبوحا ظمآنا مظلوما(2) .

1- مدينة المعاجز : 4/51 ح1080 .

2- تاريخ ابن عساكر حياة الإمام الحسين عليه السلام : 149 ح191 عن أبي المهزم قال : كنّا مع جنازة إمرأة ، ومعنا أبو هريرة ، فجيء بجنازة رجل ، فجعله بينه وبين المرأة فصلّي عليهما ، فلمّا أقبلنا أعيا الحسين عليه السلام ، فقعد في الطريق ، فجعل أبو هريرة ينفض التراب عن قدميه بطرف ثوبه ، فقال الحسين عليه السلام : يا أبا هريرة ، وأنت تفعل هذا ؟ قال أبو هريرة : دعني فواللّه لو يعلم الناس عنك ما أعلم لحملوك علي رقابهم .

العجب ممّا فعله الأعداء

أجـل ، إنّهم لم يعرفوا حرمته ، ولم يسـكنوه في أحـداقهم ، فليتهم لم يتركوه علي الرمضـاء عاريا .وهم لم يحملوه علي أعناقهم ، فليتهم لم يرفعوا رأسه علي رأس الرمح عاليا .

وليتهم لمّا لم يرعوا حرمته ، لم يسبوا حرمه أيضا .

وليتهم لمّا لم يرفعوا يدهم عنه وعن أذاه ، لم يقطعوا يده أيضا .

وليتهم لمّا لم يرفعوا أقدامهم الي نصره ، لم يرفعوها الي ميادين محاربته أيضا .

وليتهم لمّا أخرجوا محبّته من قلوبهم ، لم يدخلوا عداوته اليها ، ولمّا أدخلوا عداوته اليها ، لم يسددوا سهامهم الي قلبه .

ليتهم لم يطحنوا صدره ، وليتهم بعد القتل رفعوا من الأرض جسده .

وبعد أن فعلوا كلّ ما فعلوا فليتهم لم يشمتوا ، ولم يتخذوا من يوم عزائه عيدا ، ولم يزينوا البلاد ، ويظهروا السرور والفرح !

روي الشيخ الطوسي رحمه الله بسند معتبر عن الصادق عليه السلام في حديث : ثم قال : إنّ آل أمية – عليهم لعنة اللّه – ، ومن أعانهم علي قتل الحسـين عليه السـلام من أهل الشام نـذروا نذرا إن قتل الحسـين عليه السـلام ، وسـلم من خرج إلي الحسـين عليه السـلام ، وصارت الخلافة في آل أبي سـفيان أن يتخذوا ذلك اليوم عيدا لهم ، وأن يصوموا فيه شـكرا ، ويفرحون أولادهم ، فصارت في آل أبي سـفيان سنة إلي اليوم في الناس ، واقتدي بهم الناس جميعا ، فلذلك يصومونه ويدخلون علي عيالاتهم وأهاليهم الفرح ذلك اليوم(1) .

وروي صاحب المناقب عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الباقر عليه السلام قَالَ : جُدِّدَتْ أَرْبَعَةُ مَسَاجِدَ بِالْكُوفَةِ فَرَحاً لِقَتْلِ الْحُسَيْنِ عليه السلام :

مَسْجِدُ الأَشْعَثِ .

وَمَسْجِدُ جَرِيرٍ .

1- الأمالي للطوسي : 667 ح1397 ، بحار الأنوار : 45/95 ح41 .

وَمَسْجِدُ سِمَاكٍ .

وَمَسْجِدُ شَبَثِ بْنِ رِبْعِيٍّ لَعَنَهُمُ اللَّهُ(1) .فوا عجبا من مصـيبة ما أعظمها ، وبليّة ما أفجعها ، مصيبة لم تسمعها أذن في الأنام ، ولم ترها عين في المنام ، ورزيّة لم يشاهد مثلها في صفحات الليالي والأيام .

فوا حسرتاه ، علي قتيل العبرات ، وأسير الكربات ، والشهيد المطروح في الفلوات .

ووا محنتاه ، علي الأجساد العاريات والأعضاء المقطّعات .

ووا لهفاه ، علي النسوه المأسورات ، والذراري الموتورات .

ووا أسفاه ، علي الأيدي المغلولات ، والأعناق المكبّلات .

فهلاّ تبكون لقتل الإمام الشهيد الغريب ؟

هل تتمتّعون ببارد الماء وحسينكم قتيل الظماء ؟

هل تستلذّون بلذيذ الطعام والأدام وإمامكم وأصحابه الكرام غذاهم أيدي اللئام ، وسقاهم جرع كؤوس الحمام ؟

وهل تستريحون علي الفراش والوساد ومولاكم ومولي الأنام مطروح بلا وطاء ولا مهاد ، وعلي الدنيا بعده العفا ؟

كيف السلوّ ونار القلب تلتهب

والعين حلق قذاها دمعها سرب

القي المصاب علي الإسلام كلكله

فكلّ منتسب للدين مكتئب

لا صبر في فادح عمّت رزيّته

حتي اعترا الصبر منه الحزن والصب

لا تقدر العين حقّ القدر من صبب

وإن جرت حين تجري دمعها الصلب

يستحقر الدمع فيمن قد بكته دما

أرجاؤها الجون والخضراء والشهب

1- تهذيب الأحكام : 3/250 باب 25 ح7 ، بحار الأنوار : 45/189 ح35 .

قلّ البكاء علي رزء يقلّ له

شقّ الجيوب وعطّ القلب والعطب

كيف العزاء وجثمان الحسين علي ال-

-رمضاء عار جريح بالثري ترب

والرأس في رأس ميّال يطاف به

ويقرع السن منه شامت طرب

وأهل بيت رسول اللّه في نصب

أسري النواصب قد أسراهم النصب

والناس لا جازع فيهم ولا وجع

ولا حزين ولا مسترجع كئب

فليت عين رسول اللّه ناظرة

ماذا جري بعده من معشر نكبوا

كم بعده من خطوب بعده خطب

لو كان شاهدها لم تكثر الخطب

محبّة النبي صلي الله عليه و آله لأهل بيته عليهم السلام

ما أشدّ محبّة النبي صلي الله عليه و آله لقرّة عينه ، حيث كان يحمله علي عاتقه ، ويربّيه علي صدره وفي حجره ، ويضمه اليه ويقبّله ويشمه ، وإذا غاب عنه قليلاً أو تأخر عنه إضطرب وخرج يبحث عنه ، روي الشيخ الصدوق رحمه الله في أماليه عن ليث بن سليم قال : أتي النبي صلي الله عليه و آله علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام كلّهم يقول : أنا أحبّ إلي رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، فأخذ صلي الله عليه و آله فاطمة ممّا يلي بطنه ، وعليا ممّا يلي ظهره ، والحسن عن يمينه ، والحسين عن يساره ، ثم قال صلي الله عليه و آله : أنتم منّي وأنا منكم(1) .

وروي عن زيد بن علي عن آبائه عن علي عليهم السلام قال : أتي رجل النبي صلي الله عليه و آلهفقال : يا رسول اللّه أي الخلق أحبّ إليك ؟ قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله وأنا إلي جنبه : هذا وابناه وأمّهما ، هم منّي وأنا منهم ، وهم معي في الجنّة ، هكذا ، وجمع بين إصبعيه(2) .

وروي في حديث آخر أنّ النبي صـلي الله عليه و آله مرّ علي بيت فاطمة عليهاالسـلام ، فسـمع الحسين عليه السلام يبكي ، فقال : يا فاطمة سكتيه ، ألم تعلمي أنّ بكاءه يؤيني(3) ، ثم دخل البيت

1- الأمالي للصدوق : 13 المجلس 4 ح2 ، بحار الأنوار : 37/35 ح1 .

2- بحار الأنوار : 37/44 باب 50 .

3- المناقب : 4/71 ، الأنوار النعمانية : 3/241 .

وجعل يكفكف دموعه بيده .

أين كنت يا رسول اللّه . . لتري دموع أنين غربته ؟

أين كنت يـا رسـول اللّه . . لتمسـح الـدماء عن وجهه المبـارك ؟أين كنت يـا رسول اللّه . . لتمسـح الـتراب عن جسـده الطيّب وتحمله من الرمضاء ؟

روي صاحب كشف الغمـة علي بن عيسـي عن أم سـلمة قالت : كان رسول اللّه صـلي الله عليه و آله ذات يوم عندي ، وقد حمي الوطيس ، وقد دخل إلي بيتي ، وفرشت له حصـيرا ، إذ انطرح متكئا ، فجاء الحسـين عليه السلام فدخل ، وهو ملقي علي ظهره ، فقال : هنا يا حسين ، فوقع علي صدره ، وجعل يلاعبه ، وهو يسيح علي بطنه .

قالت أم سلمة : فنظرت من شقّ الباب ، وهو علي صدره يلاعبه .

فقلت : لا حول ولا قوة إلاّ باللّه ! يوم صدر المصطفي ويوم وجه الثري ، إنّ هذا لعجب .

قالت : ثم غبت عنه ساعـة ، وعـدت إلي الباب ، فرأيت النبي صـلي الله عليه و آله وهو مغموم ، وقـد غمض عينيه عنه ، وفي وجهه نوع من العبوس ، فقلت : لا شكّ إنّ الحسين عليه السلام قد شطّ علي النبي صلي الله عليه و آله لصبوته .

فدخلت عليه وفي يده شيء ينظر إليه وهو يبكي ، فقلت : بأبي وأمي ، جعلت فداك يا رسول اللّه ، ما لي أراك باكيا حزينا ، ما الخبر ؟

قال : إنّ جبرئيل عليه السلام نزل عليّ في هذه الساعة وأخبرني : أنّ ولدي هذا سيقتل .

فقلت : وكيف ؟ وأين ؟

قال : بعد أبيه وأمّه في أرض تسمي « كربلا » ، وإن اخترت أن أريك من ترابها قبضة ، فغاب عنّي وجاءني بهذه القبضة ، وقال : هذا من تربته ، قال : خـذيها واحفظيها عنـدك في تلك الزجاجة ، وانظري إليها ، فإذا رأيتها قد صارت عبيطا ، فاعلمي أنّ ولدي الحسـين عليه السـلام في تلك الساعة قد قتل .

قالت أم سلمة : ففعلت ما أمرني ، وعلّقتها في جانب البيت ، حتي قبض النبي صلي الله عليه و آله وجري ما جري .

فلمّا خرج الحسين عليه السلام من المدينة إلي العراق أتيته لأودّعه ، فقال : يا أم سلمةتوصي في الزجاجة ، فبقيت أترقبها وانظر فيها اليوم المرتين والثلاث .

فلمّا كان يوم العاشر من المحرم قرب الزوال أخذتني سنة من النوم ، فنمت هنيئة ، فرأيت رسول اللّه صلي الله عليه و آله في منامي ، وإذا هو أشعث أغبر ، وعلي كريمته الغبار والتراب ، فقلت : بأبي وأمي ما لي أراك يا رسول اللّه مغبرا أشعث ، ما هذا الغبار والتراب الذي أراه علي كريمتك ووجهك ؟

فقال لي : يا أم سلمة لم أزل هذه الليلة أحفر قبر ولدي الحسين عليه السلام وقبور أصحابه ، وهذا أوان فراغي من تجهيز ولدي الحسين عليه السلام وأصحابه ، قتلوا بكربلا ، فانتبهت فزعة مرعوبة ، وقمت فنظرت إلي القارورة ، وإذا بها دما عبيطا ، فعلمت أنّ الحسين عليه السلام قد قتل ، قالت : واللّه ما كذبني الوحي ولا كذبني رسول اللّه صلي الله عليه و آله .

قالت : فجعلت أصيح وا ابناه ، وا قرّة عيناه ، وا حبيباه ، وا حسيناه ، وا ضيعتاه بعدك يا أبا عبد اللّه .

قالت : حتي اجتمع الناس عندي فقالوا : ما الخبر ؟ فاعلمتهم ، فجعلوا ينادون : وا سيداه ، وا مظلوماه ، واللّه ما كذبت ، فؤخ ذلك اليوم ، فكان يوم قتل الحسين عليه السلام .

قالت : فلمّا كان السحر سمع أهل المدينة نوح الجن علي الحسين عليه السلام ، وجاءت منهم جنيّة تقول :

ألا يا عين فانهملي بجهدي

فمن يبكي علي الشهداء بعدي

علي رهط تقودهم المنايا

إلي متكبّر في الملك وغد

فاجابتها جنيّة أخري :

مسح النبي جبينه

وله بريق في الخدود

أبواه من أعلي قريش

وجدّه خير الجدود

زحفوا عليه بالقنا

شرّ البرية والوفود

قتلوه ظلما ويلهم

سكنوا به نار الخلود

فلمّا سـمع أهل المدينة ذلك حثوا التراب علي رؤسـهم ، ونادوا وا حسيناه ، وا ابن بنت نبياه ، ومضوا إلي قبر رسول اللّه صلي الله عليه و آله يعزّونه بولده الحسين عليه السلام ، ثم إنّهمأقاموا عزاه ثلاثة أيام .

قالت أم سلمة : فلمّا كان الليل طار رقادي ، وكثر سهادي ، وأنا متفكّرة في أمر الحسين عليه السلام ، فبينما أنا كذلك وإذا بقائل يقول :

إنّ الرماح الواردين صدورها

دون الحسين تقاتل التنزيلا

فكأنّما بك يا ابن بنت محمد

قتلوا جهارا عامدين رسولاً(1)

فسبحان اللّه ، أيّ ظلم يجري علي أرباب المنبر والمحراب ، وأمناء الكتيبة والكتاب !

فعلمري ينوح عليهم لسان الصلوات ، وتندبهم أذكار الخلوات ، تبكيهم الصلاة والصيام ، والسنن والأحكام .

وكأنّي ألمح نحوهم وأراهم إذ هم موتورون من بين الوري ، يستنصرون فلا ينصرون ، ويستغيثون فلا يغاثون ، وينادون فلا يجابون !

فكم من نداء ، وا جدّاه ، وا أبتاه ، وا أخاه ، قد علا في أرض كربلاء !

وكم من شموس منكسفة ، وبدور منخسفة ، ونجوم منكدرة ، ووجوه منعفرة ، قد حشرت في تلك الفلا ، كأنّها أقامت القيامة الكبري !

فقل للعلي بعده لا حييت

فمن بعده تبتغي الموئلا

وقل للمحامد والمكرمات

خذا للبكاء وله فاعولا

وقل للصلاة ونيل الصلات

تعطلتما بعد لو تعقلا

ص: 273

1- مدينة المعاجز : 4/192 ح271 .

وقل للفضائل نوحي أسي

وسحّي له دمعك المسبلا

فهذا عماد الوري في الثري

صريعا علي الترب ما غسّلا

وعيبة علم بحر الصعيد

وكنز هدي في الثري جدّلا

تكفّنه الريح من مورها

وتلحقه برده المسدلا

ويحطمه كلّ رخو العنان

عراه الردي مدبرا مقبلا

ألا يا غياث الوري والملا

إذا عضل الخطب أو أشكلا

لقد عثّ في آلك الملحدون

وما أنت حرّمته حلّلا

ولو كنت شاهدت يوم الطفوف

لشاهدت أمرا بها مهولا

وشاهدت سبطك فوق الرخام

علي رغم أنف التقي والعلا

تعّل الصوارم من جسمه

وتورده سمره منهلا

وقد رفعوا رأسه في القنا

يضاهي علي سفكها الأغزلا

ورضّوا جناحيه ويلهم

بجرد الخيول وقب الكلا

أما والمشاعر لولا سناه

لمادت بهم غضبا كربلا

شهادة أولاد أمير المؤمنين علي عليهم السلام

اشارة

اعلم أنّه بعد أن قتل أكثر أقارب سيد الشهداء عليه السلام وأهل بيته ، ونالوا مراتب الشهادة والسعادة ، وقتل أولاد الإمام الحسن عليهم السلام ، تقدّم إخوة الحسين عليه السلام .

وكانوا ستة – علي أشهر الروايات – أربعة منهم لأم واحدة وهم : العباس ، وعثمان ، وجعفر ، وعبد اللّه عليهم السلام ، وأمّهم أم البنين بنت حزام بن خالد .

وأبو بكر بن علي عليهماالسلام وأمّه ليلي .

وعمر بن علي عليهماالسلام ، لم تذكر أمّه في كتب المقاتل .

لمحة عن فضائل أبي الفضل العباس عليه السلام

ص: 274

كان العباس عليه السلام أكبر إخوانه(1) ، وله فضل ومنزلة خاصة به ، روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال : وكانت أم البنين أم هؤلاء الأربعة الإخوة القتلي تخرج إلي البقيع ، فتندب بنيها أشجي ندبة وأحرقها ، فيجتمع الناس إليها يسمعون منها ، فكان مروان يجيء فيمن يجيء لذلك ، فلا يزال يسمع ندبتها ويبكي(2)(3) ! !

روي الشيخ الصدوق رحمه الله في الأمالي والخصال عن أبي حمزة الثمالي قال : نظر سيد العابدين علي بن الحسين عليهماالسلام إلي عبيد اللّه بن عباس بن علي بن أبي طالب ، فاستعبر ثم قال : ما من يوم أشدّ علي رسول اللّه صلي الله عليه و آله من يوم أحد ، قتل فيه عمّه حمزة بن عبد المطلب ، أسد اللّه وأسد رسوله ، وبعده يوم مؤتة قتل فيه ابن عمّه جعفر بن أبي طالب .

ثم قال عليه السلام : ولا يوم كيوم الحسين عليه السلام ، إزدلف عليه ثلاثون ألف رجل يزعمون

أنّهم من هذه الأمّة ، كلّ يتقرّب إلي اللّه - عزّ وجلّ - بدمه ، وهو باللّه يذكرهم فلا يتّعظون حتي قتلوه بغيا وظلما وعدوانا .

1- قال المؤلف بعد قوله : « كان العباس عليه السلام أكبر إخوانه » : « وقد حاز مواريثهم لأنّه آخر من قتل منهم » ! وهذا كلام صاحب مقاتل الطالبيين ، وليس له أصل لا في التاريخ ولا في الفقه الإمامي الحقّ ، وإن هي إلاّ فرية ارتكبها أبو الفرج .

2- بحار الأنوار : 45/40 بقية الباب 37 .

3- لقد كانت ندبة أم البنين عليهاالسلام مشجية حقّا « صم الصخور لهولها تتألم » ، ولكن ذلك لا يعني أبدا أن يرقّ قلب الوزغ ابن الوزغ مروان بن الحكم ، فقد يستفاد من قول أبي الفرج أنّ ندبة أمّ البنين عليهاالسلام كانت محرقة للقلوب بحيث تأثّر بها مروان علي قساوته ، إلاّ أنّ هذا ممّا لا يمكن أن يتصوّره في حقّ هذا اللعين ، وهو الذي حارب أهل البيت عليهم السلام ، ولم يفتر لحظة من عمره المشؤوم ، وهو الذي ألّب عليهم وحرّض وكاد لهم أحياءا وأمواتا ، وهو المتشفي بقتل الحسين عليه السلام ، وقد أظهر الفرح والشماتة بقوله لما نظر الي رأس الحسين عليه السلام : يا حبّذا بردك في اليدين ولونك الأحمر في الخدينكأنّه بات بعسجدين شفيت نفسي من دم الحسين

ثم قال عليه السلام : رحم اللّه العباس فلقد آثر وأبلي وفدي أخاه بنفسه حتي قطعت يداه ، فأبدله اللّه – عزّ وجل – بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنّة ، كما جعل لجعفر بن أبي طالب ، وإنّ للعباس عند اللّه – تبارك وتعالي – منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة(1) .هذا ، وجلالة العباس ومنزلته وقدره أكبر من أن يحويه تحرير أو يحصره تقرير ، وأعظم من أن يحتاج الي بيان وتنوير ، وتري في كلّ عصر من الأعصار ظهور الكرامات عند ضريحه المقدّس ، وهي تملأ الأسماع وتغشي الأبصار ، وقد شهدت بنفسي له كرامة أيام كنت مجاورا في الحائر ، في السنة الماضية في شهر رجب سنة 1236 هجرية ، حيث قطع أصبع أحد الخائنين الذي لصقت كفّه الضريح المقدّس ، وقد شاهده كلّ من كان حاضرا(2) .

أجل ، ينبغي البكاء علي مظلوميته ، وإذا جرت الدموع عليه فلتطلب الحوائج من جبار السماوات ، فإنّه « باب الحوائج » .

وكيف لا يبكي الشيعة في مصيبته ، ومقامه ليس أقلّ من مقام عمار بن ياسر وقد قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّ من لا يبكي في مصيبته فليس له حظ في الإسلام ، كما ورد في الخبر أنّ عمارا سقط شهيدا ، فلمّا كان الليل طاف أمير المؤنين عليه السلام في القتلي ، فوجد عمارا ملقي ، فجعل رأسه علي فخذه ، ثم بكي عليه السلام ، وأنشأ يقول :

ألا أيّها الموت الذي هو قاصدي

أرحني فقد أفنيت كلّ خليل

أراك بصيرا بالذين أحبّهم

كأنّك تمضي نحوهم بدليل

1- الأمالي للصدوق : 462 المجلس 70 ح10 .

2- انظر الكرامة في الكرام البررة للآقا بزرگ الطهراني 1/346 في ذكر حياة المؤلف .

ثم قال : إِنّا لِلّهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ ، إنّ امرأ لم يدخل عليه مصيبة من قتل عمار فما هو في الإسلام من شيء ، ثم صلّي عليه(1) .

وبالجملة ، لمّا وصلت النوبة الي إخوة العباس عليهم السلام قاموا مسرعين علي الموت دون الحسين عليه السلام عازمين .

شهادة أبي بكر بن علي عليهماالسلام

فأوّل من خرج منهم أبو بكر بن علي ، واسمه عبد اللّه (2) ، وأمّه ليلي بنت مسعود بن خالد بن ربعي التميمية ، فتقدّم وهو يرتجز :

شيخي علي ذو الفخار الأطول

من هاشم الصدق الكريم المفضل

هذا حسين بن النبي المرسل

عنه نحامي بالحسام المصقل

تفديه نفسي من أخ مبجل

فلم يزل يقاتل حتي قتله زجر بن بدر النخعي .

شهادة عمر بن علي عليهماالسلام

ثم برز من بعده أخوه عمر بن علي ، فاستأذن الحسين عليه السلام في مبارزة الأشرار وإلحاق قاتل أخيه بالكفار والفجار في دركات النار ، فبرز وهو يقول :

أضربكم ولا أري فيكم زجر

ذاك الشقي بالنبي قد كفر

يا زجر يا زجر(3) تدان من عمر

لعلك اليوم تبوأ من سقر

شرّ مكان في حريق وسعرلأنّك الجاحد يا شرّ البشر

ثم حمل علي زحر قاتل أخيه فقتله ، واستقبل القوم وجعل يضرب بسيفه ضربا منكرا ، وهو يقول :

خلّوا عداة اللّه خلّوا عن عمر

خلّوا عن الليث العبوس المكفهر

يضربكم بسيفه ولا يفرّ

وليس فيها كالجبان المنجحر

ص: 277

1- بحار الأنوار : 33/20 باب 13 .

2- في البحار : « عبيد اللّه » .

3- في البحار : « زحر » في المواضع كلّها .

فلم يزل يقاتل حتي أحاطوا به فقتل .

شهادة عثمان بن علي عليهماالسلام

ثم برز من بعده أخوه عثمان بن علي ، وهو ابن إحدي وعشرين سنة ، وروي عنعلي عليه السلام أنّه قال : إنّما سمّيته باسم أخي عثمان بن مظعون ، وأمّه أمّ البنين بنت حزامبن خالد من بني كلاب ، وهو يقول :

[إنّي أنا عثمان ذو المفاخر

شيخي علي ذو الفعال الظاهر

وابن عمّ للنبي الطاهر

أخي حسين خيرة الأخاير

وسيد الكبار والأصاغر

بعد الرسول والوصي الناصر]

فجعل خولي بن يزيد الأصبحي سهما في كبد قوسه فرماه علي جبينه ، فسقط عن فرسه ، وجزّ رأسه(1)(2) .

شهادة جعفر بن علي عليهماالسلام

ثم برز من بعده أخوه جعفر بن علي عليهماالسلام ، وكان ابن تسع عشرة سنة ، وأمّه أمّ البنين أيضا ، فاستأذن الحسين عليه السلام ثم خرج وهو يقول :

إنّي أنا جعفر ذو المعالي

ابن علي الخير ذو النوال

حسبي بعمّي شرفا وخالي

أحمي حسينا ذي الندي المفضال

ثم قاتل ، فرماه خولي الأصبحي ، فأصاب شقيقته أو عينه .

شهادة عبد اللّه بن علي عليهماالسلام

ثم برز أخوه عبد اللّه بن علي عليهماالسلام وهو يقول :

أنا ابن ذي النجدة والإفضال

ذاك علي الخير ذو الفعال

سيف رسول اللّه ذو النكال

في كلّ قوم ظاهر الأهوال

1- في البحار : « وجزّ رأسه رجل من بني أبان بن حازم » .

2- بحار الأنوار : 45/38 .

قال أبو الفرج : قتل عبد اللّه بن علي بن أبي طالب عليهم السلام وهو ابن خمس وعشرين سنة ، ولا عقب له .

وقال العباس بن علي عليهماالسلام لأخيه من أبيه وأمّه عبد اللّه بن علي تقدّم بين يديّحتي أراك وأحتسبك ، فإنّه لا ولد لك(1) ، فتقدّم بين يديه ، وشدّ عليه هانئ بنثبيت الحضرمي فقتله .

وروي أنّ العباس بن علي عليهماالسلام قدّم أخاه جعفرا بين يديه ، فشدّ عليه هانئ بن ثبيت الذي قتل أخاه فقتله(2) .

حملة حامل اللواء

لمّا رأي العباس عليه السلام جميع عسكر الحسين عليه السلام قتلوا وإخوانه وبنو عمّه بكي والي

لقاء ربّه إشتاق وحنّ ، فهو يري أخاه المظلوم وحيدا فريدا بين الأعداء والهموم والغموم تحيط بهم من كلّ جانب ومكان ، فتختطف الصبر والجلد من القلوب ، ويري من جهة أخري غربة النساء ويسمع صرخاتهن واستغاثة الأطفال وهم ينادون العطش ، فعزم حينئذ علي منازلة القوم .

وكان العباس رجلاً وسيما جميلاً يركب الفرس المطهم ورجلاه يخطان في الأرض ، وكان يقال له « قمر بني هاشم » ، وكان لواء الحسين عليه السلام معه(3) .

فلمّا رأي العباس وحدة أخيه عليه السلام أتي أخاه وقال : يا أخي هل من رخصة ؟ فبكي الحسين عليه السلام بكاء شديدا ، ثم قال : يا أخي ، أنت صاحب لوائي ، وإذا مضيت تفرّق عسكري ، فقال العباس : قد ضاق صدري ، وسئمت من الحياة ، وأريد أن أطلب ثأري من هؤاء المنافقين(4) .

1- أي أنّك لا تعلّق لك بالدنيا . منه رحمه الله .

2- بحار الأنوار : 45/39 .

3- بحار الأنوار : 45/39 بقية الباب 37 .

4- بحار الأنوار : 45/39 .

فقال الحسين عليه السلام : فاطلب لهؤاء الأطفال قليلاً من الماء(1) .

الأمير الوفي في ميدان كربلاء

فلمّا أجاز الحسين عليه السلام أخاه العباس للبراز ، برز كالجبل العظيم ، وقلبه كالطود الجسيم ، لأنّه كان فارسا هماما ، وبطلاً ضرغاما ، وكان جسورا علي الطعنوالضرب في ميدان الكفاح والحرب .

فلمّا توسّط الميدان وقف وقال : يا عمر بن سعد هذا الحسين ابن بنت رسول اللّه صلي الله عليه و آله يقول لكم : إنّكم قتلتم أصحابه وإخوته وبني عمّه ، وبقي فريدا مع أولاده ، وهم عطاشي ، قد أحرق الظمأ قلوبهم ، فاسقوه شربة من الماء ، لأنّ أطفاله وعياله وصلوا الي الهلاك ، وهو مع ذلك يقول لكم : دعوني أخرج الي أطراف الروم والهند ، وأخلّي لكم الحجاز والعراق ، والشرط لكم أنّ غدا في يوم القيامة لا أخاصمكم عند اللّه حتي يفعل اللّه بكم ما يريد .

فلمّا أوصل العباس عليه السلام اليهم الكلام عن أخيه ، فمنهم من سكت ولم يردّ جوابا ، ومنهم من جلس يبكي ، فخرج الشمر وشبث بن ربعي – لعنهما اللّه – ، فجاء نحو العباس عليه السلام وقال : يا ابن أبي تراب قل لأخيك : لو كان كلّ وجه الأرض ماءا ، وهو تحت أيدينا ما أسقيناكم منه قطرة إلاّ أن تدخلوا في بيعة يزيد .

فتبسّم العباس ومضي الي أخيه الحسين ، وعرض عليه ما قالوا ، فطأطأ رأسه الي الأرض وبكي حتي بلّ أزياقه .

سقّاء كربلاء يتّجه نحو الفرات

فسمع الحسين عليه السلام الأطفال ينادون : العطش ، فلمّا سمع العباس عليه السلام ذلك رمق بطرفه الي السماء وقال : إلهي وسيدي أريد أن أعتدّ بعدّتي ، وأملي ء لهؤلاء الأطفال

1- بحار الأنوار : 45/41 بقية الباب 37 .

قربة من الماء ، فركب فرسه ، وأخذ القربة وتوجّه نحو الميدان(1) .

وملخّص ما ذكره الشيخ المفيد والسيد ابن طاووس وابن نما – رحمهم اللّه – في المقام :

واشتد العطش بالحسين عليه السلام ، فركب المسناة يريد الفرات والعباس أخوهبين يديه ، فاعترضه خيل ابن سعد ، فاعترضته خيل ابن سعد وفيهم رجل من بني دارم فقال لهم : ويلكم حولوا بينه وبين الفرات ولا تمكنوه من الماء ، فقال الحسين عليه السلام : اللّهم أظمئه ، فغضب الدارمي ورماه بسهم ، فأثبته في حنكه الشريف ، فانتزع عليه السلامالسهم ، وبسط يده تحت حنكه حتي امتلأت راحتاه من الدم ، ثم رمي به وقال : اللّهم إنّي أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيك(2) .

ثم اقتطعوا العباس عنه ، فحملوا عليه ، وحمل عليهم ، فجعل يقاتلهم وحده ، وجعل يقول(3) :

لا أرهب الموت إذا الموت رقا

حتي أواري في المصاليت لقي

نفسي لنفس المصطفي الطهر وقا

إنّي أنا العباس أغدو بالسقا

ولا أخاف الشرّ يوم الملتقي(4)

وَحَمَلَ عَلَيْهِمْ فَفَرَّقَهُمْ يَمينا وَشِمالاً ، وَقَتَلَ رِجالاً ، فَكَشَفَهُمْ عَنْ الْمَشْرَعَةِ ، وَنَزَلَ وَمَعَهُ الْقِرْبَةُ ، فَمَلأَها ، وَمَدَّ يَدَهُ لِيَشْرَبَ ، فَذَكَرَ عَطَشَ الْحُسَيْنُ عليه السلام ، فَقالَ : وَاللّهِ لا ذُقْتَ الماءَ وَسَيِّدِيَ الْحُسَيْنُ عليه السلام عَطشانٌ ، ثُمَّ رَمي الماءَ مِنْ يَدِهِ .

يا نفس هوني فالحسين معطش

وبنوه والحرم المطهّر أجمع

1- المنتخب : 2/306 .

2- الإرشاد : 2/108 .

3- بحار الأنوار : 45/50 الباب 37 .

4- بحار الأنوار : 45/40 الباب 37 .

واللّه ما أشرب من الماء قطرة

وأخي حسين في العراق مضيع(1)

وَخَرَجَ وَالْقِرْبَةُ عَلَي ظَهْرِهِ ، ثُمَّ صَعَدَ مِنَ الْمَشْرَعَةِ ، فَاَخَذَهُ النَّبْلُ مِنْ كُلِّ مَكانٍ حَتّي صارَت دِرْعُهُ كَالْقُنْفُذِ من كثرة السهام .وبينا هو يقاتلهم حتي فرّقهم كمن له زيد بن ورقاء من وراء نخلة – وقيل : الأبرش بن سنان(2) – ، وعاونه حكيم بن الطفيل السنبسي ، فضربه علي يمينه ، فأخذ السيف بشماله وحمل وهو يرتجز :

واللّه إن قطعتم يميني

إنّي أحامي أبدا عن ديني

وعن إمام صادق اليقين

نجل النبي الطاهر الأمين

فقاتل حتي ضعف ، فكمن له الحكيم بن الطفيل الطائي من وراء نخلة – وقيل : عبد اللّه بن يزيد – ، فضربه علي شماله ، فقال :

يا نفس لا تخشي من الكفّار

وأبشري برحمة الجبار

مع النبي السيد المختار

قد قطعوا ببغيهم يساري

فأصلهم يا ربّ حرّ النار(3)

مصرع أبي الفضل العباس عليه السلام

فحمل القربة بأسنانه ، وروي أنّه أخذ السيف بأسنانه ، وجعل يحمل عليهم ويشقّ طريقه نحو الخيام ، وَيَداهُ يَنْضخانِ دَما ، فضعف عن القتال ، فجاء سهم من

1- الأبيات المعروفة ما ذكر في المصادر :يا نَفْسُ مِنْ بَعْدِ الْحُسَيْنِ هُوني فَبَعْدُهُ لا كُنْتِ اَنْ تَكُونيهذا الْحُسَيْنُ شارِبُ الْمَنونِ وَتَشْرَبينَ بارِدَ الْمَعينِهَيْهاتَ ما هذا فَعالُ ديني وَلا فِعالُ صادِقِ الْيَقينِ

2- في مقتل أبي مخنف : « الأبرص » .

3- بحار الأنوار : 45/41 .

لعين فأصاب القربة ، فانفرت وأريق ماؤها ، وضربه لعين آخر بعمود علي رأسه ، ففلق هامته الشريفة(1) ، وروي أنّ لعينا آخر رماه بسهم آخر في صدره ، فانقلب عن فرسه(2) .

فهوي له المجد الأثيل وزعزعت

سبع الشداد وجلّ منه المصرع

فبكت لمصرعه الشجاعة بالدما

ومن السماء بكت عيون تدمع

وقوف سيد الشهداء عليه السلام علي مصرع العباس عليه السلام

لهفي له ، وقع علي الأرض وهو ينادي : يا أبا عبد اللّه عليك منّي السلام ، وروي أنّه نادي : يا أخا أدرك أخاك .

فلمّا سمع سيد الشهداء عليه السلام صوت المقتول المظلوم ركب فرسه وانقض علي الأعداء ففرقهم عنه ، فرآه مقطوع اليدين ، مفضوخ الرأس ، مفلوق الهامة ، مرمّلاً بالدماء ، فبكي بكاءا شديدا وقال : الآن انكسر ظهري وقلّت حيلتي(3) .

كسروا بقتلك ظهر سبط محمد

وبكسره انكسرت قوي الإسلام

قطعوا بقطع يديك أيدي السبط

وانقطعت به أيدي النبي السامي

قال الشيخ فخر الدين الطريحي رحمه الله :

فلمّا رأي الحسين عليه السلام أخاه وقد انصرع صرخ : وا أخاه وا عباساه وا مهجة قلباه ، يعزّ واللّه عليّ فراقك ، ثم حمل علي القوم وكشفهم عنه ، ثم نزل اليه فحمله علي ظهر جواده ، وأقبل به الي الخيمة ، فطرحه وهو يبكي حتي أغمي عليه(4) .

هذا ، ولم يستفاد حمله الي الخيمة من كلام الآخرين .

1- المنتخب : 2/431 .

2- المنتخب : 2/307 .

3- انظر بحار الأنوار : 45/42 .

4- المنتخب : 2/430 .

إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ

ص: 284

المجلس التاسع: في شهادة فرع حيدر الكرار عليه السلام وشبيه النبي المختار صلي الله عليه و آله المولي علي الأكبر عليه السلام

اشارة

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه العليم الخبير ، الذي ليس له شريك ولا وزير ، ولا كفو ولا نظير .

والصلاة والسلام علي البشير النذير ، السراج المنير ، محمد المنعوت في جميع الصحف والطوامير ، وعلي خلفائه وأوصيائه المصابيح في الدياجير ، وأهل التوحيد والتحميد في جميع الأزمنة والدهارير .

خصوصا علي شبله المظلوم بلا محام ولا نصير ، ونجله الشهيد الوحيد ، الأسير بأيدي الكلاب والخنازير ، مفزع كلّ مضطرّ خفير ، وملجأ كلّ ملهوف كسير ، مقطوع الأعضاء من السيف والسنان والزماجير ، مرضوض الأضلاع من الأحجار والزنانير ، مسبيّ العيال ، منهوب الأموال ، مقتول الأعوان من الصغير والكبير .

مقطوع الكلام من النعير والنفير ، ضعيف الكلام والصرير ، ذي الشيب الخضيب ، والجسد السليب ، والوجه العفير ، والظهر الكسير ، والنحر النحير ، والقلب الحصير ، والجسد المطروح كالوغير ، والجسم الذابل من الهجير ، المكفّن بالعشير ، المغسّل بماء جري من السيف الأثير ، مزور العقبان والنسور والعصافير .

الذي أيتموا أطفاله ، ونهبوا عياله ، فحملوهم علي الأخادير الي الفسيق الخمّير ، والكفور الشرير .

فيا عجباه ، بنات بني سفيان في الحصون والمقاصير ، وبنات رسول اللّه صلي الله عليه و آله أساري حياري بين أرباب الفجور والمناكير ، وأهل العصاة والمزامير .

فهذا ما نظر اليه العقل كلّ خاسي ء وهو حسير ، فلعنة اللّه علي من أجري هذا الأمر العظيم الخطير .

وبعد ، قال اللّه تعالي :

« وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَراتِ وَبَشِّرِ

الصّابِرِينَ الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ » .

* * *

المشيئة الإلهية وإبتلاء العباد

اعلم ، أنّ الربّ – تبارك وتعالي – عالم بخفايا الأمور ، وعارف بحقائق الأشياء ، وظاهر كلّ شيء وباطنه عنده ظاهر ، وعلمه بالأشياء قبل خلقها وبعد خلقها علي حدّ سواء .

فهو لا يحتاج إذن الي تمييز المطيع من العاصي ، ولم يكلّف عباده للإمتحان ، ولكنّه – عزّ وجلّ – آلي علي نفسه أنّ يتمّ حجّته علي عباده ، لئلا يكون لعباده حجّة

عليه جلّت قدرته .

فمثلاً : إذا أراد أحد أن يختبر الآخرين ليميز السعيد من الشقي ، فإنّه يكلّفهم بتكاليف ، ويبتليهم ببلايا ومحن ، ليعلم المطيع من العاصي ، ويميز الشاكر والصابر عن غيرهما .

أمّا التكاليف الإلهية ، فإنّها تكاليف قائمة علي المصالح الذاتية والحكم الواقعية ، وتلك المصالح هي التي تؤدي الي إختلاف الأحكام ، فحسن الأفعال يلزم الأمر بها ،

وقبحها يلزم النهي عنها ، والعاقل يـدرك الحقيقـة والنورانيـة في الواقع فيـدرك أنّ عليه الإتيان بالفعل ، ولو أنّه أدرك قبح المعصـية في الواقع لأدرك لزوم إجتنابها .

أجل ، إنّ اللّه – عزّ وجلّ – لم يجعل الـدنيا دار قرار ودعة وراحة ونعم خالصة من التنغيص ، بل أمرنا أن نتّخذها عدوّا ، ولم ينظر اليها منذ أن خلقها ، ولم تعدل عنده جناح بعوضة(1) ، وهو يحبّ لعباده أن لا تسـتميلهم ، وأن لا يتّخذوها دار قرار وراحة ، وقد ورد : حلاوة الدنيا مرارة الآخرة ومرارة الدنيا حلاوة الآخرة(2) .

ولكن خوان النعمة إذا بسط بألوان الأطعمة والملذّات فما أقلّ النفوس التي تنضبط وتتمنّع ، ولهذا جعل اللّه الإبتلاء لعباده ، فقد يبتلي عبده بالفقر والهموم ، وقد يبتليه بالمرض والعجز ، وقد يبتليه بمن يظلمه ويؤذيه .

وليس ذاك إلاّ من أجل سـعادة العبـد ، تماما كما يصـنع الطبيب مع المريض إذا منعه عن الأطعمـة اللذيذة وأمره بشـرب الدواء المرّ ، فإنّ المريض سـيجد طعم اللذائذ بعد حين ، ويقتطف ثمار أوامره في صـحته وعافيته وحياته واسـتمرار بقائه وما يجده من متعة ولذة في مطعمه ومشـربه . . فيعلم بعد حين ما للطبيب من حقّ عظيم عليه ، فيما يتضايق أصـحاب النفوس الضـيقة والعقول الضعيفة من أوامره وينزعجون منها ، بل قد يتصورونه عدوا حسودا .

ورد في الحـديث عن النبي صـلي الله عليه و آله قال : إنّ اللّه يتعاهـد وليّه بالبلاء كما يتعاهـد المريض أهله بالدواء ، وإنّ اللّه ليحمي عبده الدنيا كما يحمي المريض من الطعام(3) .

وعن أبي عبـد اللّه الصادق عليه السـلام قال : إنّ اللّه – تبارك وتعالي – ليتعاهـد المؤنبالبلاء ، إمّا بمرض في جسده ، أو بمصـيبة في أهل أو مال ، أو مصيبة من مصائب الدنيا ليأجره عليها (4) .

1- انظر الكافي 2/246 ح5 وغيره من المصادر .
2- انظر نهج البلاغة قصار الجمل : 253 .
3- بحار الأنوار : 64/236 ح54 .
4- بحار الأنوار : 64/237 .

الإختبار الإلهي وبشري الصابرين

بعد أن عرف العاقل هذه المقدّمة عليه أن يرقي الي مقام الصبر ، لتشمله البشري في قوله : « وَبَشِّرِ الصّابِرِينَ » .

اعلم ، أنّ للبلاء في هـذه الدنيا مراتب تختلف باختلاف الأشـخاص ومسـتويات وعيهم ومعرفتهم ، كما روي عن فخر الكائنات : إنّ البلاء للظالم أدب ، وللمؤمن إمتحان ، وللأنبياء درجة ، وللأولياء كرامة(1) .

ومن هنـا يعلم كم في هـذه الإبتلاءات من حكم ، وذلـك لأنّ أقلّ مراتبها تأديب للمبتلي علي سوء أفعاله ، وكفارة لقبائـح أعماله ، أو أنّها تغدو سببا لإستحقاق النعم

الباقية ، والجنات العالية ، وكلّ نعيم دون الجنّة صغير ، وكلّ بلاء دون النار يسير(2) .

إنّ اللّه – تبارك وتعالي – يحبّ أولياءه ، وليس له مصـلحة في إبتلائهم ، وإنّما يبتليهم بأنواع البلاء ليقرّبهم منه ، ويؤهلهم لنيل ألطافه ، قال الصادق عليه السلام : إنّ في الجنّة لمنزلة لا يبلغها العبد إلاّ ببلاء في جسده(3) .

هذه البلايا عطايا ومواهب سـنية ينبغي أن يصبر عليها ، بل يشـكر عليها ، وذلك لأنّ هذه البلايا إن كانت مطهرة من خبائث المعاصي فهي نتيجة أعظم من البلايا نفسها ، وإن كانت تستلزم الأجر فالنتيجة أعظم من مرارة ما تخلفه البلايا ، إنّه يريد أن يعرفك عليه ، وأنت تهرب منه ! إنّ اللّه يحبّ القلوب المنكسرة ،والأبدان المتعبة الخاضعة ، فإنّ اللّه إذا أحبّ عبدا جعل في قلبه نائحة من الحزن(4) .

1- بحار الأنوار : 64/235 ح54 .

2- جامع الأخبار : 117

3- بحار الأنوار : 62/237 .

4- في عـدّة الداعي : 168 العاشـر البكاء حالـة الـدعاء : قال رسول اللّه صـلي الله عليه و آله : إذا أحبّ اللّه عبـدا نصب في قلبه نائحة من الحزن ، فإنّ اللّه يحبّ كلّ قلب حزين ، وإنّه لا يدخل النار من بكي من خشية اللّه تعالي حتي يعود اللبن إلي الضرع ، وإنّه لا يجتمع غبار في سبيل اللّه ودخان جهنم في منخري المؤن أبـدا ، وإذا أبغض اللّه عبدا جعل في قلبه مزمارا من الضـحك ، وإنّ الضـحك يميت القلب ، واللّه لا يحبّ الفرحين .

إنّ اللّه يحبّ العيون الباكية والصدور الحزينة ، وقد قال تعالي : أنا عند المنكسرة قلوبهم والمندرسة قبورهم(1) .

وهـذا من أوضـح الواضـحات ، ومن الواضـح أيضـا أن ابتلاء الأوليـاء والمقربين لا يكون إلاّ لرفع درجاتهم ورفع مقاماتهم ، كما مرّ في الحديث السابق .

والمقرّبين لا يبلغون المقامـات العاليـة إلاّ بالصبر علي ما يرد عليهم ، وأجر الصابرين لا يحـدّ ولا يحصـي ، وذلك لأنّ المقامات العالية مقرونة عند اللّه بالصبر والتضرّع ، قال تعالي : « وَجَزاهُمْ بِما صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً » .

وقال تعالي : « سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَي الدّارِ » .

وورد في الحديث : أنّ الصبر نصف الإيمان(2) .

وقال تعالي : « وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنا لَمّا صَبَرُوا » .

أجل ، إنّهم تحمّلوا الأتعاب والأوصاب ، صبروا علي بلايا الناس ، وتمرّد الأمم ، رموهم بالحجارة ، جرحوا وجوههم ورؤوسـهم ، ألقوهم في النيران ، نشـروهم بالمناشـير ، ذبحوهم ومثّلوا بهم ، سـجنوهم وعذّبوهم ، استهزؤا بهم ، واتهموهم بالسحر والكهانة والكذب ! إلاّ أنّهم صبروا ، ثم صبروا .

صبر خاتم الأنبياء صلي الله عليه و آله وذكر بعض مصائب أهل البيت عليهم السلام

صبر الأنبياء والأولياء جميعا ، غير أنّ صبرهم لم يبلغ صبر خاتم الأنبياء والمرسلين ، ولهذا لم يبلغ أحدهم درجته قط .

روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال : لما أسري بالنبي صلي الله عليه و آله قيل له : إنّ اللّه مختبركفي ثلاث ، لينظر كيف صبرك ؟

قال : أسلّم لأمرك يا ربّ ، ولا قوّة لي علي الصبر إلاّ بك ، فما هن ؟

1- كشف الخفاء : 2/325 .

2- بحار الأنوار : 79/137 باب 18 .

قيل : أولهن الجوع والإثرة علي نفسك ، وعلي أهلك لأهل الحاجة .

قال : قبلت يا ربّ ورضيت وسلّمت ، ومنك التوفيق والصبر .

وأمّا الثانية : فالتكذيب والخوف الشديد ، وبذلك مهجتك فيّ ، ومحاربة أهل الكفر بمالك ونفسك ، والصبر علي ما يصيبك منهم من الأذي ، ومن أهل النفاق ، والألم في الحرب والجراح .

قال : يا ربّ قبلت ورضيت وسلّمت ، ومنك التوفيق والصبر .

وأمّا الثالثة : فما يلقي أهل بيتك من بعدك من القتل :

أمّا أخوك ، فيلقي من أمّتك الشتم والتعنيف والتوبيخ والحرمان والجهد والظلم ، وآخر ذلك القتل .

فقال : يا ربّ سلّمت وقبلت ، ومنك التوفيق والصبر .

وأمّا ابنتك ، فتظلم وتحرم ، ويؤذ حقّها غصبا الذي تجعله لها ، وتضرب وهي حامل ، ويدخل علي حريمها ومنزلها بغير إذن ، ثم يمسّها هوان وذلّ ، ثم لا تجد مانعا ، وتطرح ما في بطنها من الضرب ، وتموت من ذلك الضرب .

قال : إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ ، قبلت يا ربّ ، وسلّمت ، ومنك التوفيق والصبر .

ويكون لها من أخيك ابنان ، يقتل أحدهما غدرا ، ويسلب ويطعن ، يفعل به ذلك أمّتك .

قال : قبلت يا ربّ ، وإِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ ، وسلّمت ، ومنك التوفيق والصبر .

وأمّا ابنها الآخر ، فتدعوه أمّتك إلي الجهاد ، ثم يقتلونه صبرا ، ويقتلون ولده ومن معه من أهل بيته ، ثم يسلبون حرمه ، فيستعين بي ، وقد مضي القضاء منّي فيه بالشهادة له ولمن معه ، ويكون قتله حجّة علي من بين قطريها ، فتبكيه أهلال سماوات والأرضين جزعا عليه ، وتبكيه الملائكة(1) . . .

والحديث طويل أخذنا منه هذا القدر .

1- كامل الزيارات : 332 الباب 108 ح11 ، بحار الأنوار : 28/61 باب 2 ح24 .

مصيبة الحسين عليه السلام أعظم المصائب

عزيزي القاري ء ، إنّ جميع الإبتلاءات عظيمة ، ولكنّ الإبتلاء الأخير كان أعظمها طرّا ، وذلك أنّي لم أجد في كتاب أنّه صلي الله عليه و آله بكي لإبتلائه بالجوع أو الفقر أو

الفاقة ، بل حتي علي تكذيبه أو جفائهم ، ولكنّه كلّما ذكر مظلومية أهل بيته بكي ، وكلّما ذكر أنّ سهما يصيب صدر ولده ويسقط الي الأرض ، تنهمر دموع الحسرة والتلّهف علي لحيته المباركة .

وكلّما ذكر رأس ابنه مرفوعا علي السنان ، وأنّه يهدي الي ابن معاوية يضطرب ويبكي ويغسل وجهه بدموعه .

روي ابن قولويه بسند معتبر عن الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال : كان رسول اللّه صلي الله عليه و آله إذا دخل الحسين عليه السلام اجتذبه إليه ، ثم يقول لأمير المؤنين عليه السلام : امسكه ، ثم يقع عليه فيقبّله ويبكي ، فيقول : يا أبة لم تبكي ؟ فيقول : يا بني أقبّل موضع السيوف منك وأبكي ، قال : يا أبة ، وأقتل ؟ قال : إي واللّه ، وأبوك ، وأخوك ، وأنت ، قال : يا أبة ، فمصارعنا شتي ؟ قال : نعم ، يا بني ، قال : فمن يزورنا من أمّتك ؟ قال : لا يزورني ويزور أباك وأخاك وأنت إلاّ الصديقون من أمّتي(1) .

أجل ، كان تصوّر قتله عليه السلام صعبا عليه صلي الله عليه و آله ، فكيف به لو كان حاضرا ورأي ابنه

صريعا علي الأرض مرمّلاً بدمائه ؟

ولنعم ما قال السيد الرضي رحمه الله :

لو رسول اللّه يحيي بعده

قعد اليوم عليه للعزا

يا رسول اللّه لو عاينتهم

وهم ما بين قتل وسبي

من رميض يمنع الظلّ ومن

عاطش يسقي أنابيب القنا

ليس هذا لرسول اللّه يا

أمّة الطغيان والغي جزا

1- كامل الزيارات : 70 الباب 22 ح4 ، بحار الأنوار : 44/261 باب 31 ح14 .

غارس لم يأل في الغرس لهم

فأذاقوا أهله مرّ الخنا

جزروا جزر الأضاحي نسله

ثم ساقوا نسله سوق الإما

معجلات لا يوارين ضحي

سنن الأوجه أو بيض الطلا

هاتفات برسول اللّه في

بهرج السعي وعثرات الخطا

يا قتيلاً قوّض الدهر به

عمد الدين وأعلام الهدي

قتلوه بعد علم منهم

أنّه خامس أصحاب الكسا

وصريعا عالج الموت بلا

شدّ لحيين ولا مدّ ردي

غسّلوه بدم الطعن وما

كفّنوه غير بوغاء الثري

حملوا رأسا يصلّون علي

جدّه الأكرم طوعا وإبا

كيف لم يستعجل اللّه لهم

بانقلاب الأرض أو رجم السما

صبر سيد الشهداء عليه السلام

لقـد صبر أوليـاء اللّه المقربين علي المصـائب والبلايـا ، وتحمّلوا المشـاق العظيمـة في سبيل المحبوب ، ولكنّك لو تأملت بعين الأنصاف وجدت سـيد الشـهداء الحسـين عليه السـلام قد فاقهم جميعا في مقام الصبر ، وتحمّل البلاء ، وذلك لأنّ رزيّته أعظم الرزايا ، ومصيبته لم تكن مثلها مصيبة ، وبالرغم من ذلك لم يصدر منه إلاّ الصبر والرضا والتسليم .

قال سيد الساجدين عليه السلام في خطبته التي خطبها في الكوفة : أنا ابن من قتل صبرا ، وكفي بذلك فخرا(1) ! ! .

بل إنّ ما أصاب غيره من المحن والبلايا لم يبلغ عشـر معشار ما أصابه عليه السـلام ، ومعذلك كان صابرا شاكرا ، غير خائف ولا مضطرب ، كما روي عن الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلامعن آبائه عليهم السلام قال علي بن الحسين عليهماالسلام أنّه قال :

1- الإحتجاج : 2/31 .

لمّا اشتدّ الأمر بالحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام نظر إليه من كان معه ، فإذا هو بخلافهم ، لأنّهم كلّما اشتدّ الأمر تغيّرت ألوانهم ، وارتعدت فرائصهم ، ووجلت قلوبهم ، وكان الحسين عليه السلام وبعض من معه من خصائصه تشرق ألوانهم ، وتهدأ جوارحهم ، وتسكن نفوسهم .

فقال بعضهم لبعض : انظروا لا يبالي بالموت !

فقال لهم الحسين عليه السلام : صبرا بني الكرام ، فما الموت إلاّ قنطرة تعبر بكم عن البؤ والضراء إلي الجنان الواسعة والنعيم الدائمة ، فأيّكم يكره أن ينتقل من سجن إلي قصر ؟ وما هو لأعدائكم إلاّ كمن ينتقل من قصر إلي سجن وعذاب ، إنّ أبي حدثني عن رسول اللّه صلي الله عليه و آله : أنّ الدنيا سجن المؤن وجنة الكافر ، والموت جسر هؤاء إلي جنانهم ، وجسر هؤاء إلي جحيمهم ، ما كذبت ولا كذبت(1) .

لم يبلغ أحد هذه الرتبة العالية غير أبيه لمّا اقتربت وفاة النبي صلي الله عليه و آله ، وضع رأسه في حجر أمير المؤمنين عليه السلام وبكي .

قال أمير المؤنين عليه السلام : فقلت : يا رسول اللّه ، ممّ بكاؤك ؟ فقال : يا علي إنّ أمّتي سيفتنون من بعدي، فقلت: يا رسول اللّه، أو ليس قد قلت لي يوم أحد حيث استشهد من المسلمين ، وأخرت عنّي الشهادة ، فشقّ ذلك عليّ ، فقلت لي : أبشر فإنّ الشهادة من ورائك ، فقال لي : إنّ ذلك لكذلك ، فكيف صبرك إذا ؟ فقلت: يا رسول اللّه ، ليس هذا من مواطن الصبر ، ولكن من مواطن البشري والشكر(2) .

صبر الحسين عليه السلام ورضاه

لقد بكي الحسين عليه السلام في مصيبة من قتل معه ، بكي في مصيبة أخوانه ، وأولاده ، وأبناء إخوته وأصحابه ، وبكي حينما سمع صراخ الأطفال والنساء :

1- بحار الأنوار : 44/297 باب 35 ح3 .

2- نهج البلاغة : 220 خ156 ، بحار الأنوار : 41/7 باب 99 ح8 .

العطش العطش ، ورأي غربتهم ، ولكنّ بكاءه لم يكن جزعا ، لأنّ البكاء في المصيبة لا يدلّ علي الجزع وفقدان الصبر وعدم الرضا ، كيف وقد بكي النبي صلي الله عليه و آله ، وعلي المرتضي عليه السلام في هذه المصيبة كثيرا .

وكذلك بكي السلف الصالح في المصائب كما روي عن بكاء يعقوب في فراق يوسف عليهماالسلام ، وبكاء آدم عليه السلام وداود عليه السلام ، وناح نوح عليه السلام ، وبكت فاطمة عليهاالسلام في مصيبة أبيها صلي الله عليه و آله(1) .

علّة بكاء الحسين عليه السلام يوم عاشوراء

إذا أردت معرفة سبب بكاء سيد الشهداء عليه السلام يوم عاشوراء ، فعليك أن تعلم :

أولاً : لقد سمعت كرارا أنّ البكاء علي مصائب أهل البيت عليهم السلام من أفضل العبادات ، وأقرب القربات ، والحزن علي مصابهم من العبادات ، وهذه العبادة كما أنّها مطلوبة منك ، مطلوبة من المولي عليه السلام ، وأيّ مصيبة أعظم من قتل شباب أهل البيت عليهم السلام ، وعطش أطفالهم وغربتهم ، وبقاء نسائهم بلا حام ولا ولي .

1- في بحار الأنوار : 79/87 ح33 عن الخصال عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال : البكاؤون خمسة : آدم ، ويعقوب ، ويوسف ، وفاطمة بنت محمد صلي الله عليه و آله ، وعلي بن الحسين عليهماالسلام ، فأمّا آدم عليه السلام ، فبكي علي الجنّة حتي صار في خديه أمثال الأودية ، وأمّا يعقوب ، فبكي علي يوسف حتي ذهب بصره ، وحتي قيل له : « تَاللّهِ تَفْتَؤا تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتّي تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهالِكِينَ » ، وأمّا يوسف ، فبكي علي يعقوب حتي تأذي به أهل السجن ، فقالوا : إمّا أن تبكي الليل وتسكت بالنهار ، وإمّا أن تبكي النهار وتسكت بالليل ، فصالحهم علي واحد منهما ، وأمّا فاطمة عليهاالسلام ، فبكت علي رسول اللّه صلي الله عليه و آله حتي تأذّي بها أهل المدينة ، فقالوا لها : قد آذيتنا بكثرة بكائك ، وكانت تخرج إلي مقابر الشهداء فتبكي حتي تقضي حاجتها ، ثم تنصرف ، وأمّا علي بن الحسين عليهماالسلام ، فبكي علي الحسين عليه السلام عشرين سنة أو أربعين سنة ما وضع بين يديه طعام إلاّ بكي ، حتي قال له مولي له : إنّي أخاف عليك أن تكون من الهالكين ، قال : « إِنَّما أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَي اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ » ، إنّي لم أذكر مصرع بني فاطمة عليهم السلام إلاّ خنقتني لذلك عبرة .

وثانيا : إنّه يري الدين والشريعة التي بذل النبي صلي الله عليه و آله سنين طويلة في نصب أعلامه ، وتشييد أركانه ، وتحمّل الغصص والآلام ، والمحن ومحاربة الأنصاب والأزلام ، وألقي علي المرتضي عليه السلام نفسه في لهوات المنايا ، وكابد البلايا والرزايا ، من أجل بناء دعائمه ، فإذا به الآن تنطمس أعلامه ، وتندرس آثاره بقتل سيد شباب أهل الجنّة ، وتنهدم مدارس الهداية ، وتزعق أبواق الضلال والعماية ، وتنتكس رايات العلم والمعرفة ، وتروج أسواق النفاق والكفر والغواية ، كلّ ذلك بقتله و إنتهاك حرمته ، فهو يبكي لذلك ، ولا يتمالك دموعه من أثر الغصة التي تعتصر قلبه المقدّس .

وإذا كان مجرد البكاء يخرجه من دائرة الصبر الي الجزع ، فلابد أن يكون الأنبياء قد خرجوا من قبله من تلك الدائرة ، والحال أنّ اللّه – عزّ وجلّ – قد نعتهم بالصابرين في كتابه الكريم مرارا ، حتي خاطب خاتم أنبيائه قائلاً : « فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ » .

أضف الي ذلك : أن لا شكّ أنّ أولئك المقدّسين كانوا بشرا ، والغم والهم والحزن في المحن وعند نزول المصائب ، والفرح والسرور عند تحقق موجباتها ، من لوازم البشرية ، كما أنّ الجوع والعطش من لوازمها أيضا ، فالإنسان يجوع ويظمأ عندما يحتاج الي الماء والغذاء ، وكذلك يحزن عند وقوع المكاره والمصائب .

نعم ، إذا أظهر – والعياذ باللّه – أمرا مكروها ، أو شكي الخالق ، أو قال ما يخالف

رضا الربّ ، فقد خرج من دائرة الصبر والرضا .

لقد بكي يوسف حينما ألقي في السجن حتي تأذّي منه أهل السجن وضاقوا به ذرعا ، وبكي يعقوب علي فراق يوسف حتي إبيضت عيناه من الحزن ، فكيف لا يبكي الحسين عليه السلام ولا تسيل دموعه وهو يري الشهداء مطرحين علي الرمضاء كالأضاحي من جهة ، ويري غربة النساء ووحدتهن من جهة أخري ، ويري الأطفال يتلظّون عطشا . . ثم لا يبكي ؟ !

بل إنّ القلب الذي لا يحترق في مثل هذا الموقف لا يمكن أن يعدّ إلاّ في القلوب القاسية ، وقساوة القلب من الصفات القبيحة ، والخصال الرذيلة .

أقسم باللّه الذي لا إله إلاّ هو ، إنّه صبر صبرا لم يصبره أحد مثله قطّ ، ولم يسمع منه في خضم كلّ تلك الأهوال غير قوله : « إِنّا لِلّهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ » ، « صبرا علي قضائك » .

إنّه وقف وحيدا فريدا ، وواجه ثلاثين ألفا ، وصمد أمام جبال الحديد ، وقابل النبال التي انهالت عليه كالمطر .

شهروا عليه أكثر من عشرين ألف سيف سوي الرماح ، فاستقبلها بصدره ونحره ، ولم يولّهم ظهره ، ولا داهنهم في دينه ، ولم يسمعوا منه كلمة واحدة تدلّ علي المساومة ، حتي قال فيه ولده صاحب الأمر في زيارته : « قد عجبت من صبرك ملائكة السماوات »(1) .

وكيف لا تعجب منه ملائكة السماء ، وقد جاءت لنصرته فأبي ولم يأذن لهم(2) .

وجاءه في ساعة غربته ووحدته طائفة من الجن ، فسلّموا عليه وقالوا له : إنّ اللّه هدانا الي الإسلام ببركة أبيك ، فلو أذنت لنا حتي نقاتل عدوّك ونجاهد بين يديك ، فأبي وقال : إنّكم ترونهم وهم لا يرونك ، فقالوا : نتمثّل لهم ، حتي نكون في صورهم ، ونقاتل حتي نرزق الشهادة بين يديك .

فقال لهم : قد ضاق صدري من الحياة ، وإشتقت الي لقاء ربّي ، وإنّي أعلم أنّي أقتل هذا اليوم(3) .

ونقل أنّ الحسين عليه السلام لمّا كان في موقف كربلاء أتته أفواج من الجن الطيارة ،وقالوا له : نحن أنصارك ، فمرنا بما تشاء ، فلو أمرتنا بقتل عدو لكم لفعلنا .

1- بحار الأنوار : 98/322 .

2- أمالي الصدوق : 737 ح1005 ، بحار الأنوار : 45/220 ح2 .

3- انظر أسرار الشهادة : 3/14 نقلاً عن نور الأئمة ، تذكرة الشهداء ترجمة سيد علي جمال أشرف : 362 .

فجزّاهم خيرا وقال لهم : إنّي لا أخالف قول جـدّي رسول اللّه حيث أمرني بالقـدوم عليه عاجلاً ، وأنّي الآن قـد رقـدت ساعة ، فرأيت جدّي رسول اللّه صـلي الله عليه و آله قد ضمّني الي صدره ، وقبّل بين عيني وقال لي : يا حسين ، إنّ اللّه – عزّ وجلّ – شاء أن يراك مقتولاً ملطخا شيبتك بـدمائك ، مذبوحا من قفاك ، وقد شاء اللّه أن يري حرمك سـبايا علي أقتاب المطايا ، وإنّي واللّه سأصبر حتي يحكم اللّه بأمره ، وهو خير الحاكمين(1) .

إي واللّه ، لقـد صبر حتي قتلوا أهل بيته أجمعين ، وجرح أكثر من ثلاثمائـة جراحـة في بـدنه ، وأخيرا ذبحوه من القفا ضامي الحشا ، متفتت الكبد ، ذابل الشفاه ، مقطّع الأعضاء .

أيا جريحا به صار التراب شفا

من ذا يداوي جروحا أمكنت فيكا

لقد رموك سهاما حدّ منصلها

يوم الشقاوة شلّت كفّ راميكا

أيا طعين العوالي ليتها كسرت

لا بارك اللّه فيها كيف ترديكا

ويل المواضي وويل الحاملين لها

عجبت منها ظباها كيف تدميكا

يا روح أحمد يا ريحان مهجته

لهفي عليك سموم الريح يذريكا

بعد الحسين أيا ماء الفرات فلا

تجري سواقيك لا راقت مساقيكا

يهيج الشجو في قلب الحزين إذا

ذكرت بنت علي إذ تناديكا

تطوف حولك في أرض الطفوف وقد

تجمّعت حولها الأيتام تبكيكا

وتارةً عطش الأطفال يحرقها

ودمعها كاد يرويها ويرويكا

وتارةً تسحب الذيل العفيف الي

نحو الخيام إذا صاحت ذراريكا

وتارةً تندب الإخوان إذ صرعوا

واسوك بالروح إذ عزّت مواسوكا

وتارةً تدفع الشمر اللعين عن ال-

-جسم الشريف وبالراحات تحميكا

ص: 298

1- المنتخب : 2/450 .

تصيح يا شمر حاذر أن تؤلّمه

فإنّني لطريق الخير أهديكا

يا شمر لا تبر رأس السبط إنّ له

عند الإله لشأنا اخش باريكا

إن شئت نفديه بالأرواح دونكها

أو شئت مالاً فإنّا اليوم نغنيكا

ما راع نغل الخنا تعداد مشفقة

ما راع علج الضبابي لو يراعيكا

ما عوّض اللّه به الحسين عليه السلام عن صبره

أجل ، صبر الحسين عليه السلام ، وتحمّل كلّ ما جري عليه ، فعوّضه اللّه عن صبره أن جعل له مقاما ومنزلة لا يمكن وصفها أبدا ، وجعل زيارته أفضل الأعمال ، والبكاء عليه أشرف الطاعات ، وألقي محبّته في قلب المؤمن والكافر(1) .

بكت عليه الملائكة ، وناحت عليه الجن ، وأقيمت عليه المآتم في ملكوت السماوات ، بل تحوّل الكون كلّه الي مجلس عزاء له ، وبكت عليه في هذا العزاء كلّ موجودات العالم من حجر ومدر ، ونبات وجبال ، وبرّ وبحر .

أعطي مقام الشفاعة لنجي طوائف وطوائف من العصاة ، ويخرجهم من مضائق وديان العذاب الي وسيع الجنان .

وصار سببا للمغفرة والرحمة الواسعة ، لتشمل كلّ يوم أعدادا لا تحصي فيرحمون ويغفر لهم ببركة البكاء عليه ، أو إقامة مأتمه ، أو زيارته ، أو إعانة زواره ، وخدمة شيعته .

روي عن مسمع بن عبد الملك قال : قال لي أبو عبد اللّه عليه السلام : يا مسمع ، أنت من أهل العراق ؟ أما تأتي قبر الحسين عليه السلام ؟

1- في بحار الأنوار : 43/281 باب 12 : معاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله : إنّ حبّ علي قذف في قلوب المؤنين ، فلا يحبّه إلاّ مؤن ، ولا يبغضه إلاّ منافق ، وإنّ حبّ الحسن والحسين قذف في قلوب المؤنين والمنافقين والكافرين ، فلا تري لهم ذاما ، ودعا النبي صلي الله عليه و آلهالحسن والحسين قرب موته ، فقرّبهما وشمّهما ، وجعل يرشفهما ، وعيناه تهملان .

قلت : لا أنا رجل مشـهور من أهل البصـرة ، وعندنا من يتبع هوي هذا الخليفة ، وأعداؤا كثيرة من أهل القبائل من النصاب وغيرهم ، ولست آمنهم أن يرفعوا عليّ حالي عند ولد سليمان ، فيمثّلون عليّ .

قال لي : أفما تذكر ما صنع به ؟ قلت : بلي ، قال : فتجزع ؟ قلت : إي واللّه .

وأستعبر لذلك حتي يري أهلي أثر ذلك عليّ ، فأمتنع من الطعام حتي يستبين ذلك في وجهي .

قـال : رحم اللّه دمعتـك ، أمـا إنّـك من الـذين يعـدّون في أهـل الجزع لنا ، والـذين يفرحون لفرحنا ، ويحزنون لحزننا ، ويخافون لخوفنا ، ويأمنون إذا أمنا ، أما إنّك ستري عنـد موتك حضور آبائي لك ، ووصـيتهم ملك الموت بك ، وما يلقونك به من البشارة ، ما تقرّ به عينك قبل الموت ، فملك الموت أرقّ عليك ، وأشدّ رحمة لك من الأم الشفيقة علي ولدها .

قال : ثم استعبر واستعبرت معه ، فقال : الحمد للّه الذي فضّلنا علي خلقه بالرحمة ، وخصّنا أهل البيت بالرحمة .

يا مسمع ، إنّ الأرض والسماء لتبكي منذ قتل أمير المؤنين رحمة لنا ، وما بكي لنا من الملائكة أكثر ، وما رقأت دموع الملائكة منذ قتلنا(1) . .

وروي عن أبي عبد اللّه عليه السـلام قال : إنّه مرّ بالحسـين بن علي خمسون ألف ملك ، وهو يقتل ، فعرجوا إلي السماء ، فأوحي اللّه إليهم : مررتم بابن حبيبي وهو يقتل فلم

تنصروه ؟ ! فاهبطوا إلي الأرض ، فاسكنوا عند قبره شعثا غبرا إلي أن تقوم الساعة(2) .

1- كامل الزيارات : 101 الباب 32 ح6 ، بحار الأنوار : 44/289 باب 34 ح31 .
2- كامل الزيارات : 115 الباب 39 ح6 ، بحار الأنوار : 45/226 باب 41 ح20 .

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام قال : إنّ الحسين لمّا أصيب بكته حتي البلاد ، فوكّل اللّه به أربعة آلاف ملك شعثا غبرا يبكونه إلي يوم القيامة(1) .

فلا عجب من بكاء الملائكة ، بل لا عجب من بكاء السماء أيضا ، فمصيبته عظيمة ، ورزيته جسيمة ، حتي بكت الملائكة لها قبل وقوعها ، وكذلك بكت السماء عليه قبل شهادته .

ورد في كتب الأدعية في دعاء الثالث من شعبان ، وهو يوم ولادة سيد أهل الولاء والبلاء ، وسيد الشهداء والصابرين علي المحن والعناء : اللّهم إنّي أسألك بحقّ

المولود في هذا اليوم ، الموعود بشهادته قبل استهلاله وولادته ، بكته السماء ومن فيها ، والأرض ومن عليها ، ولمّا يطأ لابيتها(2) . .

فالعجب من مصيبته ، التي حرقت قلب العالم قبل وقوعها ، وأجرت عيون السماء والأرض بدمع منهمر .

فماذا جري إذن علي أمّه الزهراء عليهاالسلام ؟ وأبيه علي المرتضي عليه السلام حينما كان يراه فيذكر ما سيجري عليه من القتل والغربة والبلاء ؟

روي ابن قولويه رحمه الله عن أبي عبد اللّه الجدلي قال : دخلت علي أمير المؤنين عليه السلام والحسين إلي جنبه ، فضرب بيده علي كتف الحسين عليه السلام ، ثم قال : إنّ هذا يقتل ، ولا ـ ينصره أحد ، قال : قلت : يا أمير المؤنين ، واللّه إنّ تلك لحياة سوء ! قال : إنّ ذلك لكائن(3) .

ولم يكن ذا عجيبا ولا غريبا ، فهو المعصوم والأمر بعد لمّا يقع ، ولكن لا أدري كيف كان حال الإمام سيد الساجدين عليه السلام حينما رأي البدن العريان ، مطروحا عليأرض الميدان ، مرفوع الرأس علي السنان ، كيف استطاع صبرا ؟ !

1- بحار الأنوار : 45/224 ح16 .

2- مصباح المتهجد : 758 ، بحار الأنوار : 101/348 .

3- كامل الزيارات : 71 الباب 23 ح1 ، بحار الأنوار : 44/261 باب 31 ح15 .

كيف أطاق النظر الي غربته ، ووحدته ، وعينيه التي فاضت بالدموع ؟ وكيف أطاق سماع صرخاته وأنّاته ؟

والأعجب والأغرب من ذلك صبر أخواته ونسائه ، وهن لم يعصمن بقوة العصمة ؟ نظرن الي تلك المصائب ، وشاهدن تلك الوقائع بأمّ أعينهن ، ورأين الشفاه الذابلات من العطش ؟ !

آه ، لهفي لهن ، كيف أطقن النظر الي البدن المرمّل بالدماء والرأس المقطوع ؟

لهفي لزينب واليتامي حولها

قد أبرزت من خدرها وخبائها

وغدت تنادي وهي حسري ثاكل

والحزن مشتمل علي أعضائها

يا قوم ما ذنب الصغار لتنزلوا

بهم الصغار وتعلنوا بأذائها

يا ويلكم لم يشف غلّ صدوركم

قتل الموالي اليوم من كبرائها

وتعجّ طورا بالوصي وتارةً

ممّا جري تشكو الي زهرائها

يا أمّ قومي من ثراك وشاهدي

أسراك في أشراك ذلّ عدائها

قد قيّدوها بالحديد كأنّها

شرّ العبيد أبقين من أمرائها

يا ضيعة الدنيا وضيعة أهلها

بعد الحسين وما لقي بفنائها

أضحي يزيد ذو الخنا وابن الزنا

في دولة بالعزّ من أمرائها

وابن الرسول علي الرمول مرمّلاً

بدمائه ملقي علي بوغائها

ونساء آل أمية في صونها

وحصونها مسرورة بغنائها

وبنات أحمد في السبا بين الوري

قد أبرزت من خدرها وخبائها

ويزيد يشرب في القصور زلالها

والسبط يسقي من نجيع دمائها

محن الأولياء وكراماتهم

اعلم ، أنّ المستفاد من الأخبار : أنّ ابتلاءات الأنبياء والأولياء منازل ومقامات ، فمن كانت مصائبه ومحنه أعظم وأكثر فدرجاته ومقاماته أعلي وأكبر .

ص: 302

وأنّ الـدنيا لا قيمـة لها عنـد اللّه ولا قـدر ، وأنّه لم يتخـذها دار قرار وراحة لأوليائه ، بل إنّه اختار لهم عزّة لا ذلّ فيها ، وراحة لا تعب معها ، وهذا من الواضحات .

وعليه ، كلّما كان العبـد من المقربين جرت عليه الـدنيا ثقيلـة صـعبة ، وازدادت عليه الآلام والمصائب والمحن ، وقـد ورد في هـذا المعني الكثير من الأخبار :

روي عن الباقر عليه السلام أنّه قال : إنّما المؤمن بمنزلة كفّة الميزان ، كلّما زيد في إيمانه زيد في بلائه(1) .

وروي عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : إنّما يبتلي المرء علي قدر حبّه(2) للّه .

وروي أيضا أنّ رجلاً جاء الي رسول اللّه صـلي الله عليه و آله ، فوقف بين يـديه فقال : يا رسول اللّه ، إنّي أحبّ اللّه عزّ وجلّ ، فقال : اسـتعد للبلاء ، فقال : يا رسول اللّه صـلي الله عليه و آله ، وإنّي أحبّك ، فقال له : استعد للفقر ، فقال : وإنّي أحبّ علي بن أبي طالب عليهماالسلام ، فقال :

استعد لكثرة الأعداء(3) .

تبيّن من هذه الأخبار وغيرها جلالة قدر سيد الشهداء وعظيم مقامه ، وعلو درجاته عند اللّه ، ومدي محبّته للّه ، وذلك لأنّ الأخبار والعلماء الأخيار إتفقوا كلمة واحدة أنّ مصيبته أعظم المصائب ، وابتلاؤه ومحنته أشدّ البلايا والمحن(4) .

وبنـاءا علي هـذه الروايـات يقتضـي أن يكون الحسـين عليه السـلام أفضل الجميع ، بيـد أنّ أباه وجـدّه لهما مقام آخر ، وذلك لأنّ مصائبه مصائبهم ، ومحنه محنهم ، فابتلاؤهمعظيم أيضا .

1- الكافي : 2/253 ح10 ، بحار الأنوار : 65/210 .
2- جامع الأخبار : 114 ، بحار الأنوار : 64/236 .
3- المنتخب : 1/162 .
4- انظر بحار الأنوار : 44/269 باب 32 .

إنّ الأنبياء والأولياء والمقربين شربوا كؤوس البلاء ، وتوشحوا بوشاح المحن ، وابتلوا بمئات الآلاف من صور العناء والألم ، وصبروا في سبيل المحبّة ، واستقبل كلّ منهم البلاء بقدر محبّته ، ولم يشكوا ولم يعترضوا .

أجل ، ما أكثر أولياءه الذين هاموا في محبّته ، وتذلّلوا له تحت قباب المودّة .

إنّهم مصداق : أنا خاصة للمحبّين(1) ، وقد سمعوها بآذان قلوبهم ، وضحوا من أجل ذلك بالمال والعيال .

شربت بكأس الحبّ في المهد شربة

حلاوتها حتي القيامة في الحلق

إنّهم ذاقوا طعم حبّه ، فصغرت في أعينهم لذات المال والنساء ، وحقرت عندهم الدنيا بعد أن جرّبوا لذّة القرب منه .

إنّهم سمعوا بآذان قلوبهم نداء : « يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ » ، فذابت في ذلك نفوسهم .

سمعوا بشارة : أنا عند المنكسرة قلوبهم ، والمندرسة قبورهم ، فرفعوا شعار الأفلاس ، وافترشوا بساط التسليم ، واقتحموا وادي « الفقر فخري »(2) .

سمعوا بشارة : « من قتلته فأنا ديّته(3) ، فتقدّموا الي الميادين وقلوبهم فوق الدروع ، يشترون الرماح والنبال بالأرواح ، حتي صار في كلّ جزء منهم ألف جريح وطريح وقتيل وشهيد .

الإمام الحسين عليه السلام في مقدّمة أولياء اللّه

ولكن – يا عزيزي – ليس ثمّة من ثبت في ميدان الإبتلاء مثل سيد الشهداء عليه السلام ،ولم يضحي أحد تضحيته ، ولم تحط المحن بأحد كما أحاطت به .

1- عدّة الداعي : 252 ، بحار الأنوار : 74/42 ح10 .

2- بحار الأنوار : 72/49 .

3- مستدرك الوسائل : 18/419 ح2 : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَي قَالَ : مَنْ دَعَانِي أَجَبْتُهُ ، وَمَنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ ، وَمَنْ أَعْطَانِي شَكَرْتُهُ ، وَمَنْ عَصَانِي سَتَرْتُهُ ، وَمَنْ قَصَدَنِي أَبَقَيْتُهُ ، وَمَنْ عَرَفَنِي خَيَّرْتُهُ ، وَمَنْ أَحَبَّنِي ابْتَلَيْتُهُ ، وَمَنْ أَحْبَبْتُهُ قَتَلْتُهُ ، وَمَنْ قَتَلْتُهُ فَعَلَيَّ دِيَتُهُ ، وَمَنْ عَلَيَّ دِيَتُهُ ، فَأَنَا دِيَتُهُ .

لقد ابتلي الأنبياء وأوصياؤهم ببلايا كثيرة ، كالضرب والإذلال ، والسبّوالشتم ، والجوع والمرض ، وغيرها كثير ، ولكن أحدا منهم لم يبلغ به الإبتلاء ما بلغ بسيد الشهداء عليه السلام ، فهو مبتلي منذ طفولته حتي يوم لقاء ربّه ، حيث كان كلّما رآه جدّه ذكر عنده خبر شهادته ، وكان ذلك يحزنه .

مضي جدّه وهو في السابعة من عمره ، وتعرّض أباه وأمّه الي الظلم ، وقف ينظر الي أبيه وهو يجرّ الي المسجد ، ورأي ما جري علي أمّه من كسر الضلع ، وغصب حقّ أخيه ، وشهادته .

ابتلي بيتم الأمومة بعد مضي جدّه بفترة قصيرة ، وحمل هموم ظليمة أبيه حتي خضبت شيبته بدم رأسه .

ثم رأي مظلومية أخيه ، وابتلي معه بظلم معاوية ، حتي نظر الي أخيه وهو يجود بنفسه من أثر السمّ الذي سقاه معاوية .

ولمّا وصلت النوبة اليه ، عجز اللسان والقلم من بيان ما جري عليه . . ضيّقوا عليه الدنيا حتي أخرجوه من وطن جدّه ، فالتجأ الي حرم اللّه ، ثم أخرجوه من الحرم وشرّدوه الي العراق ، حتي قتلوه عطشانا ، وذبحوه كما يذبح الكبش ، ورفعوا رأسه علي الرمح ، وتركوا جسده علي الرمضاء عريانا .

رفعوا رأسه علي السنان ، وطافوا به الأسواق والسكك والبلدان . . علّقوه علي الأشجار مرّة ، ونصبوه علي باب الدار أخري ، ووضعوه في التنّور علي الرماد ، وأدخلوه في مجلس يلعبون فيه الشطرنج والقمار ، وصبّوا بقية الكأس بالقرب منه ، وقرّعوا ثناياه بالقضيب ، وأدخلوا القضيب في أنفه !

وإذا أردت أن تعرف عظيم مصائبه ، وكيف صارت أعظم وأكبر وأكثر من مصائب الآخرين فاستمع لما سأقول :

إشارة الي مصائب يحيي عليه السلام

اعلم ، أنّ أكثر الأنبياء مظلومية يحيي بن زكريا عليهماالسلام ، وكان سبب قتله :

كان يحيي في بعلبك ، وبعث بالنبوة بعد زكريا ، وكان يدعو الناس الي عبادة اللّه ،وكان في ذلك البلد ملك كافر ظالم يدعو الناس الي عبادة الأصنام ، ولم يكن في ذلك البلد إلاّ رجل وإمرأة من المسلمين ، وكانا يكتمان إيمانهما .

وكان للملك إمرأة تحكم الناس إذا غاب الملك ، وكانت المرأة بغي ، وقد قتلت الكثير من الأنبياء عليهم السلام ، وروي أنّها قتلت أكثر من ثلاثمائة نبي .

كانت المرأة كبيرة السن عجوز ، ولدت سبعين ولدا ، وتزوجت سبعين ملكا ، واحتالت عليهم جميعا فقتلتهم .

وكان يحيي عليه السلام يمشي يوما ، فمرّ في طريقه علي دار تلك الزانية ، فرأته الملعونة ، فوقعت محبّته في قلبها ، وأغرمت بجماله ، وإشتدّ شوقها اليه ، فطلبته يوما ، فلمّا حضر عندها أكرمته ، أظهرت له المحبّة والشوق ، وقالت له : لي اليك حاجة لا يقدر عليها غيرك !

ثم إنّها عرضت عليه حاجتها ، وعرضت عليه وعودا كثيرة إن هو أجابها .

فلمّا سمع يحيي عليه السلام كلامها إرتعدت فارئصه وقال : إنّي لست ممّن تظنين ، ولا أقرب هذه الأعمال ، اعزبي عنّي ، إنّك إمرأة سوء لا حياء لك ، ولكنّها أصرّت عليه ، فلم تفلح أبدا ، فخرج يحيي عليه السلام من عندها .

فلمّا يأست الملعونة منه ، شقّت جيبها ، ونشرت شعرها ، وجعلت تلطم علي رأسها ، ودخلت علي زوجها الملعون وقالت له : لقد دهاني أمر عظيم ، فإنّ أخذت لي حقّي وإلاّ طلبت من يأخذه لي غيرك ، فقال : ماذا دهاك ؟ قالت : لقد راودني يحيي عن نفسي ، وكاد أن يوقعني في الخطيئة !

فغضب اللعين ، وأمر أن يحضر يحيي عليه السلام ، فانطلق أعوان السلطان للبحث عنه ، فوجدوه ، فألقوا الحبل في عاتقه ، واقتادوه الي السلطان سحبا . فلمّا جاءوا به الي الملك فأمر بضرب عنقه ، وتقطيع أعضائه ، وتهشيم عظامه .

فقال يحيي عليه السلام : إنّي لم أفعل شيئا ، فلماذا تأمر بقتلي ؟ فقال : وأيّ ذنب أعظممّا فعلت ؟

فأنكر يحيي عليه السلام أشدّ الإنكار ، وقال : واللّه إنّي ما أقدمت علي هذا الفعل ، وليس هذا العمل من شأني ، ولي علي ما أقول شهود . فقال : هات شهودك .

فلمّا رأي يحيي عليه السلام أنّه لا ناصر له ولا معين إلتجأ الي ربّ العزّة ذي القوة المتين ، فقال : يا ربّ ، إنّك تعلم أنّي بريء ومظلوم ، فانصرني يا ربّ العالمين .

فأمر اللّه جبرئيل وميكائيل وخاطبهما : أن أدركا عبدي وخلصاه من يد هذا الظالم ، فحضرا في المجلس وشهدا ببراءة يحيي عليه السلام ، وخلصاه ممّا كان فيه ، فخرج يحيي عليه السلام من هناك ، وعلم أنّهم سيعودون اليه ، ففرّ الي غار في جبل واختفي فيه .

أمّا تلك الملعونة فلم تهدأ ، وكانت تحرض زوجها عليه ، وتشعل النيران في قلبه ، وتثير حفيظته ، فأمر بالبحث عنه في كلّ مكان ، ففتشوا عنه حتي وجدوه ، فأوثقوه كتافا ، وجرّوه علي الأرض ، حتي جاؤوا به الي الملك ، فأمر بقتله ، فقتلوه ، وأمر بطشت فوضع رأسه فيه ، ووضعه في مجلسه .

وروي عن الإمام أبي عبد اللّه الصادق عليه السلام قال : إنّ ملكا كان علي عهد يحيي بن زكريا عليهماالسلام لم يكفه ما كان عليه من الطروقة ، حتي تناول امرأة بغيا ، فكانت تأتيه حتي أسنت .

فلمّا أسنت هيأت ابنتها ، ثم قالت لها : إنّي أريد أن آتي بك الملك ، فإذا واقعك ، فيسألك : ما حاجتك ؟ فقولي : حاجتي أن تقتل يحيي بن زكريا عليه السلام ، فلمّا واقعها سألها عن حاجتها ، فقالت : قتل يحيي بن زكريا عليهماالسلام .

فلمّا كان في الثالثة بعث إلي يحيي ، فجاء به ، فدعا بطست ذهب فذبحه فيها ، وصبّوه علي الأرض فيرتفع الدم ويعلو ، وأقبل الناس يطرحون عليه التراب ، فيعلو عليه الدم ، حتي صار تلا عظيما .

وروي : أنّه دعا بيحيي عليه السلام ، فذبحه ، فبدرت قطرة من دمه ، فوقعت عليالأرض ، فلم تزل تعلو .

ومضي ذلك القرن ، فلمّا كان من أمر بخت نصر ما كان رأي ذلك الدم ، فسأل عنه ، فلم يجد أحدا يعرفه ، حتي دلّ علي شيخ كبير ، فسأله ، فقال : أخبرني أبي عن جدّي أنّه كان من قصة يحيي بن زكريا عليهماالسلام كذا وكذا ، وقصّ عليه القصّة ، والدم دمه .

فقال بخت نصر : لا جرم ، لأقتلنّ عليه حتي يسكن ، فقتل عليه سبعين ألفا ، فلمّا وفي عليه سكن الدم(1) .

وروي أيضا : أنّه كان في زمانه ملك جبار يزني بنساء بني إسرائيل ، وكان يمرّ يحيي بن زكريا عليهماالسلام ، فقال له يحيي : اتقّ اللّه أيّها الملك ، لا يحلّ لك هذا .

فقالت له امرأة من اللواتي كان يزني بهن حين سكر : أيّها الملك اقتل يحيي ، فأمر أن يؤي برأسه ، فأتي برأس يحيي عليه السلام في الطشت ، وكان الرأس يكلّمه ويقول : يا هذا اتق اللّه ، لا يحلّ لك هذا(2) .

مقارنة بين مصائب الإمام الحسين عليه السلام الفادحة وبين مصائب الأنبياء عليهم السلام

يا عزيزي ، كان يحيي عليه السلام أكثر الأنبياء عليهم السلام ظليمة ، فبكت عليه السماء والأرض

والملائكة ، ولكن الظلم الذي جري علي سيد الشهداء أعظم وأعظم من الظلم الذي تعرض له يحيي عليه السلام ، بل لا يمكن المقارنة بينهما أبدا .

وذلك ، لأنّهم قتلوا يحيي عليه السلام وحده ، ولم يقتل معه أحد ، ولم يسبوا عياله ، ولا رفعوا رأسه علي السنان .

1- بحار الأنوار : 14/182 باب 15 ح20 .

2- قصص الأنبياء للجزائري : 426 باب في قصص أرميا ودانيال وعزير . .

أمّا سيد الشهداء عليه السلام ، فإنّهم ذبحوه ، وسلبوه ، وتركوه عريانا ، ورفعوا رأسهعلي السنان ، وسبوا عياله ، وقرعوا ثناياه بالقضيب .

عزيزي ، إنّ إبراهيم عليه السلام ألقي في النار ، وضحي عليه السلام بروحه ، ولكنّهم لم يقتلوا أبناءه ، ولم يسبوا عياله .

كان أيوب النبي عليه السلام من أعظم الأنبياء بلاءا ، ودام بلاؤه سبع أو ثلاث عشرة أو ثمان عشرة سنة ، فقد أولاده وأمواله ، ولكنّه لم يبلغ ما ابتلي به سيد الشهداء عليه السلام ، فقد كان طيلة خمسين سنة منذ أن مضي جدّه فخر الكائنات الي يوم شهادته يقاسي الأذي ، ويكابد المعاناة .

جرح بدن أيوب عليه السلام ، وعجز عن الحركة ، ولكنّها لم تكن مثل جراحات سيد الشهداء عليه السلام ، حيث كانت الجراحة فوق الجراحة ، والطعنة فوق الضربة ، والرمية فوق الرمية .

أخذت الجراحات بدن أيوب عليه السلام ، ولكنّه كان ملقي في زاوية لم يتعرّض له أحد ، ولا سواء مع الحسين عليه السلام الذي أخذته الجراح ، وهو يعاني همّ العيال ، وشماتة الأعداء ، وتفتت الكبد من الظمأ ، وإحاطة الأعداء .

لهفي له ، مسحوا علي جراحه بدل المراهم بالنبال والحجارة والسيوف والرماح والخناجر .

شملت الألطاف الإلهية جراح أيوب ، فذاق العافية ، واندملت جراحاته ، وعادت اليه نعمه ، أمّا سيد الشهداء عليه السلام فقد قطع رأسه ، وسبي عياله ، وأسرت أخواته وبناته .

أمّا يونس عليه السلام ، فقد ألقاه اللّه في بطن الحوت ، وابتلاه بذلك ثلاثة أيام أو سبعة الي أربعين يوما ، ثم نجاه اللّه وقذفه الحوت علي شاطي ء البحر ، وكان جلده قد ضعف لأنّه لم ير الشمس منذ أيام ، فأنبت اللّه له شجرة اليقطين ، وفجّر له عين ماء حتي اندملت جروح جلده ، وعادت له عافيته .

أمّا الحسين المظلوم عليه السلام فإنّهم ألقوه علي الرمضاء ، وفجّروا له ينابيع الدماء منجراحاته عوض الماء المعين ، وأظلّته السيوف والرماح بدل أوراق شجرة اليقطين .

روي أنّ الحسين عليه السلام قال : سمعت جدّي يقول لي ولأخي الحسن : إنّما مثلكما مثل يونس إذ أخرجه اللّه من بطن الحوت ، وألقاه بظهر الأرض ، وأنبت عليه شجرة من يقطين ، وأخرج له عينا من تحتها ، فكان يأكل من اليقطين ، ويشرب من ماء العين(1) . . .

أسفي لعار مثل يونس بالعرا

يقطينه فيه جناح الأنسر

فأبكوا قتيلاً مثل يحيي ما له

أحد سمّي في قديم الأعصر

إبكوا حسين الطهر من قد شمّه

في نحره كما شمّ العنبر

إبكوا شهيدا بالدماء مرمّلاً

ودما بكته أعين المدّثر

إبكوا جديلاً حوله الأيتام من

متمسك في عفره ومعفّر

إبكوا لجثمان الحسين كمصحف

فيه جروح السيف مثل الأسطر

لو ينطق القرآن ساعة ذبحه

لنعاه خبرانا بصوت جهور

إبكوا له وبناته كبنات نعش

لذن فيه من بنات الأوبر

إبكوا نحيرا صحبه بعد التناحر

جدّلوا فكوا ضحايا المنحر

إبكوا لظام مدحه لم يحص لو

كانت له حبرا مياه الأبحر

إبراهيم الخليل عليه السلام والذبح العظيم

اعلم ، أنّ إبراهيم عليه السلام كان مأمورا بذبح ولده إسماعيل عليه السلام ، وإنّ هذا لهو البلاء العظيم ، وذلك لأنّ فقد الولد صعب ، وقتله أصعب ، وأن يذبحه الأب بيده ، فهذا ممّا لا يطيقه إلاّ من مثل إبراهيم ، سيما إذا كان الولد من مثل إسماعيل ، جيمل المنظر ، حلو المعشر ، حسن الشعر .

1- الخرائج والجرائح : 2/845 ، بحار الأنوار : 43/273 باب 12 .

وخلاصة قصته :

لَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ قَالَ جَبْرَئِيلُ لِإِبْرَاهِيمَ عليه السلام تَرَوَّهْ مِنَ الْمَاءِ ، فَسُمِّيَتِ التَّرْوِيَةَ ، ثُمَّ أَتَي مِنًي ، فَأَبَاتَهُ بِهَا ، ثُمَّ غَدَا بِهِ إِلَي عَرَفَاتٍ ، فَضَرَبَ خِبَاهُ بِنَمِرَةَ دُونَ عَرَفَةَ ، فَبَنَي مَسْجِداً بِأَحْجَارٍ بِيضٍ ، وَكَانَ يُعْرَفُ أَثَرُ مَسْجِدِ إِبْرَاهِيمَ حَتَّي أُدْخِلَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ الَّذِي بِنَمِرَةَ حَيْثُ يُصَلِّي الإِمَامُ يَوْمَ عَرَفَةَ ، فَصَلَّي بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ ، ثُمَّ عَمَدَ بِهِ إِلَي عَرَفَاتٍ ، فَقَالَ : هَذِهِ عَرَفَاتٌ ، فَاعْرِفْ بِهَا مَنَاسِكَكَ ، وَاعْتَرِفْ بِذَنْبِكَ ، فَسُمِّيَ عَرَفَاتٍ ، ثُمَّ أَفَاضَ إِلَي الْمُزْدَلِفَةِ ، فَسُمِّيَتِ الْمُزْدَلِفَةَ لأَنَّهُ ازْدَلَفَ إِلَيْهَا .

ثُمَّ قَامَ عَلَي الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ، فَأَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَذْبَحَ ابْنَهُ ، وَقَدْ رَأَي فِيهِ شَمَائِلَهُ ، وَخَلائِقَهُ ، وَأَنِسَ مَا كَانَ إِلَيْهِ .

فَلَمَّا أَصْبَحَ أَفَاضَ مِنَ الْمَشْعَرِ إِلَي مِنًي ، فَقَالَ لأُمِّهِ : زُورِي الْبَيْتَ أَنْتِ ، وَأَحْتَبِسَ الْغُلامَ ، فَقَالَ : يَا بُنَيَّ ، هَاتِ الْحِمَارَ وَالسِّكِّينَ حَتَّي أُقَرِّبَ الْقُرْبَانَ .

قَالَ : فَجَاءَ الْغُلامُ بِالْحِمَارِ وَالسِّكِّينِ ، فَقَالَ : يَا أَبَتِ أَيْنَ الْقُرْبَانُ ؟ قَالَ : رَبُّكَ يَعْلَمُ أَيْنَ هُوَ يَا بُنَيَّ ، أَنْتَ وَاللَّهِ هُوَ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَنِي بِذَبْحِكَ ، فَانْظُرْ مَا ذَا تَرَي ؟

قَالَ : يا أَبَتِ افْعَلْ ما تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللّهُ مِنَ الصّابِرِينَ .

فَلَمَّا عَزَمَ عَلَي الذَّبْحِ قَالَ : يَا أَبَتِ خَمِّرْ وَجْهِي ، وَشُدَّ وَثَاقِي ، قَالَ : يَا بُنَيَّ الْوَثَاقُ مَعَ الذَّبْحِ ، وَاللَّهِ لا أَجْمَعُهُمَا عَلَيْكَ الْيَوْمَ .

فَطَرَحَ لَهُ قُرْطَانَ الْحِمَارِ ، ثُمَّ أَضْجَعَهُ عَلَيْهِ ، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ فَوَضَعَهَا عَلَي حَلْقِهِ ، فَأَقْبَلَ إبليس في صورة شَيْخٌ فَقَالَ : مَا تُرِيدُ مِنْ هَذَا الْغُلامِ ؟ قَالَ : أُرِيدُ أَنْ أَذْبَحَهُ ، فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ غُلامٌ لَمْ يَعْصِ اللَّهَ طَرْفَةَ عَيْنٍ تَذْبَحُهُ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَمَرَنِي بِذَبْحِهِ ، فَقَالَ : بَلْ رَبُّكَ نَهَاكَ عَنْ ذَبْحِهِ ، وَإِنَّمَا أَمَرَكَ بِهَذَا الشَّيْطَانُ فِي مَنَامِكَ ، قَالَ : وَيْلَكَ الْكَلامُ الَّذِي سَمِعْتُ هُوَ الَّذِي بَلَغَ بِي مَا تَرَي ، لا وَاللَّهِ لا أُكَلِّمُكَ .

ثُمَّ عَزَمَ عَلَي الذَّبْحِ ، فَقَالَ الشَّيْخُ : يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّكَ إِمَامٌ يُقْتَدَي بِكَ ، فَإِنْ ذَبَحْتَ وَلَدَكَ ذَبَحَ النَّاسُ أَوْلادَهُمْ ، فَمَهْلاً ، فَأَبَي أَنْ يُكَلِّمَهُ .

فَأَضْجَعَهُ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الْوُسْطَي ، ثُمَّ أَخَذَ الْمُدْيَةَ فَوَضَعَهَا عَلَي حَلْقِهِ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُإِلَي السَّمَاءِ ، ثُمَّ انْتَحَي عَلَيْهِ ، فَقَلَبَهَا جَبْرَئِيلُ عليه السلام عَنْ حَلْقِهِ ، فَنَظَرَ إِبْرَاهِيمُ فَإِذَا هِيَ مَقْلُوبَةٌ ، فَقَلَبَهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَي خَدِّهَا ، وَقَلَبَهَا جَبْرَئِيلُ عَلَي قَفَاهَا ، فَفَعَلَ ذَلِكَ مِرَاراً ، ثُمَّ نُودِيَ مِنْ مَيْسَرَةِ مَسْجِدِ الْخَيْفِ : يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤيَا ، وَاجْتَرَّ الْغُلامَ مِنْ تَحْتِهِ ، وَتَنَاوَلَ جَبْرَئِيلُ الْكَبْشَ مِنْ قُلَّةِ ثَبِيرٍ فَوَضَعَهُ تَحْتَهُ .

وَخَرَجَ الشَّيْخُ الْخَبِيثُ حَتَّي لَحِقَ بِالْعَجُوزِ حِينَ نَظَرَتْ إِلَي الْبَيْتِ ، وَالْبَيْتُ فِي وَسَطِ الْوَادِي ، فَقَالَ : مَا شَيْخٌ رَأَيْتُهُ بِمِنًي ؟ فَنَعَتَ نَعْتَ إِبْرَاهِيمَ . قَالَتْ : ذَاكَ بَعْلِي ، قَالَ : فَمَا وَصِيفٌ رَأَيْتُهُ مَعَهُ ؟ وَنَعَتَ نَعْتَهُ ، قَالَتْ : ذَاكَ ابْنِي ، قَالَ : فَإِنِّي رَأَيْتُهُ أَضْجَعَهُ وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ لِيَذْبَحَهُ ، قَالَتْ : كَلاَّ مَا رَأَيْتُ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ أَرْحَمَ النَّاسِ ، وَكَيْفَ رَأَيْتَهُ يَذْبَحُ ابْنَهُ ؟ قَالَ : وَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ ، وَرَبِّ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ أَضْجَعَهُ وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ لِيَذْبَحَهُ ، قَالَتْ : لِمَ ؟ قَالَ : زَعَمَ أَنَّ رَبَّهُ أَمَرَهُ بِذَبْحِهِ ، قَالَتْ : فَحَقٌّ لَهُ أَنْ يُطِيعَ رَبَّهُ ، فَلَمَّا قَضَتْ مَنَاسِكَهَا فَرِقَتْ أَنْ يَكُونَ قَدْ نَزَلَ فِي ابْنِهَا شَيْءٌ .

قال الباقر عليه السلام : فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهَا مُسْرِعَةً فِي الْوَادِي ، وَاضِعَةً يَدَهَا عَلَي رَأْسِهَا ، وَهِيَ تَقُولُ : رَبِّ لا تُؤَاخِذْنِي بِمَا عَمِلْتُ بِأُمِّ إِسْمَاعِيلَ .

فَلَمَّا جَاءَتْ سَارَةُ فَأُخْبِرَتِ الْخَبَرَ قَامَتْ إِلَي ابْنِهَا تَنْظُرُ ، فَإِذَا أَثَرُ السِّكِّينِ خُدُوشاً فِي حَلْقِهِ ، فَفَزِعَتْ وَاشْتَكَتْ ، وَكَانَ بَدْءَ مَرَضِهَا الَّذِي هَلَكَتْ فِيهِ(1) .

والآن كن منصفا يا عزيزي القاري ء ، وانظر الي أمّ إسماعيل كيف مرضت لمّا رأت خدوشا في حلقه ، ففزعت واشتكت وماتت ، فما حال سيد الشهداء عليه السلاموهو يلبس ولده – شبيه النبي صلي الله عليه و آله – كفنه بيده ، ويخرجه الي الميدان ؟ ما كان حال أمّه وأخواته ، وهو يتقدّم برجله الي المذبح ؟

1- الكافي : 4/207 ح9 ، تفسير القمي : 2/225 ، بحار الأنوار : 128312 ح4 .

لقـد بلغ إبراهيم خليل الرحمن أعلي درجات القرب ، وكان أفضل الأنبياء بعدنبينا محمد صـلي الله عليه و آله ، وما كان ذلك إلاّ من حيث صبره ، وتضحيته بولده .

فتأمّل يا عزيزي ، أيّ الصبرين أعظم ، صبر إبراهيم الخليل عليه السـلام ؟ أم صبر سيد الشهداء عليه السلام ؟ وهو ينظر الي ولده مقطعا إربا إربا ، وبالدماء مرمّلاً ، وينظر الي أخيه مقطوع اليدين ، مفضوخ الرأس محزوز الوريدين ، ويري أبناء إخوته ، وأصحابه وأهل بيته كالأضاحي مجزرين ، فإِنّا لِلّهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ .

نظرة الي فضائل علي الأكبر عليه السلام

اعلم ، أنّه لم يبق بعد شهادة العباس عليه السلام من يتقدّم الي ميدان الوفاء سوي ابن إمام العالمين عليه السلام .

فالمشهور أنّ الإمام الحسين عليه السلام كان له ثلاث أبناء هم : علي الأكبر ، وعلي الأوسط ، وعلي الأصغر عليهم السلام .

أمّا علي الأكبر ، فهو سيد الساجدين عليه السلام ، وكان مريضا عليلاً ، لم يقاتل لما به من ضعف .

وعلي الأصغر عليه السلام هو الطفل الرضيع(1) .

فيقتضي أن يكون علي الأوسط هو المعروف بعلي الأكبر .

وقد اختلف العلماء في أنّ المقتول في الطف هل هو الأكبر أو أنّ الأكبر هو سيد الساجدين عليه السلام ؟

ذهب ابن إدريس وهو من مشاهير علماء الشيعة ، الي أنّ المقتول هو الأكبر ، ويؤكد علي ذلك ، ويستدل له بأقوال المؤرخين وغيرهم(2) .

ولكن مشهور العلماء قالوا : أنّ الأكبر هو سيد الساجدين ، وأنّ علي المقتول فيكربلاء أصغر منه(3) .

1- المناقب : 4/48 ، بحار الأنوار : 45/330 ح4 .

2- السرائر : 1/254 .

3- انظر الإرشاد : 2/106 ، المناقب : 4/118 .

وكيف كان ، فإنّ علي الأكبر عليه السلام كان شابا جميلاً وسيما ، حسن المنظر ، وكان أشبه الناس برسول اللّه صلي الله عليه و آله خلقا وخلقا ومنطقا ، وكان الناس إذا اشتاقوا الي رسول اللّه صلي الله عليه و آله نظروا اليه .

قال محمد بن أبي طالب : وكان عمره يومئذ ابن ثماني عشرة سنة .

وقال ابن شهرآشوب : ويقال : ابن خمس وعشرين سنة(1) . وبناءا علي هذا القول يكون هو الأكبر .

وكان معروفا بالشجاعة ، ويكني « أبو الحسن » ، أمّه ليلي بنت أبي مرّة بن عروة بن مسعود الثقفي ، ولم يعقب .

وبناءا علي بعض الروايات كان هو أول من قتل من بني هاشم عليهم السلام ، ويؤيد هذه الروايات ما ورد في الزيارة : السلام عليك يا أوّل قتيل من نسل خير سليل(2) . .

وذكر ذلك أبو الفرج الإصفهاني أيضا في تاريخه(3) .

ولكن المشهور ! أنّه كان آخر الشهداء ، إلاّ سيد الشهداء وعلي الأصغر عليهماالسلام .

كان عليه السلام فريدا في خلقه وخلقه وشجاعته .

قال معاوية يوما : من أحقّ الناس بهذا الأمر ؟ قالوا : أنت ، قال : لا ، أولي الناس بهذا الأمر علي بن الحسين بن علي ، جدّه رسول اللّه ، وفيه شجاعة بني هاشم ، وسخاء بني أمية(4) ! ! وزهو ثقيف(5) .

قال أبو الفرج : المقصود علي بن الحسين عليهماالسلام المقتول في الطف(6) .

1- المناقب : 4/118 ، بحار الأنوار : 45/42 الباب 37 .

2- بحار الأنوار : 45/45 .

3- مقاتل الطالبيين : 86 .

4- قصد بذلك الخبيث أن ينسب السخاء لبني أمية كذبا وزورا ، وهم المعروفون بالخسة والحقارة والظلم والجور ، وقد سوّدوا وجه التاريخ بفعالهم وأخلاقهم الذميمة .

5- بحار الأنوار : 45/45 الباب 37 .

6- مقاتل الطالبيين : 86 .

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يحبّه حبّا شديدا حتي قال في مدحه شعرا ، منه ما ذكرهابن إدريس فيالسرائر أنّه قال عليه السلام :

لم تر عين نظرت مثله

من محتف يمشي ومن ناعل(1)

علي الأكبر عليه السلام يعزم علي القتال

لمّا عرفت جلالة قدر هذا العظيم وعلوّ مقامه ، فلنستعرض فيما يلي ما روي في كيفية شهادته عليه السلام .

لمّا نظر عليه السلام الي غربة أبيه ووحدته ، عزم علي خوض القتال ، والتقدّم الي الميدان ، فإستأذن الحسين عليه السلام ، فلم يأذن له .

فلمّا سمع النساء خرجن من الخيام ، أمّه وعماته وأخواته ، فتحلّقن حوله ، وقلن : إرحم غربتنا ، ولا تستعجل الخروج الي القتال ، فإنّنا لا نطيق فراقك .

فبالغ عليه السلام في الإلحاح علي أبيه ، فأذن له ، فودّع أباه وأهل الحرم وتقدّم نحو الميدان .

قال السيد ابن طاووس رحمه الله : ثم نظر إليه نظر آيس منه ، وأرخي عليه السلام عينه وبكي(2) ، ورفع الحسين عليه السلام سبابته نحو السماء وقال : اللّهم اشهد علي هؤاء القوم ، فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خلقا وخلقا ومنطقا برسولك ، وكنّا إذا اشتقنا إلي نبيك نظرنا إلي وجهه ، اللّهم أمنعهم بركات الأرض ، وفرّقهم تفريقا ، ومزّقهم تمزيقا ، واجعلهم طرائق قددا ، ولا ترض الولاة عنهم أبدا ، فإنّهم دعونا لينصرونا ، ثم عدوا علينا يقاتلوننا .

ثم صاح الحسين عليه السلام بعمر بن سعد : ما لك قطع اللّه رحمك ، ولا بارك اللّه لك في أمرك ، وسلّط عليك من يذبحك بعدي علي فراشك ، كما قطعت رحمي ، ولم تحفظ قرابتي من رسول اللّه صلي الله عليه و آله .

1- السرائر : 1/255 .

2- اللهوف : 112 .

ثم رفع الحسين عليه السلام صوته وتلا: « إِنَّ اللّهَ اصْطَفي آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْراهِيمَ وَآلَ عِمْرانَ عَلَي الْعالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ » .

علي الأكبر عليه السلام في الميدان

ثم حمل علي بن الحسين علي القوم ، فبهت جميع الأعداء لجماله ، فبرز وهو يقول :

أنا علي بن الحسين بن علي

من عصبة جدّ أبيهم النبي

واللّه لا يحكم فينا ابن الدعي

أطعنكم بالرمح حتي ينثني

أضربكم بالسيف أحمي عن أبي

ضرب غلام هاشمي علوي

فحمل عليهم ، فقلب الميمنة علي الميسرة ، والميسرة علي الميمنة ، فلم يزل يقاتل حتي ضجّ الناس من كثرة من قتل منهم .

وروي أنّ أهل الكوفة كانوا يتقون قتله .

قال حميد بن مسلم : ما رأيت أشبه منه برسول اللّه صلي الله عليه و آله .

وروي الحدادي : أنّه قتل علي عطشه مائة وعشرين رجلاً ، ثم رجع إلي أبيه وقد أصابته جراحات كثيرة ، فقال : يا أبة العطش قد قتلني ، وثقل الحديد أجهدني ، فهل إلي شربة من ماء سبيل أتقوّي بها علي الأعداء ؟

وروي حميد بن مسلم : أنّه قال : يا أباه ، أثقلني الحديد ، وخنقني العطش . .

فقال سيد الشهداء عليه السلام : وا غوثاه ، يا بني إصبر قليلاً ، يسقيك جدّك شربة لا ظمأ بعده أبدا .

وروي فبكي الحسين عليه السلام وقال : يا بني يعزّ علي محمد ، وعلي علي بن أبي طالب ، وعليّ أن تدعوهم فلا يجيبوك ، وتستغيث بهم فلا يغيثوك ، يا بني هات لسانك ، فأخذ بلسانه فمصّه ، ودفع إليه خاتمه ، وقال : امسكه في فيك وارجع إلي قتال عدوك ، فإنّي أرجو أنّك لا تمسي حتي يسقيك جدّك بكأسه الأوفي شربة لا تظمأ بعدها أبدا ، فعد بارك اللّه فيك .

نموذج من شجاعة علي الأكبر عليه السلام

فرجع إلي القتال الأسد الهصور ، والهزبر المعروف في ميادين الفتوّة ، بالرغم ممّا به من ألم الجراح ، ونزف الدم ، وهو يقول :

الحرب قد بانت لها الحقائق

وظهرت من بعدها مصادق

واللّه ربّ العرش لا نفارق

جموعكم أو تغمد البوارق

فجعل يكرّ كرّة بعد كرّة ، حتي قتل تمام المائتين ، وفي رواية الصدوق رحمه الله : أربعا وأربعين ، وفي رواية ابن شهرآشوب : سبعين .

قال الشيخ المفيد رحمه الله وابن نما رحمه الله : فبصر به مرّة بن منقذ العبدي ، فقال : عليّ آثام العرب إن مرّ بي يفعل مثل ذلك إن لم أثكله أباه ، فمرّ يشدّ علي الناس ، فاعترضه مرّة بن منقذ(1) ، فضربه علي مفرق رأسه ضربة صرعته – وروي أنّه رماه بسهم فصرع – ، وضربه الناس بأسيافهم ، ثم اعتنق فرسه ، فاحتمله الفرس إلي عسكر الأعداء ، فقطّعوه بسيوفهم إربا إربا .

فلمّا بلغت الروح التراقي ، قال رافعا صوته : يا أبتاه ، هذا جدّي رسول اللّه صلي الله عليه و آله قد سقاني بكأسه الأوفي شربة لا أظمأ بعدها أبدا ، وهو يقول : العجل العجل ، فإنّ لك كأسا مذخورة حتي تشربها الساعة(2) .

شهادة علي الأكبر عليه السلام

فلمّا سمع الحسين عليه السلام صوت ولده الغريب ، والجريح الحبيب ، ركب فرسه وانقض عليه كالصقر إذا جلّي ، حتي وصل عنده .

قال حميد بن مسلم : لمّا وقع علي الي الأرض رفع صوته وقال : يا أبتاه ، عليك منّي السلام ، هذا جدّي محمد المصطفي ، وجدّي علي المرتضي ، وجدّتي فاطمةالزهراء ، وعمّي الحسن المجتبي عليهم السلام ، ينتظرونك ويقولون : أنّهم مشتاقون اليك ،قال ذلك ثم شهق شهقة طارت روحه معها .

1- الإرشاد : 2/106 .

2- بحار الأنوار : 45/44 .

قال ابن طاووس رحمه الله : فصاح الحسين عليه السلام وقال : قتل اللّه قوما قتلوك ، يا بني ، ما أجرأهم علي الرحمن ، وعلي رسوله ، وعلي انتهاك حرمة الرسول ، ثم غلبه البكاء ، فجرت دموعه وقال : علي الدنيا بعدك العفا ، يا بني ، أمّا أنت فقد استرحت من الدنيا وغمّها ، وقد صرت الي روح وريحان ، وبقي أبوك ، فما أسرع لحوقه بك(1) .

خروج الحرم في شهادة علي الأكبر عليه السلام

وخرجن بنات رسول اللّه صلي الله عليه و آله وأخواته وعمّاته من الخيام صارخات نادبات ، والي الميدان مسارعات ، ونحو بدن المظلوم الغريب علي الأكبر مبادرات ، وهن يصرخن : وا علياه ، وا شهيداه ، وا قتيلاه .

وخرجت زينب عليهاالسلام من خدرها وهي نادبة صارخة : يا حبيباه ، ويا ابن أخاه ، ويا ثمرة فؤاداه ، ويا نور عيناه .

قال حميد بن مسلم : فكأنّي أنظر إلي امرأة خرجت مسرعة كأنّها الشمس الطالعة ، تنادي بالويل والثبور ، وتقول : يا حبيباه ، يا ثمرة فؤداه ، يا نور عيناه ، فسألت عنها ، فقيل : هي زينب بنت علي عليهماالسلام ، وجاءت وانكبت عليه .

وروي عن عمارة بن واقد أنّه قال : رأيت إمرأة خرجت من فسطاط الحسين عليه السلام كأنّها البدر الطالع ، وهي تنادي : وا ولداه ، وا قتيلاه ، وا قلّة ناصراه ، وا غريباه ، وا مهجة قلباه ، ليتني كنت قبل هذا اليوم عمياء ، ليتني وسدت الثري ، وجاءت وانكبت عليه .

فجاء الحسين عليه السلام ، فأخذ بيدها ، وستر وجهها بعبائه ، وألقي عباءته عليها ،فردّها الي الفسطاط(2) .

1- تذكرة الشهداء ترجمة سيد علي جمال أشرف : 267 .

2- مقتل أبي مخنف : 90 ، تذكرة الشهداء : 267 ، أمواج البكاء ترجمة سيد علي جمال أشرف : 117 .

وأقبل عليه السلام بفتيانه وقال : احملوا أخاكم ، فحملوه من مصرعه ، فجاءوا به حتي وضعوه عند الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه .

بكاء السيدة سكينة عليهاالسلام علي علي الأكبر عليه السلام

روي الشـيخ المفيد رحمه الله عن جابر بن عبد اللّه الأنصاري قال : لمّا استشـهد علي بن الحسين عليهماالسلام رجع الحسين عليه السلام الي الخيمـة بـاكي العين آيسا من الحياة ، فلمّا دنا من خيم النساء خرجت اليه سـكينة عليهاالسـلام وقالت : يا أبـة مالي أراك تنعي نفسك ، وتدير طرفك ، أين أخي علي ؟ فبكي الحسين عليه السلام وقال : بنية قتلوه اللئام .

فلمّا سمعت قتل أخيها صاحت بحرقة قلبها ، وقالت : وا أخاه ، وا مهجة قلباه ، وا علياه ، وأرادت أن تخرج من الخباء ، فأخذها الحسين عليه السلام وقال : يا بنتاه إتقي اللّه واستعملي الصبر . قالت : أبتاه كيف تصبر من قتل أخوها ، وشرّد أبوها ؟

فقال الحسين عليه السلام : إنّا للّه وإنّا اليه راجعون(1) .

1- تذكرة الشهداء : 268 ، معالي السبطين : 378 .

المجلس العاشر: في قتال سيد الشهداء عليه السلام

اشارة

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه علي المصائب الفادحة الحاوية ، والنوائب الجارحة الطاحية .

والصلاة والسلام علي سيّدنا محمد وأهل بيته الشموس الضاحية ، والبدور الضائية .

سيّما علي سبطه المعصوم ، وشبله المظلوم ، ذي النفس المطمئنة المرضية الراضية ، صاحب المصيبة الهائلة والبليّة الوائلة ، التي لم يسمع مثلها في الأمم الماضية ، والقرون الخالية ، صاحب الدماء الجارية ، والأجساد العارية ، والعيون الباكية ، والدموع السائلة ، والنحور الدامية ، والقلوب الصادية ، والجروح الصاهية ، والبطون الطاوية ، والأفواه اليابسة الظامية ، والأبدان المكدوبة الضائية ، والبيوت المهدومة الهاجمة ، الحيران في الأرض المادية ، والأسير بأيدي الفئة الباغية .

الذي قد أحاط عليه الكلاب العاوية ، والذئاب الضارية ، بالسيوف القاطعة ، والسهام النافذة ، والرماح الباترة ، فجادلهم بذي الفقار ، كأنّه علي الكرار عليه السلام ، بنيّة صادقة ، ونفس صابرة ، وكبد صادية ، ودماء في جوانبه جارية ، ودموع علي عياله ساكبة .

فتارة تشدّ عليه الفرقة الرامية ، وأخري الطاغية ، وأخري الضاربة ، وهو الشادّ عليهم كالليث المكفهرّ ، فأحاطوا عليه من كلّ ناحية ، وأخذوه أخذة رابية ،

وحملوه حملة واحدة ، بجثّة جاثية ، وعين رانية ، ونفس الي ربّها فارغة ، فوقعت الواقعة ،وقامت القيامة ، ونعي ناعيه في كلّ ناحية ، وانصدعت الجبال الراسية ، واضطربت بها الأرض الداحية .

فوا أسفاه ، علي الدماء السائلة ، والأبدان العارية ، والشفاه الذابلة ، والرؤوس السامية العالية ، والشيبات الخاضبة ، والدموع الهامية ، والبنات الحاسرة ، والشعور

الناشرة ، والعيون الساهرة . فيا ليتها كانت القاضية ، وجاءت الطامة ، وقامت القيامة .

وبعد ، فقد قال اللّه تعالي في كتابه المبين وخطابه المستبين :

« يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلي رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبادِي

وَادْخُلِي جَنَّتِي » .

* * *

الإمام الحسين عليه السلام صاحب النفس المطمئنة

روي في كتاب كنز الفوائد عن الإمام الصادق عليه السلام قال : اقرؤوا سورة الفجر في فرائضكم ونوافلكم ، فإنّها سورة الحسين ، وارغبوا فيها رحمكم اللّه .

فقال له أبو أسامة ، وكان حاضر المجلس : كيف صارت هذه السورة للحسين عليه السلام خاصة ؟

فقال : ألا تسمع إلي قوله تعالي « يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلي رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي » ، إنّما يعني الحسين بن علي صلوات اللّه عليهما ، فهو ذو النفس المطمئنة الراضية المرضية ، وأصحابه من آل محمد – صلوات اللّه عليهم – الرضوان عن اللّه يوم القيامة ، وهو راض عنهم .

وهذه السورة في الحسين بن علي عليهماالسلام وشيعته ، وشيعته آل محمد خاصة ، فمن أدمن قراءة الفجر كان مع الحسين عليه السلام في درجته في الجنّة ، إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(1) .

1- بحار الأنوار : 24/93 باب 34 ح6 .

الإمام الحسين عليه السلام ومقام الرضا والمحبّة

اعلم ، أنّ الرضا ثمرة المحبّة ، والمحبّة ثمرة المعرفة ، فمن تصوّر صفات شخص وكمالاته ، ومحاسنه وأوصافه ، فوجده ذا أخلاق حميدة ، وأوصاف ممدوحة محمودة ، فإنّ محبّته ستتمكن من قلبه رغما عنه ، وذلك لأنّ العاقل الحسّاس يركن الي محاسن الأخلاق الحميدة ، والصفات المحمودة ، مثل العلم والقدرة والكرم والجود وما شاكلها ، ويدركها ويحبّها بالطبع .

وكذلك يحبّ العاقل الحسّاس كلّ من استشعر منه اللطف ، وناله بالنعم والكرم ، وهذا من الأمور الواضحة التي جبلت عليها الطباع .

وبعد أن يتمكّن الحبّ من القلب ، وترسخ المحبّة بين القلوب ، فإنّ أفعال المحبوب وأعماله تبدو محبوبة للمحبّ ، فإذا استحكم الحبّ في القلب وبلغ مقامات عالية يصل الأمر بالمحبّ الي أنّه يري كلّ ما يحبّه الحبيب محبوبا ، وكلّ ما يبغضه الحبيب مبغوضا ، وكلّ ما يأتيه من الحبيب مطلوبا ، فلو أنّه أشعل البحار عليه نيرانا رأي ذلك جميلاً وأمانا .

إذا عرفت ذلك ، فاعلم ، أنّ من نظر بعين البصيرة الي جلال اللّه وكماله وجماله – وهو الذي لا تدركه الأبصار – إزداد حبّه في قلبه ، وكلّما إزدادت معرفته باللّه إزداد

حبّه ، وكلّما إزداد حبّه إزداد شوقه ، حتي يصل به الأمر أنّه لا يذكر في ليله ونهاره

سوي المحبوب ، ولا يفكر بغيره ، ولا يكون سواه له مطلوب .

روي أن يونس عليه السلام بكي حتي عميت عيناه ، وقام في محراب العبادة حتي انحني ظهره ، وصلّي حتي لم يعد يقوي علي الحركة ، وهو يقول : بعزّتك وجلالك ، لو كان بيني وبينك بحر من نار لخضته اليك شوقا منّي اليك .

إجل ، إذا بلغ العبد العارف الي هذا المقام فإنّه لا يري ثمة دنيا ولا آخرة ، ولا يريسوي المحبوب الحقيقي ، ولا يطلب غيره ، ولا يشعر بسهام البلايا ولو انهالت عليه كالمطر ، بل يشتريها بروحه ، ويفتح لها أبواب القلب ، ويستقبلها بالبشر والطلاقة .

قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله : الدنيا حرام علي أهل الآخرة ، حرام علي أهل الدنيا ، وهما حرامان علي أهل اللّه (1) ، تركت للناس دنياهم ودينهم شغلاً بذكرك يا ديني ودنياي .

ولمّا كان قبلة العارفين ، سيد الشهداء الحسين عليه السلام أعظم الناس معرفة باللّه ، وأعلي الناس مقاما ورتبة ، وقد حاز قصب السبق علي الأنبياء والأولياء ، وقد حلّق طائر معرفته في أجواء معرفته وعلومه الواسعة حتي علا فوق صقور حظائر الجبروت ، فهو غصن شجرة « لو كشف لي الغطاء »(2) ، وركن كعبة « سلوني عن طرق السماء »(3) .

بل بمقتضي كونه مصداق « لولانا لم يعرف اللّه » ، فلا تضيء شمعة في حظائر القدس إلاّ تستمدّ نورها من مصابيح أنوار محال أسرار اللّه .

وبمقتضي مفهوم « بنا عرف اللّه » فإنّ سكان محافل الأنس لا يسبحون في محافل بحار المعرفة إلاّ بتعليم كبير الحيتان السابحة في بحار العلوم والمعارف .

ومن هنا يعرف أنّ الإمام الحسين عليه السلام في أي مقام من مقامات المحبّة الواقعية ، وفي أيّ منزلة من منازل الحبّ الإلهي .

روي أنّه عليه السلام قال :

تركت الخلق طرّا في هواكا

وأيتمت العيال لكي أراكا

فلو قطّعتني في الحبّ إربا

لما حنّ الفؤاد الي سواكا

إنّه كان يهوي التضحية بالنفس والمال والعيال في سبيل المحبوب ، وهو القائل : ما أولهني الي أسلافي اشتياق يعقوب الي يوسف ، ولولا قضاء اللّه أن تبقي الأرواح

1- عوالي اللئالي : 4/119 .
2- إرشاد القلوب : 2/14 ، بحار الأنوار : 36/135 .
3- نهج البلاغة خ189 .

في أبـدانها الي أجلها المؤجل لها ، لطارت روحه ، ولما اسـتقرت في بـدنه لحظـة واحدة ، فقد ورد في الكافي : لَوْلا الآجَالُ الّتِي قَدْ كُتِبَتْ عَلَيْهِمْ لَمْ تَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ(1) .

فالمحبّـة تقتضـي الرضا والتسـليم ، وكلّما إزدادت المحبّة إزداد الرضا والتسـليم ، لمّا كان رأس سلسـلة العارفين غاية في المحبّة كان رضاه وصبره وتسليمه في الغاية ، فهو أعظم الخلق صبرا ورضا وتسليما ، ولهذا خصّ بخطاب : « راضِيَةً مَرْضِيَّةً » .

لقد اسـتهدفته سـهام البلاء من كلّ جهة ، وقطّعت السيوف بدنه إربا ، ولكنّ لم ير منه غير الرضا بقضاء اللّه ، وضيّقوا عليه الخناق ، وسدّدوا سهام الجور الي صدره ،

فلم يصدر منه سوي التسليم لأمر اللّه .

فلمّا وجـدوه فريـدا في الوفاء ، وبطلاً عظيما في الصبر والرضا ، جعلوه مرضـيا مقبولاً بعـد أن حقّقوا له المقصود في البلاء ، ففتحوا له أبواب اللطف ، ونادوه بنداء : « ارْجِعِي إِلي رَبِّكِ » ، وبشّروه ببشارة : « فَادْخُلِي فِي عِبادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي » .

أجل ، إنّه كان يعيش حالة خاصة ، ويغمر قلبه شوقا خاصا ، ويعمر صدره ذوقا خاصا .

إنّه عرف الـدنيا وأهل الـدنيا ، وعرف معبوده حقّ المعرفـة ، وذاق طعم العبودية للّه ، وذاق حلاوة تقديم النفس للمعبود ، فأعرض عن الدنيا وما فيها .

روي في بعض الأحاديث القدسـية : فارفضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها ، وهلمّوا الي كرامتي ومصاحبتي ومجالستي ومؤانستي وسؤالي ، أؤانسكم ، وأسارع الي محبّتكم .

وقال أيضا : ما أحبّني أحد من خلقي أعلم بذلك من قلبه إلاّ مثلته لنفسي ،وأحببته حبّا لا يتقدّمه أحد من خلقي(2) .

1- الكافي : 2/237 . وفي المتن : « لولا أحفظ أرواح أحبّائي ما تمّ في أجسادهم » .
2- الجواهر السنية : 94 .

أجل ، إنّ للّه أولياء كثيرين ، ومحبّين لا يعدّون ، ولكن ليس فيهم من ضحّي له مثل الإمام الحسين عليه السلام ، ولم يثبت أحد منهم ثبات الإمام الحسين عليه السلام ، فحبّة الحبّ واحدة لا يلتقطها إلاّ من كان لها أهلاً .

مقارنة بين يعقوب النبي عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام

إعلم ، أنّ يعقوب النبي عليه السلام كان له إثنا عشر ولدا ، غاب عنه واحد منهم ، وهو يعلم أنّه كان حيّا لم يمت ، فقد ورد في الحديث : أنّ يعقوب عليه السلام رأي ملك الموت فسأله : هل قبضت روح يوسف ؟ فقال : لا ، فعلم أنّه حي(1) ، فسأله : أين هو ؟ قال : لم يؤذن لي بذلك .

فهو يعلم بحياته ولكنّه بكي حتي إبيضّت عيناه من الحزن ، وإحدودب ظهره ، وشاب شعره(2) .

أمّا سيد الشهداء عليه السلام فإنّه رأي بعينه ولده يقطع إربا إربا ، ورأي أخاه العزيز تقطع كفاه ، ويغرق في الدماء ، وإخوانه الستة يرمّلون بدمائهم ، ورأي أصحابه وأهل بيته مجزرين ، وحمل أجسادهم علي صدره حتي جمعهم في فسطاط واحد .

هوّن هذا كلّه ، بعد أن قدّم نفسه المقدّسة – أرواح العالمين لها الفداء – ، وضحي بروحه ، وجعل بدنه الشريف غرضا لثلاثين ألف خنجر وسيف وسنان .

نعم ، من مات حبّا فليمت هكذا !

الإمام الحسين عليه السلام زينة العرش

أجل ، أحبّ الحسين عليه السلام ربّه ، فأحبّه اللّه الجليل حبّا جعله زينة عرشه ، وزينالسماوات والأرض ، وسيد أهل الجنّة ، وفي أهل الجنّة الأنبياء عليهم السلام ، وهذا الحديث يؤذن بأنّه أفضل من جميع الأنبياء ، إلاّ من خرج بالدليل .

1- بحار الأنوار : 87/116 .

2- انظر بحار الأنوار : 12/305 باب 9 ، تفسير العياشي : 2/181 ح42 ، بحار الأنوار : 12/244 ح11 .

لقـد جعل اللّه الملائكـة خـدما له . . وجعله محبوبا في عند أهل السـماوات والأرض . . وجعل عاتق النبي صـلي الله عليه و آله مجلسـه ومركبه . . وجعل جبرئيل يهزّ مهده . . وجعل حوريات الجنان قابلاته . .

وأتحفه في الدنيا من أطعمة الجنّة وشرابها . . وخلع عليه من خلعها ، وألبسه من لباسها . . وكساه من أجنحة جبرئيل . .

روي عن أم سلمة قالت : رأيت رسول اللّه صلي الله عليه و آله يلبس ولده الحسين عليه السلامحلّة

ليست من ثياب الدنيا ، فقلت له : يا رسول اللّه ، ما هذه الحلّة ؟ فقال : هذه هدية

أهداها إليّ ربّي للحسين عليه السلام ، وإنّ لحمتها من زغب جناح جبرئيل(1) . .

تأمّـل – عزيزي – هـل يسوغ لبـدن غطّـاه زغب جنـاح جبرئيـل أن يقطّع بالسـيوف ، ويكون غرضا للسـهام والرماح ؟ وأن يترك عريانا علي الصعيد تسفي عليه ريح الجنوب والصبا ، وتكفّنه الرمال والدماء ؟

أجسم يربّيه الرسول ويغتذي

بثدي البتول مرضّض الوجنات

محاسنه قد غيّرت الشمس حسنها

وأبلت قواه الخيل بالوطئات

بلا كفن تسفي عليه دبورها

وأنصاره صرعي بأرض فلاة

ونسوته مكشوفة الرأس في الملا

يشهّرن في البلدان مشتهرات

أفاطم قومي من ستورك وانظري

حسينك مثبورا بأرض فلاة

أفاطم عودي من لحودك واجمعي

يتاماك في ذلّ السبا وشتات

أفاطم سحّي من دموعك إنّها

عرايا كأسري الروم منكشفات

أفاطم نوحي للغريب معفّرا

علي وجهه ملقي علي الوهدات

عزيز عليك الحال يا بنت أحمد

وقتل حسين خيرة الخيرات

فكم ليلة أسهرت فيها وطالما

تجرّعت فيها غصّة الوهدات

1- بحار الأنوار : 43/271 باب 12 ح38 .

محبّة الحسين عليه السلام المكنونة في القلوب

إنّه وضع رأسه خير موضع علي أعتاب العبودية ، وصـمد في ميادين الجهاد والتضـحية ، وثبت في مقام المحبّة ، وإجتهد في منازل الخدمة والعبودية الحقّة ، ولهذا أعزّه ربّ العزّة ، وغمره اللطيف بالمحبّة ، ورفع مقامه ، ووهبه جاها عظيما لا يبلغه أحد .

جعل الشـفاء في تربته من كلّ مرض . . وجعل الأجابة تحت قبته لكلّ دعاء يدعو به المؤمن . . وجعل الأئمة – وهم أوتاد الأرض والسماء – في ذريته .

وجعل قبره مختلفا للملائكة والمؤمنين . . وجعل أفئدة المؤمنين تهوي اليه ، فلا يخافون قتلاً ولا سـلبا ، ولا ما يصيبهم في سبيل زيارته . . وجعل مدفنه معراجا للملائكة المقرّبين ، ففوج صاعد وفوج نازل .

وجعل محبّته علامـة الإيمان ، وجعل محبّته مكتومـة في قلوب المؤمنين ، قال رسول اللّه صـلي الله عليه و آله : إنّ للحسـين عليه السـلام محبّة مكتومة في قلوب المؤمنين(1) .

أجل ، واللّه إنّها المحبّة المكتومة في القلوب التي تستدر الدمعة من عينك وأنت

تسـمع قصـته المأساويـة ، بالرغم من أنّك قد سـمعتها آلاف المرات ، ولكنّك لا تتمالك نفسك إذا سـمعت أنّ الحسـين عليه السـلام قتل عطشانا جائعا ، متفتت الكبد ، ذابل الشفاه . . وإذا تصوّرته ملقي علي الصعيد وحيدا فريدا ، يدير طرفه يمنيا وشمالاً ، وهو يستغيث وينادي : أما من مجير يجيرنا ؟ أما من راحم يرحمنا ؟ فإنّ الزفرات تذيبقلبك ، وتعتصـر روحك ، وتحرق آماقك .أقسم باللّه لقد عجزت العقول عن إدراك أساس جلاله ، وتحيّرت الأوهام في تصوّر مراتب ومحال رفعته ومقامه .

1- في الخرائـج : 2/841 ، البحـار : 43/271 باب 12 خ39 : فقـال النبي صـلي الله عليه و آله : « إنّ للحسـين في بواطن المؤنين معرفة مكتومة » . وفي أمواج البكاء ترجمة سيد علي جمال أشرف : 17 : قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله : إنّ للحسين معرفة مكنونة في قلوب المؤمنين .

إنّكم لا تطيقون سماع فضائلنا

روي صاحب المناقب : قال : إنّ قوما أتوا إلي الحسين عليه السلام وقالوا : حدثنا بفضائلكم ، قال : لا تطيقون ، وانحازوا عنّي لأشير إلي بعضكم ، فإن أطاق سأحدثكم ، فتباعدوا عنه ، فكان يتكلّم مع أحدهم حتي دهش ووله ، وجعل يهيم ولا يجيب أحدا ، وانصرفوا عنه(1) .

قال صاحب المناقب : ويروي للحسين عليه السلام :

سبقت العالمين إلي المعالي

بحسن خليقة وعلو همّه

ولاح بحكمتي نور الهدي في

ليال في الضلالة مدلهمّه

يريد الجاحدون ليطفئوه

ويأبي اللّه إلا أن يتمّه(2)

أجل واللّه ، أرادوا أن يطفئوا ذلك النور المقدّس ، ولم يألوا جهدا في سبيل ذلك ، وبذلوا كلّ ما في وسعهم ، لكنّ إرادة اللّه التامة شاءت أن تبقي لمعات وإشراقات ذلك النور المهيمن متزايدة يوما بعد يوم .

أرادوا إمحاء اسمه ، فاشتهر وطار صيته وانتشر .

أرادوا أن يقطعوا نسله ، فكثروا حتي صاروا أكثر من أيّ طائفة أو أمّة أخري . .

أرادوا أن يقتلوه فيعفوا أثره ، ويمحو اسمه ، فمطرت السماء وتفجّرت الأرض دما حتي شهد الكون كلّه بحقّه وببطلان عدوّه .أرادوا أن يهدموا قبره ويطمسوا معالمه ، فتألّق وإرتفع بنيانه ، وإشتدّ عمرانه(3) .

وما كان ذلك كلّه إلاّ نتيجة محبّته للّه وصبره في سبيل اللّه ، ولهذا أحبّه اللّه ورسوله وأعزّاه .

1- المناقب : 4/51 ، بحار الأنوار : 44/183 باب 25 ح 11 .

2- المناقب : 4/72 ، بحار الأنوار : 44/194 باب 26 .

3- انظر أمواج البكاء ترجمة سيد علي جمال أشرف : 18 .

حبّ اللّه ورسوله صلي الله عليه و آله للحسين عليه السلام

إذا أردت أن تعرف محبّة اللّه ورسوله له عليه السلام فاستمع الي ما روي عن عائشة قالت : كان رسول اللّه صلي الله عليه و آله جائعا لا يقدر علي ما يأكل ، فقال لي : هاتي رداي ، فقلت : أين تريد ؟ قال : إلي فاطمة ابنتي ، فانظر إلي الحسن والحسين فيذهب بعض ما بي من الجوع .

فخرج حتي دخل علي فاطمة عليهاالسلام فقال : يا فاطمة أين ابناي ؟ فقالت : يا رسول اللّه خرجا من الجوع ، وهما يبكيان .

فخرج النبي صلي الله عليه و آله في طلبهما فرأي أبا الدرداء(1) ، فقال : يا عويمر ، هل رأيت ابنيّ ؟ قال : نعم يا رسول اللّه ، هما نائمان في ظلّ حائط بني جدعان .

فانطلق النبي صلي الله عليه و آله فضمّهما وهما يبكيان ، وهو يمسح الدموع عنهما ، فقال له أبو الدرداء : دعني أحملهما ، فقال : يا أبا الدرداء دعني أمسح الدموع عنهما ، فو الذي بعثني بالحقّ نبيا ، لو قطر قطرة في الأرض لبقيت المجاعة في أمّتي إلي يوم القيامة(2) . . .

وعن بعض الصحابة قال : رأيت النبي صلي الله عليه و آله يمصّ لعاب الحسين عليه السلام كما يمصّ الرجل السكرة ، وهو يقول : حسين منّي وأنا من حسين ، أحبّ اللّه من أحبّ حسينا ، وأبغض اللّه من أبغض حسينا ، حسين سبط من الأسباط ، لعن اللّه قاتله .

فنزل جبرئيل عليه السلام وقال : يا محمد إنّ اللّه قتل بيحيي بن زكريا سبعين ألفا من المنافقين ، وسيقتل بابن ابنتك الحسين سبعين ألفا ، وسبعين ألفا من المعتدين ، وإنّقاتل الحسين في تابوت من نار ، ويكون عليه نصف عذاب أهل الدنيا(3) . . .

1- في المتن : « أبا ذر » .

2- بحارالأنوار : 43/309 باب 12 .

3- بحار الأنوار : 45/314 باب 46 .

وروي عن أبي هريرة قال : خرج علينا رسول اللّه صلي الله عليه و آله ومعه الحسن والحسين ، هذا علي عاتقه وهذا علي عاتقه ، وهو يلثم هذا مرّة ، وهذا مرّة ، حتي انتهي إلينا ، فقال له رجل : يا رسول اللّه إنّك لتحبّهما ؟ فقال : من أحبّهما فقد أحبّني ، ومن أبغضهما فقد أبغضني(1) .

وروي عن أم سلمة قالت : إنّ الحسن والحسين دخلا علي رسول اللّه صلي الله عليه و آلهوبين يديه جبرئيل ، فجعلا يدوران حوله ، يشبّهانه بدحية الكلبي ، فجعل جبرئيل يومي بيده ، كالمتناول شيئا ، فإذا في يده تفاحة وسفرجلة ورمانة ، فناولهما ، وتهلّل

وجهاهما ، وسعيا إلي جدّهما ، فأخذ منهما ، فشمّهما ، ثم قال : صيرا إلي أمّكما بما

معكما ، وابدءا بأبيكما .

فصارا كما أمرهما ، فلم يأكلوا حتي صار النبي صلي الله عليه و آله إليهم ، فأكلوا جميعا ، فلم يزل

كلّما أكل منه عاد إلي ما كان ، حتي قبض رسول اللّه صلي الله عليه و آله .

قال الحسين عليه السلام : فلم يلحقه التغيير والنقصان أيام فاطمة بنت رسول اللّه حتي توفي ، فلمّا توفي فقدنا الرمان ، وبقي التفاح والسفرجل أيام أبي ، فلمّا استشهد أمير

المؤنين فقد السفرجل ، وبقي التفاح علي هيئته عند الحسن حتي مات في سمّه ، وبقيت التفاحة إلي الوقت الذي حوصرت عن الماء ، فكنت أشمّها إذا عطشت فيسكن لهب عطشي ، فلمّا اشتد عليّ العطش عضضتها ، وأيقنت بالفناء .

قال علي بن الحسين عليهماالسلام : سمعته يقول ذلك قبل مقتله بساعة ، فلمّا قضي نحبه وجد ريحها في مصرعه ، فالتمست ولم ير لها أثر ، فبقي ريحها بعد الحسين ، ولقد زرت قبره فوجدت ريحها تفوح من قبره ، فمن أراد ذلك من شيعتنا الزائرين للقبرفيلتمس ذلك في أوقات السحر ، فإنّه يجده إذا كان مخلصا(2) .

1- بحار الأنوار : 43/281 باب 12 .

2- المناقب : 3/391 ، بحار الأنوار : 45/91 ح31 .

ولنعم ما قال السيد الجليل السيد محمد مهدي رحمه الله :

يوم بنو المصطفي الهادي ذبائحه

والفاطميات أسراء نوائحه

وسبط أحمد عار بالعراء لقي

مرمّل بالدما جرحي جوارحه

فوق القنا رأسه يهدي لكاشحه

فنال أقصي مناه منه كاشحه

كم هام عزّ وأيد للسماح وكم

أقدام سبق بها طاحت جوانحه

وكم حريم لأهل بيت محترم

قد استحلّ وكم صاحت صوائحه

مصاب خامس أصحاب الكساء وهم

أهل العزاء بهم حلّت فوادحه

لم ينس قطّ ولا الذكري تجدّده

أوري بزند الأسي للحشر قادحه

كيف السكون عن المكسور منفردا

من غير نسوته خلّوا مطارحه

يلقي الأعادي بقلب منه منقسم

بين الخيام وأعداء تكافحه

واللحظ كالقلب عين نحو نسوته

ترنو وعين لقوم لا تبارحه

لهفي عليه وقد مال الطغاة الي

نحو الخيام وخاض النقع سانحه

قال اقصدوني بنفسي واتركوا حرمي

قد حان حيني وقد لاحت لوائحه

محمد وآل محمد عليهم السلام الواسطة في خلق جمع المخلوقات

اعلم ، أنّ من الواضحات أنّ محمدا وآل محمد صلي الله عليه و آله هم الواسطة في خلق جميع المخلوقات والسبب في نزول الرحمة والبركات من خالق البريات الي كلّ الممكنات .

فالمقصود من خلق العالم هو إيجادهم ، وأول ما خلق اللّه نور محمد صلي الله عليه و آله ، ثم خلق العالم كلّه من شعاع نوره صلي الله عليه و آله ، وكلّ رحمة لا تنزل الي الخلق إلاّ أن تنزل عليه أولاً ثم تصل منه الي الخلق ، فبهم ينزل اللّه الغيث ، وبهم ينبت الشجر ، وبهم تضي ءالشمس والقمر ، وبهم تقوم السماء(1) .

1- انظر فرائد السمطين : 2/319 .

بل هم مظاهر الأسماء الإليهة الحسني ، وإنّما قام العالم كلّه بالاسم الأعظم ، ولذا قيل : بني الوجود علي الاسم الأعظم ، فإذا حرّك حرّك جميع العالم .

والحسين بن علي عليهماالسلام مظهر اسم اللّه ، اللّهم إنّي أسألك باسمك الذي أشرقت به السماوات والأرض ، وباسمك الذي يصلح به الأولون والآخرون .

بنورهم عليهم السلام خرجت السماء والأرض من مكمن الخفاء الي عالم الظهور والوجود ، وبنورهم أضاءت الدنيا وأشرق العالم ، وبهم صلح الأولون والآخرون ، وهم الرحمة الإلهية الواسعة التي وسعت كلّ شيء ، وهم كلمات اللّه التامة .

إلهي فما آية للّه أكبر منهم

فهم آية من دونهم كلّ آية

وما نعمة إلاّ وهم أولياؤها

فهم نعمة منها أتت كلّ نعمة

لهم خلق اللّه العوالم كلّها

وحكمهم فيها بها من خليفة

سري سرّهم في الكائنات جميعها

فمن سرّهم لم يخل مثقال ذرّة

المصيبة التي لم يطق الأنبياء عليهم السلام سماعها

ومن هنا يعرف مدي تأثير مصيبة سيد الشهداء عليه السلام في الحجر والمدر ، والبر والبحر ، والجماد والنبات ، والسماء والأرض ، بل كان المفروض أن تطوي السماوات ، وتبيد الأرضين ، لولا أنّ حكمة اللّه البالغة شاءت أن لا نهدم نظام الكون ، ويبقي العالم بوجود خليفته العليل المألوم سيد الساجدين وزين العابدين علي بن الحسين عليهماالسلام !

وبالرغم من أنّ العالم لم يفن ، ونظام الكون لم ينهدم ، إلاّ أنّ الإضطراب والتزلزل والهزات بلغت به الغاية ، بحيث كاد ينتهي كلّ شيء بالمرّة ، فتدكدكت الجبال ،وتلاطمت البحار ، وهاجت الأمواج ، وانخسف القمر ، وانكسفت الشمس ، ومطرت السماء دما وترابا أحمر ، وجرت الدماء من الأرض ، من شجرة في الهند ، وحمرة الأفق ، وشجرة قزوين ، وصخرة مسجد الحسين في حماة ، ومسجد النقطة

علي بعد فرسخ من الموصل ، وجريان الدم من عيني تمثال الأسد في الروم يوم عاشوراء وليلته ، كلّ ذلك جري في مصيبة فخر الأنام ، ولا زالت الشواهد تتري الي هذا الزمان .

أجل واللّه ، إنّها لمصيبة ما أعظمها ! حتي أنّ الأنبياء والمرسلين لم يطيقوا سماعها ، والأوصياء والصديقين لم يتحملوا عشر معشار تلك البلايا .

فلمّا سمع آدم عليه السلام بمصيبته بكي عليه بكاء الثكلي ، وصغّر عند رزيته جميع الرزايا .

ولمّا سمع نوح رفع صوته بالبكاء عاليا ونادي بالويل .

ولمّا رأي إبراهيم ملكوت السماوات ، ونظر الي العرش الأعظم ، رأي خمسة أنوار مقدّسة محدقة به ، فقال إبراهيم : يا ربّ ما لي كلّما نظرت الي هذه الأنوار المقدّسة المحيطة بالعرش الأعظم سررت وفرّج همّي ، وإذا نظرت الي النور الخامس هجم عليّ الغم والهم ؟ فجاء النداء : يا إبراهيم ، إنّك لا تعلم ما ينزل بصاحب هذا النور المقدّس من المصائب والمحن ، فإنّه المظلوم .

فلمّا سمع إبراهيم بعض المصائب التي تجري عليه بكي وقال : إنّي سقيم ، ولم يهنيء بعده بعيش أبدا .

روي عن الصادق عليه السلام في قول اللّه – عزّ وجلّ – « فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ فَقَالَ

إِنِّي سَقِيمٌ » ، قال : حسب فرأي ما يحلّ بالحسين عليه السلام ، فقال : إنّي سقيم لما يحلّ بالحسين(1) عليه السلام .نعم ، مصاب الحسين عليه السلام يمرض أولياء اللّه ، ويسقم أنبياؤه عليهم السلام ، ولا أدري لماذا لا يسقم شيعته ؟ ولماذا لا يبكون عليه بدل الدموع دما ؟

1- الكافي : 1/456 ح5 ، بحار الأنوار : 44/220 باب 28 ح12 .

ولمّا سمع زكريا تأويل « كهيعص » وأُخبر بخبر كربلاء ، وأنّ « الكاف » اسم كربلاء ، و« الها »ء هلاك العترة الطاهرة ، و« الياء » يزيد ، وهو ظالم الحسين ، و« العين » عطشه ، و« الصاد » صبره . . لم يفارق مسجده ثلاثة أيام ، ومنع فيهن الناس من الدخول عليه ، وأقبل علي البكاء والنحيب ، وكان يرثيه : إلهي أتفجع خير جميع خلقك بولده ؟ إلهي أتنزل بلوي هذه الرزية بفنائه ؟ إلهي أتلبس عليا وفاطمة ثياب هذه المصيبة ؟ إلهي أتحلّ كربة هذه المصيبة بساحتهما .

ثم كان يقول : إلهي ارزقني ولدا تقرّ به عيني علي الكبر ، فإذا رزقتنيه فافتني بحبّه ، ثم أفجعني به كما تفجع محمدا حبيبك بولده(1) . .

وسمع إسماعيل صادق الوعد بعض تلك المصائب العظمي فدعا اللّه أن يرزقه التأسي بتلك المصائب .

فلمّا بعثه اللّه إلي قومه كذبوه وقتلوه وسلخوا وجهه ، فغضب اللّه عليهم له ، فوجه إليه سطاطائيل ملك العذاب ، فقال له : يا إسماعيل ، أنا سطاطائيل ملك العذاب ، وجهني ربّ العزّة إليك لأعذب قومك بأنواع العذاب إن شئت ، فقال له إسماعيل : لا حاجة لي في ذلك يا سطاطائيل(2) إنّي أحبّ أن أكون مظلوما كالحسين عليه السلام . .

ولمّا إلتقي موسي بالخضر عليهماالسلام قال له الخضر : ما الذي جاء بك ؟ قال : جئت لأتعلم ممّا علمت رشدا ، قال : إنّك لن تستطيع معي صبرا ، ثم حدثه عن آل محمد صلي الله عليه و آله وعن بلائهم وعمّا يصيبهم ، فبكيا حتي إشتدّ بكاؤهما . ثم حدّثه عنفضائل محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وبلائهم وما يعوّضهم اللّه عن ذلك ، فقال موسي عليه السلام : اللّهم إجعلني من أمة محمد(3) .

1- بحار الأنوار : 44/223 باب 30 .

2- بحار الأنوار : 44/237 باب 30 .

3- بحار الأنوار : 13/301 ح21 .

ولمّا دفعت مريم إبنها عيسي الي الرجل الصباغ فأعطاه الكرابيس والخيوط ليصبغها - وكان عيسي طفلاً - جعلها كلّها في إناء واحد وصبغها جميعا بلون السواد ، ولم يكن إختياره لهذا اللون إلاّ حزنا علي مصيبة سيد الشهداء الحسين عليه السلام ، لأنّ عيسي وإن كان صغيرا إلاّ أنّه كان في المهد نبيا ، فلا يتصوّر في حقّه أنّه يفعل فعلاً عبثيا(1) .

أجل ، بكي كلّ ما في الكون من سماوات وأرضين ، والعرش والكرسي واللوح والقلم ، والجنّة والنار ، والحور والولدان ، ورضوان ومالك ، والثري وما تحت الثري ، والطبيعة والنفس والمادة ، وما يُري وما لا يُري ، إضطربت كلّها وبكت علي عظيم رزية فخر بني آدم ، ومواساة للعقل الكل ، وكلّ العقل ، وقطب الأقطاب ، محمد بن عبد اللّه صلي الله عليه و آله .

بل نقل عن بعض العرفاء : أنّ كلّ بكاء بالحقّ إنّما هو بكاء علي حضرته ، وأنّ كلّ حجر يخرّ من جبل إنّما يخرّ لمصيبته ، وأنّ بكاء الأطفال في المهد بكاء علي بليته ، وحزنا علي ظليمته . .

من غمّه أمواج البحار . . ومن همّه العظيم غبار الصحاري والقفار . . ومن كربه تساقط الأوراق وإصفرار الأشجار . . ومن إنكسار قلبه الحزين إنكسار كلّ حائط وجدار . . ومن قطع وتين قلبه المملوء بالحسرات والآهات أصوات الرعد في السموات . . والأمطار دموع السحاب علي تلك الآهات . .وهذا المعني وإن كان يبدو للذهن بعيدا ، إلاّ أنّه في نظر أهل البصيرة والمعرفة ليس كذلك ، لأنّ جميع الممكنات تخلّعت بخلعة الوجود بواسطتهم ، وكلّ ما

1- انظر بكاء الأنبياء عليهم السلام علي مصيبة الإمام الحسين عليه السلام في بحار الأنوار : 223 وما بعدها باب 30 باب إخبار اللّه تعالي أنبياءه ونبينا صلي الله عليه و آله بشهادته .

في الكون إنعكاس عن شعاع وجودهم ، فبهم تنزل الرحمة ، فإذا عرضت عليهم بلية ورزية عرضت علي العالم كلّه ، وقد ورد عنهم : نحن محالّ مشيئة اللّه (1) .

ولكنّ المنافقين ليسوا من أهل البيت عليهم السلام ، وإن كان وجودهم من وجودهم ، إلاّ أنّهم من قبيل الظلّ ، فالظلّ ليس من الشمس ، وإن كان بسببها .

وعلي العكس تماما الشيعة ، فإنّهم من أهل البيت عليهم السلام كالشعاع للشمس ، ومن البديهي أن ينكسف الشعاع إذا كسفت الشمس ، ويصفو الشعاع إذا صفت الشمس .

ولمّا كان الحسين بن علي عليهماالسلام مظهر الخضوع والخشوع ، فكلّ ما الكون من خضوع وخشوع فهو منه وله ، فلا مانع من أن تبدو تلك الآثار قبل وقوع الحادثة ، وقد إتفقت الأخبار علي أن كلّ الموجودات ، وكلّ شيء بكي عليه ، وبكاء كلّ شيء بحسبه .

كلّ انكسار وخضوع به

وكلّ صوت فهو نوح الهوا

ما في الوجود معجم أو ناطق

إلاّ عرته حيرة في استوي

فطبّق الدنيا مصاب هوي

لما سيأتي أبدا أو أتي

وكلّ رطب ينتهي ذابلاً

وذي قوام يعتريه النوا

أما تري النخلة في قبة

ذات انفطار وانفراج فشا

ما سعفة فيها انتهت أخبرت

إلاّ حزن إمامي شوي

أما تري الأثل وأهدابه

عند الرياح ذا حنين علا

أما تري الآفاق مغبرّة

والشمس حمراء بكرة أو مسا

أما سمعت الرعد يبكي له

والبرق والسحب بقطر همي

أما تري النحل له رنّة

في طيرانه شديد البكا

فكلّ بقعة بها قبره

وكربلا كلّ مكان تري

1- بحار الأنوار : 25/43 .

وكلّ يوم يومه دائما

تغصّ شرب الماء علي من دعي

والسيف يفري نحره باكيا

والرمح ينعي قائما وانثني

تبكيه جرد جاريات علي

جثمانه وأن تدقّ القري

واللّه ما رأيت شيئا بدا

في الكون الاّ ببكاء تلا

تأثير مصيبة الإمام الحسين عليه السلام في الأشياء

اعلم ، أنّ كلّ شيء بكي علي الحسين عليه السلام ، كما هو صريح الأخبار(1) ، ولا يشترط في البكاء أن يكون بجريان الدموع من العين ظاهرا ، كما قال الحقّ تعالي : « وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ » .

فلا يشترط إذن أن يري بكاء كلّ شيء بالعين ، ولكن الروايات صرّحت بأنّ كلّ شيء بكي عند شهادته عليه السلام بكاءا ظاهرا ، فالسماء والأرض بكتا عليه بالدماء ، وجرت الدماء من الأشجار ، وقد اشتهر قصة الشجرة الدامية في قزوين ، وقد نقل الثقاة عن جريان الدم منها كلّ سنة يوم عاشوراء ، حتي أنّهم إذا غمّ عليهم الشهر واشتبه ، عرفوا يوم العاشر من بكائها ، وهي شجرة يقال : أنّها كانت منذ زمن شهادته عليه السلام فبكت ذلك اليوم كسائر الأشجار ، وبقيت الي اليوم(2) .

روي ابن شهرآشوب عن سفيان بن عيينة قال : حدثتني جدّتي أنّ رجلاً ممّن شهد قتل الحسين عليه السلام كان يحمل ورسا ، فصار ورسه دما ، ورأيت النجم كان فيهالنيران يوم قتل الحسين عليه السلام ، يعني بالنجم النبات(3) .

1- انظر بحار الأنوار : 45/220-241 .

2- وهي لا زالت الي يوم ا لناس هذا - ونحن في سنة 1427 للهجرة النبوية الشريفة - يقصدها آلاف الناس قبل يوم أو يومين من عاشوراء ويشاهدون الدماء تسيل منها يوم العاشر من محرم الحرام ، وقد ألفوا فيها كتبا ذكرها العلامة آقا بزرگ الطهراني في ذريعته ، كما صوّروها في السنوات الأخيرة وأعدّوا عنها تقارير مصوّرة كثيرة .

3- المناقب : 4/55 .

وقال بعض مشايخ العامة في شرح الوجيز : إنّ يوم قتله قطرت السّماء دماً ، وإنّ هذه الحمرة الّتي تري في السّماء ظهرت يوم قتل الحسين عليه السلام ، ولم تر قبله أبداً ، وإنّ يوم قتله لم يرفع حجر من الدّنيا إلاّ وجد تحته دم عبيط ، وإنّ الملاحف صبغها الدم ، وكانوا يغسلونها فلا تذهب الحمرة منها .

روي ابن شهرآشوب عن نضرة الأزدية قالت : لمّا قتل الحسين عليه السلام أمطرت السماء دما ، وحبابنا وجرارنا صارت مملوءة دما(1) .

لقد بكت الملائكة المقرّبون في مصيبة ، وتضرّعوا الي اللّه ، واستغاثوا . .

روي عن أبي بصير قال : كنت عند أبي عبد اللّه عليه السلام وأحدّثه ، فدخل عليه ابنه ، فقال له : مرحبا ، وضمّه وقبّله ، وقال : حقّر اللّه من حقّركم ، وانتقم ممّن وتركم ، وخذل اللّه من خذلكم ، ولعن اللّه من قتلكم ، وكان اللّه لكم وليّا وحافظا وناصرا ، فقد طال بكاء النساء وبكاء الأنبياء والصديقين والشهداء وملائكة السماء .

ثم بكي وقال : يا أبا بصير ، إذا نظرت إلي ولد الحسين عليه السلام أتاني ما لا أملكه بما أتي إلي أبيهم وإليهم .

يا أبا بصير ، إنّ فاطمة لتبكيه ، وتشهق فتزفر جهنم زفرة لولا أنّ الخزنة يسمعون بكاءها ، وقد استعدّوا لذلك مخافة أن يخرج منها عنق ، أو يشرد دخانها ، فيحرق أهل الأرض ، فيكبحونها ما دامت باكية ، ويزجرونها ويوثقون من أبوابها مخافة علي أهل الأرض ، فلا تسكن حتي يسكن صوت فاطمة ، وإنّ البحار تكاد أن تنفتق ، فيدخل بعضها علي بعض ، وما منها قطرة إلاّ بها ملك موكّل ، فإذا سمعالملك صوتها أطفأ نارها بأجنحته ، وحبس بعضها علي بعض مخافة علي الدنيا ، ومن فيها ، ومن علي الأرض .

1- المناقب : 4/54 .

فلا تزال الملائكة مشفقين يبكون لبكائها ، ويدعون اللّه ، ويتضرّعون إليه ، ويتضرّع أهل العرش ومن حوله ، وترتفع أصوات من الملائكة بالتقديس للّه مخافة علي أهل الأرض ، ولو أنّ صوتا من أصواتهم يصل إلي الأرض ، لصعق أهل الأرض ، وتقلّعت الجبال ، وزلزلت الأرض بأهلها .

قلت : جعلت فداك ، إنّ هذا الأمر عظيم !

قال : غيره أعظم منه ما لم تسمعه . ثم قال : يا أبا بصير ، أما تحبّ أن تكون فيمن يسعد فاطمة ؟ !

فبكيت حين قالها ، فما قدرت علي المنطق ، وما قدرت علي كلامي من البكاء ، ثم قام إلي المصلّي يدعو ، وخرجت من عنده علي تلك الحال(1) . .

وأعظم من ذلك ، أنّ مصيبة هذا المظلوم قد أثّرت في أهل دار السرور ، وهدمت أركانهم ، وهدّت قواهم ، والحال أنّ اللّه لم يخلق الحزن والكدر والغم والهم في عالم الجنان ، ودار الخلد والسرور والإمتنان ، بيد أنّ سكان دار السرور غمرهم الحزن والثبور ، وعمّهم الهم والغم جرّاء تلك المصيبة العظمي ، والرزية الكبري .

قال الإمام صاحب الأمر في زيارة الناحية : يا جدّ ، وأُقيمت لك المآتم في أعلا عليين ، ولطمت عليك الحور العين(2) .

وفي زيارته في الأول من رجب والنصف من شعبان : . . أشهد لقد اقشعرّت لدمائكم أظلّة العرش مع أظلّة الخلائق ، وبكتكم السماء والأرض ، وسكّانالجنان ، والبرّ والبحر(3) . .

1- كامل الزيارات : 82 الباب 26 ح7 ، بحار الأنوار : 45/208 باب 40 ح14 .

2- بحار الأنوار : 101/320 .

3- بحار الأنوار : 101/337 ح1 .

وذكر أظلّة العرش وأظلّة الخلائق إشارة الي تأثير هذه المصيبة في المجردات أيضا ، فالأظلّة تعبير مصطلح استعمل في الأخبار في المجردات ، باعتبارها شيء لا كالأشياء ، ففي الحديث قال الرواي : . . فَقُلْتُ : وَأَيُّ شَيْءٍ الظِّلالُ ؟ قَالَ : أَلَمْ تَرَ إِلَي ظِلِّكَ فِي الشَّمْسِ ، شَيْءٌ وَلَيْسَ بِشَيْءٍ(1) . .

فالجنة وإن لم تكن محلاّ للحزن ، بيد أنّها خلقت - كما ورد الروايات والأخبار - من نور الحسين البهيج المطهر(2) ، فكلّ ما فيها من حسن وبهاء ، وجمال وسناء ،

1- الكافي : 1/436 .

2- في الفضائل : 128 في ذكر اللوح المحفوظ الذي نزل به وبحار الأنوار : 54/192 : وممّا رواه ابن مسعود قال : دخلت يوما علي رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، فقلت : يا رسول اللّه أرني الحقّ لأتصل به ، فقال : يا عبد اللّه لج المخدع ، قال : فولجت المخدع ، وعلي بن أبي طالب يصلّي ، وهو يقول في ركوعه وسجوده : اللّهم بحقّ محمد عبدك ورسولك اغفر للخاطئين من شيعتي ، فخرجت حتي أخبر به رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، فرأيته وهو يصلّي ويقول : اللّهم بحقّ علي بن أبي طالب عليه السلام عبدك اغفر للخاطئين من أمّتي ، قال : فأخذني هلع حتي غشي عليّ ، فرفع النبي صلي الله عليه و آله رأسه وقال : يا ابن مسعود ، أكفرا بعد إيمان ؟ ! فقلت : حاشا وكلا يا رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، ولكني رأيت عليا يسأل اللّه تعالي بك ورأيتك تسأل اللّه به ، فلم أعلم أيّكم أفضل عند اللّه ، فقال صلي الله عليه و آله لي : اجلس ، فجلست بين يديه ، فقال لي : إعلم أنّ اللّه تعالي خلقني وخلق عليا من نور عظمته قبل أن يخلق الخلق بألفي عام ، إذ لا تقديس ولا تسبيح ، ففتق نوري ، فخلق منه السماوات والأرض ، وأنا واللّه أجلّ من السماوات والأرض ، وفتق نور علي بن أبي طالب عليه السلام ، فخلق منه العرش والكرسي ، وعلي بن أبي طالب أفضل من العرش والكرسي ، وفتق نور الحسن ، فخلق منه اللوح والقلم ، والحسن أفضل من اللوح والقلم ، وفتق نور الحسين ، فخلق منه الجنان والحور العين ، والحسين واللّه أجلّ من الجنان والحور العين ، ثم أظلمت المشارق والمغارب ، فشكت الملائكة إلي اللّه تعالي أن يكشف عنهم تلك الظلمة ، فتكلّم اللّه - جلّ جلاله - بكلمة ، فخلق منها روحا ، ثم تكلّم بكلمة فخلق من تلك الروح نورا ، فأضاف النور إلي تلك الروح ، وأقامها أمام العرش ، فزهرت المشارق والمغارب ، فهي فاطمة الزهراء ، ولذلك سميت الزهراء ، لأنّ نورها زهرت به السماوات ، يا ابن مسعود ، إذا كان يوم القيامة يقول اللّه - جلّ جلاله - لعلي بن أبي طالب ولي : أدخلا الجنّة من شئتما ، وأدخلا النار من شئتما ، وذلك قوله تعالي « أَلْقِيا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفّارٍ عَنِيدٍ » ، فالكافر من جحد نبوتي ، والعنيد من جحد ولاية علي بن أبي طالب ، فالنار أمده ، والجنّة لشيعته ومحبيه .

وحبور وسرور ، وضياء وهناء ، إنّما هو من الحسين عليه السلام ، أمل العاصين ، وشفيع المذنبين ، فكيف يمكن أن يكون الحسين المظلوم عليه السلام حزينا ولا تكون هي حزينة ؟وكيف يكون الحسين عليه السلام ذابلا ولا تكون هي كذلك ؟ وكيف ينادي الحسين عليه السلام من

أعماقه الملتهبة بلظي الظمأ : وا عطشاه ، وتبقي هي مسرورة محبورة ؟ وكيف يبقي الحسين عليه السلام عاريا علي الرمضاء ، وتبقي هي منعمة علي الأرائك والإستبرق والحرير ؟

لا يكون ذلك كذلك ، لا واللّه ، بل بدّلوا دار السرور الي دار الحزن والمواساة ، فلطمت عليه الحور .

روي عن النبي صلي الله عليه و آله قال : رأيت في الجنّة قصرا من درّة بيضاء ، لا صدع فيها ولا وصل ، فقلت : حبيبي جبرئيل ، لمن هذا القصر ؟ قال : للحسين ابنك ، ثم تقدّمت أمامه ، فإذا أنا بتفاح ، فأخذت تفاحة ففلقتها ، فخرجت منها حوراء كأنّ مقاديم النسور أشفار عينيها ، فقلت : لمن أنتِ ؟ فبكت ، ثم قالت : لابنك الحسين(1) .

[ابرزن من وسط الجنان صوارخا

يندبن سبط محمد المفضالا

ولطمن منهن الخدود وكشّفت

منها الوجوه وأعلنت إعوالا

وخمشن منهن الوجوه لفقد من

نادي مناد في السماء وقالا

قتل الإمام ابن الإمام بكربلا

ظلما وقاسي منهم الأهوالا]

أجل ، ما أعظمها من مصيبة ، وما أجلّها من رزية !

هذا مصاب الذي جبريل خادمه

ناغاه في المهد إذ نيطت تمائمه

سبط النبي أبو الأطهار والده ال-

-كرار مولي أقام الدين صارمه

صنو الزكيّ جنا البتول له

أقسومة ليس فيها من يقاسمه

ص: 341

1- المناقب : 4/75 ، بحار الأنوار : 43/298 باب 12 .

مطهّر ليس يغشي الريب ساحته

وكيف يغشي من الرحمن صارمه

للّه طهر تولّ اللّه عصمته

أرداه رجس عظيمات جرائمه

للّه مجد سما الأفلاك رفعته

ماذا العلي عندما مادت دعائمه

ضيف ألم بأرض وردها شرع

قفي بها وهو ظامي القلب هائمه

لهفي علي ماجد أربت أناملة

علي السحاب غدا سقياه خاتمه

لهفي علي الآل صرعي فيالطفوف وما

غير العليل بذاك اليوم سالمه

أقثم يوم به جمّت ملاحمهم

ثم انجلي وبه قتلي غنائمه

حزن طويل أبي أن ينجلي أبدا

حتي يقوم بأمر اللّه قائمه

المصيبة العظمي

اعلم يا عزيزي ، أنّ يوم مقتل الحسين عليه السلام أنحس يوم في الدهر ، ما مضي منه وما يأتي ، يوم ليس كمثله يوم ، وليس في التاريخ يوم أعظم ولا أصعب ولا أشدّ مرارة منه علي الأولياء .

قال الرضا عليه السلام : إنّ المحرم شهر كان أهل الجاهلية يحرمون فيه القتال ، فاستحلّت فيه دماؤا ، وهتكت فيه حرمتنا ، وسبي فيه ذرارينا ونساؤا ، وأضرمت النيران في مضاربنا ، وانتهب ما فيها من ثقلنا ، ولم ترع لرسول اللّه صلي الله عليه و آلهحرمة في أمرنا ، أنّ يوم الحسين أقرح جفوننا ، وأسبل دموعنا ، وأذلّ عزيزنا بأرض كرب وبلاء ، أورثتنا الكرب والبلاء إلي يوم الإنقضاء .

فعلي مثل الحسين عليه السلام فليبك الباكون ، فإنّ البكاء عليه يحطّ الذنوب العظام .

ثم قال عليه السلام : كان أبي إذا دخل شهر المحرم لا يري ضاحكا ، وكانت الكآبة تغلب عليه ، حتي يمضي منه عشرة أيام ، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه ، ويقول : هو اليوم الذي قتل فيه الحسين صلّي اللّه عليه(1) .

1- الأمالي للصدوق : 128 المجلس 27 ، بحار الأنوار : 44/283 باب 34 ح17 .

وروي الكليني رحمه الله بإسناده عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ قَالَ : سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِ اللّهِ عليه السلام عَنْ صَوْمِ

تَاسُوعَاءَ وَعَاشُورَاءَ مِنْ شَهْرِ الْمحَرَّمِ ؟

فَقَالَ : تَاسُوعَاءُ يَوْمٌ حُوصِرَ فِيهِ الْحُسَيْنُ عليه السلام وَأَصْحَابُهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بِكَرْبَلاءَ ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ خَيْلُ أَهْلِ الشَّامِ ، وَأَنَاخُوا عَلَيْهِ ، وَفَرِحَ ابْنُ مَرْجَانَةَ وَعُمَرُ بْنُ سَعْدٍ بِتَوَافُرِ الْخَيْلِ وَكَثْرَتِهَا ، وَاسْتَضْعَفُوا فِيهِ الْحُسَيْنَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، وَأَصْحَابَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَأَيْقَنُوا أَنْ لاَ يَأْتِيَ الْحُسَيْنَ عليه السلام نَاصِرٌ ، وَلاَ يُمِدَّهُ أَهْلُ الْعِرَاقِ .

بِأَبِي الْمُسْتَضْعَفُ الْغَرِيبُ .

ثُمَّ قَالَ : وَأَمَّا يَوْمُ عَاشُورَاءَ ، فَيَوْمٌ أُصِيبَ فِيهِ الْحُسَيْنُ عليه السلام صَرِيعاً بَيْنَ أَصْحَابِهِ ، وَأَصْحَابُهُ صَرْعَي حَوْلَهُ عُرَاةً ، أَفَصَوْمٌ يَكُونُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ؟ ! كَلاَّ وَرَبِّ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، مَا هُوَ يَوْمَ صَوْمٍ ، وَمَا هُوَ إِلاَّ يَوْمُ حُزْنٍ وَمُصِيبَةٍ دَخَلَتْ عَلَي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الأَرْضِ ، وَ جَمِيعِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَيَوْمُ فَرَحٍ وَسُرُورٍ لابْنِ مَرْجَانَةَ ، وَآلِ زِيَادٍ ، وَأَهْلِ الشَّامِ ، غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَعَلَي ذُرِّيَّاتِهِمْ .

وَذَلِكَ يَوْمٌ بَكَتْ عَلَيْهِ جَمِيعُ بِقَاعِ الأَرْضِ خَلاَ بُقْعَةِ الشَّامِ ، فَمَنْ صَامَهُ أَوْ تَبَرَّكَ بِهِ حَشَرَهُ اللَّهُ مَعَ آلِ زِيَادٍ ، مَمْسُوخَ الْقَلْبِ ، مَسْخُوطٌ عَلَيْهِ ، وَمَنِ ادَّخَرَ إِلَي مَنْزِلِهِ ذَخِيرَةً أَعْقَبَهُ اللَّهُ تَعَالَي نِفَاقاً فِي قَلْبِهِ إِلَي يَوْمِ يَلْقَاهُ ، وَانْتَزَعَ الْبَرَكَةَ عَنْهُ وَعَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَوُلْدِهِ ، وَشَارَكَهُ الشَّيْطَانُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ(1) .

وروي عن عبد اللّه بن سنان قال : دخلت علي سيدي أبي عبد اللّه جعفر بن محمد عليهماالسلام في يوم عاشوراء ، فألفيته كاسف اللّون ، ظاهر الحزن ، ودموعه تنحدر من عينيه كاللؤلؤالمتساقط ، فقلت : يا ابن رسول اللّه ، ممّ بكاؤ ؟ لا أبكي اللّه عينيك . فقال لي : أو في غفلة أنت ؟ ! أما علمت أنّ الحسين بن علي عليهماالسلام أصيب في مثل هذا اليوم ؟ !

1- الكافي : 4/147 ح7 .

قلت : يا سـيدي ، فما قولك في صومه ؟ فقال لي : صمه من غير تبييت ، وافطره من غير تشميت ، ولا تجعله يوم صوم كملاً ، وليكن إفطارك بعد صـلاة العصـربساعة علي شربة من ماء ، فإنّه في مثل ذلك الوقت من ذلك اليوم تجلّت الهيجاء عن آل رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، وانكشفت الملحمة عنهم ، وفي الأرض منهم ثلاثون صريعا في مواليهم ، يعزّ علي رسول اللّه مصرعهم ، ولو كان في الدنيا يومئذ حيّا لكان – صلوات اللّه عليه وآله – هو المعزّي بهم ، قال : وبكي أبو عبد اللّه عليه السلام حتي أخضلّت لحيته بدموعه(1) .

أجـل واللّه ، لو كان رسول اللّه صـلي الله عليه و آله حاضـرا لقعـد عليهم للعزاء ، بل كان يلبس علي ولـده العزيز الحبيب ملابس الحزن ، ونادي من صميم قلبه : وا حسنياه .

فوا عجبا من مصـيبة ما أعظمها ، وبليّة ما أمرّها وأوجعها وأقرحها ، قتل أبو عبد اللّه عليه السـلام وعترته ، وسبي نساؤه وصبيته ، وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان .

فيا ليت لرسول اللّه صـلي الله عليه و آله عينا تنظر الي بناته وبنيه ، وهم ما بين مقتول يجري عليه الصديد ، وأسـير مكبّل بالحديد ، وبين من تخمش وجهها بيديها ، ومن ينزع قرطها من أذنيها ، وبين من يسـتجير فلا يجار ، ويسـتغيث فلا يغاث ، ويستنصـر فلا ينصر ، ويستعين فلا يعان .

فكم من نداء : وا جدّاه ، ووا عليّاه ، ووا حسناه ، قد علا في أرض كربلاء . . وكم من استغاثة : وا مغيثاه ، ووا مجيراه ، ووا هاشماه ، قد رفعت في أرض نينوي .

فوا أسـفاه ، أين الحسين ؟ وأين أبناء الحسين ؟ وأين إخوان الحسين ؟ عزيز عليّ يا أبا عبد اللّه ، أن تكون عطشانا فلا تروي ، ونظرت بالحسرة علي بناتك العطشـي ، وسكب دمعتك علي ذراريك القتلي ، فرمقت بعينك الي ذراريك بلا حمي . . ألم يكن لصوتك راحما ؟ ولتضرّعك سامعا ؟ أفلم يبق حبيب ؟ ولدعوتك مجيب ؟

1- بحار الأنوار : 45/63 الباب 37 ح3 .

فيا مؤمنا في زعمه متشيّعا

ولا مؤمن إلاّ الذي قد تشيّعا

أتفرح في يوم به ذبح العدي

إمامك فاعفر عفر خدّيك لاكعا

ويألف في عاشور جنبك مضجعا

وترب الفلا أضحي لمولاك مضجعا

أيضحك منك الثغر من بعد أن غدا

به ثغر مولاك الحسين مقرّعا

أينهب فيه رحل آل محمد

وبيتك فيه لا يزال موسّعا

فيا ليت سمعي صمّ عن ذكر قتله

ويا ليت لم يخلق لي اللّه مسمعا

سأبكي دما بعد الدموع لفقده

وإن لم يكن يترك بي الحزن مدمعا

عاشوراء يوم حزن وهموم

اعلم ، أنّ هذا اليوم يوم مصيبة ، وأيّ مصيبة ! لقد جلّت وعظمت مصيبته علي أهل الأسلام ، وجلّت وعظمت رزيته في السماوات والأرضين ، فيا لها من بلية عرضت علي العالم ! ويا له من فساد ساد علي بني آدم !

أقسم باللّه أنّ هذا اليوم ترك في قلوب المؤمنين جمرة لا تخمد أبدا ، وجرحا في صدور الشيعة لا يندمل أبدا . . وأفضل عمل في هذا اليوم ، بل في سائر الأيام ، البكاء علي الحسين عليه السلام .

روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال : من ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء قضي اللّه له حوائج الدنيا والآخرة ، ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه جعل اللّه – عزّ وجلّ – يوم القيامة يوم فرحه وسروره ، وقرّت بنا في الجنان عينه ، ومن سمّي يوم عاشوراء يوم بركة ، وادّخر فيه لمنزله شيئا لم يبارك له فيما ادّخر ، وحشر يوم القيامة مع يزيد وعبيد اللّه بن زياد وعمر بن سعد – لعنهم اللّه – إلي أسفل درك من النار(1) .

فواعجبي من قلب لا يحزن ، ومن عين لا تبكي !

ص: 345

1- الأمالي للصدوق : 129 المجلس 27 ح4 ، بحار الأنوار : 44/284 باب 34 ح18 .

روي عن حسن بن خارجة عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال : كنّا عنده فذكرنا الحسين بن علي – عليه السلام وعلي قاتله لعنة اللّه – ، فبكي أبو عبد اللّه الصادق عليه السلاموبكينا ،قال : ثم رفع رأسه فقال : قال الحسين بن علي عليهماالسلام : أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤن

إلاّ بكي(1) .

فليس بمؤمن من سمع هذه المصائب ولم يبكي ولم تدمع عينه ، ولست وحدك الذي تبكي ، وإنّما بكي معك المقرّبون عند اللّه ، وأقام العزاء الكون بأسره .

روي ابن قولويه عن الصادق عليه السلام قال : قال علي للحسين عليهماالسلام ، يا أبا عبد اللّه ، أسوة أنت قدما ، فقال : جعلت فداك ، ما حالي ؟ قال : علمت ما جهلوا ، وسينتفع عالم بما علم ، يا بني ، اسمع وأبصر من قبل يأتيك ، فو الذي نفسي بيده ، ليسفكن بنو

أمية دمك ، ثم لا يردّونك عن دينك ، ولا ينسونك ذكر ربّك ، فقال الحسين عليه السلام : والذي نفسي بيده ، حسبي وأقررت بما أنزل اللّه ، وأصدّق نبي اللّه ، ولا أكذب قول

أبي(2) .

فلا تظنّن – يا عزيزي – أنّك وحدك في هذا العزاء ، وأنّ الأمر حادث جديد ، فإنّ هذا المأتم قائم دائما ، كان ولا زال أولياء اللّه يقيمون العزاء ويبكون أشدّ البكاء في يوم عاشوراء ، وهو من خصوصيات هذه الأمّة .

فِي حَدِيثِ مُنَاجَاةِ مُوسَي عليه السلام وَقَدْ قَالَ : يَا رَبِّ لِمَ فَضَّلْتَ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ صلي الله عليه و آله عَلَي سَائِرِ الأُمَمِ ؟ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَي : فَضَّلْتُهُمْ لِعَشْرِ خِصَالٍ .

قَالَ مُوسَي عليه السلام : وَمَا تِلْكَ الْخِصَالُ الَّتِي يَعْمَلُونَهَا حَتَّي آمُرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَعْمَلُونَهَا ؟ قَالَ اللَّهُ تَعَالَي : الصَّلاَةُ ، وَالزَّكَاةُ ، وَالصَّوْمُ ، وَالْحَجُّ ، وَالْجِهَادُ ، وَالْجُمُعَةُ ، وَالْجَمَاعَةُ ، وَالْقُرْآنُ ، وَالْعِلْمُ ، وَالْعَاشُورَاءُ .

1- كامل الزيارات : 108 الباب 36 ح6 ، بحار الأنوار : 44/279 باب 34 ح5 .

2- كامل الزيارات : 71 الباب 23 ح2 ، بحار الأنوار : 44/262 باب 31 ح17 .

قَالَ مُوسَي عليه السلام : يَا رَبِّ ، وَمَا الْعَاشُورَاءُ ؟ قَالَ : الْبُكَاءُ وَالتَّبَاكِي عَلَي سِبْطِ مُحَمَّدٍ صلي الله عليه و آله ، وَالْمَرْثِيَةُ وَالْعَزَاءُ عَلَي مُصِيبَةِ وُلْدِ الْمُصْطَفَي ، يَا مُوسَي ، مَا مِنْ عَبْدٍ مِنْعَبِيدِي فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ بَكَي أَوْ تَبَاكَي ، وَتَعَزَّي عَلَي وُلْدِ الْمُصْطَفَي صلي الله عليه و آله إِلاَّ وَكَانَتْ لَهُ الْجَنَّةُ ثَابِتاً فِيهَا ، وَمَا مِنْ عَبْدٍ أَنْفَقَ مِنْ مَالِهِ فِي مَحَبَّةِ ابْنِ بِنْتِ نَبِيِّهِ طَعَاماً ، وَغَيْرَ ذَلِكَ دِرْهَماً إِلاَّ وَبَارَكْتُ لَهُ فِي الدَّارِ الدُّنْيَا الدِّرْهَمَ بِسَبْعِينَ دِرْهَماً ، وَكَانَ مُعَافاً فِي الْجَنَّةِ ، وَغَفَرْتُ لَهُ ذُنُوبَهُ ، وَعِزَّتِي وَجَلالِي مَا مِنْ رَجُلٍ أَوِ امْرَأَةٍ سَالَ دَمْعُ عَيْنَيْهِ فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ ، وَغَيْرِهِ قَطْرَةً وَاحِدَةً إِلاَّ وَكُتِبَ لَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ(1) .

فنعوذ باللّه من قلب لا يخشع ، وعين لا تدمع .

ليت العيون الباخلات بدمعها

يوما عليك لها العمي موجود

لا أدري لمن تدّخر الدمع ، وفي أيّ رزية تريد أن تجود به ؟ ألا تري كيف أذلّت مصيبته رقابنا ، وأرغمت أنوفنا ؟

أقسم باللّه لقد ذلّت شيعته أيّ ذلّة ، أما علمت أنّه إذا ذلّ المولي ذلّ العبد ، وإذا عزّ المولي عزّ العبد .

روي ابن بشر الهمداني قال : قلت لأبي إسحاق : متي ذلّ الناس ؟ قال : حين قتل الحسين بن علي عليهماالسلام ، وادّعي زياد ، وقتل حجر بن عدي(2) .

وروي عن الصادق عليه السلام قال : لمّا قتل الحسين عليه السلام سمع أهلنا قائلاً بالمدينة يقول : اليوم نزل البلاء علي هذه الأمّة ، فلا يرون فرحا حتي يقوم قائمكم ، فيشفي صدوركم ، ويقتل عدوّكم ، وينال بالوتر أوتارا(3) . .

وروي عن عبد اللّه بن لطيف التفليسي قال : قال الصادق عليه السلام : لمّا ضرب الحسين بن علي عليهماالسلام بالسيف ، ثم ابتدر ليقطع رأسه ، نادي مناد من قبل ربّ العزّة

1- مجمع البحرين : 3/405 ، مستدرك الوسائل : 10/318 باب 49 ح14 .
2- الخصال : 1/181 ح248 ، بحار الأنوار : 44/271 باب 32 ح2 .
3- كامل الزيارات : 336 الباب 108 ح14 ، بحار الأنوار : 45/172 باب 39 ح21 .

– تبارك وتعالي – من بطنان العرش فقال : ألا أيّتها الأمّة المتحيّرة الظالمة بعد نبيها ، لا وفقكم اللّه لأضحي ولا فطر(1) . .

يا أهل عاشوراء يا لهفي علي ال–

–دين خذوا حذاركم يا أهل يس

اليوم شقق جيب الدين واتهبت

بنات أحمد نهب الروم والصين

اليوم شقّوا علي الزهراء كلّتها

وساوروها بتنكيب وتحزين

اليوم زعزع قدس من جوانبه

وطاح بالخيل سادات الميادين

اليوم قام بأعلي الطف نادبهم

يقول من ليتيم ومن لمسكين

اليوم خضّب حبيب المصطفي بدم

أمسي علبير نحور الحور والعين

اليوم حرّ نجوم الفخر من مضر

علي مناخر تذليل وتوهين

اليوم عتّك أسباب الهدي مزقا

وبرقعت غرّة الإسلام بالهون

أطفال فاطمة الزهراء قد فطموا

من الثدي بأنياب الثعابين

سبحان اللّه ، أيّ كبد لرسول اللّه فروا ؟ وأيّ قلب لفاطمة الزهراء مزّقوا ؟ !

أتظنّ أنّها رزية كأيّ رزية !

وقد روي عروة بن الزبير قال : سمعت أبا ذر ، وهو يومئذ قد أخرجه عثمان إلي الربذة ، فقال له الناس : يا أبا ذر أبشر ، فهذا قليل في اللّه !

فقال : ما أيسـر هذا ، ولكن كيف أنتم إذا قتل الحسين بن علي عليهماالسلام قتلاً – أو قال : ذبح ذبحا – ، واللّه لا يكون في الإسلام بعد قتل الخليفة أعظم قتيلاً منه ، وإنّ اللّه

سيسل سـيفه علي هـذه الأمّـة ، لا يغمـده أبـدا ، ويبعث ناقما من ذريّته ، فينتقم من الناس ، وإنّكم لو تعلمون ما يدخل علي أهل البحار ، وسكان الجبال في الغياض والآكام ، وأهل السماء من قتله لبكيتم – واللّه – حتي تزهق أنفسكم(2) . . .

1- الأمالي للصدوق : 168 المجلس 31 ح5 ، بحار الأنوار : 45/217 باب 40 ح42 .

2- كامل الزيارات : 73 الباب 23 ح11 ، بحار الأنوار : 45/219 باب 40 ح47 .

أليلة الحشر لا بل يوم عاشورا

أنفخة الصور لا بل نفث مصدور

يوم به اهتزّ عرش اللّه من حزن

علي دم لرسول اللّه مهدور

يوم به كسفت شمس الهدي أسفا

وأصبح الدين فيه كاسف النور

يوم به ذهبت أبناء فاطمة

للبين ما بين مقتول ومأسور

يا وقعة الطف خلّدت القلوب أسي

كأنّما كلّ يوم يوم عاشور

يا وقعة الطف هل تدرين أي فتي

أوقعته رهن تعقير وتعفير

مغسّل بدموع من أحبّته

ودم نحر بسيف الكفر منحور

ما غمّضت عينه أيدي أحبّته

ولا جنازته شيلت بتوقير

فيا سماء جري هذه الأمور علي

مثل الحسين فموري بعده موري

وأنت يا أرض صيري بعده قطعا

ويا جبال علي وجه الثري سيري

غربة الحسين عليه السلام يوم عاشوراء

اعلم ، أنّ حكايـة مبارزة الإمام الحسـين عليه السـلام ، وقتاله لا يمكن لأحـد أن يقررها ويحررها إلاّ يتقطّع كبده قطعا ، وذلك لأنّ غاية ما يمكن المتحدّث والسامع أن يفعله

أن يبكي ويلطم رأسه وصدره ، وهذا لا يليق بهذه المصيبة .

ولكن معارك ذاك الشـجاع المظفّر ووارث الكرار حيدر ، وكيفية قتاله لأبطال الميادين ، وشـجعان ذلك الزمان ، تشـتمل علي فوائد عظيمة ، ومعاجز كثيرة تزيد في بصـيرة شيعته وأوليائه ، وتزيد في حزن شيعته ، وتحرق قلوبهم علي إمامهم الشهيد الزكي ، ولهذا سنذكر مجملاً من قتال قطب فلك الكمال ، كما ذكرها العلماء الأعلام ، ووردت في الأخبار المعتبرة ومعتمد الأقوال :

لمّا رأي الحسـين عليه السـلام مصارع فتيانه وأحبّته وأهل بيته عزم علي لقاء القوم بمهجته ، فإلتفت عليه السلام يمنيا وشمالاً ثم قال : اللّهم إنّك تري ما يصنع بولد نبيّك ، ثم نادي برفيع صوته مستغيثا – إتماما للحجة – :

هل من راحم يرحم آل الرسول المختار ؟ هل من ناصر ينصر الذريّة الأطهار ؟ هل من مجير لأبناء البتول ؟ هل من ذابّ يذبّ عن حرم الرسول ؟ هل من موحّديخاف اللّه فينا ؟ هل من مغيث يرجو اللّه في إغاثتنا ؟

فلمّا سمعن النساء صوته إرتفعت أصواتهن بالبكاء والعويل .

فخرج علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام ، وكان مريضا لا يقدر أن يقل سيفه ، وأم كلثوم تنادي خلفه : يا بني إرجع ، فقال : يا عمّتاه ذريني أقاتل بين يدي ابن رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، فقال الحسين عليه السلام : يا أم كلثوم خذيه لئلا تبقي الأرض خالية من نسل آل محمد(1) صلي الله عليه و آله .

شهادة علي الأصغر عليه السلام

قال السيد ابن طاووس : فتقدّم إلي الخيمة وقال لزينب عليهاالسلام : ناوليني ولدي الصغير حتي أودعه ، فأخذه(2) .

وروي أنّ السيدة زينب عليهاالسلام جاءت بالطفل الي أخيها عليه السلام وقالت لَهُ : يا اَخي اِنَّ هذا الطِّفْلَ لَهُ ثَلاثَةِ اَيّامٍ ما شَرِبَ الْماءَ ، فَاطْلُبْ لَهُ شَرْبَةً مِنَ الْماءِ .

فَاَخَذَ الطِّفْلَ وَتَوَجَّهَ نَحْوَ الْقَوْمِ حتي وصل قريبا من ابن سعد ، وَقالَ : يا قَوْمِ قَدْ قَتَلْتُمْ اَخي وَاَوْلادي وَاَنْصاري ، وقد نقضتم بيعتي ، فاتركوني حتي أرجع الي حرم

جدّي ، فاسقوني شربة من الماء ، فما بَقِيَ غَيْرُ النساء وهذا الطِّفْل ، وليس فيهم من يقاتلكم ، ويلكم اسقوا هذا الرضيع ، أما ترونه كيف يَتَلَظَّي عَطَشا من غير ذنب أتاه اليكم ، فَاسْقُوهُ شَرْبَةً مِنَ الماءِ .

فَبَيْنَما هُوَ يُخاطِبُهُمْ اِذْ اَتاهُ سَهْمَ مَشُؤمٌ مِنْ حرملة بن كاهل الظالِمِ الغَشُّومِ ، فَذَبَحَ الطِّفْلَ مِنَ الأُذُنِ اِلَي الأُذُنِ(3) .

1- بحار الأنوار : 45/45 ، الدمعة الساكبة : 4/334 .

2- اللهوف : 115 .

3- انظر مقتل أبي مخنف : 90 .

وقـال الشـيخ المفيـد رحمه الله : دعـا ابنه فجعـل يقبّله ، والصبي في حجره ، إذ رمـاه حرملـةبن كاهل الأسـدي بسـهم ، فـذبحه في حجر الحسين(1) عليه السـلام .فبكي الحسـين عليه السـلام ورمي بطرفه الي السـماء ثم قبّله وقال : اللّهم أنت الشاهد علي قوم قتلوا أشبه الناس بنبيّك محمد(2) صـلي الله عليه و آله ، فتلقّي الحسـين عليه السـلام دمه حتي امتلأت كفّه ، ثم رمي به إلي السماء ، ثم قال : هوّن عليّ ما نزل بي إنّه بعين اللّه .

ثم تلقّي الـدم بكفيه مرّة ثانية ورفع طرفه الي السـماء وقال : صبرا علي البلاء ، ثم رفع طرفه الي السـماء وقال : اللّهم إنّك تري ما يصـنع بنا ، وما نتحمله من بلاء في هذه

الدنيا ، اللّهم فاجعله ذخيرة لنا في آخرتنا .

وفي مقتل أبي مخنف : ثم قال : اللّهم لا يكون أهون عليك من فصـيل ناقـة صالـح ، اللّهم إن كنت حبست عنّاالنصـر فاجعل ذلك لما هو خير لنا(3) .

قال حميـد بن مسـلم : كنت في معسـكر ابن زياد ، فرأيت الطفل مذبوحا علي يدي سـيد الشـهداء عليه السـلام ، ورأيت إمرأة خرجت من خيمـة النساء ، غطي نورها شـعاع الشـمس ، تجرّ أذيالها ، تقوم مرّة وتقع أخري ، وهي تنادي : وا ولـداه ، وا قتيلاه ، وا مهجة قلباه ، فجاءت حتي ألقت بنفسـها علي الطفل ، وخرج معها من الخيمة عدّة من البنات حتي ألقين بأنفسهن علي الطفل ، وكان الحسين عليه السلام يكلّم القوم ، فلمّا سمع أصواتهن ، رجع الي تلك السيدة فوعظها وصبّرها وسلاّها ، وأرجعها الي الخيمة .

فسألت عنها ، فقيل لي : هذه أم كلثوم ، وسألت عن البنات معها ، فقيل : فاطمة وسكينة ورقية .

1- بحار الأنوار : 45/45 الباب 37 .

2- المنتخب : 2/432 .

3- بحار الأنوار : 45/45 الباب 37 .

وفي الإحتجاج : فنزل الحسين عليه السلام عن فرسه ، وحفر للصبي بجفن سيفه ، ورمله بدمه ودفنه ، ثم وثب قائما(1) ، وعزم علي قتال حزب الشيطان بنفسه المقدّسة .

الإمام الحسين عليه السلام يودّع العيال

روي صاحب المنتخب وغيره: ثم وثب علي قدميه ببردة رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، والتحف بها ، وأفرغ عليه درعه الفاضل ، وتقلّد سيفه ، واستوي علي متن جوده ، والتفت إلي الخيمة ، ونادي : يا سكينة ، يا فاطمة ، يا زينب ، يا أم كلثوم ، عليكن منّي السلام(2) .

يا بناتي الصغيرات ، وأخواتي الغريبات ، ويا أهل المحنة والبلاء ، ويا يتامي فاطمة الزهراء عليهاالسلام ، ويا غرباء دار البلاء ، وأسراء المحنة والهموم والعناء ، تجلببوا بالصبر ، وعليكم بعد قتلي تحمّل الأمر ، فستبقون بلا ناصر ولا معين ، وقد آن الأوان أن أتقدّم الي الميدان ، وألحق بسلفي الصالح وأمّي سيدة النسوان .

فلمّا سمع النساء والصبية هذا الكلام من سيد المظلومين خرجن من الخيام صارخات نادبات ، وحوله كالفراش إذا إجتمع حول الشمع مجتمعات .

فجاءته سكينة عزيزته التي كان يحبّها حبّا جمّا ، وهي بنت الرباب بنت إمري ء القيس التي قال الحسين عليه السلام فيها وفي بنتها :

لعمرك إنّني لأحبّ دارا

تكون بها سكينة والرباب

أحبّهما وأبذل جلّ مالي

وليس لعاتب عندي عتاب

أجل ، جاءته سكينة باكية نادبة ، فضمّها الي صدرها ومسح دموع عينيها بكفّه ، وأنشأ يقول :

سيطول بعدي ياسكينة فاعلمي

منك البكاء إذا الحمام دهاني

لا تحرقي قلبي بدمعك حسرةً

ما دام منّي الروح في جثماني

فإذا قتلت فأنت أولي بالذي

تأتينه يا خيرة النسوان

1- الاحتجاج : 2/300 ، بحار الأنوار : 45/49 .

2- المنتخب : 2/440 ، بحار الأنوار : 45/47 بقية الباب 37 .

فنادته سكينة : يا أبة ، استسلمت للموت ؟ فقال : كيف لا يستسلم من لا ناصر له ولا معين . فقالت : يا أبة ، ردّنا إلي حرم جدّنا ، فقال : هيهات لو ترك القطا لنام ،فتصارخن النساء ، فسكّتهن الحسين(1) عليه السلام .

قال السيد ابن طاووس رحمه الله : ثم إنّ شمر بن ذي الجوشن حمل علي فسطاط الحسين ، فطعنه بالرمح ، ثم قال : عليّ بالنار أحرقه علي من فيه ، فقال له الحسين عليه السلام : يا ابن ذي الجوشن ! أنت الداعي بالنار لتحرق علي أهلي ؟ أحرقك اللّه بالنار ، وجاء شبث فوبخه فانصرف(2) .

فلمّا نظر الإمام وقاحتهم ، قال عليه السلام : ائتوني بثوب لا يرغب فيه ألبسه تحت ثيابي ، لا أجرّد بعد قتلي ، فإنّي مقتول مسلوب ، فلمّا سمع النسوة هذا الكلام ارتفعت أصواتهن بالبكاء والعويل ، فقال عليه السلام : مهلاً ، فإنّ البكاء أمامكن .

فأتي بتبان – وهو سروال صغير – فقال : لا ، ذاك لباس من ضربت عليه الذلّة .

وفي المناقب لابن شهرآشوب : فأتوه بتبان ، فأبي أن يلبسه ، وقال : هذا لباس أهل الذمّة . ثم أتوه بشيء أوسع منه ، فلبسه(3) .

وقال السيد ابن طاووس رحمه الله : فأخذ ثوبا خلقا ، فخرّقه وجعله تحت ثيابه ، فلمّا قتل عليه السلام جردّوه منه ، ثم استدعي الحسين عليه السلام بسراويل من حبرة ، ففرزها ولبسها ، وأنّما فرزها لئلا يسلبها ، فلمّا قتل عليه السلام سلبها بحر بن كعب – لعنه اللّه – وترك

الحسين الذي ترعرع علي صدر الرسول صلي الله عليه و آله ، وفي حجر البتول عليهاالسلام ، مجرّدا عريانا مرمّلاً علي الصعيد .

1- المنتخب : 2/438 .

2- اللهوف : 121 المسلك الثاني .

3- المناقب : 4/109 .

من مخبر الزهراء أنّ حسينها

بين الوري عارٍ علي تلعاتها

ورؤوس أبناها علي سمر القنا

وبناتها تهدي الي شاماتها

يا فاطم الزهراء قومي واندبي

أسراك في أشراك ذلّ عداتها

فكانت يدا بحر بعد ذلك تيبسان في الصيف كأنّهما عودان يابسان ، وتترطّبان في الشتاء فتنضحان دما وقيحا إلي أن أهلكه اللّه تعالي(1) .

معاشر الشيعة ، لمّا فزر إمام العالمين ، وسلطان المظلومين لباسه ولبسه ، إرتفعت أصوات النساء بالبكاء والنحيب ، وصرخن : الوداع الوداع ، الفراق الفراق ، وعلا عويل الغريبات ، فصبّرهن المولي ، وودّع أهله وأولاده وداع مفارق لا يعود(2) .

الإمام الحسين عليه السلام يواجه الأعداء

روي أنّه عليه السلام دَعَي بِبُرْدَةِ رَسُولِ اللّهِ صلي الله عليه و آله فَلَبِسَها ، وَاَفْرَغَ عَلَي نَفْسِهِ دِرْعَهُ ، وَتَعَمَّمَ بِعَمامَتِهِ ، وَتَقَلَّدَ بِسَيْفِهِ ، وَاسْتَوي عَلَي ظَهْرِ جَوادِهِ(3) « الميمون » ، وتوجّه نحو القوم ، فقام عليه السلام واتّكأ علي قائم سيفه ، ونادي بأعلي صوته ، فقال عليه السلام : يا أهل الكوفة ، أنشدكم اللّه هل تعرفونني ؟ قالوا : نعم ، أنت ابن رسول اللّه صلي الله عليه و آله وسبطه . . .

. . . قال : أنشدكم اللّه ، هل تعلمون أنّ هذا سيف رسول اللّه صلي الله عليه و آله أنا مقلّده ؟ قالوا : اللّهم نعم .

قال : أنشدكم اللّه ، هل تعلمون أنّ هذه عمامة رسول اللّه صلي الله عليه و آله أنا لابسه ؟ قالوا : اللّهم نعم(4) .

1- اللهوف : 121 ، بحار الأنوار : 45/54 .

2- المنتخب : 2/439 .

3- مقتل أبي مخنف : 89 .

4- اللهوف : 86 المسلك الثاني .

قال : أنشدكم اللّه ، هل بلغكم قول النبي صلي الله عليه و آله فيّ وفي أخي : أنتما سيدا شباب أهل الجنّة ؟ قالوا : اللّهم نعم .

قال : أنشدكم اللّه ، هل تعلمون ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبي غيري ؟قالوا : اللّهم ، لا نعلم ابن بنت نبي غيرك .

قال : فبم تستحلّون دمي ؟ قالوا : قد علمنا ذلك كلّه ، ونحن غير تاركيك حتي تذوق الموت عطشا(1) ! ! .

الإمام الحسين عليه السلام يودّع العيال وداعا آخر

روي عن سيد الساجدين عليه السلام قال : فسمعت زينب بنت فاطمة عليهماالسلام ذلك ، وكانت في موضع آخر منفردة مع النساء والبنات ، فخرجت حاسرة تجرّ ثوبها حتي وقفت عليه فقالت : يا أخي ، هذا(2) كلام من أيقن بالقتل ، فقال عليه السلام : نعم يا أختاه ، وكيف لا يوقن بالقتل من لا معين له ولا مجير ؟

قال عليه السلام : فاختنق أبي بعبرته ، فلمّا رأت عمّتي زينب عليهاالسلام بكاء أبي قالت : وا ثكلاه ينعي الحسين عليه السلام نفسه ؟ ! وجعلت تنادي : وا محمداه ، وا عليّاه ، وا فاطمتاه ، وا حسناه ، وا حسيناه .

روي الشيخ المفيد رحمه الله وغيره أنّه عليه السلام حمل علي القوم وهو يرتجز ويقول :

كفر القوم وقدما رغبوا

عن ثواب اللّه ربّ الثقلين

قتل القوم عليّا وابنه

حسن الخير كريم الأبوين

حنقا منهم وقالوا اجمعوا

واحشروا الناس الي حرب الحسين

يا لقوم من أناس رذّل

جمعوا الجمع لأهل الحرمين

ثم ساروا وتواصوا كلّهم

باجتياحي لرضاء الملحدين

1- اللهوف : 86 المسلك الثاني .

2- اللهوف : 83 .

لم يخافوا اللّه في سفك دمي

لعبيد اللّه نسل الكافرين

وابن سعد قد رماني عنوة

بجنود كوكوف الهاطلين

لا لذنب كان منّي قبل ذا

غير فخري بضياء النيرين

بعلي الخير من بعد النبي

والنبي القرشيالوالدين

خيرة اللّه من الخلق أبي

ثم أمّي فأنا ابن الخيرتين

فضة قد خلصت من ذهب

فأنا الفضة وابن الذهبين

ذهب في ذهب في ذهب

ولجين في لجين في لجين

والدي شمس وأمّي قمر

وأنا الكوكب وابن النيرين

جوهر من فضة مكنونة

فأنا الجوهر وابن الدرّتين

من له جدّ كجدّي في الوري

أو كشيخي فأنا ابن العلمين

فاطم الزهراء أمي وأبي

قاصم الكفر ببدرٍ وحنين

عبد اللّه غلاما يافعا

وقريش يعبدون الوثنين

يعبدون اللات والعزّي معا

وعلي كان صلّي القبلتين

مع رسول اللّه سبعا كاملاً

ما علي الأرض مصلّي غير ذين

هجر الأصنام لم يعبدهم

مع قريش لا ولا طرفة عين

من له عمّ كعمّي جعفر

خلق اللّه له أجنحتين

نحن أصحاب العبا خمستنا

قد ملكنا شرقها والمغربين

نحن جبريل لنا سادسنا

ولنا الكعبة ثم الحرمين

جدّي المرسل مصباح الدجي

وأبي الموفي له بالبيعتين

والدي خاتمه جاد به

حين وافي رأسه للركعتين

قتل الأبطال لمّا برزوا

يوم أحد وببدر وحنين

أظهر الأسلام زعما للعدي

بحسام صارم ذي شفرتين

ص: 356

أنا ابن علي الطهر من آل هاشم

كفاني بهذا مفخرا حين أفخر

وجدّي رسول اللّه أكرم من مضي

ونحن سراج اللّه في الأرض نزهر

وفاطم أمي سلالة أحمد

وعمّي يدعي ذو الجناحين جعفر

وفينا كتاب اللّه أنزل صاقا

وفينا الهدي والوحي بالخير يذكر

ونحن أمان اللّه للناس كلّهم

نسرّ بهذا في الأنام ونجهر

ونحن ولاة الحوض نسقي ولا تنا

بكأس رسول اللّه ما ليس ينكر

وشيعتنا في الناس أكرم شيعة

ومبغضنا يوم القيامة يخسر

فطوبي لعبدٍ زارنا بعد موتنا

بجنة عدنٍ صفوها لا يكدّر

شجاعة الحسين عليه السلام في كربلاء

قال محمد بن أبي طالب : ثم إنّه عليه السلام دعا الناس إلي البراز ، فلم يزل يقتل كلّ من دنا منه من عيون الرجال ، حتي قتل منهم مقتلة عظيمة ، ثم حمل عليه السلام علي الميمنة

وقال :

الموت خير من ركوب العار

والعار أولي من دخول النار

ثم حمل علي الميسرة ، وهو يقول :

أنا الحسين بن علي

آليت أن لا أنثني

أحمي عيالات أبي

أمضي علي دين النبي(1)

وفي بعض الكتب المعتبرة : أنّه عليه السلام كان يحمل علي القوم ويصرخ فيهم صرخات حيدر الكرار ، فقلب ميمنتهم علي الميسرة ، وميسرتهم علي الميمنة ، وقتل صناديدهم ، ثم حمل علي القلب يحصد رؤوسهم ، فتتساقط كما تتساقط أوراق الشجر في الخريف ، حتي قتل منهم أربعمائة بين فارس وراجل .

1- بحار الأنوار : 45/50 .

قال حميد بن مسلم : فو اللّه ما رأيت مكثورا قطّ ، قد قتل ولده وأهل بيته وصحبه أربط جأشا منه ، وإن كانت الرجال لتشدّ عليه فيشدّ عليها بسيفه ، فتنكشف عنه انكشاف المعزي إذا شدّ فيها الذئب ، ولقد كان يحمل فيهم ، وقدتكاثروا عليه عددا لا يحصي ، فينهزمون بين يديه ، كأنّهم الجراد المنتشر ، ثم يرجع إلي مركزه ، وهو يقول : لا حول ولا قوة إلاّ باللّه العلي العظيم(1) .

ولنعم ما قيل في المقام :

فشدّ عليهم فهو نجل الأسد

يا لها شدّة خافت بكلّ منافق

فبعض محبّيه يشبه حاله

بوصف وعندي الوصف غير مطابق

إذا شاء يفني كان عزرائيل خادما

له صادرا من أمره بالمخانق

وأمّا دعا الأرواح لبّت مطيعة

وتحريكهم عنه بحكم الوثائق

عودة الي الخيام ومواساة الحرم

وفي بعض الكتب : رجع الحسين عليه السلام الي الخيمة ، فسمع بكاء نسائه وبناته ، فقال : يا سكينة ، لا تحرقي قلبي ببكائك ، اسكتي فإنّ البكاء أمامك ، ثم صبّر عياله

وأطفاله ، وأخواته وبناته .

حملة أخري

ثم حمل علي القوم ، فقلب أولهم علي آخرهم ، فانكشفوا بين يديه يعدوا بعضهم علي بعض ، فكشفهم عن الشريعة ، وأقحم الفرس علي الفرات ، وكادت أن تطلع روحه من شدّة العطش ، وكذا كان حال الفرس ، فلمّا أولغ الفرس برأسه ليشرب ، قال عليه السلام : أنت عطشان وأنا عطشان ، واللّه لا ذقت الماء حتي تشرب .

فلمّا سمع الفرس كلام الحسين عليه السلام شال رأسه ولم يشرب ، فقال الحسين عليه السلام : أشرب فأنا أشرب ، فمدّ الحسين عليه السلام يده فغرف من الماء ، فلمّا قرب الماء من فمه

1- مثير الأحزان : 72 مقتل العباس بن علي عليهماالسلام ، بحار الأنوار : 45/50 بقية الباب 37 .

ليشـرب رماه الحصـين بن نمير – لعنه اللّه – بسـهم ، فوقع في لبّته ، فعالجه حتي أخرجه ، ثم وضع يده ، فامتلأ كفّه من الدم ، فرمي به الي السماء وقال : يا ربّ اليك أشكو من قومٍ أراقوا دمي ، ومنعوني من شرب الماء .فأراد أن يشرب مرّة أخري ، فصاح بهم عمر بن سعد : ويلكم ، لو شرب الحسين عليه السلام قطرة من الماء لم يبق منكم أحدا .

فنادي لعين : أدرك خيمة النساء فقد هتكت ، فنفض الماء من يده ، وحمل علي القوم فكشفهم ، فإذا الخيمة سالمة(1) .

وداع آخر

ورجع الحسـين عليه السلام مرّة أخري الي الخيام ليودّع عياله ، فلمّا توجه نحو الميدان نادي سيد الساجدين عليه السلام : يا أبة توقّف حتي أودّعك .

فخرج النساء من سـرادق العصمة ، وطفن به كالفراشات إذا طافت حول الشمعة ، فسلاّهن الحسين عليه السلام ، وصبّرهن ، وذكرهن بثواب اللّه وبما أعدّ اللّه لهن من الأجر ، فإرتفعت صـرخات : الوداع الوداع ، الفراق الفراق ، من النساء ، وهن يودّعن وليّهن ويعلمن أنّهن سيبقين بعده بلا حام ولا نصير .

ثم إنّه ذهب باكي العين الي ولده المريض زين العابدين عليه السلام ، فضمّه وقبّله وسلّمه ودائع الإمامة وأوصاه .

ثم رجع الي النساء وقد اجتمعن حوله بأكباد محترقة ، وقلوب منكسـرة ، وعيون عبري ، يعلوهن الاضطراب بما لا يمكن أن يتصوّره مخلوق ، ولا يحرره أيّ قلم ، ولا يبينه أيّ لسان ، فأمرهن بالصبر والسـكون ، وأمرهن أن يلبسن ثيابا اسـتعدادا للأسـر ، وقال لهم : اسـتعدوا للبلاء ، واعلموا أنّ اللّه حافظكم وحاميكم ،

1- انظر المناقب : 4/58 ، بحار الأنوار : 45/50 بقية الباب 37 .

وسينجيكم من شرّ الأعداء ، ويجعل عاقبة أمركم الي خير ، ويعذّب أعاديكم بأنواع البلاء ، ويعوضكم اللّه عن هذه البلية أنواع النعم والكرامة ، فلا تشكوا ولا تقولوا بألسنتكم ما ينقص من قدركم ، فلا تخمشن عليّ وجها ، ولا تشققن عليّجيبا ، ولا تدعين بالويل والثبور ، ولا أمنعكن عن البكاء ، فإنّكن من بعدي غريبات ثكالي .

لا تلطمي يا ابنة الزهراء خدّك من قتلي

وقد غمرت أعضاك أشجان

ولا تشقّي عليّ الجيب صارخة

فالشقّ كشف ونشر الشعر خذلان

لكن إذا انصفت في الرمضاء منجدلاً

وانحط من شامخ المعروف بنيان

حتي حنين حمام الأيك نادبة

واستمطري الدمع حيث السحب أعيان

وإن تفرّقت الأيتام فانتدبي

لجمعها فالجزا في البعث غفران

وإن يشقّ عليها سير قائدها

فاسترفقيه وإن عازتك إحسان

واستسقي من خصمك الماء إن شكت

عطشا فربما رقّ إن الشطّ ملآن

هذا علي أبوها إن دعت بأب

والمؤمنين لها في اللّه إخوان

أسد الأسود يحمل حملة أخري

ثم إنّه عليه السلام حمل عليهم كالليث المغضب ، وتوجه بحكم الطبيعة البشرية الي الفرات ، لشدّة ما به من العطش ، فركب المسناة ، فاعترضته خيل ابن سعد وفيهم رجل من بني دارم ، يقال له « زرعة بن شريك » ، فقال لهم : ويلكم حولوا بينه وبين الفرات ، ولا تمكّنوه من

الماء ، فقال الحسين عليه السلام : اللّهم أظمئه ، فغضب الدارمي ورماه بسهم ، فأثبته في حنكه ، فانتزع الحسين عليه السلام السهم ، وبسط يده تحت حنكه ، فامتلأت راحتاه بالدم ، فرمي به ثم قال : هكذا ألقي اللّه (1) .

1- انظر الإرشاد : 2/108 ، بحار الأنوار : 45/50 .

فروي عمن شـهد الـدارمي وهو يموت ، وهو يصـيح من الحر في بطنه ، والبرد في ظهره ، وبين يـديه المراوح والثلج ، وخلفه الكانون ، وهو يقول : اسـقوني ، أهلكني العطش ، فيؤي بعس عظيم فيه السويق والماء واللبن ، لو شـربه خمسة لكفاهم ،فيشـربه ، ثم يعود فيقول : اسقوني أهلكني العطش ، فانقد بطنه كانقداد البعير(1) ، وهوي في الهواية .

أمّا المولي الغريب ، فقد ربط جرحه بخرقة ورجع الي الميدان .

فروي أنّه لمّا آيس من الماء ، وأنّه لا يذوق الماء إلاّ أن يشرب الماء الطهور من يد

جدّه وأبيه ، قال :

شيعتي مهما شربتم ماء عذب فاذكروني

أو سمعتم بغريبٍ أو شهيد فاندبوني

عجز القوم عن مواجهة الحسين عليه السلام

لقـد حمـل عليهم ابن الكرار غير الفرّار حملـة يعجز الراوي عن وصـفها ، فلمّا نظر الشـمر – لعنه اللّه – الي ذلك قال لعمر بن سـعد : أيّها الأـمير ، واللّه لو برز الي الحسـين عليه السـلام أهل الأرض لأفناهم عن آخرهم ، فالرأي أن نفترق عليه ، ونملأ الأرض بالفرسان والرماح ، والنبل تحيط به من كلّ جانب(2) .

قـال ابن طـاووس رحمه الله : قال بعض الرواة : واللّه ما رأيت رجلاً يقتل بنوه وإخوته وأصـحابه أربط جأشا من الحسـين عليه السـلام ، ولا شكّ في ذلك فأنّه ضلع من أضلاع النبوة .

فنـادي ابن سـعد لعنه اللّه : وليلكم افترقوا عليه فرقتين : فافترقوا فرقتين ، فرقـة بالسـيوف والرماح ، وفرقـة بالنبال والأحجار ، لهفي علي ذلك الجسم المتعب الخضيب .

1- بحار الأنوار : 45/311 .

2- المنتخب : 2/450 .

وحمل عليه السلام عليهم ، وهم ثلاثون ألفا ، فكان إذا هجم عليهم فرّوا عنه كالجراد المنتشر ، يطأ بعضهم بعضا ، ثم يرجع الي مركزه وهو يقول : لا حول ولا قوة إلاّ باللّه العلي العظيم .قال حميد بن مسلم : واللّه ، لقد رأيت شيبته مخضوبة بالدم ، ودرعه بانٍ عليه بنيانا ، وليس يري للناظرين ، وهو إذا شدّ عليهم انكشفوا من بين يديه انكشاف الغنم إذا شدّ عليه الذئب .

وروي صاحب البحار عن ابن شهرآشوب ومحمد بن أبي طالب قالا : ولم يزل يقاتل حتي قتل ألف رجل وتسعمائة رجل وخمسين رجلاً سوي المجروحين(1) .

وقال صاحب المنتخب : لم يزل يحمل علي القوم ويقاتلهم حتي قتل من القوم ألوفا(2) .

وروي عن بعض المشايخ : أنّه عليه السلام قتل عشرة آلاف .

وربما استبعد هذا العدد ، ولكنّه لا يستبعد من هذا الشجاع المظفّر الذي ورث الشجاعة من خير البشر ، وورّثه النبي صلي الله عليه و آله جرأته وجوده .

أجل ، نادي ابن سعد : الويل لكم ، أتدرون لمن تقاتلون ! هذا ابن الأنزع البطين ، هذا ابن قتّال العرب ، فاحملوا عليه من كلّ جانب ، وكانت الرماة أربعة آلاف ، فرموه بالسهام ، فحالوا بينه وبين رحله(3) .

وقال صاحب المناقب والسيد ابن طاووس : فصاح بهم : ويحكم يا شيعة آل أبي سفيان ، إن لم يكن لكم دين ، وكنتم لا تخافون المعاد ، فكونوا أحرارا في دنياكم ، وارجعوا إلي أحسابكم إذ كنتم أعرابا ، فناداه شمر فقال : ما تقول يا ابن فاطمة ؟

1- بحار الأنوار : 45/50 .

2- المنتخب : 2/450 .

3- بحار الأنوار : 45/51 .

قال : أقول : أنا الذي أقاتلكم وتقاتلوني ، والنساء ليس عليهن جناح ، فامنعوا عتاتكم عن التعرّض لحرمي ما دمت حيّا ، فقال شمر : لك هذا ، ثم صاح شمر : إليكم عن حرم الرجل ، فاقصدوه في نفسه ، فلعمري لهو كفؤ كريم .

عطش الحسين عليه السلام يوم عاشوراء

لهفي له عليه السلام ، فقصده القوم الجفاة ، وهو في ذلك يطلب شربة من ماء ، فكلّما حمل بفرسه علي الفرات حملوا عليه بأجمعهم حتي أحلوه عنه(1) .

يا أبا عبد اللّه ، ما خلت قبلك بحرا مات من ظمأ ، ولا أسدا تردیه أحمال .

قال أبو الفرج : وجعل الحسين عليه السلام يطلب الماء ، وشمر يقول له : واللّه لا ترده أو ترد النار .

فقال له رجل : ألا تري إلي الفرات يا حسين كأنّه بطون الحيتان ، واللّه لا تذوقه أو تموت عطشا ، فقال الحسين عليه السلام : اللّهم أمته عطش .

قال الراوي : واللّه لقد كان هذا الرجل يقول : اسقوني ماء ، فيؤي بماء فيشرب حتي يخرج من فيه ، ثم يقول : اسقوني قتلني العطش ، فلم يزل كذلك حتي مات وانتقل الي جهنم وبئس المصير .

وفي بعض الكتب : أنّه عليه السلام وقف وهو يقول :

خيرة اللّه من الخلق أبي

بعد جدّي فأنا ابن الخيرتين

والدي شمس وأمّي قمر

وأنا الفضة وابن الذهبين

الي آخر الأبيات . .

قال السيد ابن طاووس وغيره : ثم رماه رجل من القوم يكني « أبا الحتوف الجعفي » بسهم ، فوقع السهم في جبهته ، فنزعه من جبهته ، فسالت الدماء

1- بحار الأنوار : 45/51 .

علي وجهه ولحيته ، فقال عليه السلام : اللّهم إنّك تري ما أنا فيه من عبادك هؤاء العصاة ، اللّهم أحصهم عددا ، واقتلهم بددا ، ولا تذر علي وجه الأرض منهم أحدا ، ولا تغفر لهم أبدا(1) .

حملته عليه السلام الرابعة علي الذئاب

ثم حمل عليهم كالليث المغضب - وهي حملته الرابعة - فجعل لا يلحق منهم أحدا إلاّ بعجه بسيفه فقتله ، والسهام تأخذه من كلّ ناحية ، وهو يتقيها بنحره وصدره ، ويقول :

يا أمّة السوء بئسما خلفتم محمدا في عترته ، أما إنّكم لن تقلوا بعدي عبدا من عباد اللّه فتهابوا قتله ، بل يهون عليكم عند قتلكم إياي ، وأيم اللّه إنّي لأرجو أن يكرمني ربّي بالشهادة بهوانكم ، ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون .

فصاح به الحصين بن مالك السكوني فقال : يا ابن فاطمة ، وبما ذا ينتقم لك منّا ؟ قال : يلقي بأسكم بينكم ، ويسفك دماءكم ، ثم يصبّ عليكم العذاب الأليم .

ثم لم يزل يقاتل حتي أصابته جراحات عظيمة(2) .

جراحات الحسين عليه السلام

روي عن جعفر بن محمد بن علي عليهم السلام قال : وجدنا بالحسين ثلاثا وثلاثين طعنة ، وأربعا وثلاثين ضربة .

وقال الباقر عليه السلام : أصيب الحسين

عليه السلام ووجد به ثلاثمائة وبضع وعشرون طعنة برمح ، وضربة بسيف ، أو رمية بسهم .

وروي ابن شهرآشوب : ثلاثمائة وستون جراحة .

وروي : ألف وتسعمائة جراحة .

1- بحار الأنوار : 45/53 .

2- بحار الأنوار : 45/52 .

وكانت السهام في درعه كالشوك في جلد القنفذ ، وروي أنّها كانت كلّها في مقدّمه(1) .

روي المفيد وغيره قالوا : فوقف عليه السلام يستريح ساعة ، وقد ضعف عن القتال ، فبينما هو واقف ، إذ أتاه حجر فوقع في جبهته ، فأخذ الثوب ليمسح الدم عن وجهه ، فأتاه سهم محدد مسموم له ثلاث شعب ، فوقع السهم في صدره . وفي بعض الروايات : علي قلبه ، فقال الحسين عليه السلام : بسم اللّه وباللّه ، وعلي ملّة رسول اللّه ، ورفع رأسه إلي السماء وقال : إلهي إنّك تعلم أنّهم يقتلون رجلاً ليس علي وجه الأرض ابن نبي غيره .

ثم أخذ السهم فأخرجه من قفاه ، فانبعث الدم كالميزاب ، فوضع يده علي الجرح ، فلمّا امتلأت رمي به إلي السماء ، فما رجع من ذلك الدم قطرة ، وما عرفت الحمرة في السماء حتي رمي الحسين عليه السلام بدمه إلي السماء .

ثم وضع يده ثانيا ، فلمّا امتلأت لطخ بها رأسه ولحيته ، وقال : هكذا أكون حتي ألقي جدّي رسول اللّه وأنا مخضوب بدمي ، وأقول : يا رسول اللّه قتلني فلان وفلان .

ثم ضعف عن القتال فوقف ، فكلّما أتاه رجل وانتهي إليه انصرف عنه لئلا يبتلي بدمه .

وروي أنّه جاءه رجل من كندة يقال له « مالك بن اليسر » ، فشتم الحسين عليه السلام ، وضربه بالسيف علي رأسه ، وعليه برنس ، فامتلأ دما ، فقال له الحسين عليه السلام : لا أكلت بها ولا شربت ، وحشرك اللّه مع الظالمين . ثم ألقي البرنس ، ولبس قلنسوة ، واعتم عليها ، وقد أعيا ، وجاء الكندي ، وأخذ البرنس ، وكان من خزّ .

1- أمالي الصدوق : 230 ح240 ، بحار الأنوار : 45/52 .

فلمّا قدم بعد الوقعة علي امرأته ، فجعل يغسل الدم عنه ، فقالت له امرأته : أتدخل بيتي بسـلب ابن رسول اللّه ؟ ! اخرج عنّي حشي اللّه قبرك نارا(1) ، فوثباليها ليلطمها ، فانحرفت عن اللطمة ، فأصابت يده الباب التي في الدار ، فدخل مسمار في يده ، فعملت عليه حتي قطعت من وقته(2) .

وروي أنّه يبست يداه ، وكانتا في الشتاء ينضحان دما ، وفي الصيف تصيران يابستين كأنّهما عودان ، ولم يزل بعد ذلك فقيرا بأسوء حال حتي مات لعنه اللّه (3) .

وداع آخر

أمّا الحسـين عليه السـلام فإنّه جاء الي الخيام بعـد أن أخـذ البرنس منه ، ودعي بخرقـة ، فجي ء بها اليه ، فشدّ بها جراح رأسه بيده الكريمة ، واستدعي بقلنسوة فلبسها ، وإعتم عليها بعمامة ، ونادي : يا زينب يا أم كلثوم يا رقية يا فاطمة عليكن مني السلام .

فتقدّمت أخته زينب عليهاالسـلام فقالت : يا أخي أيقنت بالقتل ؟ فقال عليه السـلام : كيف لا أيقن وليس لي معين ولا نصير ، فقالت زينب عليهاالسـلام : يا أخي ، ردّنا الي حرم جـدّنا ؟ فقال عليه السـلام : هيهات هيهات ، وكأنّي بكم غير بعيـد كالعبيـد يسوقونكم أمام الركاب ، ويسومونكم سوء العذاب .

فلمّا سـمعت مخدّرة أمير المؤمنين عليهماالسـلام هذا الكلام جرت دموعها ونادت : وا وحدتاه ، وا قلّة ناصراه ، وا شؤم صباحاه ، ثم أهوت علي جيبها فشقّته ، والي شعرها فنشرته ، ولطمت وجهها .

1- بحار الأنوار : 45/52 .

2- المنتخب : 2/451 .

3- بحار الأنوار : 45/53 .

فلمّا نظر اليها الحسين عليه السلام وهي بتلك الحالة قال : مهلا يا بنت المرتضي إنّ البكاء طويل ، ثم قام الحسين عليه السلام يخرج من الخيمة ، فألقت زينب عليهاالسلام بنفسها عليه ،وتعلّقت به ، وهي تقول : مهلاً يا أخي ، توقّف حتي أتزوّد من نظري اليك ، فهذا وداع لا تلاق بعده .

فمهلاً أخي قبل الممات هنيئة

لتبرد منّي لوعة وغليل

فجعلت تقبّل يديه ورجليه ، واجتمعت حول المتعب الجريح ، والعطشان الحريب كلّ النساء ، هذه تقبّل يده ، وأخري تقبّل رجله ، وأخري تشمّه ، وهن يندبن بالويل والثبور ، فدعي الحسين عليه السلام بثوب يلبسه تحت ثيابه . . .

ثم خرج الحسين عليه السلام من الخيمة متوجها الي الميدان . .

محاصرة الإمام الحسين عليه السلام

قال صاحب البحار : فلبثوا هنيئة(1) ، ثم عادوا إليه وأحاطوا به ، فرماه خولي الأصبحي بسهم فوقع في حنكه عليه السلام ، وطعنه صالح بن وهب المزني علي خاصرته ، فوقع عليه السلام إلي الأرض علي خدّه الأيمن(2) .

يقول الشاعر :

أهوي فكبّرت الصفوف برغمه

وبرغم كلّ مكبّر ومهلّل

عجبا من السبع الطرائق كيف لم

تنشقّ والأرضين لم تتزلزل

أسفا عليه وللكواكب كيف لم

تنقضّ والأفلاك لم تتعطّل

شهادة عبد اللّه بن الحسن في اللحظات الأخيرة قبل شهادة الحسين عليه السلام

فخرج عبد اللّه بن الحسن بن علي عليهماالسلام ، وهو غلام لم يراهق ، وكان عمره أحد عشر سنة ، من عند النساء يشتدّ حتي وقف إلي جنب الحسين عليه السلام .

1- في المتن : « فوقفوا ساعة » .

2- بحار الأنوار : 45/55 بقية الباب 37 .

وروي أنّه لمّا خرج الحسين عليه السلام في الوداع الأخير ، خرج عبد اللّه وراء عمّهباكيا ، فلحقته زينب بنت علي عليهماالسلام لتحبسه ، فقال الحسين عليه السلام : احبسيه يا أختي ،فأبي وامتنع امتناعا شديدا ، وقال : لا واللّه لا أفارق عمّي .

وأهوي أبجر بن كعب – وقيل : حرملة بن كاهل – إلي الحسين عليه السلام بالسيف ، فقال له الغلام : ويلك يا ابن الخبيثة ، أتقتل عمّي ؟ فضربه بالسيف ، فاتقاه الغلام

بيده ، فأطنّها إلي الجلد ، فإذا هي معلّقة ، فنادي الغلام : يا عمّاه ، وروي أنّه نادي : يا أمّاه ، فخرجت أمّه من الخيام حافية حاسرة وهي تنادي : وا ولداه ، ويا نور عيناه .

فأخذه الحسين عليه السلام ، فضمّه إليه ، وقال : يا ابن أخي ، اصبر علي ما نزل بك ، واحتسب في ذلك الخير ، فإنّ اللّه يلحقك بآبائك الصالحين ، فرماه حرملة بن كاهل بسهم فذبحه ، وهو في حجر عمّه الحسين(1) عليه السلام .

فلمّا نظرت زينب عليهاالسلام الي هذا المنظر أعولت ونادت : وا ابن أخاه ، ليت الموت أعدمني الحياة(2) .

آخر لحظات الإمام الحسين عليه السلام

روي أنّ الإمام المظلوم عليه السلام نظر يمنة ويسرة فلم ير ناصرا ولا معينا ، فرمق السماء بطرفه وقال : صبرا علي قضائك يا ربّ ، لا معبود سواك ، يا غياث المستغيثين(3) .

وضجّت الملائكة إلي اللّه – عزّ وجلّ – بالبكاء والنحيب ، وقالوا : إلهنا وسيدنا ، أتغفل عمّن قتل صفوتك وابن صفوتك وخيرتك من خلقك ، فأوحي اللّه – عزّ وجلّ – إليهم : قرّوا ملائكتي ، فو عزّتي وجلالي ، لأنتقمن منهم ولو بعد حين .

1- بحار الأنوار : 45/52 بقية الباب 37 .

2- المنتخب : 2/439 .

3- ناسخ التواريخ ترجمة سيد علي جمال أشرف : 1/455 .

ثم كشف اللّه – عزّ وجلّ – عن الأئمة من ولد الحسين عليه السلام للملائكة ، فسرّت الملائكة بذلك ، فإذا أحدهم قائم يصلّي ، فقال اللّه – عزّ وجلّ – : بذلك القائم أنتقممنهم(1) ، وأنّي قتلت بدم يحيي بن زكريا سبعين ألفا ، وسأقتل بالحسين عليه السلامسبعين ألفا(2) . . من بني أمية بيد القائم .

حضور زينب عليهاالسلام عند الحسين عليه السلام

قال السيد ابن طاووس رحمه الله : وخرجت زينب عليهاالسلام من الفسطاط ، وهي تنادي : وا أخاه ، وا سيداه ، وا أهل بيتاه ، ليت السماء أطبقت علي الأرض ، وليت الجبال تدكدكت علي السهل(3) .

وقال الشيخ المفيد رحمه الله : وخرجت أخته زينب عليهاالسلام إلي باب الفسطاط ، فنادت عمر بن سعد بن أبي وقاص : ويحك يا عمر ، أيقتل أبو عبد اللّه وأنت تنظر إليه ، فلم

يجبها عمر بشيء ، ودموع عمر تسيل علي خديه ولحيته ، وهو يصرف وجهه عنها(4) . فنادت : ويحكم ، أما فيكم مسلم ، فلم يجبها أحد بشيء(5) .

مصرع الحسين عليه السلام

قال السيد ابن طاووس رحمه الله : وصاح شمر بأصحابه : ما تنتظرون بالرجل ؟

وحملوا عليه من كلّ جانب ، فضربه زرعة بن شريك علي كتفه اليسري ، وروي أنّه أبان كتفه اليسري بهذه الضربة ، وضربه آخر علي عاتقه المقدّس بالسيف ضربة كبا عليه السلام بها لوجهه ، وكان قد أعيا ، وجعل ينوء ويكبو ، فطعنه سنان بن

1- علل الشرائع : 1/160 باب 129 ، دلائل الإمامة : 239 ، بحار الأنوار : 45/221 باب 41 .

2- قصص الأنبياء للراوندي : 219 فصل 3 ح289 .

3- اللهوف : 121 المسلك الثاني ، بحار الأنوار : 45/52 بقية الباب 37 .

4- بحار الأنوار : 45/55 بقية الباب 37 .

5- الإرشاد : 2/111 .

أنس النخعي في ترقوته ، ثم انتزع الرمح ، فطعنه في بواني صدره ، ثم رماه سنان أيضابسهم فوقع في نحره ، فسقط عليه السلام وجلس قاعدا ، فنزع السهم من نحره ، وقرن كفيه جميعا ، فكلّما امتلأتا من دمائه خضب بهما رأسه ولحيته ، وهو يقول : هكذا ألقي اللّه مخضبا بدمي ، مغصوبا علي حقّي .

فقال عمر بن سعد لرجل عن يمينه : انزل - ويحك - إلي الحسين عليه السلام فأرحه ، فبدر إليه خولي بن يزيد الأصبحي ليحتزّ رأسه ، فأرعد(1) .

وقال صاحب المناقب : ولمّا ضعف عليه السلام نادي شمر : ما وقوفكم ؟ وما تنتظرون بالرجل ؟ قد أثخنته الجراح والسهام ، احملوا عليه ثكلتكم أمهاتكم ، فحملوا عليه من كلّ جانب ، فرماه الحصين بن تميم في فيه ، وأبو أيوب الغنوي بسهم مسموم في حلقه(2) .

فقال الحسين عليه السلام : بسم اللّه وباللّه ، ولا ـ حول ولا ـ قوة إلاّ باللّه ، وهذا قتيل في رضاء اللّه ، ثم أخذ من دمه مرارا ، وخضب به رأسه(3) .

فنزل سنان بن أنس ، ففتح الحسين عليه السلام عينيه ، فأرعد سنان وهرب .

فابتدر اليه شبث بن ربعي وبيده السيف ، فرمقه الحسين عليه السلام بطرفه ، فرمي السيف من يده وولّي وهو يقول : معاذ اللّه يا حسين أن ألقي اللّه بدمك .

فنزل عمرو بن الحجاج عن فرسه ، وأقبل نحو الحسين عليه السلام ، فنظر عليه السلام اليه ، فارتعد ، وركب فرسه وولّي .

فقال له شمر : ثكلتك أمّك ، لم رجعت عن قتله ؟ فقال : يا ويلك إنّه فتح عينيه في وجهي فأشبهتا عيني رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، ولا أريد أن أبتلي بدمه .

1- اللهوف : 121 المسلك الثاني .

2- بحار الأنوار : 45/55 بقية الباب 37 .

3- انظر الدمعة الساكبة : 4/349 ، وذريعة النجاة : 258 .

قال حميد بن مسلم : وخرجت زينب بنت علي عليهماالسلام ، وقرطاها يجولان بين أذنيها ، وهي تقول : ليت السماء انطبقت علي الأرض ، يا عمر بن سعد ، أيقتل أبوعبد اللّه وأنت تنظر إليه ؟ ودموع عمر تسيل علي خديه ولحيته(1) . .

مصرع الحسين عليه السلام برواية هلال بن نافع

روي ابن طاووس وابن نما عن هلال بن نافع قال : إنّي لواقف مع أصحاب عمر بن سعد إذ صرخ صارخ : أبشر أيّها الأمير ! فهذا شمر قد قتل الحسين .

قال : فخرجت بين الصفين ، فوقفت عليه وإنّه ليجود بنفسه ، فو اللّه ، ما رأيت قطّ قتيلاً مضمخا بدمه أحسن منه ، ولا أنور وجها ، ولقد شغلني نور وجهه ، وجمال هيبته عن الفكرة في قتله .

فاستسقي في تلك الحالة ماء ، فسمعته يقول : أما تسقوني قبل طلوع روحي شربة من الماء ، فسمعت رجلاً يقول : لا تذوق الماء حتي ترد الحامية ، فتشرب من حميمها .

فسمعته يقول : أنا أرد الحامية فأشرب من حميمها ؟ ! بل أرد علي جدّي رسول اللّه ، وأسكن معه في داره ، « فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ » ، وأشرب « مِنْ ماءٍ

غَيْرِ آسِنٍ » ، وأشكو إليه ما ركبتم منّي ، وفعلتم بي .

قال : فغضبوا بأجمعهم حتي كأنّ اللّه لم يجعل في قلب أحد منهم من الرحمة شيئا ، فاجتزوا رأسه ، وإنّه ليكلّمهم(2) .

وروي عن الباقر عليه السلام قال : . . لقد قتل بالسيف ، والسنان ، وبالحجارة ، وبالخشب ، وبالعصا ، ولقد أوطؤوه الخيل بعد ذلك(3) .

1- بحار الأنوار : 45/55 بقية الباب 37 .

2- بحار الأنوار : 45/56 بقية الباب 37 .

3- بحار الأنوار : 45/91 بقية الباب 37 ح30 .

ليت السماء أطبقت علي الأرض ، وليت الأرض ساخت بأهلها ، ليت الجبال تدكدكت علي السهل ، وليت الكون غرق بالدماء ، وليت العالمين كلّهم فداء للحسين عليه السلام .

فلمّا قتل صلوات اللّه عليه ، ارتفعت في السماء في ذلك الوقت غبرة شديدة سوداء مظلمة ، فيها ريح حمراء ، لا تري فيها عين ولا أثر(1) ، وتفجرت الأرض دما .

وفي بعض الروايات : نادي مناد من بين السماء والأرض : قتل الإمام ابن الإمام ، قتل واللّه الحسين .

ونادي مناد عند ذلك في السماء : ألا انفصمت من دين أحمد العري . . ألا قتلوا الإسلام والدين والتقي . . ألا قتلوا سبط النبي الغضنفر .

آه ، آه :

اجتزّ منه رأسا طالعا

أمسي له حجر النبوة مرقدا

فبكته أملاك السماوات العلي

والدهر بات عليه مشقوق الردا

وارتدّ كفّ الجود مكفوفا

وطرف العلم مطروحا عليه الأرمد

والوحش صاح لمن عراه من الأسي

والطير ناح علي عزاه وعدّدا

فلأبكينّ عليك يابن محمد

حتي أوسّد في التراب ملحّدا

إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ

1- بحار الأنوار : 45/56 بقية الباب 37 .

المجلس الحادي عشر: وقائع ما بعد شهادة سيد الشهداء عليه السلام ونهب الخيام

اشارة

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه العلي الذي لا يشبهه شيء من الأكوان ، ولا مثل له في الأعيان .

والصلاة والسلام علي أمير نوع الإنسان ، المتفرّد من أبناء جنسه في المكانة والشأن ، محمد صلي الله عليه و آله سيّد الإنس والجان ، أشرف من حواه الزمان والمكان .

وعلي أوصيائه أخيار الدهر ، ونواميس الزمان ، وأدلّة التوحيد ، وأركان الإسلام والإيمان .

خصوصا علي سبطه الشهيد العطشان ، والحيد اللهفان ، والأسير الحرمان ، والغريب الولهان ، قليل الأنصار والأعوان ، كثير الأحزان والأشجان ، السليب العريان ، الذبيح الظمآن ، مقطوع الأعضاء والبنان ، مسلوب العمامة والجنان ، البعيد عن الأوطان ، المقتول بظهر كوفان .

الذي غسله الدموع الهتان ، ونعشه الميدان ، وكافوره التربان ، وقبره قلوب أهل الأيمان . . الذي اجتمع عليه حزب الشيطان ، وجنود الكفر والطغيان ، فمنعوا عنه الماء المجان ، وسارعوا اليه السيف والسنان ، فسقوه الحتوف رشقا بالنبال ، وطعنا بالرماح ، وضربا بالسيوف ، وكأنّي ألمح نحوه ، وأراه مطروحا علي الرمولبين الخيول ، يستغيث فلا يغاث ، ويستجير فلا يجار ، ويستسقي فلا يسقي .

فوا أسفاه ، علي الشيوخ والشبّان ، ووا حسرتاه ، علي تلك الأجسام والأبدان ، جسوم طالما أتعبوها في عبادة الرحمن ، وتلاوة القرآن ، تسفي عليها الصبا والدبور ، وتزورها العقبان والنسور .

وا حزناه ، علي تلك البنات والنسوان ، والأطفال والصبيان ، مسلوبة الثياب والأسيان ، منزوعة القراط من الآذان ، مشتومة الآباء والإخوان ، المحمولة علي الهجان ، المشهورة في البلدان ، تلقيهم في منازلهم الزفان ، والجسان الي اللعين الفتان ، فلعنة اللّه عليه ، لعنة توصله الي أسف درك النيران .

وبعد ، فقد قال اللّه سبحانه وتعالي :

« قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبي وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ » .

* * *

الأمّة وأجر الرسالة

اعلم ، أنّ حقّ النبي صلي الله عليه و آله علي الخلق ، سيما علي أمّته أعظم من حقّ أيّ ذي حقّ إلاّ اللّه تعالي ، وذلك لأنّه الواسطة في وجود كلّ موجود ، والسبب في نزول البركات والرحمات من خالق الأرضين والسماوات ، والواسطة في حصول المعرفة الألهية ، ومعرفة طريق العبودية لجميع سكان العالم ، كما أشرنا الي هذا المعني سابقا ، وأوضحناه بالأخبار والروايات .

ومع ذلك كلّه ، فكم قد تحمّل صلي الله عليه و آله من الأتعاب والمشاقّ ؟ وكم صبر علي العظائم من أجل هداية الناس الي طريق العبودية ، وإنقاذهم من التيه والضلال ، وإيصالهم الي الصراط المستقيم والدين القويم ، في وقت لم يعرف الناس سوي عبادة الأنداد والأصنام ، وقد طبّق العالم من الكفر والشرك الظلام .

لقد كان العلم يومئذٍ غارقا في الكفر والجهالة ، ودخان الشرك وعبادة الأصنامقد عمّ الدنيا بأسرها ، وغطّاها بالظلام الحالك ، وقد تفككت عري المعارف

والحكم ، وانطمست قواعد العلم والمعرفة ، والناس في حيرة فلا طريق لهم الي فضاء العدل ، ولا دليل لهم الي الحقيقة والمعرفة ، انشغل بعضهم بعبادة الأصنام ، وبعض بالقتال والغارات والسلب والنهب ، وجماعة منغمسة بالشهوات واللذات ، وطائفة غاطسة في الرذائل الشيطانية والحيوانية .

وفي مثل هذه الأجواء بعث النبي الأكرم صلي الله عليه و آله ، فرفع أعلام الرسالة ، ونصب راية الهدي ، ودعي الخلق الي الحقّ ، وهو لا يملك قوة ولا جيشا ولا عساكر .

كان وحيدا ليس معه ناصر ولا معين ، بل علي العكس تماما كان الجميع يظهرون له العداء والخصومة ، ويؤذونه باليد واللسان ، ويشهرون السيف عليه ، ويرمونه بالحجارة حتي كسروا ثناياه ، وقد اتفقوا كلمة واحدة ، وعزموا علي قتله ، ولم يصدر منه إلاّ الصبر والرضا والتسليم ، وكان يلهج لسانه بالحمد والشكر والثناء للّه ، ولم يدع علي قومه ، بل قال : اللّهم اهد قومي فإنّهم لا يعلمون(1) .

كلّ الأنبياء عليهم السلام تحمّلوا من أقوامهم ، ولكنّهم كانوا يدعون عليهم إذا تمادوا في ظلمهم والإعتداء عليهم ، فكانوا يبتلون بالحرق ، أو الصيحة ، أو المسخ ، أو الخسف ، أو غيرها من أنواع البلاء والإهلاك .

فيما تعرّض النبي الأعظم صلي الله عليه و آله الي أذي من قومه لم يبتل به أيّ واحد من الأنبياء عليهم السلام ، ولكنّه صبر ولم يدع عليهم ، حتي هداهم الي صراط العزيز الحميد ، وعلّمهم العبودية والعلوم والمعارف الربّانيّة ، وعمّمهم بغيث الحكمة والموعظة النبوية ، فصرفهم عن الشهوات الحيوانية ، ووجّههم الي التفكير بالآخرة ، وعلّمهم الأخلاق الإلهية ، وحذّرهم عن الصفات الشيطانية ، ودلّهم علي الخير في أمورالمعاش والمعاد ، وبسط لهم بساط العدل والأمان والسداد .

1- بحار الأنوار : 20/96 .

فأخرجهم من عذاب النيران الي وسيع الجنان ، وأنقذهم من غضب الرحمن ، وجرّهم الي دار السرور والخلود والأمان ، وعمّر لهم دنياهم ، وأخرجهم من الذلّة الي العزّة « وَلِلّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤمِنِينَ » ، وبه صارت أمّته أفضل الأمم ، وحازت علي لقب الأمّة المرحومة ، فكان الأنبياء يدعون اللّه ويقولون : اللّهم اجعلنا من الأمّة المرحومة(1) ، أمّة نبي آخر الزمان صلي الله عليه و آله .

وقد ورد في أخبار كثيرة أنّ موسي عليه السلام سأل اللّه أن يكون من أمّة خاتم الأنبياء صلي الله عليه و آله(2) .

أجل ، إنّ حقوقه صلي الله عليه و آله علي أمته كثيرة لا تعدّ ولا تحصي ، أضف الي ذلك ما يتوقّعونه من شفاعته الكبري يوم القيامة ، ولهذا سألوه صلي الله عليه و آله عمّا يمكنهم أن يجازوه به ، ويؤدون به شيئا من حقوقه ، فقال اللّه تعالي : « قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبي وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ » .

فكانت المودّة التي أمر بها اللّه فضلاً من اللّه وكرامة لنبيه صلي الله عليه و آله ، وقد جعل اللّه ثوابا لمن عمل بها ، فقال : « وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيها حُسْناً » .

أفضل الأعمال

بل جعل اللّه المودّة في القربي أفضل الأعمال ، وأشرف القربات والطاعات ، كما روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال : إنّ فوق كلّ عبادة عبادة وحبّنا أهل البيت أفضل العبادة(3) .

وروي عن الفضيل قال : قلت لأبي الحسن موسي بن جعفر عليهماالسلام : أيّ شيءأفضل ما يتقرّب به العباد إلي اللّه فيما افترض عليهم ؟ فقال : أفضل ما يتقرّب به

1- انظر المناقب : 1/137 ، بحار الأنوار : 13/401 باب 16 ح9 .

2- انظر بحار الأنوار : 26/267 .

3- بحار الأنوار : 27/91 ح48 .

العباد إلي اللّه طاعة اللّه وطاعة رسوله ، وحبّ اللّه وحبّ رسوله وأولي الأمر ، وكان أبو جعفر عليه السلام يقول : حبّنا إيمان وبغضنا كفر(1) .

وروي الشيخ الطوسي عن أبي عبد اللّه الجدلي قال : قال لي علي بن أبي طالب عليهماالسلام : ألا أحدّثك يا أبا عبد اللّه بالحسنة التي من جاء بها أمن من فزع يوم القيامة ، والسيئة التي من جاء بها أكبّ اللّه وجهه في النار ؟ قلت : بلي ، يا أمير

المؤنين ، قال : الحسنة حبّنا ، والسيئة بغضنا(2) .

وروي الديلمي في أعلام الدين عن الصادق عليه السلام قال : وفد إلي الحسين عليه السلاموفد فقالوا : يا ابن رسول اللّه ، إنّ أصحابنا وفدوا إلي معاوية ، ووفدنا نحن إليك ، فقال : إذن أجيزكم بأكثر ممّا يجيزهم ؟ فقالوا : جعلنا فداك ، إنّما جئنا مرتادين لديننا ،

قال : فطأطأ رأسه ، ونكت في الأرض ، وأطرق طويلاً ، ثم رفع رأسه فقال : قصيرة من طويلة ، من أحبّنا لم يحبّنا لقرابة بيننا وبينه ، ولا لمعروف أسديناه إليه ، إنّما أحبّنا للّه ورسوله ، فمن أحبّنا جاء معنا يوم القيامة كهاتين ، وقرن بين سبابتيه(3) .

ولاية أهل البيت وقبول الأعمال

إنّ اللّه أوجب ولاية أهل البيت وذوي القربي عليهم السلام ، وجعلها من أهم الفرائض العظيمة ، وأركان الأسلام ، وجعلها أجر الرسالة ، بل جعلها شرط قبول الأعمال والطاعات ، وجعل طاعة من لا ولاية له وبالاً ، ولا تورث صاحبها إلاّ نكالاً .

كان رسول اللّه صلي الله عليه و آله في ملأ من أصحابه ، فقال رجال منهم : فإنّا نحبّ اللّه ورسوله ، ولم يذكروا أهل بيته ، فغضب وقال : أيّها الناس ، أحبّوا اللّه – عزّ وجل –لما يغذوكم به من نعمه ، وأحبّوني بحبّ ربّي ، وأحبّوا أهل بيتي بحبّي ، فو الذي

1- بحار الأنوار : 27/92 ح49 .
2- الأمالي للطوسي : 439 المجلس 17 ح49 ، بحار الأنوار : 27/85 ح27 .
3- أعلام الدين : 460 فصل في حسن الظن باللّه ، بحار الأنوار : 27/127 ح118 .

نفسي بيده ، لو أنّ رجلاً صفن بين الركن والمقام صائما وراكعا وساجدا ، ثم لقي اللّه – عزّ وجلّ – غير محبّ لأهل بيتي لم ينفعه ذلك .

قالوا : ومن أهل بيتك يا رسول اللّه ؟ أو أيّ أهل بيتك هؤاء ؟ قال صلي الله عليه و آله : من أجاب منهم دعوتي ، واستقبل قبلتي ، ومن خلقه اللّه منّي ، ومن لحمي ودمي .

فقالوا : نحن نحبّ اللّه ورسوله وأهل بيت رسوله ، فقال : بخ بخ ، فأنتم إذا منهم ،

أنتم إذا منهم ، والمرء مع من أحبّ ، وله ما اكتسب(1) .

وروي عن ميسر قال : كنت عند أبي جعفر عليه السلام وعنده في الفسطاط نحو من خمسين رجلاً ، فجلس بعد سكوت منّا طويل ، فقال : ما لكم ؟ لعلكم ترون أنّي نبي اللّه ، واللّه ما أنا كذلك ، ولكن لي قرابة من رسول اللّه صلي الله عليه و آله وولادة ، فمن وصلنا وصله اللّه ، ومن أحبّنا أحبّه اللّه – عزّ وجلّ – ، ومن حرمنا حرمه اللّه ، أفتدرون أي البقاع أفضل عند اللّه منزلة ؟ فلم يتكلّم أحد منّا ، فكان هو الرادّ علي نفسه ، قال : ذلك

مكة الحرام التي رضيها اللّه لنفسه حرما ، وجعل بيته فيها .

ثم قال : أتدرون أيّ البقاع أفضل فيها عند اللّه حرمة ؟ فلم يتكلّم أحد منّا ، فكان هو الرادّ علي نفسه ، فقال : ذلك المسجد الحرام .

ثم قال : أتدرون أيّ بقعة في المسجد الحرام أفضل عند اللّه حرمة ؟ فلم يتكلّم أحد منّا ، فكان هو الرادّ علي نفسه ، فقال : ذاك بين الركن والمقام وباب الكعبة ، وذلك حطيم إسماعيل عليه السلام ، ذاك الذي كان يزود فيه غنيماته ، ويصلّي فيه ، وواللّه لو أنّ عبدا صفّ قدميه في ذلك المكان ، قام الليل مصلّيا حتي يجيئه النهار ، وصام النهار حتي يجيئه الليل ، ولم يعرف حقّنا وحرمتنا أهل البيت لم يقبل اللّه منهشيئا أبدا(2) .

1- كشف الغمة : 1/415 ، بحار الأنوار : 27/104 باب 4 ح75 .

2- بحار الأنوار : 27/177 باب 7 ح25 .

أجل ، رضي النبي صلي الله عليه و آله مودّة أهل بيته أجرا علي ما تحمّله من أتعاب ومصاعب ، وعوضا عن حقوقه في أعناق هذه الأمّة .

ومن البديهي ، أنّ المودّة أمر سهل ، ولا تكلّف شيئا ، فأيّ خائن لدينه من يستخفّ بمودّة أهل البيت عليهم السلام ، ولا يقبلها أداءا لحقوق نبيه صلي الله عليه و آله ؟ والأعجب منه من بدّل المودّة الي عداوة !

روي عن جعفر عن آبائه عليهم السلام أنّه : لمّا نزلت هذه الآية علي رسول اللّه صلي الله عليه و آله قام رسول اللّه صلي الله عليه و آله فقال : أيّها الناس ، إنّ اللّه – تبارك وتعالي – قد فرض لي عليكم فرضا ، فهل أنتم مؤدّوه ؟ فلم يجبه أحد منهم ، فانصرف .

فلمّا كان من الغد قام فيهم ، فقال مثل ذلك ، ثم قام فيهم ، فقال مثل ذلك في اليوم الثالث ، فلم يتكلّم أحد ، فقال : يا أيّها الناس ، إنّه ليس من ذهب ، ولا فضة ، ولا

مطعم ، ولا مشرب . قالوا : فألقه إذن !

قال : إنّ اللّه – تبارك وتعالي – أنزل عليّ « قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبي » ، فقالوا : أمّا هذه فنعم .

فقال أبو عبد اللّه عليه السلام : فو اللّه ما وفي بها إلاّ سبعة نفر(1) . . .

العجب من هذه الأمّة

ما إن غمض النبي صلي الله عليه و آله عينه ، ورحل عن هذه الدنيا ، حتي تكالبوا علي أهل بيته ، وظلموهم ، واعتدوا عليهم ، فصاروا غرباء ، لا ـ ناصر لهم ولا ـ معين ، فغصبوا حقّهم ، وأحرقوا بابهم ، وهتكوا حرمتهم ، واقتحموا الدار بلا استأذان ، وكسروا ضلع ابنته وحبيبته عليهاالسلام .

أخرجوا ابن عمّه من بيته جرّا ، ثم عزلوه وأقعدوه في بيته ، ظلموا أبناءه ،وخذلوهم ، وسقوا أحدهما سمّا .

1- قرب الإسناد : 38 ، بحار الأنوار : 22/321 باب 10 ح11 .

أمرهم النبي بالإحسان الي ذريته ، فأيّ إحسان أحسنوا اليهم ! كلّما نادي فيهم ابنه وعزيزه : ألسنا ذرية نبيكم ؟ قالوا : نعرفك ونقتلك !

كلّما نادي : وا جدّاه وا أبا القاسماه ، وا عليّاه ، إجترؤا عليه ، ولم يرحموه !

كلّما نادي : أأقتل عطشانا وجدّي محمد المصطفي ؟ أأقتل عطشانا وأبي علي المرتضي وأمّي فاطمة الزهراء ؟

لم يرعوا فيه وصية النبي صلي الله عليه و آله ، بل لم يعاملوه معاملة واحد من المسلمين !

ليتهم إذ لم يوادّوه لم يحادّوه ، ولم يسبوا عياله كما يسبي الكفار ، ولم يسحقوا بدنه المقدّس .

ليتهم إذ لم يعاملوه معاملة المسلمين ، يعاملوه كأيّ رجل من رجال العرب ، فلولم يكن لهم دين فليكونوا عربا ، إن لم يكن لكم دين ، وكنتم لا تخافون المعاد ، فكونوا أحرارا في دنياكم ، وإرجعوا الي أحسابكم إذ كنتم عربا(1) .

إصبر يا رسول اللّه في ما نلته

من أمّة لنفوذ أمرك ضيّعوا

يا ليت يومك لم يكن أوانه

ما حال دونك حايل أو مضجع

لتري الحسين وما لقي من شدّة

يوم الطفوف فذاك خطب أفظع

فعليك يعظم لو تراه وولده

حجبوا عن الماء المباح وأمنعوا

أفدي الشفاه الذابلات من الظما

أفدي الجسوم الناعمات تقطّع

وعليك يعزز لو تراه مجدّلاً

تحت السنابك بالعراء موزّع

عجبا لإطباق السماء وأرضها

من بعد مصرعه تحطّ وترفع

وعليك يعزز لو رأيت الرأس في

عالي السنان سنان جهرا يرفع

يا قاصدا أرض الطفوف فقل لها

هلاّ علمت بمن بأرضك صرّعوا

هذا الحسين ومعشر من آله

ما كان ذنبهم وماذا أبدعوا

1- اللهوف : 119 .

أعظم الواجبات محبّة أهل البيت عليهم السلام

إذا علمت – يا عزيزي – أنّ محبّتهم واجبة ، بل من أعظم وأوجب الواجبات ، وأفضل الطاعات ، فعليك مراعاتها ، وإياك أن تخسرها ، فإنّك إن إستخففت بها تحرم من جميع الخيرات ، لأنّك إنّما تستخف بالدين الإلهي الذي تتديّن به الملائكة ،

وقد ورد في الحديث عنهم عليهم السلام : وهل الدين إلاّ الحبّ(1) ، أي حبّنا أهل البيت عليهم السلام .

مراتب المحبّة

إذن فكلّ من كانت محبّته أكمل وأشدّ كان دينه أقوي وأمتن .

وتختلف مراتب المحبّة من فرد الي آخر ، فمنهم من يكون المحبوب عنده أعزّ وأحبّ من كلّ شيء حتي من نفسه وماله وولده وعياله .

ومنهم من لا تتجاوز المحبّة عنده لسانه ، وهذا ينفضح عند الإبتلاء والإمتحان حيث ينكشف أمره ، وأنّه لا يحسن إلاّ الإدعاء .

وبين هاتين المرتبتين مراتب أخري كثيرة .

ولمّا كانت المحبّة أمرا باطنيا ، فلا يمكن التمييز بين الصادق المخلص ، والكاذب المدعي إلاّ من خلال العلائم والآثار التي تظهر عليه ، ومنها أن يفرح لفرح المحبوب ، ويحزن لحزنه ، كما قال الصادق عليه السلام : إنّ أكمل المؤمنين أحسنهم خلقا ، وأكثرهم رقّة علينا أهل البيت ، وأشدّهم حبّا لنا ، وأكثرهم حزنا علينا ، وأكثرهم مودّة لنا(2) .

والحقّ ، كيف يسمع الإنسان أو يري محبوبه مبتلي ثم لا يتنغّص عليه عيشه ؟

كيف يسمع أنّ أعظم المحبوبين في العالمين يقتل بلا جرم ، ذابل الشفاه ، مفتت الكبد من الظمأ ، والرمح في خاصرته ، والسهم في حلقه ، والحجر في جبهته ، وقدطبر رأسه بالسيف ، ثم لا يجري دمعه ، ويطلق آهته .

1- الخصال : 21 ح74 ، بحار الأنوار : 66/237 .

2- المنتخب : 2/362 .

يسمع كلّ هذا ثم لا يبكي ! فهل يسمّي هذا محبّا ؟ لا واللّه .

أجـل – واللّه – لشـيعته ومحبّيه أن يفترشوا الرمـاد ، ويلبسوا السواد عليه عمرهم ، ويـذرفوا عليه الـدموع دهرهم ، فالملائكـة يبكونه الي يوم القيامة ، ولا يفترون ، والطير لا تنسـي مصـيبته في يوم ، والسماء لا زالت تبكي عليه ، والأرض ترتجف مضطربة ، وأمواج البحار تتلاطم من هول ما جري عليه .

حبّ الحسين عليه السلام والبكاء عليه

أجل ، أنت أيضا إبك عليه ، وأطلق الزفرات من صدرك ، كما كان النبي صلي الله عليه و آله

تجري دموعه علي خديه إذا ذكر مصيبته ، وتأوّه لذكره .

روي عن ابن عباس قال : . . لمّا أتت علي الحسين عليه السلام سنتان خرج النبي صلي الله عليه و آلهإلي

سفر ، فوقف في بعض الطريق ، واسترجع ودمعت عيناه ، فسئل عن ذلك .

فقال : هذا جبرئيل يخبرني عن أرض بشطّ الفرات يقال لها « كربلاء » ، يقتل فيها ولدي الحسين ، وكأنّي أنظر إليه ، وإلي مصرعه ومدفنه بها ، وكأنّي أنظر علي السـبايا علي أقتاب المطايا ، وقد أهدي رأس ولدي الحسين إلي يزيد – لعنه اللّه – ، فو اللّه ما ينظر أحد إلي رأس الحسين ويفرح إلاّ خالف اللّه بين قلبه ولسانه ، وعذّبه اللّه عذابا أليما .

ثم رجع النبي صـلي الله عليه و آله من سـفره مغموما مهموما كئيبا حزينا ، فصـعد المنبر ، وأصـعد معه الحسن والحسين ، وخطب ووعظ الناس .

فلمّا فرغ من خطبته وضع يده اليمني علي رأس الحسن عليه السلام ، ويده اليسري علي رأس الحسين عليه السلام ، وقال : اللّهم إنّ محمدا عبـدك ورسولك ، وهذان أطايب عترتي ، وخيار أرومتي ، وأفضل ذريتي ، ومن أخلفهما في أمّتي ، وقد أخبرني جبرئيل أنّ ولدي هذا مقتول بالسمّ ، والآخر شـهيد مضـرّج بالـدم ، اللّهم فبارك له في قتله ،واجعله من سادات الشـهداء ، اللّهم ولا تبارك في قاتله وخاذله ، وأصـله حرّ نارك ، واحشره في أسفل درك الجحيم .

فضجّ الناس بالبكاء والعويل ، فقال لهم النبي صلي الله عليه و آله : أيّها الناس ، أتبكونه ولا تنصرونه ؟ ! اللّهم فكن أنت له وليا وناصرا(1) .

وروي ابن قولويه بإسناده عن أم سلمة أنّها قالت : خرج رسول اللّه صلي الله عليه و آله من عندنا ذات ليلة ، فغاب عنّا طويلاً ، ثم جاءنا وهو أشعث أغبر ، ويده مضمومة .

فقلت : يا رسول اللّه ، ما لي أراك شعثا مغبّرا ؟

فقال : أسري بي في هذا الوقت إلي موضع من العراق يقال له « كربلاء » ، فأريت فيه مصرع الحسين ابني ، وجماعة من ولدي ، وأهل بيتي ، فلم أزل ألقط دماءهم ، فها هي في يدي ، وبسطها إليّ ، فقال : خذيها واحتفظي بها ، فأخذتها فإذا هي شبه تراب أحمر ، فوضعته في قارورة ، وسددت رأسها ، واحتفظت به .

فلمّا خرج الحسين عليه السلام من مكة متوجها نحو العراق كنت أخرج تلك القارورة في كلّ يوم وليلة ، فأشمّها وأنظر إليها ، ثم أبكي لمصابه .

فلمّا كان في اليوم العاشر من المحرم ، وهو اليوم الذي قتل فيه عليه السلام أخرجتها في أول النهار ، وهي بحالها ، ثم عدت إليها آخر النهار ، فإذا هي دم عبيط ، فصحت في بيتي وبكيت ، وكظمت غيظي مخافة أن يسمع أعداؤم بالمدينة ، فيسرعوا بالشماتة ، فلم أزل حافظة للوقت حتي جاء الناعي ينعاه ، فحقّق ما رأيت(2) .

فوا أسفاه ، من مصيبة أبكت عيون الرسول صلي الله عليه و آله ، وأحرقت كبد البتول عليهاالسلام ، ووا حرّ قلباه ، علي الأجساد العاريات ، والأعضاء المقطّعات ، والأجسام الناعمات ،المطروحة في البراري والفلوات .

ووا حزناه ، علي النسوة المأسورات ، والعلويات البارزات .

1- بحار الأنوار : 44/247 باب 30 .

2- الإرشاد : 2/130 ، بحار الأنوار : 44/239 باب 30 ح31 .

ووا غمّـاه ، علي الوجوه السافرات ، والخـدود الملطّمات ، والأيـدي المغلولات ، والأعناق المكبّلات ، وكأنّي بهنّ مهتوكات الحجاب(1) ، محمولات علي الأقتاب ، مشدودات بالأطناب ، مشرّدات في الأسراب ، ينادين : وا سوأتاه ، وا غربتاه ، وا جدّاه ، وا أبتاه ، آه ، آه .

لهفي لربّات خدر أبرزت

بعد الستور لكلّ عبدٍ أكوع

أسفي علي فتيات أحمد أصبحت

يسري بهنّ بكلّ قفر بلقع

لهفي علي تلك الحرائر والعدي

قهرا تجاذبهنّ فضل البرقع

لم أنس لا واللّه زينب إذ مشت

وهي الوقور اليه مشي المسرع

تدعوه والأحزان مل ء فؤادها

والعين تسرع بالدموع الهمّع

أأخي أعظم ما ألاقيه من ال-

-بلوي فراقك يا ابن أمّي فاسمع

أأخي مالك عن بناتك معرضا

والكلّ منك بمنظر وبمسمع

أأخي ما عوّدتني من الجفا

فعلام تجفوني وتجفوهم معي

أأخي ما شقّ الجيوب عليك ير

ضيني وموتي فيك ليس بمقنع

أأخي هل لك رجعة تحيي بها

أرواحنا هيهات ما من مرجع

أأخي لو قبل العدي منّا الفدا

لفدتك منّا أنفس لم تجزع

أأخي هذا نجلك السجاد قد

أودي السقام بجسمه المتضعضع

أأخي زوّد بالوداع سكينة

يا خير مفقود وخير مودّع

أأخي قد صدّعت قلب رقيّة

بجفاك والأعراض أيّ تصدّع

أأخي أين أبي علي المرتضي

ليري انكساري للعدي وتخضّعي

أأخي قلبي ما وفي بذمامه

إن لم يذب من لوعتي وتفجّعي

1- في المتن : « مرفوعـات الجلباب ، منزوعات الثياب ! ! » وقـد كتبها المؤلف بالعربي ، وهو تعبير فيه قسوة ومخالف للحشـمة ، وإن كان مقصود المؤلف واضـح ، ومراده معلوم ، ولهذا رجّحنا أن ننقله الي الهامش ، لكي لا نتورط به من جهة ، ولا نخالف الأمانة من جهة أخري .

تأثير المحبّة والمعرفة في التأثر بالمصيبة

اعلم ، أنّ تأثّر وتألّم كلّ مصاب بالمصيبة علي قدر محبّته ، ومحبّته علي قدر معرفته ، فليس كلّ قتيل يوجب الحزن والألم ، بل ربّما يقتل بعض الأشخاص ولا يحزن عليهم أحد ، بل قد يفرح البعض بقتلهم ، والمفروض أن لا يفرحون .

فالمؤمن يحزن ألبتّة لمن يقتل مظلوما ، بل يحزن عليه كلّ عاقل ، لأنّ العاقل يدرك قبح الظلم .

وهكذا هو الأمر مع سيد الشهداء عليه السلام ، فكلّما أدرك الأنسان عظمة الحسين عليه السلام

وجلالة قدره ، بدي له فداحة الظلم ، وعظمة ما جري عليه ، وكلّما إكتشف علو مكانته وإرتفاع درجته ومنزلته إشتدّت محبّته وإزدادت في قلبه ، وكلّما إزدادت محبّته في قلبه إزداد تألّمه وإشتدّ حزنه .

ومن ذا يعرف الحسين عليه السلام حقّ معرفته ؟ سوي ابنه سيد الساجدين عليه السلام ، لأنّ الإمام لا يعرفه إلاّ الإمام ، وأمّا الآخرين فليس لهم القدرة علي معرفته حقّ المعرفة ، وإن كان كلّ واحد يتصوّره بنحوٍ ما ، ويعرفه بمقدار ما .

فقد يعرفه البعض بمستوي أنّه رجل كريم ، شجاع ، عالم ، نجيب ، شريف ، زاهد ، عابد ، قتلوه ظلما وعدوانا من دون جرم ، فيتألّم بهذا المقدار .

وقد يعرفه آخر أكثر من ذلك فيتألّم أكثر كذلك ، فيعتقد فيه أنّه عمود السماوات والأرض ، وأنّ السماوات والأرض والملائكة وجميع ذرات العالم تحت أمره ، وأنّ جميع العالم شعاع من أشعة نوره ، وكان إذا شاء شاء اللّه ، وإذا كره كره اللّه ، وإذا رضي رضي اللّه ، وإذا غضب غضب اللّه .

وكان إذا أراد أن يقاتلهم بقوة الإمامة لمحي العالم وما فيه بضربة واحدة ، بلبإشارة واحدة بسيفه ، ولكنّه لو فعل ذلك لما تبيّن السبب في نيله تلك الدرجاتالتي تمنّاها الأنبياء والمرسلين ، وأنّ أرواح الأنبياء والمرسلين تزور قبره ، والملائكة المقرّبين تتبرّك بتربته ، وأنّ قاتله يلقي في دركات جهنم ، ويصبّ عليه من العذاب ما لم يصبّ علي أولئك الذين إدّعوا الربوبية أربعمائة سنة .

ولو أنّه سلك معهم ذلك السلوك ، فمن ذا يضمن أنّ شيعته سيبكونه حينئذٍ صباحا ومساءا ، ويستحقّون بذلك الرحمة الإلهية .

أجل ، فهو كما كان أكمل العالم في كلّ الكمالات ، كان صبره كـذلك أكمل من صبر العالمين جميعا ، وقـد تعجّبت ملائكة السـماء من صبره ، إزدلف اليه ثلاثون ألفا يضـربونه بالسـيوف والرماح والنبال والخناجر والاحجار ، فأيّ بليـة عرضت عليه ، وأيّ ظلم ظلموه ؟ ظلم لم يجر علي أحد غيره من العالمين .

عظم مصيبة الحسين عليه السلام علي أهل البيت عليهم السلام

ومن هنا يتبيّن مدي فداحة هذه المصـيبة علي سـيد الساجدين عليه السـلام ، وكم كانت صـعبة وعظيمة علي النساء والبنات والأخوات من أهـل بيته عليهم السـلام ، العجب أنّهم لم يموتوا من سـاعتهم وهم ينظرون الي تلك الرزايا ! بلي ، لولم يرضـعوا من ثـدي العصـمة ، ولم يكونوا فرع شجرة العصمة والطهارة والشجاعة لما أطاقوا أبدا .

ولكن هل عرفت كيف عاشوا بعـد تلك الرزية ؟ لم ير فيهم ضاحكا قطّ ، وبكوا حتي جفّت آماقهم من الدموع ، ولم يكن لهم شـغل شاغل في ليلهم ونهارهم إلاّ البكاء والنياحة ، لم يفكروا في أكل ولا شـرب ولا نوم ولا راحة ، وكان سيد الساجدين عليه السلام يصنع لهم الطعام ويرسله لهم(1) .

ففي كتاب الكافي الشـريف عن أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام يَقُولُ : لَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ عليه السلامأَقَامَتِ امْرَأَتُهُ الْكَلْبِيَّةُ عَلَيْهِ مَأْتَماً ، وَبَكَتْ وَبَكَيْنَ النِّسَاءُ وَالْخَدَمُ ، حَتَّي جَفَّتْ دُمُوعُهُنَّوَذَهَبَتْ ، فَبَيْنَا هِيَ كَذَلِكَ إِذَا رَأَتْ جَارِيَةً مِنْ جَوَارِيهَا تَبْكِي وَدُمُوعُهَا تَسِـيلُ ، فَدَعَتْهَا فَقَالَتْ لَهَا : مَا لَكِ أَنْتِ مِنْ بَيْنِنَا تَسِيلُ دُمُوعُكِ ؟ قَالَتْ : إِنِّي لَمَّا أَصَابَنِي الْجَهْدُ شَرِبْتُ شَرْبَةَ سَوِيقٍ .

1- في المحاسن : 2/420 باب 25 وبحار الأنوار : 45/188 ح33 : عن عمر بن علي بن الحسـين عليه السـلام قال : لمّا قتل الحسين بن علي عليهماالسـلام لبسن نساء بني هاشم السواد والمسوح ، وكن لا يشـتكين من حرّ ولا برد ، وكان علي بن الحسـين عليهماالسـلام يعمل لهن الطعام للمأتم .

فَأَمَرَتْ بِالطَّعَامِ وَالأَسْوِقَةِ ، فَأَكَلَتْ وَشَرِبَتْ ، وَأَطْعَمَتْ وَسَقَتْ ، وَقَالَتْ : إِنَّمَا نُرِيدُ بِذَلِكِ أَنْ نَتَقَوَّي عَلَي الْبُكَاءِ عَلَي الْحُسَيْنِ(1) عليه السلام .

وروي عن جعفر بن محمد الصادق عليهماالسلام أنّه قال : ما اكتحلت هاشمية ، ولا اختضبت ، ولا رئي في دار هاشمي دخان خمس حجج ، حتي قتل عبيد اللّه ابن زياد(2) .

وعن يحيي بن راشد قال : قالت فاطمة بنت علي عليهماالسلام : ما تحنّأت امرأة منّا ، ولا أجالت في عينها مرودا ، ولا امتشطت حتي بعث المختار رأس عبيد اللّه بن زياد(3) .

واعلم أنّ ذكر النساء هنا باعتبار أنّهن محلّ إظهار الزينة ، لأنّ الرجال والنساء من بني هاشم كانوا في الحزن سواء ، سيّما السيد السجاد عليه السلام كما روي :

عن علي بن الحسين عليهماالسلام أنّه منذ وفاة أبيه الحسين ما أكل لحم الرؤوس حزنا علي رأس أبيه يوم رآه بين يدي يزيد ، ولم يزل يبكي علي مصاب أبيه أربعين سنة ، وهو مع ذلك صائم نهاره قائم ليله ، فإذا أحضر الطعام لإفطاره قال : وا كرباه ، لكربك يا أبه ، وا أسفاه لقتلك يا أباه .

ثم يبكي طويلاً وهو يقول : قتل ابن رسول اللّه جائعا ، قتل ابن بنت رسول اللّه عطشانا ، وأنا آكل الزاد وأشرب الماء ، لا هناني الأكل والشرب ، يعزّ عليك ياأبي ، ليتني لم أر مصرعك ، قال : لوم يزل يبكي حتي تبل الدموع وجهه ولحيته(4) . .

وليس في ذلك غرابة ، إنّ يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام كان نبيا ابن نبي ، وكان له اثنا عشر ابنا ، فغيب اللّه سبحانه واحدا منهم ، فشاب رأسه من الحزن ،

1- الكافي : 1/466 ح9 .
2- بحار الأنوار : 45/386 باب 49 .
3- بحار الأنوار : 45/386 باب 49 .
4- المنتخب : 2/308 .

واحـدودب ظهره من الغمّ ، وذهب بصـره من البكاء ، وابنه حيّ في دار الدنيا(1) ، وكان إذا ذكر عنـده نادي : وا أسـفا علي يوسف ، والإمام زين العابـدين رأي بعينه أباه – الـذي توسّل به يعقوب ويوسف الي اللّه – يقطّع بالسـيوف والرماح إربا إربا ، ويذبح كما يذبح الكبش ، ورأي الجسم الذي ترعرع علي صدر النبي صلي الله عليه و آلهعاريا علي الصعيد ، مرمّلاً بالدماء .

سئل أبو عبـد اللّه عليه السـلام : ما بلغ من حزن يعقوب علي يوسف ؟ قال : حزن سـبعين ثكلي بأولادها(2) ، فلهفي علي سيد الساجدين عليه السلام .

كما بكي يوسف عليه السلام في السجن حتي تأذي منه أهل السجن ، فقالوا له : لقد آذيتنا ببكائك فإمّا أن تبكي ليلاً أو نهارا(3) .

والحال أنّ سـجن يوسف لم يكن عداوة وبغضا ، وإنّما محبّة وعشـقا ، لأنّه دعي الي العشق فأبي ، فألقي في السـجن ليرضـي ، ولم يكن في السجن مكبّلاً مغلولاً ، بينما كان

سيد الساجدين عليه السلام في السجن وفي عنقه ويديه الجامعة ، مكبّلاً مغلولاً ، وهو ينظر الي عمّاته وأخواته والأطفال ، مكشّفين مربوطين بالحبال .

وا ويلاه ، أنزلوهم في سـجن لا يكنّهم من حرّ ولا برد ، حتي تقشّرت وجوههم من حرارة الشـمس(4) .روي أنّهم حملوايوسف علي قتب بغير غطاء ولا وطاء ، مقيدا مكبلاً مسلسلاً ،فمرّ علي مقبرة آل كنعان ، فرأي قبر أمّه ، فألقي يوسف نفسه علي قبر أمّه ، فجعل يتمرّغ ، ويعتنق القبر ويضطرب ، ويقول : يا أماه ، ارفعي رأسك تري

1- بحار الأنوار : 45/149 باب 39 .
2- بحار الأنوار : 12/242 باب 9 ح10 .
3- بحار الأنوار : 46/109 ح2 .
4- أمالي الصدوق : 231 ح243 .

ولدك مكبلاً مقيدا مسلسلاً مغلولاً ، فرّقوا بيني وبين والدي(1) . . . ولا أدري ما جري علي سيد الساجدين عليه السلام حينما مرّوا به علي مصرع أبيه ، فرآه مطروحا علي الرمضاء ؟

هل كان يتذكّر أيام كان أبوه يضمّه ويشمّه ، وهو يمرّ عليه عليلاً مكبّلاً أسيرا ؟ لا واللّه ، ما تذكّر شيئا من ذلك ، وإنّما تذكّر كيف كان هذا البدن المقدّس المرمي علي الصعيد يغفو علي صدر الرسول صلي الله عليه و آله ، وهو اليوم يتوسّد الرمال ، بلا غسل ولا كفن ، عار بالعراء ، لا يزوره أحد .

كان عليه السلام يجود بنفسه حينما مرّوا به علي مصرع أبيه عليه السلام ، وللرجال صبر غير صبر النساء ، فكيف كان حال أخواته وبناته وسائر نساء أهل البيت عليهم السلام ؟

ماذا جري لمولاتنا سكينة عزيزة الحسين عليه السلام التي كان يضمّه الي صدرها ، ويمسح دمعها بيده ، ويقول لها : لا تحرق قلبي بدمعك ، وهي تمرّ الآن علي جسد أبيها مرمّلاً بالدماء ؟

ماذا جري علي أخته وهي تنظر اليه مطروحا علي الرمضاء ، وهي تساق سبية الي الأعداء ؟

وما أنس أخت السبط زينب إذ هوت

لتقبيله أكرم بها من كريمة

وشفت أكفّ السبط من بعد لثمه

تقبّل منه وجنة بعد وجنة

ونادت بأعلي صوتها بعدما هوت

عليه فقالت والحيي وميّتي

أخي يا هلالاً غاب بعد طلوعه

فمن فقده أضحي نهاري كليلتي

أخي يا أخي أيّ المصائب أشتكي

فراقك أم هتكي وذلّي وغربتي

أم الثوب مسلوبا أم الجسم عاريا

أم النحر منحورا ببيض مقيلة

أم الظهر مرضوضا أم الشيب قانيا

أم الرأس مرفوعا كبدر الدجية

ص: 390

1- تفسير القرطبي : 9/158 .

أم الرحل منهوبا أم ا لمهر ناعيا

أم الوجه مكبوبا بحرّ الظهيرة

أم الضائعات الفاقدات حواسرا

كشلّ الإما يشهرن في كلّ بلدة

أخي يا أخي قل للئام ترفّقوا

لسلب حريمي وارحموا حال غربتي

أخي ليت هذا النحر كان بمنحري

ويا ليت هذا السهم كان بمهجتي

أخي يا أخي ما كان أطيب عيشنا

وأطيب أيّاما تقضّت بطيبة

أخي بلّغ المختار طه سلامنا

وقل أمّ كلثوم بكرب ومحنة

أخي بلّغ الكرار عنّي تحية

وقل زينب أضحت تساق بذلّة

بعد الشهادة

أمّا الوقائع التي وقعت بعد شهادة شمس فلك الإمامة ، ومصباح دياجير ظلمات الضلالة ، كما رواها السيد ابن طاووس وغيره فهي كما يلي :

لمّا فاز المولي بالشـهادة ، ولبّت نفسه المطمئنة نداء « ارْجِعِي إِلي رَبِّكِ راضِ يَةً مَرْضِيَّةً » ، ورحلت الي عالم القدس ، وخلّفت نيران الحزن في الكائنات العلوية والسفلية .

قال السـيد : فلمّا قتل – صـلوات اللّه عليه – ارتفعت في السـماء في ذلك الوقت غبرة شديـدة سوداء مظلمة ، فيها ريح حمراء ، لا تري فيها عين ولا أثر ، حتي ظنّ القوم أنّ العذاب قد جاءهم(1) .

وروي : فعنـد ذلك زلزلت الأرض ، وأظلم المشـرق والمغرب ، واخـذت الناس الصواعق ، ثم نادي منادي من السـماء : قد قتل الامام ابن

الامام ، قتل واللّه الحسين ، وكبّر العسكر ثلاث تكبيرات(2) .

ويكبّرون بأن قتل وإنّما

قتلوا بك التكبير والتهليلا

1- بحار الأنوار : 45/56 بقية الباب 37 .

2- نور العين في مشهد الحسين للاسفرائيني : 50 .

عودة الفرس الي الخيام

روي صاحب المناقب وابن بابويه وأبو مخنف وصاحب المنتخب بألفاظ متقاربة :

قال أبو مخنف : لمّا قتل الحسين عليه السلام جعل جواده يصهل ويحمحم ويقول في

صهيله : الظليمة الظليمة من أمّة قتلت ابن بنت نبيّها ، ويتخطّي القتلي واحدا بعد واحد ، فنظر اليه عمر بن سعد فصاح بالرجال : خذوه وآتوني به ، وكان من جياد خيل رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، فتراكضت الفرسان اليه ، فجعل يرفس برجليه ويمانع عن نفسه ، ويكدم بفمه ، حتي قتل أربعين منهم ، ونكّس فرسانا عن خيولهم ، ولم يقدروا عليه ، فصاح ابن سعد : ويلكم تباعدوا عنه ودعوه ، لننظر ما يصنع ، فتباعدوا عنه .

فلمّا أمن الطلب جعل يتخطّي القتلي ويطلب الحسين عليه السلام حتي إذا وصل اليه ، جعل يشمّ رائحته ويقبّله بفمه ، ويمرّغ ناصيته عليه ، وهو مع ذلك يصهل ويبكي بكاء الثكلي ، حتي أعجب كلّ من حضر .

ثم انفلت يطلب خيمة النساء ، وقد ملأ البيداء صهيلاً ، فسمعت زينب صهيله فأقبلت علي سكينة وقالت : هذا فرس أخي الحسين قد أقبل ، لعل معه شيئا من الماء ، فخرجت متخمرة من باب الخباء تتطلّع الي الفرس ، فلمّا نظرتها فإذا هي عارية من راكبها ، والسرج خال منه ، والدماء في ناصيتها ، فهتكت عند ذلك خمارها ، ونادت : واللّه قتل الحسين ، فبكت وصرخت : وا قتيلاه ، وا غريباه ، وا بعد سفراه ، وا طول كرباه ، وا ضيعتاه .

فسمعت زينب قولها ، فنادت : وا حسيناه ، فخرجن النساء فلطمن الخدود ، وشققن الجيوب ، وصحن : وا محمداه ، وا عليّاه ، وا فاطمتاه ، وا حسناه ، وا حسيناه ، فصاحت زينب عليهاالسلام : وا أخاه ، وا غربتاه ، وا قلّة ناصراه ، اليوم ماتمحمد المصطفي ، اليوم مات علي المرتضي ، اليوم ماتت فاطمة الزهراء ، وارتفع الضجيج وعلا الصراخ والنحيب ، حتي ضجّت ملائكة السماء الي اللّه (1) .

1- المنتخب : 2/452 .

فمن ندبهم قد قطّعت كبد أحمد

وكلّ يناديه لفرط الأمائق

تبصّر رسول اللّه شدّة حالنا

ومن آلك الغرّ الكرام بخافق

وهذي تنادي ربّ عجّل مماتنا

وهذي تنادي الغوث من عظم ما لقي

حرق الخيام

فَلَمّا اِرْتَفَعَ صِياحُ النِّساءِ صاحَ اِبْنُ سَعْدٍ – لَعَنَهُ اللّه – : وَيْلَكُمْ اَكْبِسُوا عَلَيْهِنَّ الخِبا ، وَاَضْرِمُوهُنَّ نارا ، فَاَحْرِقُوها وَمَنْ فيها .

فَقالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : وَيْلَكَ يَابْنَ سَعْدٍ ، اَما كَفاكَ قَتْلُ الْحُسَيْنِ عليه السلام وَاَهْلِ بَيْتِهِ وَاَنْصارِهِ عَنْ اِحْراقِ اَطْفالِهِ وَنِسائِهِ ، لَقَدْ اَرَدْتَ اَنْ يَخْسَفَ اللّهِ بِنا الأَرْضَ .

فأمر اللعين بنهب الخيام ، فَتَبادَروا اِلَي نَهْبِ النِّساءِ الطّاهِراتِ(1) .

آه ، وامصيبتاه ، هجموا علي الخباء وسلبوا ما كان علي بنات رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، فسلبوهن كلّ ما عليهن حتي المآزر والمقانع ، وأخذوا الحلي والخلاخيل من أرجل الأطفال والنساء ، وخرموا الآذان وسلبوا الأقراط .

فكم خرموا من أُذن حوراء تجتلي

وكم لطموا من خدّ عيناء عاتق

إذا مضّها ضرب السياط برأسها

ولم يك واق تتّقي بالمرافق

ويهدي علي الأقتاب والنوح زادها

وضرب العدي بالسوط فوق العواتق

نهب الخيام برواية فاطمة الصغري عليهاالسلام

روي ابن بابويه في الأمالي بإسناده عن فاطمة بنت سيد الشهداء عليه السلام أنّهاقالت : دخلت العامة علينا الفسطاط ، وأنا جارية صغيرة ، وفي رجلي خلخالان من ذهب ، فجعل رجل يفضّ الخلخالين من رجلي وهو يبكي ، فقلت : ما يبكيك يا عدو اللّه ؟ فقال : كيف لا أبكي

وأنا أسلب ابنة رسول اللّه ؟ فقلت : لا تسلبني ،

1- مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف : 106 .

قال : أخاف أن يجيء غيري فيأخذه ، قالت : وانتهبوا ما في الأبنية حتي كانوا ينزعون الملاحف عن ظهورنا(1) .

وروي صاحب المناقب ومحمد بن أبي طالب الموسوي : فأقبل أعداء اللّه – لعنهم اللّه – حتي أحدقوا بالخيمة ، ومعهم شمر ، فقال : ادخلوا فاسلبوا بزّتهن ، فدخل القوم – لعنهم اللّه – ، فأخذوا ما كان في الخيمة حتي أفضوا إلي قرط كان في أذن أم كلثوم أخت الحسين عليهماالسلام فأخذوه ، وخرموا أذنها ، حتي كانت المرأة لتنازع ثوبها علي ظهرها حتي تغلب عليه(2) .

روي الشيخ فخر الدين في مقتله عن زينب بنت أمير المؤمنين عليهماالسلام قالت : كنت واقفة علي باب الخيمة ، إذ دخل الخيمة رجل أزرق العينين ، وأخذ جميع ما كان فيها ، وأخذ ما كان عليّ ، ونظر زين العابدين فرآه مطروحا علي نطع من الأديم وهو عليل ، فجذب النطع من تحته ، وجاء إليّ وأخذ قناعي وقرطين كانا في أذني ، وهو مع ذلك يبكي ، فقلت له : لعنك اللّه ، هتكتنا وأنت مع ذلك تبكي ؟ قال : أبكي ممّا جري عليكم أهل البيت ، قالت زينب عليهاالسلام : فقد غاضني ، فقلت له : قطع اللّه يديك ورجليك ، وأحرقك بنار الدنيا قبل الآخرة ، فواللّه ما مرّت به الأيام حتي ظهر المختار وفعل به ذلك ، ثم أحرقه بالنار ، واستجاب اللّه دعاء الطاهرة(3) .

قال حميد بن مسلم : فانتهينا مع شمر بن ذي الجوشن إلي علي بن الحسين عليهماالسلام ،وهو منبسط علي فراش ، وهو شديد المرض ، ومع شمر جماعة من الرجالة ، فقالواله : ألا نقتل هذا العليل ؟ فقلت : سبحان اللّه أتقتل الصبيان ؟ إنّما هذا صبي ، وإنّه لما به ، فلم أزل حتي دفعتهم عنه(4) .

1- الأمالي للصدوق : 164 المجلس 31 ، بحار الأنوار : 45/82 بقية الباب 37 ح9 .

2- بحار الأنوار : 45/60 .

3- المنتخب : 2/455 .

4- ناسخ التواريخ ترجمة سيد علي جمال أشرف : 3/9 .

وجاء عمر بن سعد فصاحت النساء في وجهه وبكين ، فقال لأصحابه : لا يدخل أحد منكم بيوت هؤاء النساء ، ولا تعرضوا لهذا الغلام المريض ، فسألته النسوة أن يسترجع ما أخذ منهن ليستترن به ، فقال : من أخذ من متاعهم شيئا فليردّه ، فواللّه ما ردّ أحد منهم شيئا ، فوكّل بالفسطاط وبيوت النساء وعلي بن الحسين جماعة ممّن كان معه ، وقال : احفظوهم لئلا يخرج منهم أحد(1) .

وروي حميد بن مسلم قال : رأيت امرأة من بكر بن وائل كانت مع زوجها في أصحاب عمر بن سعد ، فلمّا رأت القوم قد اقتحموا علي نساء الحسين عليه السلام فسطاطهن ، وهم يسلبونهن ، أخذت سيفا وأقبلت نحو الفسطاط ، فقالت : يا آل بكر بن وائل ، أتسلب بنات رسول اللّه ؟ ! لا حكم إلاّ للّه ، يا ثارات رسول اللّه ، فأخذها زوجها وردّها إلي رحله(2) .

ولنعم ما قال الشيخ الجليل عبد النبي البحراني :

يا لذلّ الإسلام يا غيرة ال-

-لّه وما اللّه بالقصاص عجول

يا بنات البتول ما اللّه عمّا

نيل منكنّ بالطفوف غفول

أيماط الحجاب منكنّ بين ال-

-ناس واللّه شاهد ووكيل

ليت شعري أين البتول ؟ ألا أين علي ؟ ليروكنّ بالعراء وعليكنّ من الذلّ والهوان .

رواية أخري عن فاطمة الصغري عليهاالسلام

روت فاطمة الصغري عليهاالسلام قالت : كنت واقفة بباب الخيمة ، وأنا أنظر إلي أبي وأصحابي مجززين كالأضاحي علي الرمال ، والخيول علي أجسادهم تجول ، وأنا أفكر فيما يقع علينا بعد أبي من بني أمية ، أيقتلوننا ؟ أو يأسروننا ؟

1- بحار الأنوار : 45/ 59 بقية الباب 37 .

2- اللهوف : 130 ، بحار الأنوار : 45/57 بقية الباب 37 .

فإذا برجل علي ظهر جواده يسوق النساء بكعب رمحه ، وهن يلذن بعضهن ببعض ، وقد أخذ ما عليهن من أخمرة وأسورة ، وهن يصحن : وا جدّاه ، وا أبتاه ، وا عليّاه ، وا قلّة ناصراه ، وا حسناه ، أما من مجير يجيرنا ؟ أما من ذائد يذود عنّا ؟

قالت : فطار فؤدي ، وارتعدت فرائصي ، فجعلت أجيل بطرفي يمينا وشمالاً علي عمّتي أم كلثوم ، خشية منه أن يأتيني .

فبينا أنا علي هذه الحالة ، وإذا به قد قصدني ، ففررت منهزمة ، وأنا أظنّ أنّي أسلم منه ، وإذا به قد تبعني ، فذهلت خشية منه ، وإذا بكعب الرمح بين كتفي ، فسقطت علي وجهي ، فخرم أذني ، وأخذ قرطي ومقنعتي ، وترك الدماء تسيل علي خدّي ، ورأسي تصهره الشمس ، ووليّ راجعا إلي الخيم ، وأنا مغشي عليّ ، وإذا أنا بعمّتي عندي تبكي ، وهي تقول : قومي نمضي ، ما أعلم ما جري علي البنات وأخيك العليل ، فقمت وقلت : يا عمتاه ، هل من خرقة أستر بها رأسي عن أعين النظّار ؟ فقالت : يا بنتاه وعمّتك مثلك ، فرأيت رأسها مكشوفة ، ومتنها قد أسود من الضرب .

فهل مبلغ بنت النبي بناتها

عرايا كأسر الروم منكشفات

أفاطم قومي من ستورك واجمعي

يتاماك في ذلّ السبا وشتات

قالت فاطمة عليهاالسلام : فما رجعنا إلي الخيمة إلاّ وهي قد نهبت وما فيها ، وأخي علي بن الحسين مكبوب علي وجهه ، لا يطيق الجلوس من كثرة الجوع والعطش والأسقام ، فجعلنا نبكي عليه ويبكي علينا(1) .

قال السيد ابن طاووس : ثم أخرجوا النساء من الخيمة وأشعلوا فيها النار ، آه وا ويلاه ، فخرجن حواسر مسلبات حافيات باكيات يمشين سبايا في أسر الذلّة(2) .

1- بحار الأنوار : 45/59 بقية الباب 37 .

2- اللهوف : 130 ، بحار الأنوار : 45/57 بقية الباب 37 .

جسم الحسين عليه السلام تحت سنابك الخيل

قـال السـيد ابن طـاووس : ثم نـادي عمر بن سـعد في أصـحابه : من ينتـدب للحسـين فيوطئ الخيل ظهره ، فانتـدب منهم عشـرة ، ثم ذكر أسماءهم . .

قال أبو عمرو الزاهد : فنظرنا في هؤاء العشرة ، فوجدناهم جميعا أولاد زنا(1) .

وروي عن فاطمة بنت الحسين عليه السلام : كنّا فيما نحن فيه من الأسر والسبي إذ نادي المنادي : من ينتدب للحسين عليه السلام فيوطي ء الخيل صدره وظهره ، – فضّ اللّه فما يروي هذه المصيبة دون تلكأ – فلمّا سمعت ذلك ما تمالكت أن أجلس مكاني ، فخرجت مسرعة الي عمّتي ، وقامت عمّتي ، ولكنّي كنت أريـد أن أفرّ الي مكان لا أري فيه ما سيصـنعون بأبي ، وخرجت عمّتي مذهولـة الي المصـرع تظنّ أنّها تستطيع أن تمنعهم عمّا ينوون ، فكلّما صاحت واستغاثت واستنصرت لم يلتفت اليها أحد ، ومضوا فيما أمرهم الظالمون(2) .

واعلم ، أنّ كلام ابن طاووس وغيره يدلّ علي أنّ أولئك الطغام الطغاة الملحدين ارتكبوا هذا العمل الشنيع بالفعل ، وهذا ما يستفاد من كثير من الروايات والأخبار والزيارات ، وقد نظم ذلك العلماء الشعراء وضمّنوه في قصائدهم ومراثيهم ونثرهم .

ومن تلك الأحاديث روايـة علي بن ساباط عن الباقر عليه السـلام في وصف كيفيـة مقتلسـيد الشـهداء عليه السـلام . . قال في آخره : ولقد أوطأوه الخيول بعد ذلك(3) .

وفي زيارة الناحية المقدّسة المذكورة في كتب الزيارات : تطؤك الخيول بحوافرها ، وتعلوك الطغاة ببواترها(4) . . الي غير ذلك .

1- بحار الأنوار : 45/59 بقية الباب 37 .

2- تذكرة الشهداء ترجمة سيد علي جمال أشرف : 441 .

3- بحار الأنوار : 45/91 .

4- بحار الأنوار : 101/322 .

وروي أنّه لَمَّا قُتِلَ الْحُسَيْنُ عليه السلام أَرَادَ الْقَوْمُ أَنْ يُوطِئُوهُ الْخَيْلَ ، فَقَالَتْ فِضَّةُ لِزَيْنَبَ عليهاالسلام : يَا سَيِّدَتِي إِنَّ سَفِينَةَ كُسِرَ بِهِ فِي الْبَحْرِ ، فَخَرَجَ إِلَي جَزِيرَةٍ ، فَإِذَا هُوَ بِأَسَدٍ ، فَقَالَ : يَا أَبَا الْحَارِثِ أَنَا مَوْلَي رَسُولِ اللَّهِ صلي الله عليه و آله ، فَهَمْهَمَ بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّي وَقَفَهُ عَلَي الطَّرِيقِ ، وَالأَسَدُ رَابِضٌ فِي نَاحِيَةٍ ، فَدَعِينِي أَمْضِي إِلَيْهِ وَأُعْلِمُهُ مَا هُمْ صَانِعُونَ غَداً .

قَالَ : فَمَضَتْ إِلَيْهِ فَقَالَتْ : يَا أَبَا الْحَارِثِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، ثُمَّ قَالَتْ : أَتَدْرِي مَا يُرِيدُونَ أَنْ يَعْمَلُوا غَداً بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام ؟ يُرِيدُونَ أَنْ يُوطِئُوا الْخَيْلَ ظَهْرَهُ .

قَالَ : فَمَشَي حَتَّي وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَي جَسَدِ الْحُسَيْنِ عليه السلام ومسح وجهه ورأسه به ثم قلّب وجهه علي الأرض وجعل يتضرع ويأنّ والدموع تجري من عينيه ، فلمّا أصبح الصباح ، أَقْبَلَتِ الْخَيْلُ ، فَلَمَّا نَظَرُوا إِلَيْهِ ، قَالَ لَهُمْ عُمَرُ بْنُ سَعْدٍ لَعَنَهُ اللَّهُ : فِتْنَةٌ لا تُثِيرُوهَا انْصَرِفُوا ، فَانْصَرَفُوا(1) .

أصدر حوي وحي الإله وعلمه

تحطّمه في عدوها الضمر الجرد

وجسم له الأفلاك والأرض كوّنت

يظلّ ثلاثا ما بها ضمّه لحد

ورأس ثري في حجر فاطم أعصر

تنوء به في البيد خطية بلد

سبي آل البيت

اعلم ، أنّ حكاية نهب الخيام وإحراقها ، وسلب بنات رسول اللّه وغيرهن في معسكر الحسين عليه السلام – شهد اللّه – ممّا يحرق القلوب ، وذلك أنّ أسر آل البيت وسبيسناء النبي صلي الله عليه و آله بهذه الصورة المذلّة ليس ممّا يحكي ولا يسمع .

يا ليت صمّ صماخي قبل أن قرعت

أُذني بسبي الهاشميات

مكشفات علي الأقتاب عارية

مصفودة بجسوم عبهريّات

1- الكافي¨ : 1/465 باب مولد االحسين بن علي¨ عليه السلام ، بحارالأنوار : 45/169 باب 39 .

اعلم ، أنّ المستفاد من بعض الروايات – كرواية مسلم الجصاص(1) – أنّهم حملوا ثقل النبوة في المحامل ، ولكن المستفاد من الزيارات وقصائد العلماء وأشعارهم أنّهم حملوهن علي أقتاب المطايا العارية بلا غطاء ولا وطاء ، بأبي وأمي المظلومات الغريبات .

بل يستفاد من الأخبار وغيرها أنّهم صفّدوهم بالحديد ، وكبّلوهم بالأغلال ، كما ورد في زيارة الناحية المقدّسة : سبي أهلك كالعبيد ، وصفّدوا بالحديد ، فوق أقتاب المطيّات ، تلفح وجوههم حرّ الهاجرات ، يساقون في البراري والفلوات ، أيديهم مغلولة الي الأعناق ، يطاف بهم في الأسواق(2) .

عجبا من السبع الطرائق كيف لم

تنشق والأرضون لم تتصدّع

أسفا عليه والكواكب كيف لم

تنقضّ والأفلاك لم تتعطّل

قتل ابن فاطمة وتلك حريمه

بيد الأعادي لا كفيل ولا ولي

هل تقبلون بأنّ خير نسائكم

في الأسر يستعطفن من لم يقبل

قوموا إذا لم تدركوه تداركوا

تلك العقائل من أكفّ الجحفل

مرور أهل البيت علي مصارع الشهداء

روي أنّهم مرّوا بهنّ علي القتلي مطرحة إستكبارا وعناداً(3) .وروي ابن طاووس قال : فخرجن حواسر مسلبات حافيات باكيات يمشين سبايا في أسر الذلّة ، وقلن : بحقّ اللّه إلاّ ما مررتم بنا علي مصرع الحسين عليه السلام ، فلمّانظر النسوة إلي القتلي علي الرمضاء مقطّعين إربا إربا ، مرمّلين بالدماء ، صحن وضربن وجوههن ، وإضطربن حتي ضجّت ملائكة السماء ، وحنّ لهنّ جميع ما في الكون ، وألقين بأنفسهن من المطايا الي الأرض ، وهن يصرخن : وا حسيناه .

1- بحار الأنوار : 45/114 .

2- بحار الأنوار : 101/322 .

3- تظلم الزهراء عليهاالسلام : 225 .

وفي بعض الروايات : أنّهن إجتمعن عند الجسد الذي هزّ جبرئيل مهده ، وربّاه النبي علي صدره ، وتركه الأعداء عاريا علي الصعيد ، وجلعن يخضبن شعورهن ووجوههن من دمه ، وهن يندبن : وا حسيناه ، وا مظلوماه ، وا قتيلاه .

ندبة زينب الكبري عليهاالسلام في المصرع

أمّا زينب عليهاالسلام فلمّا وقعت عينها علي بدن أخيها الحبيب ، ونظرت الي موضع تقبيل رسول اللّه مقطّع بخنجر الأعداء ، وهو ملقي علي الصعيد عار مسلوب الثياب ، صرخت : هذا الحسين ؟ !

صرخت صرخة لا زالت مدوية منذ ألف عام ، تصكّ الأسماع ، ويترجف لها أركان العالم ، وتتحرّق لها قلوب الأشياع .

قال الراوي : فو اللّه لا أنسي زينب بنت علي عليهماالسلام تندب الحسين عليه السلام ، وتنادي بصوت حزين ، وقلب كئيب : يا محمداه ، صلّي عليك ملائكة السماء ، هذا الحسين مرمّل بالدماء ، مقطّع الأعضاء ، وبناتك سبايا ، إلي اللّه المشتكي ، وإلي محمد المصطفي ، وإلي علي المرتضي ، وإلي فاطمة الزهراء ، وإلي حمزة سيد الشهداء .

يا محمداه ، هذا حسين بالعراء ، تسفي عليه الصبا ، قتيل أولاد البغايا ، وا حزناه وا كرباه ، اليوم مات جدّي رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، يا أصحاب محمداه ، هؤاء ذرية المصطفي ، يساقون سوق السبايا .

هذا الذي قد كنت تلثم نحره

أمسي نحيرا من حدود ضبائها

من بعد حجرك يا رسول اللّه قد

ألقي طريحا في ثري رمضائها

ثم رمت بطرفها نحو الحسين ، وهي باكية مفجوعة ، يلتهب صدرها بنيرانالحزن والأسي وقالت : هذا حسين مجروز الرأس من القفا ، مسلوب العمامة والرداء ، بأبي من أضحي عسكره في يوم الإثنين نهبا ، بأبي من فسطاطه مقطّع العري ، بأبي من لا غائب فيرتجي ، ولا جريح فيداوي ، بأبي من نفسي له الفداء ،

بأبي المهموم حتي قضـي ، بأبي العطشان حتي مضـي ، بأبي من شيبته تقطر بالدماء ، بأبي من جدّه محمد المصطفي ، بأبي من جدّه رسول إله السـماء ، بأبي من هو سـبط نبي الهـدي ، بأبي محمد المصـطفي ، بأبي خديجة الكبري ، بأبي علي المرتضـي عليه السـلام ، بأبي فاطمة الزهراء سيدة النساء عليهاالسلام ، بأبي من ردّت له الشمس حتي صلّي .

قال الراوي : فأبكت – واللّه – كلّ عدو وصديق(1) .

وفي بعض الروايات : فما زالت تقول هذا القول حتي أبكت كلّ صديق وعدو ، حتي رأينا دموع الخيل تنحدر علي حوافرها(2) .

وروي الشـيخ الطريحي صاحب المنتخب قال : لمّا نظرت أم كلثوم الي أخيها عار علي الرمضاء ، تسفي عليه الصبا ، ألقت بنفسها عليه من علي ظهر الناقة ، وضـمّته الي صدرها ، وبكت وجعلت تندبه وتقول : يا رسول اللّه ، هذا حسـينك في العراء ، تسفي عليه ريح الصبا ، ملقي علي الرمضـاء بلا غسل ولا كفن ، مرمّل بالـدماء ، وأهل بيتك سـبايا ، يساقون في ذلّ الأسـر ، ليس لهم من حماتهم حمي ولا من ولاتهم ولي ، ورأس الحسين ورؤوس أهل بيته وأصحابه علي رؤوس الرماح . . فاجتمع عليها عدّة من الأجلاف فنحّوها عن الجسد الشريف .

سكينة عليهاالسلام عند جسد الحسين عليه السلام

قال السيد ابن طاووس : ثم إنّ سكينة اعتنقت جسد أبيها الحسين عليه السلام(3) ، فبكت حتي أغمي عليها .

1- اللهوف : 130 المسلك الثاني .

2- المنتخب : 2/457 .

3- اللهوف : 130 المسلك الثاني .

قالت سكينة : لمّا قتل الحسين عليه السلام اعتنقته ، فأغمي عليّ ، فسمعته يقول :

شيعتي ما إن شربتم ماء عذب فاذكروني

أو سمعتم بغريب أو شهيد فاندبوني(1)

فأنا السبط الذي من غير جرم قتلوني

وبجرد الخيل بعد القتل عمدا سحقوني

ليتكم في يوم عاشورا جميعا تنظروني

كيف أستسقي لطفلي فأبوا أن يرحموني

فسقوه سهم بغي عوض الماء المعيني

ا لرزءٍ ومصاب هدّ أركان الحجون

ويلهم قد جرحوا قلب رسول الثقلين

فالعنوهم ما استطعتم شيعتي في كلّ حين

فاجتمعت عدّة من الأعراب حتي جروها عنه(2) .

مرور الإمام السجاد عليه السلام علي مصرع أبيه عليه السلام

في حديث معتبر قال سيد الساجدين عليه السلام : إنّه لمّا أصابنا بالطف ما أصابنا ، وقتل أبي عليه السلام ، وقتل من كان معه من ولده وإخوته وسائر أهله ، وحملت حرمه ونساؤ علي الأقتاب يراد بنا الكوفة ، فجعلت أنظر إليهم صرعي ، ولم يواروا فيعظم ذلك في صدري ، ويشتدّ لما أري منهم قلقي ، فكادت نفسي تخرج .

وتبينت ذلك منّي عمّتي زينب بنت علي الكبري عليهاالسلام ، فقالت : ما لي أراك تجود بنفسك يا بقية جدّي وأبي وإخوتي ؟

فقلت : وكيف لا أجزع ولا أهلع ، وقد أري سيدي وإخوتي وعمومتيوولد عمّي وأهلي مصرعين ، بدمائهم مرملين ، بالعراء مسلبين ، لا يكفنون ، ولا يوارون ، ولا يعرّج عليهم أحد ، ولا يقربهم بشر ، كأنّهم أهل بيت من الديلم والخزر .

1- المصباح للكفعمي : 741 .

2- اللهوف : 130 المسلك الثاني .

فقالت : لا يجزعنك ماتري ، فو اللّه إنّ ذلك لعهـد من رسول اللّه صـلي الله عليه و آله إلي جدّك وأبيك وعمّك ، ولقد أخذ اللّه ميثاق أناس من هـذه الأمّـة ، لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض ، وهم معروفون في أهل السـماوات ، أنّهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها ، وهذه الجسوم المضـرّجة ، وينصـبون لهذا الطف علما لقبر أبيك سـيد الشـهداء عليه السـلام ، لا يدرس أثره ، ولا يعفو رسـمه علي كرور الليالي والأيام ، وليجتهدن أئمة الكفر ، وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه ، فلا يزداد أثره إلاّ ظهورا ، وأمره إلاّ علوا(1) . . .

« وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ »

1- كامل الزيارات : 260 الباب 88 ، بحار الأنوار : 28/55 باب 2 .

المجلس الثاني عشر: في ورود قافلة المحنة والألم الي الكوفة

اشارة

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه ربّ العالمين ، والصلاة والسلام علي سيّد المرسلين ، وأشرف السفراء المقرّبين ، وأفضل أهل السماوات والأرضين ، محمد وآله الأطيبين ، وأرومته الأنجبين ، وأهل بيته المظلومين .

خصوصا علي نجله وفرخه ، وسبطه الأمين المكين ، الممنوع من الماء المعين ، المذبوح الأهل والبنين ، الشهيد الطعين ، والأسير المهين ، صاحب الداء الدفين ، والجسد المرضوض من الهجين ، والشلو الرهين ، والرأس المشتهر في البلاد بين الفئة الباغية الظالمين ، والشيب المخضّب من ظلم الفرقة الطاغية الفاسقين .

محروق الخباء ، مسلوب الرداء ، مهتوك الحمي ، مقتول الظما ، مذبوح القفا ، مقطّع الأعضاء بسيف أشقي الأولين والآخرين ، المذبوح بأمر اللعين ابن اللعين ، الإمام المكين ، وليث العرين ، الذي هو للخلق أمان ، وللحقّ أمين ، سيّدنا أبي عبد اللّه الحسين ابن أمير المؤمنين عليهماالسلام .

وبعد ، قال اللّه سبحانه :

« كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنّاتٍ وَ عُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كانُوا فِيها فاكِهِينَ كَذلِكَ وَأَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِينَ فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالأَرْضُ وَما كانُوا مُنْظَرِينَ » .

* * *

للّه الأمر من قبل ومن بعد

اعلم، أنّ العزّة والذلّة ، والرفعة والجاه والكرامة ، والهوان كلّها بيد اللّه ، فلا رافع لما وضع، ولا واضع لما رفع، ولا معزّ لمن أذلّ ولا مذلّ لمن أعزّ ، ومن أحبّه اللّه أحبّه كلّ شيء، ومن عاداه اللّه عاداه كلّ شيء، وهذا من الواضحات التي شهد لها العقل والنقل.

واعلم ، أنّ اللّه يعزّ من يشاء ويذلّ من يشاء « وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ » ، ولكن هذا لا يعني الجبر ، لأنّه جعل العزّة والذلّة في عبوديته ، ودلّ الناس علي طريق العبودية ، وأعطاهم القوة علي الإختيار .

فمن وضع نير العبودية للّه ، وسجد علي الأعتاب الإلهية ، أعزّه اللّه ، ومن شمّر عن

ساعد الجدّ ، وعزم علي المسابقة في ميادين الخدمة ، خلع عليه خلعة الخلّة والمحبّة ،

ومن تقدّم في مضمار التضحية إختاره وتوّجه بتاج الكرامة .

ومن استكبر خذله اللّه وأركسه في حضيض المهانة ، ومن غلبته شقاوته وولّي عن بابه فضحه ، ومن سعي في معصيته سعي في خذلان نفسه .

ومراتب الإحسان والإساءة تختلف ، فهو يعزّك بمقدار خدمتك ، ويهينك بمقدار عصيانك ، ف-« بقدر الكدّ تكتسب المعالي » .

فربّ شخص تفاقمت شقاوته حتي تلعنه السماء والأرض والملائكة ، وتعاديه أشدّ العداوة ، وربّ شخص إزدادت طاعته وسعادته حتي أحبّه كلّ مخلوق ، وذلك لأنّ من أحبّه اللّه أحبّته كلّ ذرّة في الكون ، والعكس بالعكس .

روي عن النبي صلي الله عليه و آله أنّه قال : إذا أحبّ اللّه عبدا أمر ملكا فنادي : إنّي أحبّ فلانا فأحبّوه ، فيحبّه أهل السماء كلّهم ، ثم يلقي محبّته في الماء ، فما شربه برّ ولا فاجر إلاّ أحبّه(1) .

1- في بحار الأنوار : 68/72 باب 53 : نوادر الراوندي، بإسناده عن موسي بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال : قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله : إذا أحبّ اللّه تعالي عبدا نادي مناد من السماء : ألا إنّ اللّه تعالي قد أحبّ فلانا فأحبّوه ، فتعيه القلوب ، ولا يلقي إلاّ حبيبا محبّبا مذاقا عند الناس ، وإذا أبغض اللّه تعالي عبدا نادي مناد من السماء : ألا إنّ اللّه تعالي قد أبغض فلانا فأبغضوه ، فتعيه القلوب ، وتعي عنه الآذان ، فلا تلقاه إلاّ بغيضا مبغضا شيطانا ماردا . وفي إرشاد القلوب : 1/170 الباب 50 : وقال رسول اللّه صلي الله عليه و آله : إنّ اللّه إذا أحبّ عبدا قال لجبرائيل : إنّي أحبّ فلانا فأحبّوه ، ويوضع له القبول في الأرض .

بل إنّ السماء والأرض تحبّانه، فإذا مات تحزن عليه المواضع التي كان يعبد اللّه عليها، وتحزن عليه أبواب السماء التي كان يصعد عمله منها ، بل تبكيه السماء والأرض .

روي عن النبي صلي الله عليه و آله قال : إنّ السماء والأرض لتبكي علي المؤن إذا مات أربعين صباحا ، وإنّها لتبكي علي العالم إذا مات أربعين شهرا . . وإنّ السماء والأرض ليبكيان عليك - يا علي - إذا قتلت أربعين سنة(1) .

الإمام الحسين عليه السلام والأنبياء عليهم السلام

أجل ، هذه هي العزّة الإلهية ، لا تلك التي تراها عند سلاطين الجور وأرباب الثروة والغني ، حيث يجتمع حولهم أربعة خوفا أو طمعا ، وأنّ قلوبهم موقورة بالحقد والعداوة لهم ، وكلّ شيء عدوّ لهم من السماء والأرض ، ثم يصلون جهنم مقمحين مصفدين ، فيفرح الخلق بذلّهم وهوانهم ، ولا تبكي عليهم عين ، ولا يحزن عليهم قلب ، ثم لا يذكرون ، ومن اعتزّ بغير اللّه فهو ذليل في الدارين(2) .

أُنظر الي الأنبياء والأولياء كيف أعزّهم اللّه : « إِنَّ اللّهَ اصْطَفي آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْراهِيمَ وَآلَ عِمْرانَ عَلَي الْعالَمِينَ ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ » .

العزّة هي أن تبكي عليه السماء والأرض إذا مات وفارق الدنيا ، روي عن أمير المؤنين - صلوات اللّه عليه - قال : مرّ عليه رجل عدو للّه ولرسوله ، فقال : « فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالأَرْضُ وَما كانُوا مُنْظَرِينَ » .

1- المناقب : 2/346 ، بحار الأنوار : 42/308 باب 128 ح9 .

2- شرح نهج البلاغة : 7/195 .

ثم مرّ عليه الحسين بن علي عليهماالسلام فقال : لكن هذا لتبكينّ عليه السماء والأرض ، وقال : وما بكت السماء والأرض إلاّ علي يحيي بن زكريا والحسين علي – صلوات اللّه عليهما –(1) .

فالأنبياء والأولياء أصفياء اللّه ، وقد أعطي اللّه آدم عليه السلام الصفوة ، وأمر الملائكة بالسجود له ، وأجاب دعوة نوح ، وأعطي سليمان ملكا عظيما ، وداود الحكمة ، وإبراهيم الخلّة ، وكلّم موسي تكليما ، وأعطي عيسي المعجزة والحكمة ، وسمّي إسماعيل ذبيح اللّه ، وسمّي يحيي المظلوم ، وجعل السماء والأرض مأتما وأبكاها عليه . . درجات بعضها فوق بعض .

آدم عليه السلام والحسين عليه السلام

اعلم ، أنّ آدم صفيّ اللّه ، وأبو الأصفياء ، وإنّما أمر اللّه الملائكة أن تسجد له لمكان الحسين عليه السلام وجدّه وأبيه وأمّه وأخيه عليهم السلام في صلبه .

نوح والحسين عليهماالسلام

وكان نوح عليه السلام من أولياالعزم، وكان صابرا شاكرا مجاب الدعوة، ولكنّه ضاق ذرعا بقومه فدعا عليهم وأهلكهم ، بينما صبر سيد الشهداء عليه السلام علي جفاء قومه ، والحال أنّهم جفوه جفاء لم يجف به أحد قطّ ، ولم يهلكهم ، بل ادخر دعوته لعصيان الأمّة .

سليمان والحسين عليهماالسلام

وأعطي سليمان ملكا عظيما ، وسيعطي الحسين عليه السلام ملكا يكون ملك سليمان بالنسبة له كالقطرة الي البحر .

روي عن المفضل بن عمر قال : قال أبو عبد اللّه عليه السلام : كأنّي واللّه بالملائكة قد زاحموا المؤنين علي قبر الحسين عليه السلام . قال : قلت : فيتراءون له ؟ قال : هيهات ، هيهات ، قد لزموا واللّه المؤنين حتي أنّهم ليمسحون وجوههم بأيديهم .

1- بحار الأنوار : 45/201 باب 40 ح1 .

قال : وينزل اللّه علي زوار الحسين غدوة وعشية من طعام الجنّة وخدامهم الملائكة ، لا يسأل عبد حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلاّ أعطاها إياه .

قال : قلت : هذه – واللّه – الكرامة .

قال : يا مفضل أزيدك ؟ قلت : نعم سيدي .

قال : كأنّي بسرير من نور قد وضع ، وقد ضربت عليه قبّة من ياقوتة حمراء ، مكلّلة بالجوهر ، وكأنّي بالحسين بن علي عليهماالسلام جالس علي ذلك السرير ، وحوله تسعون ألف قبّة خضراء ، وكأنّي بالمؤنين يزورونه ويسلّمون عليه ، فيقول اللّه – عزّ وجلّ – لهم : أوليائي سلوني ، فطالما أوذيتم وذللتهم واضطهدتم ، فهذا يوم لا

تسألوني حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلاّ قضيتها لكم ، فيكون أكلهم وشربهم من الجنّة ، فهذه – واللّه – الكرامة التي لا يشبهها شيء(1) .

إبراهيم والحسين عليهماالسلام

إنّما إتخذ اللّه إبراهيم خليلاً لمحبّته الشديدة لربّه ، وقد ضحّي بكلّ شيء من مال وولد ونفس في سبيل محبوبه .

روي أنّه كان لإبراهيم عليه السلام غنم لا يعدّ كثرة ، فسمع في الصحراء يوما جبرئيل عليه السلام ينادي بصوت حسن : سبّوح قدّوس ربّ الملائكة والروح ، فقال إبراهيم عليه السلام : من ذا يذكر اسم حبيبي ، أعدها مرّة ثانية ولك ربع غنمي ، فكررها جبرئيل أربع مرات ، فأعطاه كلّ غنمه ، فإتخذه اللّه خليلاً(2) .

1- بحار الأنوار : 98/65 باب 9 ح53 .

2- في تفسير الصافي : 1/505 : ورد في بعض الروايات : أنّ الملائكة قال بعضهم لبعض : اتخذ ربّنا من نطفة خليلا ، وقد أعطاه ملكا عظيما جزيلاً ، فأوحي اللّه تعالي إلي الملائكة اعمدوا علي أزهدكم ورئيسكم ، فوقع الاتفاق علي جبرئيل وميكائيل ، فنزلا إلي إبراهيم في يوم جمع غنمه ، وكان لإبراهيم عليه السلام أربعة آلاف راع ، وأربعة آلاف كلب ، في عنق كلّ كلب طوق وزن من من ذهب أحمر ، وأربعون الف غنمة حلابة ، وما شاء اللّه من الخيل والجمال ، فوقف الملكان في طرفي الجمع ، فقال أحدهما بلذاذة صوت : سبوح قدوس فجاوبه الثاني : ربّ الملائكة والروح ، فقال : أعيداهما ولكما نصف مالي ، ثم قال : أعيداهما ولكما مالي وولدي وجسدي ، فنادت ملائكة السموات هذا هو الكرم ، هذا هو الكرم ، فسمعوا مناديا من العرش يقول : الخليل موافق لخليله .

ألقوه في النار فلم يجزع ، وأمروه أن يضحّي بولده فأطاع ، والحقّ أنّ هذه كلّها مقامات عظيمة ، ولكن سيد الشهداء عليه السلام قدّم بدل الولد الواحد ولدين ، وستة من الإخوة ، وعشرة من أهل البيت والأقارب ، لم يكن علي وجه الأرض لهم مثيل .

عزم إبراهيم عليه السلام علي ذبح ولده ولكنّه لم يذبحه ، أمّا سيد الشهداء عليه السلام فقد ضحّي بولده ، حتي قطّع إربا إربا .

ألقي إبراهيم عليه السلام في النار فكانت عليه بردا وسلاما ، وصارت روضة من الزهور ، أمّا سيد الشهداء عليه السلام فقد ألقي في بحر من النيران والأسنة والنبال ، وكانت رياحين روضته رؤوس حراب الأعداء ، وزهورها نبالهم ، وظلالها سيوفهم ، وفرشها رمضاء الصحراء ، ونسيمها غبار حوافر خيولهم .

موسي والحسين عليهماالسلام

لقد كلّم اللّه موسي تكليما ، وإتخذه نجيّا ، وقد شرّف الحسين عليه السلام أيضا بهذا الشرف .

روي صاحب بحار الأنوار وغيره قال : إنّه عليه السلام ساير أنس بن مالك ، فأتي قبر خديجة عليهاالسلام ، فبكي ثم قال : اذهب عنّي .

قال أنس : فاستخفيت عنه ، فلمّا طال وقوفه في الصلاة سمعته قائلاً :

يا ربّ يا ربّ أنت مولاه

فارحم عبيدا إليك ملجاه

يا ذا المعالي عليك معتمدي

طوبي لمن كنت أنت مولاه

طوبي لمن كان خادما أرقا

يشكو إلي ذي الجلال بلواه

وما به علّة ولا سقم

أكثر من حبّه لمولاه

إذا اشتكي بثّه وغصّته

أجابه اللّه ثم لبّاه

إذا ابتلا بالظلام مبتهلاً

أكرمه اللّه ثم أدناه

فنودي :

لبّيك عبدي وأنت في كنفي

وكلّما قلت قد علمناه

صوتك تشتاقه ملائكتي

فحسبك الصوت قد سمعناه

دعاك عندي يجول في حجب

فحسبك الستر قد سفرناه

لو هبّت الريح من جوانبه

خرّ صريعا لما تغشّاه

سلني بلا رغبة ولا رهب

ولا حساب إنّي أنا اللّه (1)

عيسي والحسين عليهماالسلام

لقد آتي اللّه عيسي عليه السلام المعجزة والآيات ، فكان يحيي الموتي ، ويبرء الأكمه والأبرص والأعمي .

أمّا الحسين عليه السلام فقد أحيي العالم كلّه ممّا هو أدهي من الموت وأمرّ ، حيث أنقذهم من الكفر والضلال ، وسينجي غدا يوم القيامة إذا إعتلا منصب الشفاعة الناس من الهلاك السرمدي الي الحياة الأبدية والنعيم الخالد .

وأمّا إحياء الموتي وشـفاء المرضي وغيرها من المعجزات ، فإنّها ليست بدعا من صاحب الكرامات السامية ، لأنّها أمور بسيطة جزئية بالنسبة له عليه السلام .

فإنّه يقلب الأفلاك كلّها بإشارة واحدة ، ويجعل الشام عراقا والعراق شاما ، ويجعل المشـرق مغربا والمغرب مشرقا ، وكلّ أمر من أموره كان معجزة ، بل كان هو بنفسه المقدّسة معجزة ، بل هو أعظم الآيات الإلهية ، وفي كلّ حال من حالاته تصدر منه المعجزات التي تحيّر العقول والأوهام .

1- بحار الأنوار : 44/193 باب 26 .

لقد ظهرت منه الغرائب والمعجزات منذ أن سكن رحم أمّه عليهاالسلام الي أن دفن في أرض كربلاء ما تعجز العقول عن إدراكها .

قالت فاطمة عليهاالسلام في حديث : . . حتي تمّت الثلاثة أشهر – من حمل الحسين عليه السلام – وأنا أجد الزيادة والخير في منزلي ، فلمّا صرت في الأربعة آنس اللّه به وحشتي ، ولزمت المسجد لا أبرح منه إلاّ لحاجة تظهر لي ، فكنت في الزيادة والخفة في الظاهر والباطن حتي تمّت الخمسة ، فلمّا صارت الستة كنت لا أحتاج في الليلة الظلماء إلي مصباح ، وجعلت أسمع إذا خلوت بنفسي في مصلاي التسبيح والتقديس في باطني(1) .

وكان رأسه المقدّس بعد أن رفع علي الرمح يقرأ القرآن ويقول : لا حول ولا قوة إلاّ باللّه العلي العظيم .

وقد ظهرت المعجزات من قبره ما حيّر العقول ، ويكفي أنّ تربته شفاء الأمراض والأسقام والأضرار والبلايا ، وأمان من كلّ خوف ، ومحل إستجابة الدعاء ، ورائحتها أزكي من ريح العنبر والعبير ، ما قصدها جبّار بسوء إلاّ قصمه اللّه ، ولم يقصدها مريض بنية صادقة إلاّ شفاه اللّه من مرضه ، ولم يدخله مديون إلاّ قضي اللّه دينه .

بعض غرائب أموره عليه السلام

وإذا أردت أن تستمع الي بعض ما ذكر من معاجزه في الكتب، فإستمع الي ما يلي:

روي علي بن إبراهيم بإسناده عن حبابة الوالبية قالت : كنت زوارة الحسين بن علي عليهماالسلام قالت : فحدث بين عيني وضح ، فشقّ ذلك عليّ ، واحتبست عليه أياما ، فسأل عنّي : ما فعلت حبابة الوالبية ؟ فقالوا : إنّها حدث بها حدث بين عينيها ، فقال لأصحابه : قوموا إليها ، فجاء مع أصحابه حتي دخل عليّ ، وأنا في مسجدي هذا ، فقال : يا حبابة ما أبطأ بك عليّ ؟ قلت : يا ابن رسول اللّه حدث هذا بي .

1- بحار الأنوار : 43/273 .

قالت : فكشفت القناع ، فتفل عليه الحسين بن علي عليهماالسلام ، فقال : يا حبابة أحدثي للّه شكرا ، فإنّ اللّه قد درأه عنك .

قالت : فخررت ساجدة ، فقال : يا حبابة ، ارفعي رأسك وانظري في مرآتك ، قالت : فرفعت رأسي ، فلم أحسّ منه شيئا ، فحمدت اللّه (1) .

وروي ابن شهرآشوب قال : إنّ مريضا شديد الحمي عاده الحسين عليه السلام ، فلمّا دخل من باب الدار طارت الحمي عن الرجل ، فقال له : رضيت بما أوتيتم به حقّا حقّا ، والحمي تهرب عنكم ، فقال له الحسين عليه السلام : واللّه ما خلق اللّه شيئا إلاّ وقد أمره بالطاعة لنا(2) . .

وروي القطب الراوندي عن يحيي ابن أم الطويل قال : كنّا عند الحسين عليه السلام

إذ دخل عليه شاب يبكي ، فقال له الحسين عليه السلام : ما يبكيك ؟ قال : إنّ والدتي توفي في هذه الساعة ، ولم توص ، ولها مال ، وكانت قد أمرتني أن لا أحدث في أمرها شيئا حتي أعلمك خبرها .

فقال الحسين عليه السلام : قوموا حتي نصير إلي هذه الحرّة ، فقمنا معه حتي انتهينا إلي باب البيت الذي توفي فيه المرأة ، وهي مسجاة ، فأشرف علي البيت ، ودعا اللّه ليحييها حتي توصي بما تحبّ من وصيتها ، فأحياها اللّه ، وإذا المرأة جلست ، وهي تتشهد ، ثم نظرت إلي الحسين عليه السلام ، فقالت : ادخل البيت يا مولاي ، ومرني بأمرك .

فدخل وجلس علي مخدّة ، ثم قال لهاك وصّي يرحمك اللّه ، فقالت : يا ابن رسول اللّه ، لي من المال كذا وكذا في مكان كذا وكذا ، فقد جعلت ثلثه إليك لتضعه حيث شئت من أوليائك ، والثلثان لابني هذا ، إن علمت أنّه من مواليك وأوليائك ،

1- بصائر الدرجات : 270 ح6 ، بحار الأنوار : 44/180 باب 25 ح1 .
2- المناقب : 3/210 ، بحار الأنوار : 44/183 ح8 .

وإن كان مخالفا فخـذه إليك ، فلا حقّ في المخالفين في أموال المؤنين ، ثم سألته أن يصـلّي عليها ، وأن يتولي أمرها ، ثم صارت المرأة ميتة كما كانت(1) .

بأسمائهم أحيي الرميم ابن مريم

وأبرأ فيهم أكمها غير مرّة

وآيات موسي التسع منهم صدورها

فلولاهم لم يأت منه بآية

وهم جعلوا داود فيها خليفة

عن اللّه عنهم بحكم النيابة

وحكمهم جارٍ علي الرسل من بعد آدم

عن السرّ في إرسالهم للخليفة

وما عنهم استغني رسول بما أتي

بل الرسل فيهم أيّدت حين أدّت

إسماعيل ويحيي والحسين عليهم السلام

وأمّا إسماعيل فسمّي ذبيح اللّه لمّا ضحّي بنفسه في سبيل اللّه .

وسمّي يحيي المظلوم ، والحال أنّه ذبح وحمل رأسه الي الجلاد الظالم ، وليس أكثر .

ولم يصنع بإسماعيل أكثر من أنّهم وثقوا يديه ورجليه ، وجعلوا السكين علي حلقومه ، ليس أكثر .

الذبيح المظلوم هو الحسـين عليه السلام الذي وجدوا فيه ألف وتسعمائة وخمسين جراحة ، وذبح من القفا ، ورفع رأسه علي الرمح ، وتركوا بدنه عريانا علي الرمضاء تصهره الشمس ، وسبوا عياله ، وحملوهم علي النياق يطوفون بهم في البلدان ، وقرعوا ثغره وثناياه أمامهم بالقضيب ، وأدخلوا عياله في الدواوين بين الأجانب .

منعوا عليه الماء أيام حياته ، وكلّما استسقاهم ، وإستغاث ونادي : وا عطشاه ، لم يغثه أحد ، فلمّا قتلوه سلّطوا الماء علي قبره ليمحوا بزعمهم آثاره .

1- الخرائج والجرائح : 1/245 الباب 4 ، بحار الأنوار : 44/180 ح3 .

لا خير في الدنيا ولا في أهلها

بعد الحسين ويومه المستفضع

قم بي الي لبس السواد تأهّبا

لمحرّم وهلاله المستتبع

ما أنت أول لابس لمصابه

أثواب حزنٍ صبغها لم يقلع

فالبيت بيت اللّه قد لبس السوا

د توقفا لمصابه المتوقّع

فبكي له جزعا فأضحت زمزم

فمياهها من فيض ذاك المدمع

قوحقّه لم أرع ذمّة رزئه

إن مرّ رزء غيره في مسمع

أيضيق فيه فضا الفلا وتضمّني

من بعده رحب الفضا المهيع

بأبي وأمّي زينب بين العدي

تدعو النبي بحرقة وتوجّع

يا جدّ قد غدرت أمية غدرة

ببنيك بعدك مثلها لم يسمع

يا جدّ قد أبدي ابن آكلة الأكبا

د بنا بدائع قبله لم تبدع

منعوه مهرا قد أعدّ لأمّه

وعدّوه من شربه لم يمنع

للّه كم نهلت وعلّت منه أس-

-ياف وغلّة صدره لم تنقع

ما للقيامة لم تقم ولنارها

لم تضطرم ولأخذهم لم تسرع

صبرا سليلة أحمد صبرا علي

ما ناب من خطبٍ ورزء مفضع

أجل ، لقد صبر ذاك العظيم علي المصائب ، وضحّي بماله ونفسه في سبيل اللّه ، فأعزّه اللّه ورفع درجته ، وأعلي مقامه ، وجعل مدفنه محلّ إختلاف الملائكة ، وجعل بقعته أفضل البقاع ، وزيارته أفضل الطاعات ، والبكاء عليه أشرف العبادات .

وقد ورد في الحديث أنّ قبره عليه السلام معراج الملائكة ، ففوج يصعد وفوج يهبط .

زيارة أرواح الأنبياء عليهم السلام لقبر الحسين عليه السلام

إنّ أرواح الأنبياء عليهم السلام تزور الحسين عليه السلام كما روي عن الحسين ابن بنت أبي حمزة الثمالي قال :

خرجت في آخر زمـان بني مروان إلي قبر الحسـين بن علي عليهماالسـلام مسـتخفيا من أهل الشام حتي انتهيت إلي كربلاء ، فاختفيت في ناحية القرية ، حتي إذا ذهب من الليل نصـفه أقبلت نحو القبر ، فلمّا دنوت منه أقبل نحوي رجل فقال لي : انصـرف مأجورا ، فإنّك لا تصـل إليه .

فرجعت فزعـا حتي إذا كـاد يطلع الفجر أقبلت نحوه ، حتي إذا دنوت منه خرج إليّ الرجـل فقـال لي : يا هـذا إنّك لن تصل إليه ، فقلت له : عافاك اللّه ، ولم لا أصل

إليه ، وقد أقبلت من الكوفة أريد زيارته ؟ فلا تحل بيني وبينه عافاك اللّه ، وأنا أخاف أن أصبح ، فيقتلوني أهل الشام إن أدركوني هاهنا .

فقال لي : اصبر قليلاً ، فإنّ موسـي بن عمران عليهماالسـلام سأل اللّه أن يأذن له في زيارة قبر الحسين بن علي عليهماالسلام فأذن له ، فهبط من السـماء في سبعين ألف ملك ، فهم بحضرته من أول الليل ينتظرون طلوع الفجر ، ثم يرجعون إلي السماء ، فقلت : فمن أنت عافاك اللّه ؟ قال : أنا من الملائكة الذين أمروا بحرس قبر الحسين عليه السلام والاستغفار لزوّاره .

فانصـرفت وقد كاد يطير عقلي لما سـمعت منه ، فأقبلت حتي إذا طلع الفجر أقبلت نحوه ، فلم يحل بيني وبينه أحد ، فدنوت منه ، فسـلّمت عليه ، ودعوت اللّه علي قتلته ، وصلّيت الصبح ، وأقبلت مسرعا مخافة أهل الشام(1) .

وروي القطب الرواندي عن الصادق عليه السـلام قال : قبر الحسـين عليه السـلام عشـرون ذراعا في عشـرين ذراعا مكسرا روضة من رياض الجنّة ، منه معراج إلي السـماء ، فليس من ملك مقرّب ، ولا نبي مرسل ، إلاّ وهو يسأل اللّه تعالي أن يزور الحسين عليه السلام ، ففوج يهبط وفوج يصعد(2) .

1- كامل الزيارات : 111 الباب 38 ، بحار الأنوار : 45/408 باب 50 ح14 .

2- كامل الزيارات : 114 الباب 39 ح4 .

نوح الجن علي الحسين عليه السلام

تأمّل – يا عزيزي – في هـذا المقام والمنزلـة التي لم يعطها اللّه الي أحـد سواه ، إنّ أ أحبّه فأعزّه ، وجعل البكاء عليه أفضل الأعمال ، بل لو خرج من العين مثل جناح البعوضة كان سببا للمغفرة .

روي عن أبي زياد القندي قال : كان الجصّاصون يسـمعون نوح الجن حين قتل الحسـين بن علي عليهماالسـلام في السـحر بالجبانة ، وهم يقولون :

مسح الرسول جبينه

فله بريق في الخدود

أبواه في عليا قريش

وجدّه خير الجدود(1)

وروي الشـيخ المفيد والشيخ الطوسي عن المحفوظ بن المنذر قال : حدّثني شيخ من بني تميم كان يسكن الرابية ، قال : سمعت أبي يقول : ما شعرنا بقتل الحسين عليه السلام حتي كان مساء ليلة عاشوراء ، فإنّي لجالس بالرابية ، ومعي رجل من الحي ، فسمعنا هاتفا يقول :

واللّه ما جئتكم حتي بصرت به

بالطفّ منعفر الخدين منحورا

وحوله فتية تدمي نحورهم

مثل المصابيح يطفون الدجي نورا

وقد حشت قلوصي كي أصادفهم

من قبل أن تتلاقي الخرّد الحورا

فعاقني قدر واللّه بالغه

وكان أمرا قضاه اللّه مقدورا

كان الحسين سراجا يستضاء به

اللّه يعلم أنّي لم أقل زورا

صلّي الإله علي جسم تضمّنه

قبر الحسين حليف الخير مقبورا

مجاورا لرسول اللّه في غرف

وللوصيّ وللطيّار مسرورا

فقلنا له : من أنت يرحمك اللّه ؟ قال : أنا وآلي من جن نصيبين ، أردنا مؤزرة

الحسين عليه السلام ومواساته بأنفسنا ، فانصرفنا من الحجّ ، فأصبناه قتيلاً(2) .

1- كامل الزيارات : 94 الباب 29 ، بحار الأنوار : 45/241 ح11 .

2- أمالي الشيخ المفيد : 320 ح7 ، أمالي الشيخ الطوسي : 90 ح141 ، بحار الأنوار : 45/239 ح9 .

وروي ابن قولويه عن داود الرقي قال : حدّثتني جدّتي : أنّ الجنّ لمّا قتل الحسين عليه السلام بكت عليه بهذه الأبيات :

يا عين جودي بالعبر

وابكي فقد حقّ الخبر

أبكي ابن فاطمة الذي

ورد الفرات فما صدر

الجن تبكي شجوها

لمّا أتي منه الخبر

قتل الحسين ورهطه

تعسا لذلك من خبر

فلأبكينّك حرقة

عند العشاء وبالسحر

ولأبكينّك ما جري

عرق وما حمل الشجر(1)

وروي في الكتب المعتبرة عن حكيم بن داود عن سلمة قال : حدّثني أيوب بن سليمان بن أيوب الفزاري عن علي بن الحزور قال : سمعت ليلي وهي تقول : سمعت نوح الجن علي الحسين بن علي عليهماالسلام ، وهي تقول :

يا عين جودي بالدموع

فإنّما يبكي الحزين بحرقة وتفجع

يا عين ألهاك الرقاد

بطيبة من ذكر آل محمد وتوجع

باتت ثلاثا بالصعيد جسومهم

بين الوحوش وكلّهم في مصرع(2)

وروي أنّ هاتفا سمع بالبصرة ينشد ليلاً :

إنّ الرماح الواردات صدورها

نحو الحسين تقاتل التنزيلا

ويهلّلون بأن قتلت وإنّما

قتلوا بك التكبير والتهليلا

فكأنّما قتلوا أباك محمدا

صلّي عليه اللّه أو جبريلا(3)

ص: 417

1- كامل الزيارات : 97 الباب 29 ح11 ، بحار الأنوار : 45/238 ح7 .

2- كامل الزيارات : 97 الباب 29 ح5 ، بحار الأنوار : 45/241 ح13 .

3- بحار الأنوار : 45/235 .

ولا غرابة في نوح الجنّ وبكائهم في تلك المصيبة ، وقد سمع منهم في أقطار الأرض في ذلك الزمان أشعارا ونوحا كثيرا ، بل سجّلت لهم أبياتا كثيرة لا تحصي في طول الزمان ، وعلي مرّ الأعصار ، ونحن نكتفي بهذا القدر المختصر .

وقد إشتهر البيت الذي كان يدعي « بيت الرأس » ، وهو بيت قريب من باب السدرة ، المعروف أنّهم حينما فصلوا الرأس المقدّس عن الجسد وضعوه في ذلك المكان ، في حجرة في سرداب معروف ، وكان شخصا ثقة يعيش في بيت مجاور لهذا المكان ، وكان يقول : أنّه يسمع دائما أصوات الجن ينوحون ويندبون الإمام المظلوم ، وكان ينقل عن إمرأة كانت تعيش قبله في نفس البيت أنّها كانت تسمع في الليل نوح الجن في ذلك السرداب .

أجل ، فإنّ كلّ العالم بما فيه من جماد وذي روح أقام المأتم ، وأظهر الحزن والألم في هذه المصيبة ، فهل نحن أقمناه كما ينبغي مع كلّ ما ندّعيه ؟

ومن النوح المروي عن الجن :

نساء الجن يبكين

من الحزن شجيات

وأسعدن بنوح لل-

-نساء الهاشميات

ويندبن حسينا عظم-

-ت تلك الرزيات

ويلطمن خدودا كالدنا

نير نقيات

ويلبسن ثياب السو

د بعد القصبيات

رؤوس الشهداء علي رؤوس الرماح

أمّا حكاية ورود سبايا المحنة والبلاء ، وقافلة الألم والعناء ، وسفرهم الحزين الي الكوفة من كربلاء ، فهو كما ذكره العلماء في كتبهم المعتبرة :بعد أن قتلوا ريحانة رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، وأسروا أفلاذ كبد الزهراء ، وعزموا علي ترحيلهم الي الكوفة ، أمر اللعين ابن سعد أن تقطع رؤوس الشهداء فقطعت ،

وعن الأبدان فصلت ، وعلي رؤوس الرماح نصبت ، وا ويلاه ، ومع رأس الحسين سيد الشهداء عليه السلام الي الكوفة وجّهت ، فاضطربت جميع ذرات الكائنات ، والملك والملكوت .

بنفسي رؤوس ساميات علي القنا

كمثل بدور وافقتها سعودها

مخضّبة بالدم منها جباهها

فيا طالما للّه طال سجودها

فلمّا نظر أهل البيت الي الرؤوس ارتفعت أصواتهم بالبكاء والعويل ، وضجّوا ضجيجا لا يقوي القلم علي صفته ، ولا اللسان علي بيانه ، فهجم عليهم الأعداء وأبعدوهم عن الرؤوس والأجساد ، وأركبوهم علي النياق .

ولنعم ما قاله الشاعر علي لسان زينب عليهاالسلام :

يا حادي الأصفان رفقا بالأولي

كانوا من العليا بدور سمائها

أو ما علمت بمن تحطّ ركابها

يا ويلك يا أولي أوري بشقائها

في الركب أولاد الرسول وفاطم ال-

-زهراء البتول الطهر بستّ نسائها

فيه الفواطم للخدود لواطم

ثكلي تنادي الغوث من ضرائها

في الركب زين العابدين مكلّلاً

ذو مقلة عبري تسبح بمائها

دنف عليل ذو عليل زاده

غلّ اليدين كابه لعنائها

إرسال الرأس المقدّس الي ابن زياد

وقال محمد بن أبي طالب : وروي أنّ رؤوس أصحاب الحسين وأهل بيته كانت ثمانية وسبعين رأسا ، واقتسمتها القبائل ليتقرّبوا بذلك إلي عبيد اللّه ، وإلي يزيد .

فجاءت كندة بثلاثة عشر رأسا وصاحبهم قيس بن الأشعث .

وجاءت هوازن باثني عشر رأسا ، وفي رواية ابن شهرآشوب : بعشرين ، وصاحبهم شمر - لعنه اللّه - .

وجاءت تميم بسبعة عشر رأسا ، وفي رواية ابن شهرآشوب : بتسعة عشر .

وجاءت بنو أسد بستة عشر رأسا ، وفي رواية ابن شهرآشوب : بتسعة رؤوس .

ص: 419

وجاءت مذحج بسبعة رؤوس .

وجاءت سائر الناس بثلاثة عشر رأسا ، وقال ابن شهرآشوب : وجاء سائر الجيش بتسعة رؤوس ، ولم يذكر مذحج .

قال : فذلك سبعون رأسا .

ثم قال : وجاءوا بالحرم أساري إلاّ شهربانويه ، فإنّها أتلفت نفسها في الفرات(1) .

وقال محمد بن أبي طالب : ثم إنّ عمر بن سعد سرّح برأس الحسين عليه السلام يوم عاشوراء مع خولي بن يزيد الأصبحي وحميد بن مسلم إلي ابن زياد ، ثم أمر برؤوس الباقين من أهل بيته وأصحابه ، فقطعت وسرّح بها مع شمر بن ذي الجوشن إلي الكوفة ، وأقام ابن سعد يومه ذلك ، وغده إلي الزوال ، فجمع قتلاه فصلّي عليهم ودفنهم ، وترك الحسين وأصحابه منبوذين بالعراء(2) .

لهفي لهم ، كانوا يسمّونهم خوارج ! وقالوا : لا ندفنهم ، ولكنّ ما إن سمع ابن زياد الخبر حتي نفخ في حضنيه ، وطار سرورا وجذلاً ، وكتب كتاب البشارة الي جميع البلدان .

الرأس المقدّس في تنور خولي

قال صاحب المناقب وابن نما : إنّ عمر بن سعد لمّا دفع الرأس إلي خولي الأصبحي – لعنهما اللّه – ليحمله إلي ابن زياد – عليه اللعنة – أقبل به خولي ليلاً ، فوجد باب القصر مغلقا، فأتي به منزله، وله امرأتان، امرأة من بني أسد ، وأخري حضرمية يقال لها « النوار » ، فآوي إلي فراشها ، فقالت له : ما الخبر ؟ فقال : جئتك بالذهب ،هذا رأس الحسين معك في الدار ! فقالت : ويلك جاء الناس بالذهب والفضة ، وجئت برأس ابن رسول اللّه صلي الله عليه و آله ؟! واللّه لا يجمع رأسي ورأسك وسادة أبدا .

1- بحار الأنوار : 45/62 ، المناقب : 4/121 .

2- بحار الأنوار : 45/62 .

قالت : فقمت من فراشي ، فخرجت إلي الدار ، ودعا الأسدية فأدخلها عليه ، فما زالت – واللّه – أنظر إلي نور مثل العمود يسطع من الإجانة التي فيها رأس الحسين عليه السلام إلي السماء ، ورأيت طيورا بيضا ترفرف حولها وحول الرأس(1) .

وذكر بعض العلماء – وإن لم يـذكر في الكتب المعتبرة – أن تلك المرأة قالت : فرأيت نساءا خمسـة نزلن من السـماء ، فتقدّمت إحداهن ، فأخذت الرأس ، فضـمّته الي صدرها ، وشـمّته وقبّلته ، وجعلت تقول : يا شهيد الأم ، يا غريب الأم ، حكم اللّه بيني وبين من قطع رأسك ، ثم بكين جميعا بكاءا شديدا ، ثم تركن الرأس وذهبن .

فأخذت تلك المرأة الرأس وضمّته الي صدرها ، وجعلت تبكي وتلطم وجهها وصدرها حتي أغمي عليها .

فلمّا أفاقت ذهبت الي زوجها فقالت : يا خبيث ، يا لعين ، يا شـرّ أهل الأرض ، لمن هـذا الرأس ؟ هذا رأس ابن بنت رسول اللّه صـلي الله عليه و آله ، وضعته في التنور ، ونمت كأنّك لم تفعل شيئا ؟ ! قم وانظر الي ما بين السماء والأرض من البكاء والعويل ، وهذه الملائكة تهبط أفواجا الي زيارته ، لعنك اللّه ، ولعن من اتبعك ، قالت ذلك ثم خرجت من بيته(2) .

دخول السبايا الي الكوفة

أمر ابن زياد في يوم ورود آل محمـد الكوفـة أن لا يخرج أحـد من أهل الكوفـة مع ا لسـلاح ، وأمر بعشـرة آلاف فارس أن يأخـذوا السـكك والأسواق والطرق والشوارع ، خوفا من الناس أن تحركهم الحميـة والغيرة علي أهل البيت إذا رأوهمفي تلك الحالـة ، وأمر أن تجعل الرؤوس في أوساط المحامل أمام النساء ، ويطاف بهمفي الشوارع والأسواق حتي يغلب علي الناس الخوف والرهبة(3) .

1- المناقب : 4/68 ، مثير الأحزان : 85 ، بحار الأنوار : 45/125 باب 39 .

2- انظر مدينة المعاجز : 4/124 ح1132 .

3- ناسخ التواريخ ترجمة سيد علي جمال أشرف : 3/28 عن روضة الأحباب .

روي ابن طاووس وغيره بألفاظ متقاربة قالوا : فلمّا قاربوا الكوفة اجتمع أهلها للنظر اليهم ، فلمّا شاهدوا السبايا بتلك الحالة من الغربة بكوا جميعا .

وكان مع النساء علي بن الحسين عليه السلام ، قد نهكته العلّة ، والحسن بن الحسن المثني ، وكان قد واسي عمّه وإمامه في الصبر علي الرماح ، وإنّما ارتث ، وقد أُثخن بالجراح ، وكان معهم أيضا زيد وعمر ولدا الحسن السبط عليه السلام(1) .

وتعجّب أهل الكوفة لما رأوا في سيماء هؤلاء الأسري من الجلال والعظمة ، فأشرفت إمرأة من الكوفيات فقالت : من أيّ الأساري أنتن ؟ فقلن : نحن أساري آل محمد صلي الله عليه و آله ، فنزلت المرأة من سطحها ، فجمعت لهن أزرا وملاءً ومقانع ، وأعطتهن فتغطين(2) ، فلمّا رأوا أهل البيت في تلك الحالة جعلوا يبكون وينوحون .

خطبة السيدة زينب عليهاالسلام في الكوفة

روي الشيخ المفيد رحمه الله عن حذلم بن ستير(3) قال : قدمت الكوفة في المحرم سنة إحدي وستين عند منصرف علي بن الحسين عليهماالسلام بالنسوة من كربلاء ، ومعهم الأجناد محيطون بهم ، وقد خرج الناس للنظر إليهم .

فلمّا أقبل بهم علي الجمال بغير وطاء ، جعل نساء أهل الكوفة يبكين وينتدبن ، فسمعت علي بن الحسين عليهماالسلام ، وهو يقول بصوت ضئيل ، وقد نهكته العلّة ، وفي عنقه الجامعة ، ويده مغلولة إلي عنقه : ألا إنّ هؤاء النسوة يبكين ، فمن قتلنا ؟قال : ورأيت زينب بنت علي عليهماالسلام ، ولم أر خفرة قطّ أنطق منها ، كأنّها تفرغ عن لسان أمير المؤنين عليه السلام ، وقد أومأت إلي الناس أن اسكتوا ، فارتدت الأنفاس ،وسكتت الأصوات ، فقالت :

1- البحار : 45/108 باب 39 .

2- اللهوف : 143 .

3- في المتن : « حذام بن شريك » ، وفي البحار : « حذيم » .

الحمد للّه والصلاة علي أبي(1) رسول اللّه ، أمّا بعد ، يا أهل الكوفة ، ويا أهل الختل والخذل ، فلا رقأت العبرة ، ولا هدأت الرنّة ، فما مثلكم إلاّ « كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكاثاً تَتَّخِذُونَ أَيْمانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ » .

ألا وهل فيكم إلاّ الصلف النطف ، والصدر الشنف ، خوارون في اللقاء ، عاجزون عن الأعداء ، ناكثون للبيعة ، مضيعون للذمّة ، فبئس ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط اللّه عليكم ، وفي العذاب أنتم خالدون .

أتبكون ؟ إي واللّه ، فابكوا كثيرا ، واضحكوا قليلاً ، فلقد فزتم بعارها وشنارها ، ولن تغسلوا دنسها عنكم أبدا .

وأنّي ترحضون قتل سليل خاتم النبوة ، ومعدن الرسالة ، وسيد شباب أهل الجنّة ، وملاذ حربكم ، ومعاذ حزبكم ، ومقرّ سلمكم ، وآسي كلمكم ، ومفزع نازلتكم ، والمرجع إليه عند مقالتكم ، ومدرة حججكم ، ومنار محجّتكم .

ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم ، وساء ما تزرون ليوم بعثكم ، فتعسا تعسا ، ونكسا نكسا ، لقد خاب السعي ، وتبّت الأيدي ، وخسرت الصفقة ، وبؤم بغضب من اللّه ، وضربت عليكم الذلّة والمسكنة .

أتدرون – ويلكم – أيّ كبد لمحمد صلي الله عليه و آله فريتم ؟ وأيّ عهد نكثتم ؟ وأيّ كريمة له أبرزتم ؟ وأيّ حرمة له هتكتم ؟ وأيّ دم له سفكتم ؟ « لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدًّا تَكادُ السَّماواتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبالُ هَدًّا » .

لقد جئتم بها شوهاء صلعاء عنقاء سوداء فقماء خرقاء، طلاع الأرض ومل ء السماء.

أفعجبتم أن لم تمطر السماء دما « وَلَعَذابُ الآخِرَةِ أَخْزي وَهُمْ لا يُنْصَرُونَ » ، فلا يستخفنّكم المهل ، فإنّه – عزّ وجلّ – من لا يحفزه البدار ، ولا يخشي عليه فوتالثأر ، كلاّ إنّ ربّك لنا ولهم بالمرصاد(2) .

1- في المتن : « جدّي » .

2- بحار الأنوار : 45/162 باب 39 .

وفي رواية القطب الراوندي : ثم أنشأت تقول :

ما ذا تقولون إذ قال النبي لكم

ما ذا صنعتم وأنتم آخر الأمم

بأهل بيتي وأولادي ومكرمتي

منهم أساري ومنهم ضرّجوا بدم

ما كان ذاك جزائي إذ نصحت لكم

أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

إنّي لأخشي عليكم أن يحلّ بكم

مثل العذاب الذي أودي علي إرم

قال حذيم : فرأيت الناس حياري – لمّا سمعوا كلام فلذة كبد الزهراء البتول – قد ردّوا أيديهم في أفواههم .

فالتفت إلي شيخ إلي جانبي يبكي ، وقد اخضلت لحيته بالبكاء ، ويده مرفوعة إلي السماء ، وهو يقول : بأبي وأمي ، كهولهم خير الكهول ، وشبابهم خير شباب ، ونسلهم نسل كريم ، وفضلهم فضل عظيم ، ثم أنشد شعرا :

كهولهم خير الكهول ونسلهم

إذا عدّ نسل لا يبور ولا يخزي

فقال علي بن الحسين عليهماالسلام : يا عمّة اسكتي ، ففي الباقي من الماضي اعتبار ، وأنت – بحمد اللّه – عالمة غير معلمة ، فهمه غير مفهمة ، إنّ البكاء والحنين لا يردّان من قد أباده الدهر ، فسكتت(1) .

خطبة فاطمة الصغري عليهاالسلام في الكوفة

روي عن الإمام موسي بن جعفر عليهماالسلام أنّه قال : أنّ فاطمة الصغري عليهاالسلام بنت الحسين عليه السلام خطبت أيضا في الكوفة .

ومن خطبتها البليغة ، وكلماتها الشريفة ، ومضامينها اللطيفة ، يعلم أنّها كانت ينبوع من ينابيع العلم والمعرفة ، وأنّها كانت تفرغ عن ينبوع الفصاحة والبلاغة ، ومن خطبتها يعرف أنّ نساءهم وبناتهم وأطفالهم كلّهم غصون شجرة الإمامةوالهداية ، وفروع أصول العصمة والطهارة .

1- الأمالي للمفيد : 320 المجلس 38 ح8 ، الإحتجاج : 1/29 ، بحار الأنوار : 45/162 باب 39 .

وذلك لأنّ النساء المخدرات خطبن بين الملأ إرتجالاً ، وهنّ في تلك الحالة من الحزن والفقد والسبي والألم ، والحال أنّ كبار العلماء يعجزون عن إنشاء مثلها بعد التأمّل والإعداد ، بل يتعسّر عليهم فهم ما ورد في كلامهن بعد التفكّر ، ومنه يعلم منزلة هؤلاء الطيبات ومقامهن .

أجل ، إنّهن بنات علي المرتضي عليه السلام ، وفلذة كبد فاطمة الزهراء عليهاالسلام ، وأنوار سبل اللّه .

يا للرجال مخدّرات محمد

تسبي وتهتك ما لهن ودود

تلجي وتضرب بالسياط جزاءة

وتسبّ آباء لها وجدود

تلك الطواهر كالبدور زواهر

تحت الحجاب شعاعها موقود

أصبحن من بعد الحجاب سوافرا

في السفن يعلو نورهن مكبود

يشهرن في الأمصار ما بين الوري

ويسوقها رجس هناك عنيد

أجل ، خطبت فاطمة الصغري عليهاالسلام خطبة تزلزلت لها الأرض ، واصطفقت الأبواب والجدران ، واضطربت لها القلوب ، وإحترقت الأكباد ، وارتفعت الأصوات بالبكاء ، وقالوا : حسبك يا ابنة الطيبين ، فقد أحرقت قلوبنا ، وأنضجت نحورنا ، وأضرمت أجوافنا(1) .

1- لم يذكر المؤلف رحمه الله خطبتها عليهاالسلام وهي كما في بحار الأنوار : 45/110 باب 39 . وروي زيد بن موسي قال : حدثني أبي عن جدّي عليهماالسلام قال : خطبت فاطمة الصغري بعد أن ردّت من كربلاء ، فقالت : الحمد للّه عدد الرمل والحصي ، وزنة العرش إلي الثري ، أحمده ، وأؤن به ، وأتوكّل عليه ، وأشهد أن لا إله إلاّ اللّه ، وحده لا شريك له ، وأنّ محمدا عبده ورسوله صلي الله عليه و آله ، وأنّ ولده ذبحوا بشطّ الفرات ، بغير ذحل ولا ترات . اللّهم إنّي أعوذ بك أن أفتري عليك الكذب ، وأن أقول عليك خلاف ما أنزلت ، من أخذ العهود لوصيه علي بن أبي طالب ، المسلوب حقّه ، المقتول من غير ذنب ، كما قتل ولده بالأمس في بيت من بيوت اللّه تعالي ، فيه معشر مسلمة بألسنتهم ، تعسا لرؤوسهم ، ما دفعت عنه ضيما في حياته ، ولا عند مماته ، حتي قبضته إليك محمود النقيبة ، طيب العريكة ، معروف المناقب ، مشهور المذاهب ، لم يأخذه - اللّهم - فيك لومة لائم ، ولا عذل عاذل ، هديته - يا ربّ - للإسلام صغيرا ، وحمدت

مناقبه كبيرا ، ولم يزل ناصحا لك ولرسولك ، صلواتك عليه وآله ، حتي قبضته إليك زاهدا في الدنيا غير حريص عليها ، راغبا في الآخرة ، مجاهدا لك في سبيلك ، رضيته فاخترته ، وهديته إلي صراط مستقيم . أمّا بعد ، يا أهل الكوفة ، يا أهل المكر والغدر والخيلاء ، فإنّا أهل بيت ابتلانا اللّه بكم ، وابتلاكم بنا ، فجعل بلاءنا حسنا ، وجعل علمه عندنا ، وفهمه لدينا ، فنحن عيبة علمه ، ووعاء فهمه ، وحكمته وحجته في الأرض لبلاده ولعباده ، أكرمنا اللّه بكرامته ، وفضّلنا بنبيه محمد صلي الله عليه و آلهعلي كثير ممّن خلق تفضيلاً بينا ، فكذبتمونا وكفرتمونا ، ورأيتم قتالنا حلالاً ، وأموالنا نهبا ، كأنّا أولاد ترك أو كابل ، كما قتلتم جدّنا بالأمس ، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت ، لحقد متقدّم قرّت بذلك عيونكم ، وفرحت قلوبكم ، افتراء منكم علي اللّه ، ومكرا مكرتم ، وَاللّهُ خَيْرُ الْماكِرِينَ ، فلا تدعونكم أنفسكم إلي الجذل بما أصبتم من دمائنا ، ونالت أيديكم من أموالنا ، فإنّ ما أصابنا من المصائب الجليلة ، والرزايا العظيمة « فِي كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذلِكَ عَلَي اللّهِ يَسِيرٌ لِكَيْلا تَأْسَوْا عَلي ما فاتَكُمْ وَلا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ وَاللّهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ » . تبا لكم ، فانتظروا اللعنة والعذاب ، وكأن قد حلّ بكم ، وتواترت من السماء نقمات ، فَيُسْحِتَكُمْ بما كسبتم ، وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ، ثم تخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة ، بما ظلمتمونا أَلا لَعْنَةُ اللّهِ عَلَي الظّالِمِينَ . ويلكم أتدرون أيّة يد طاعنتنا منكم ؟ وأيّة نفس نزعت إلي قتالنا ؟ أم بأية رجل مشيتم إلينا تبغون محاربتنا ؟ قست قلوبكم ، وغلظت أكبادكم ، وطبع علي أفئدتكم ، وختم علي سمعكم وبصركم ، وسوّل لكم الشيطان ، وأملي لكم ، وجعل علي بصركم غشاوة ، فأنتم لا تهتدون . تبا لكم يا أهل الكوفة ، أيّ ترات لرسول اللّه قبلكم ؟ وذحول له لديكم بما عندتم بأخيه علي بن أبي طالب عليهماالسلام جدّي وبنية عترة النبي الطاهرين الأخيار ، وافتخر بذلك مفتخركم فقال : نحن قتلنا عليا وبني علي بسيوف هندية ورماحوسبينا نساءهم سبي ترك ونطحناهم فأيّ نطاح بفيك أيّها القائل الكثكث ، ولك الأثلب ، افتخرت بقتل قوم زكّاهم اللّه وطهرهم ، وأذهب عنهم الرجس ، فاكظم وأقع كما أقعي أبوك ، وإنّما لكلّ امرئ ما قدّمت يداه ، حسدتمونا ويلاً لكم علي ما فضلنا اللّه عليكم . فما ذنبنا أن جاش دهرا بحورنا وبحرك ساج لا يواري الدعامصا « ذلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَاللّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ، وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ » . قال : فارتفعت الأصوات بالبكاء ، وقالوا : حسبك يا ابنة الطيبين ، فقد أحرقت قلوبنا ، وأنضجت نحورنا ، وأضرمت أجوافنا ، فسكتت عليها وعلي أبيها وجدّتها السلام .

خطبة السيدة أم كلثوم عليهاالسلام في الكوفة

قال السيد ابن طاووس رحمه الله : وخطبت أم كلثوم بنت علي عليهماالسلام في ذلك اليوم من وراء كلّتها رافعة صوتها بالبكاء ، فقالت :

يا أهل الكوفة سوءة لكم ، ما لكم خذلتم حسينا وقتلتموه ، وانتهبتم أمواله وورثتموه ، وسبيتم نساءه ونكبتموه ، فتبا لكم وسحقا .

ويلكم ، أتدرون أيّ دواه دهتكم ؟ وأيّ وزر علي ظهوركم حملتم ؟ وأيّ دماء سفكتموها ؟ وأيّ كريمة أصبتموها ؟ وأيّ صبية سلبتموها ؟ وأيّ أموال انتهبتموها ؟ قتلتم خير رجالات بعد النبي ، ونزعت الرحمة من قلوبكم ، ألا أنّ حزب اللّه هم الفائزون ، وحزب الشيطان هم الخاسرون ، ثم قالت :

قتلتم أخي صبرا فويل لأمّكم

ستجزون نارا حرّها يتوقّد

سفكتم دماءا حرّم اللّه سفكها

وحرّمها القرآن ثم محمد

ألا فأبشروا بالنار إنّكم غدا

لفي سقر حقّا يقينا تخلّدوا

وإنّي لأبكي في حياتي علي أخي

علي خير من بعد النبي سيولد

بدمع غزير مستهلّ مكفكف

علي الخدّ منّي ذائبا ليس يجمد

قال : فضجّ الناس بالبكاء والحنين والنوح ، ونشر النساء شعورهن ، ووضعن التراب علي رؤوسهن ، وخمشن وجوههن ، وضربن خدودهن ، ودعون بالويل والثبور ، وبكي الرجال ، فلم ير باكية وباك أكثر من ذلك اليوم(1) .

1- بحار الأنوار : 45/112 باب 39 .

خطبة الإمام سيد الساجدين عليه السلام في الكوفة

ثم إن زين العابدين عليه السلام وبقية السلف ، وملاذ الخلف ، وذروة الحسب والنسب والشرف ، وإمام الخلق ، وخليفة الخالق ، علي بن الحسين عليه السلام ، أوماً إلي الناس أن اسكتوا ، فسكتوا ، فقام قائما وهو عليل منهك ، نحيف ضعيف ، مكبّل بالحديدوالجامعة ، فحمد اللّه وأثني عليه ، وذكر النبي وصلّي عليه ، ثم قال :

أيّها الناس من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني ، فأنا علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - صلوات اللّه عليهم - ، أنا ابن المذبوح بشطّ الفرات من غير ذحل ولا ـ ترات ، أنا ابن من انتهك حريمه ، وسلب نعيمه ، وانتهب ماله ، وسبي عياله ، أنا ابن من قتل صبرا ، وكفي بذلك فخرا .

أيّها الناس ، ناشدتكم باللّه ، هل تعلمون أنّكم كتبتم إلي أبي وخدعتموه ؟ وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة وقاتلتموه وخذلتموه ؟

فتبا لما قدّمتم لأنفسكم ، وسوءة لرأيكم ، بأيّة عين تنظرون إلي رسول اللّه صلي الله عليه و آله

إذ يقول لكم : قتلتم عترتي ، وانتهكتم حرمتي ، فلستم من أمّتي ؟

قال : فارتفعت أصوات الناس من كلّ ناحية ، ويقول بعضهم لبعض : هلكتم وما تعلمون .

فقال عليه السلام : رحم اللّه امرأ قبل نصيحتي ، وحفظ وصيتي في اللّه ، وفي رسوله وأهل بيته ، فإنّ لنا في رسول اللّه أسوة حسنة .

فقالوا بأجمعهم : نحن كلّنا يا ابن رسول اللّه سامعون مطيعون ، حافظون لذمامك ، غير زاهدين فيك ، ولا راغبين عنك ، فمرنا بأمرك ، يرحمك اللّه ، فإنّا حرب لحربك ، وسلم لسلمك ، لنأخذن يزيد ، ونبرأ ممّن ظلمك وظلمنا .

فقال عليه السلام : هيهات ، هيهات ، أيّها الغدرة المكرة ، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم ، أتريدون أن تأتوا إليّ كما أتيتم إلي آبائي من قبل ؟ كلاّ وربّ الراقصات ،

فإنّ الجرح لمّا يندمل ، قتل أبي – صـلوات اللّه عليه – بالأمس ، وأهل بيته معه ، ولم ينسـني ثكل رسول اللّه ، وثكل أبي وبني أبي ، ووجده بين لهاتي ، ومرارته بين حناجري وحلقي ، وغصصه يجري في فراش صدري ، ومسألتي أن لا تكونوا لناولا علينا ، ثم قال :

لا غرو إن قتل الحسين وشيخه

قد كان خيرا من حسين وأكرما

فلا تفرحوا يا أهل كوفان بالذي

أصيب حسين كان ذلك أعظما

قتيل بشطّ النهر روحي فداؤ

جزاء الذي أرداه نار جهنما(1)

ورود أهل البيت الي الكوفة برواية مسلم الجصّاص

روي عن مسـلم الجصاص قال : دعاني ابن زياد لإصلاح دار الإمارة بالكوفة ، فبينما أنا أجصّص الأبواب ، وإذا أنا بالزعقات قد ارتفعت من جنبات الكوفـة ، فأقبلت علي خادم كان معنا ، فقلت : ما لي أري الكوفـة تضـجّ ؟ قال : الساعة أتوا برأس خارجي خرج علي يزيد ، فقلت : من هذا الخارجي ؟ فقال : الحسين بن علي عليهماالسلام .

قال : فتركت الخادم حتي خرج ، ولطمت وجهي حتي خشيت علي عيني أن يذهب ، وغسلت يدي من الجصّ ، وخرجت من ظهر القصر ، وأتيت إلي الكناس .

فبينمـا أنـا واقف ، والنـاس يتوقعون وصول السـبايا والرؤوس ، إذ قـد أقبلت نحو أربعين شـقّة تحمل علي أربعين جملاً ، فيها الحرم والنساء وأولاد فاطمة عليهاالسلام ، وإذا بعلي بن الحسين عليهماالسلام علي بعير بغير وطاء ، وأوداجه تشخب دما ، وهو مع ذلك يبكي ويقول :

1- بحار الأنوار : 45/113 .

يا أمّة السوء لا سقيا لربعكم

يا أمّة لم تراع جدّنا فينا

لو أنّنا ورسول اللّه يجمعنا

يوم القيامة ما كنتم تقولونا

تسيّرونا علي الأقتاب عارية

كأنّنا لم نشيّد فيكم دينا

بني أمية ما هذا الوقوف علي

تلك المصائب لا تلبون داعينا

تصفّقون علينا كفّكم فرحا

وأنتم في فجاج الأرض تسبونا

أليس جدّي رسول اللّه ويلكم

أهدي البريّة من سبل المضلينا

يا وقعة الطف قد أورثتني حزنا

واللّه يهتك أستار المسيئينا

قال : وصار أهل الكوفة يناولون الأطفال الذين علي المحامل بعض التمر والخبز والجوز ، فصاحت بهم أم كلثوم وقالت : يا أهل الكوفة ، إنّ الصدقة علينا حرام ، وصارت تأخذ ذلك من أيدي الأطفال وأفواههم ، وترمي به إلي الأرض .

قال : كلّ ذلك والناس يبكون علي ما أصابهم .

ثم إنّ أم كلثوم أطلعت رأسها من المحمل ، وقالت لهم : صه يا أهل الكوفة ، تقتلنا رجالكم وتبكينا نساؤم ، فالحاكم بيننا وبينكم اللّه يوم فصل القضاء .

فبينما هي تخاطبهن إذا بضجّة قد ارتفعت ، فإذا هم أتوا بالرؤوس يقدمهم رأس الحسين عليه السلام ، وهو رأس زهري قمري ، أشبه الخلق برسول اللّه صلي الله عليه و آله ، ولحيته كسواد السبج قد انتصل منها الخضاب ، ووجهه دارة قمر طالع ، والرمح تلعب بها يمينا وشمالاً(1) .

1- بحار الأنوار : 45/115 .

فالتفتت زينب ، فرأت رأس أخيها ، فنطحت جبينها بمقـدّم المحمل ، حتي رأينا الدم يخرج من تحت قناعها ، وأومأت إليه بخرقة ، وجعلت تقول :

يا هلالاً لما استتم كمالاً

غاله خسفه فأبدا غروبا

ما توهّمت يا شقيق فؤدي

كان هذا مقدرا مكتوبا

يا أخي فاطم الصغيرة كلّمها

فقد كاد قلبها أن يذوبا

يا أخي قلبك الشفيق علينا

ما له قد قسي وصار صليبا

يا أخي لو تري عليا لدي الأسر

مع اليتم لا يطيق وجوبا

كلّما أوجعوه بالضرب ناداك

بذلّ يغيض دمعا سكوبا

يا أخي ضمّه إليك وقرّبه

وسكّن فؤده المرعوبا

ما أذلّ اليتيم حين ينادي

بأبيه ولا يراه مجيبا

السبايا في مجلس ابن زياد الملعون

روي السـيد ابن طاووس والشيخ فخر الدين : جاءوا بسبايا أهل بيت الرسالة ، ومخدرات سرادق العصمة والطهارة ، وخواتين غرفات القدس ، وسـيدات محافل العرفان والأنس ، وبقايا العترة الطاهرة ، وذريـة أحمد المختار ، وصـبايا حيدر الكرار ، ومعهن محور فلك العلم ، وعين المعرفة ، وقطب دائرة الهداية ، وشـمس العصـمة والطهارة ، زين العباد والسـيد السـجاد ، وحجّة اللّه علي العباد ، وشفيع المعاد ، علي بن

الحسين عليه السلام ، ومعهم رؤوس شهداء كربلاء ، وغرباء دنيا الوفاء ، يتقدّمهم رأس سيد الشهداء عليه السلام ، وقد جلس اللعين ابن اللعين ، والخبيث ابن الخبيث ، عبيد اللّه بن زياد ، في دار الكفر ، وأذن للناس إذنا عاما .

وروي أنّه فعل ذلك بعد يوم من وصولهم الي الكوفة .

ثم إنّه أمر بإحضار فلذات كبد أحمد المختار صلي الله عليه و آله ، ورأس أفضل الخلق المقدّس المطهّر ، في مجلسه المنحوس المنكوس ، فدخل أهل البيت سبايا مقهورين في المجلس العام .

آه وا ويلاه ، أين عنهم رسول اللّه صلي الله عليه و آله ينظر الي ذريته الطيبين عند ابن زياد اللعين .

أين عنهم فاطمة الزهراء عليهاالسلام تري فتياتها في مجلس الخبيث ابن زياد .

من مخبر الزهراء أنّ بناتها

يشهرن بين طغاتها وبغاتها

يا فاطم الزهراء قومي واندبي

أسراك في أشراك ذلّ عداتها

فأدخل عيال الحسين بن علي – صلوات اللّه عليهما – علي ابن زياد ، فدخلت زينب أخت الحسين عليهماالسلام في جملتهم متنكّرة ، وعليها أرذل ثيابها ، ومضت حتي جلست ناحية ، وحفت بها إماؤا(1) ، ولم تسلّم علي ابن زياد ، ولم تلتفت الي أحد ، وهي تتخفّي بين النساء ، وتستر وجهها بكمّها ، لأنّ قناعها أخذ منها .

فسأل عنها ، فقيل : هذه زينب بنت علي ، فأقبل عليها وقال : بحقّ جدّك كلّميني ، فقالت : وما الذي تريد وقد هتكتني بين النساء(2) ، وبين الناس أبرزتني .

فتكلّم اللعين بكلمات مزخرفة ، وعبارات بالكفر صريحة غير مغلفة ، فلم تطق الحوراء ، فقالت : سيجمع اللّه بينك وبينهم ، فتحاجّ وتخاصم ، فاستعدّ جوابا ، وأنّي لك به .

فغضب ابن زياد واستشاط ، وكأنّه همّ بقتلها ، فقال له عمرو بن حريث : إنّها امرأة ، والمرأة لا تؤخذ بشيء من منطقها ، فقال لها ابن زياد : لقد شفي اللّه قلبي من طاغيتك الحسين ! والعصاة المردة من أهل بيتك ! فقالت : لعمري لقد قتلت كهلي ، وقطعت فرعي ، واجتثثت أصلي ، فإن كان هذا شفاؤ فقد اشتفيت .

وروي أنّ أم كلثوم قالت : يا ابن زياد إن كان قرّت عينك بقتل الحسين ، فقد كانت عين رسول اللّه صلي الله عليه و آله تقرّ برؤيته ، وكان يقبّله ويمصّ شفتيه ، ويحمله(3) . .

1- بحار الأنوار : 45/117 باب 39 .

2- المنتخب : 2/466 .

3- ناسخ التواريخ ترجمة سيد علي جمال أشرف : 3/41 .

كلام الإمام السجاد عليه السلام وابن زياد لعنه اللّه

وقال السـيد ابن طاووس : ثم التفت ابن زياد إلي علي بن الحسين عليهماالسلام ، فقال :من هذا ؟ فقيل : علي بن الحسين ، فقال : أليس قد قتل اللّه علي بن الحسـين ؟ فقال علي : قـد كان لي أخ يسـمّي علي بن الحسـين ، قتله الناس ، فقال : بل اللّه قتله ، فقال علي : « اللّهُ يَتَوَفَّي الأنْفُسَ حِينَ مَوْتِها وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنامِها » .

فقال ابن زياد : ولك جرأة علي جوابي ؟ اذهبوا به فاضربوا عنقه(1) .

وروي أنّ ابن الزنا حينما أكثر من كلامه بالباطل مع زينب عليهاالسـلام : فغار علي بن الحسـين عليهماالسلام علي عمّته ، فقال لابن زياد : الي كم تهتك عمّتي بين من يعرفها ومن لا يعرفها ، قطع اللّه يديك ورجليك ، فاستشاط ابن زياد ، وأمر بضرب عنقه(2) .

وقال الشـيخ المفيد وابن نما : فلمّا سـمع النساء كلامه إضطربن ، فتعلّقت به زينب عمّته ، وقالت : يا ابن زياد حسبك من دمائنا ، واعتنقته ، وقالت : واللّه لا أفارقه ، فإن قتلته فاقتلني معه .

فقال علي لعمّته : اسكتي يا عمّة حتي أكلّمه ، ثم أقبل عليه السلام فقال : أبالقتل تهدّدني يا ابن زياد ؟ أما علمت أنّ القتل لنا عادة ، وكرامتنا الشهادة(3) ؟

فنظر ابن زياد إليها وإليه ساعة ، ثم قال : عجبا للرحم ، واللّه إنّي لأظنّها ودّت أنّي قتلتها معه ، دعوه ، فإنّي أراه لما به(4) .

إعتراض زيد بن أرقم في مجلس ابن زياد

وقال المفيد رحمه الله : فوضع الرأس بين يديه ينظر إليه ويتبسّم ، وبيده قضـيب يضرب به ثناياه . وفي بعض المقاتل : يستهزي ء به ويقول : يا حسين لقد كنت حسنالمضحك ، لقد أسرع اليك الشيب يا أبا عبد اللّه . فدتك أرواح العالمين جميعا .

1- بحار الأنوار : 45//117 باب 39 .

2- المنتخب : 2/466 .

3- بحار الأنوار : 45/118 .

4- بحار الأنوار : 45/118 .

وقال ابن نما وابن الجوزي : قال أنس بن مالك : شـهدت عبيد اللّه بن زياد وهو ينكت بقضـيب علي أسنان الحسين عليه السلام ويقول : إنّه كان حسن الثغر ، فقلت : أما واللّه لأسوأنّك ، لقد رأيت رسول اللّه صلي الله عليه و آله يقبّل موضع قضيبك من فيه .

وروي أنّه كان إلي جانبه زيد بن أرقم صاحب رسول اللّه صـلي الله عليه و آله ! وهو شيخ كبير ، فلمّا رآه يضرب بالقضيب ثناياه ، قال : ارفع قضـيبك عن هاتين الشـفتين ، فواللّه الذي لا إله إلاّ هو لقد رأيت شـفتي رسول اللّه صـلي الله عليه و آله عليهما ما لا أحصـيه يقبّلهما ، ثم انتحب باكيا .

فقال له ابن زياد : أبكي اللّه عينيك ، أتبكي لفتـح اللّه ، واللّه لولا أنّك شـيخ كبير قـد خرفت وذهب عقلك لضـربت عنقك ، فنهض زيـد بن أرقم من بين يديه وصار إلي منزله(1) .

وروي أنّه قال لابن زياد : لأحدّثنّك حديثا هو أغلظ عليك من هذا : إنّي رأيت رسول اللّه صلي الله عليه و آله أقعد حسنا علي فخذه الأيمن ، وحسـينا علي فخـذه اليسـري ، فوضع يـده علي يافوخ كلّ واحـد منهما ، وقال : اللّهم إنّي أسـتودعك إيّاهما وصالح المؤمنين ، فكيف كان وديعتك لرسول اللّه صلي الله عليه و آله ؟

ثم رفع زيد صوته يبكي وخرج ، وهو يقول : ملك عبد حرّا ، فاتخذهم تلدا ، أنتم يا معشر العرب العبيد بعد اليوم ، قتلتم ابن فاطمة ، وأمّرتم ابن مرجانة حتي يقتل خياركم ، ويستعبد أشراركم ، رضيتم بالذلّ ، فبعدا لمن رضي بالذلّ(2) . .

1- بحار الأنوار : 45/115 باب 39 .

2- الإرشاد : 2/114 ، المنتخب : 2/466 ، مثير الأحزان : 90 ، تذكرة الخواص : 231 ، بحار الأنوار : 45/116 .

ابن زياد يأمر بحبس أهل البيت عليهم السلام

روي أنّ الإمام السجاد عليه السلام دخل علي ابن زياد وهو يتغذي ورأس الحسين عليه السلام

بين يديه ، فدعا عليه السجاد عليه السلام ، فاستجاب اللّه دعاءه ، فوضع رأس ابن زياد بين يدي الإمام وهو يتغذي .

وبعد أن انقضي المجلس أمر اللعين فحمل أهل البيت الي دار الي جنب المسجد الأعظم .

وروي أبو نعيم : أنّ أمر ابن زياد اللعين بعلي بن الحسين عليهماالسلام فغلّ ، وحمل مع النسوة والسبايا الي السجن .

قال حاجب ابن زياد : كنت معهم ، فما مررنا بزقاق إلاّ وجدناه مملوء رجالاً ونساءا يضربون وجوههم ويبكون ، فحبسوا في السجن ، وضيّق عليهم .

قال السيد ابن طاووس : فقالت زينب عليهاالسلام : لا تدخل علينا عربية إلاّ أم ولد أو مملوكة ، فإنّهن سبين كما سبينا(1) .

الرأس المقدّس يتلو القرآن

روي الشيخ المفيد : ثم أمر برأس الحسين عليه السلام فطيف به في سكك الكوفة كلّها وقبائلها ، آه وا مصيبتاه ، أيأمر ابن الزواني بالرأس المطهّر المقدّس أن يطاف به ؟ !

قال ابن حبيش : إنّ أول رأس رفع علي رأس خشبة رأس الحسين(2) عليه السلام .

وروي ابن الجوزي في مرآة الزمان عن سلمة بن كهيل قال : رأيت رأس الحسين عليه السلام علي قناة وهو يقرأ : « فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللّهُ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » .

1- أمالي الصدوق : 229 ح242 ، اللهوف : 202 ، بحار الأنوار : 45/119 و154 .

2- في كشف الغمة : 2/55 : وعن عاصم عن زر بن حبيش قال : أول رأس حمل علي رمح في الإسلام رأس الحسين بن علي عليهماالسلام ، فلم أر باكيا وباكية أكثر من ذلك اليوم .

وروي الشيخ المفيد عن زيد بن أرقم قال : إنّه مرّ علي به وهو علي رمح ، وأنا في غرفة لي ، فلمّا حاذاني سمعته يقرأ : « أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً » ، فوقف - واللّه - شعري ، وناديت : رأسك واللّه يا ابن رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، وأمرك أعجب وأعجب .

قال السيد ابن طاووس رحمه الله : يحقّ لي أن أكتب هذا الرثاء لبعض الأدباء يرثي بها قتيلاً ، هو فلذة كبد سيد الأنبياء صلي الله عليه و آله ، وقيل : أنّ هاتفا كان يقرأ هذه الأبيات فوق الرأس :

رأس ابن بنت محمد ووصيّه

للناظرين علي قناة يرفع

والمسلمون بمنظر وبمسمع

لا ضارع منهم ولا متفجّع

كحلت بمنظرك العيون عماية

وأصمّ رزؤك كلّ أذن تسمع

أيقظت أجفانا وكنت لها كري

وأنمت عينا لم تكن بك تهجع

ما روضة إلاّ تمنّت أنّها

لك حفرة ولحظّ قبرك مضجع

وروي جماعة : أنّهم صلبوا الرأس المقدّس في السوق ، فتنحنح الرأس وقرأ : « إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْناهُمْ هُدىً » ، فلم يزدهم إلاّ ضلالاً .

وروي آخر قال : ثم صلبوه خارج الكوفة علي شجرة ، فاقتربت منه ، وحقّقت النظر ، فرأيت شفتيه تتحركان ، فدنوت منه وأنصت اليه ، فسمعته يقرأ : « وَلا تَحْسَبَنَّ اللّهَ غافِلاً عَمّا يَعْمَلُ الظّالِمُونَ » ، « وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ »(1) .

وفي بعض الكتب عن الحارث بن وكيدة قال : كنت فيمن حمل رأس الحسين عليه السلام ، فسمعته يقرأ سورة الكهف ، فجعلت أشكّ في نفسي ، وأنا أسمع نغمةأبي عبد اللّه عليه السلام : يا ابن وكيدة أما علمت أنّا معاشر الأئمة أحياء عند ربّنا نرزق ؟

1- الإرشاد : 2/117 ، بحار الأنوار : 121 ، 304 ، اللهوف : 203 ، العوالم : 17/386 .

قال : فقلت في نفسي : أسرق رأسه عليه السلام ، فنادي : يا ابن وكيدة ليس لك الي ذلك سبيل ، سفكهم دمي أعظم عند اللّه تعالي من تسييرهم إياي ، فذرهم (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الأَغْلالُ فِي أَعْناقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْحَبُونَ »(1) .

كتاب ابن زياد الي يزيد وعمرو بن سعيد لعنهم اللّه

وكتب عبيد اللّه بن زياد إلي يزيد بن معاوية يخبره بقتل الحسين عليه السلام ، وخبر أهل بيته ، وكتب أيضا إلي عمرو بن سعيد بن العاص أمير المدينة بمثل ذلك(2) .

وصول خبر شهادة الحسين عليه السلام وأصحابه الي المدينة

وقال الشيخ المفيد : تقدّم ابن زياد إلي عبد الملك بن أبي الحارث السلمي فقال : انطلق حتي تأتي عمرو بن سعيد بن العاص بالمدينة ، فبشّره بقتل الحسين عليه السلام .

قال عبد الملك : فركبت راحلتي ، وسرت نحو المدينة ، فلقيني رجل من قريش ، فقال : ما الخبر ؟ فقلت : الخبر عند الأمير تسمعه ، فقال : إِنّا لِلّهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ ، قتل - واللّه - الحسين .

فلمّا دخلت علي عمرو بن سعيد قال : ما وراك ؟ فقلت : ما سرّ الأمير ! قتل الحسين بن علي ، فقال : اخرج فناد بقتله ، فناديت : ألا قتل الحسين ، ألا نهب الحسين ، فلم أسمع - واللّه - واعية قطّ مثل واعية بني هاشم في دورهم علي الحسين بن علي حين سمعوا النداء بقتله .

ثم دخلت علي عمرو بن سعيد ، فلمّا رآني تبسّم إليّ ضاحكا ، ثم أنشأ متمثلاً بقول عمرو بن معديكرب :

عجّت نساء بني زياد عجّة

كعجيج نسوتنا غداة الأرنب

ثم قال عمرو : هذه واعية بواعية عثمان(3) .

1- تظلّم الزهراء عليهاالسلام : 150 .

2- اللهوف : 168 ، بحار الأنوار : 45/121 .

3- في المتن : « فلان » .

ثم صعد المنبر فأعلم الناس بقتل الحسين عليه السلام ، وتشدّق ببعض هذياناته ، ودعا ليزيد ، وتظاهر بعد رضاه بما جري للحسين عليه السلام ، ونزل ، وكان ممّا قال في خطبته : إنّها لدمة بلدمة ، وصدمة بصدمة ، كم خطبة بعد خطبة ، وموعظة بعد موعظة ، حِكْمَةٌ بالِغَةٌ فَما تُغْنِ النُّذُرُ ، واللّه لوددت أنّ رأسه في بدنه ، وروحه في جسده . . ولم يكن من أمره ما كان ، ولكن كيف نصنع بمن سلّ سيفه يريد قتلنا ، إلاّ أن ندفعه عن أنفسنا .

فقام عبد اللّه بن السائب فقال : لو كانت فاطمة حيّة فرأت رأس الحسين لبكت عليه ، فجبهه عمرو بن سعيد - لعنه اللّه - وقال : نحن أحقّ بفاطمة منك ، أبوها عمّنا ، وزوجها أخونا ، وابنها ابننا ، لو كانت فاطمة حيّة لبكت عينها ، وحرّت كبدها ، وما لامت من قتله ، ودفعه عن نفسه(1) !

قال الشيخ المفيد : فلمّا انتشر خبر مقتل الحسين عليه السلام في المدينة ، ضجّ بنو هاشم ، وقام المأتم والعزاء في بيوتهم ، فخرجت أم لقمان بنت عقيل بن أبي طالب حين سمعت نعي الحسين عليه السلام حاسرة ، ومعها أخواتها ، أم هانئ ، وأسماء ، ورملة ، وزينب بنات عقيل تبكي قتلاها بالطف ، وهي تقول :

ما ذا تقولون إذ قال النبي لكم

ما ذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي

منهم أساري وقتلي ضرّجوا بدم

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم

أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

ثم قال المفيد : فدخل موالي عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب ، فنعي إليه ابنيه ، فاسترجع ، فقال أبو السلاسل - مولي عبد اللّه - : هذا ما لقينا من الحسين بن علي ، فحذفه عبد اللّه بن جعفر بنعله ، ثم قال : يا ابن اللخناء ، أللحسين تقول هذا ؟ واللّه لو شهدته لأحببت أن لا أفارقه حتي أقتل معه ، واللّه إنّه لمّما يسخي بنفسي عنهما ، ويعزّي عن المصاب بهما ، إنّهما أصيبا مع أخي وابن عمّي مواسيين له ، صابرين معه .

1- الإرشاد : 2/123 ، بحار الأنوار : 45/121 .

ثم أقبل علي جلسائه فقال : الحمد للّه ، عزّ عليّ مصرع الحسين ، أن لا أكن آسيت حسينا بيدي فقد آساه ولداي(1) .

وقال شهر بن حوشب : بينما أنا عند أم سلمة إذ دخلت صارخة تصرخ ، وقالت : قتل الحسين ، قالت أم سلمة : فعلوها ملأ اللّه قبورهم نارا(2) .

وروي أنّ يزيد بن معاوية – لعنهما اللّه – بعث بمقتل الحسين عليه السلام إلي المدينة مع رجلين ، فلمّا قدما خرجت امرأة من بنات عبد المطلب ناشرة شعرها ، واضعة كمّها علي رأسها ، تتلقّاهم ، وهي تبكي ، وتنشد شعرا(3) .

وقال الشيخ المفيد : فلمّا كان الليل في ذلك اليوم الذي خطب فيه عمرو بن سعيد بقتل الحسين عليه السلام بالمدينة سمع أهل المدينة في جوف الليل مناديا ينادي ، يسمعون صوته ، ولا يرون شخصه :

أيّها القاتلون جهلاً حسينا

أبشروا بالعذاب والتنكيل

كلّ أهل السماء يدعو عليكم

من نبي ومرسل وقتيل

قد لعنتم علي لسان ابن داود

وموسي وصاحب الإنجيل(4)

قال صاحب بحار الأنوار : وممّا رواه النطنزي في الخصائص عن أبي ربيعة عن أبي قبيل : قيل سمع في الهواء بالمدينة قائل :

يا من يقول بفضل آل محمد

بلّغ رسالتنا بغير تواني

قتلت شرار بني أمية سيدا

خير البريّة ماجدا ذا شأن

ابن المفضّل في السماء وأرضها

سبط النبي وهادم الأوثان

بكت المشارق والمغارب بعد ما

بكت الأنام له بكلّ لسان(5)

1- الإرشاد : 2/124 ، بحار الأنوار : 45/120 - 123 .

2- بحار الأنوار : 45/124 .

3- مثير الأحزان : 124 ، بحار الأنوار : 45/123 .

4- الإرشاد : 2/124 ، بحار الأنوار : 45/123 .

5- بحار الأنوار : 45/124 .

المجلس الثالث عشر: في دخول قافلة المحنة والآلام الي الشام وما جري عليهم هناك

اشارة

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه علي السرّاء والضرّاء والبأساء والنعماء .

والصلاة والسلام علي المبعوث لإرشاد الضوال في الطخياء ، والهادي الي النجاة في الليلة الظلماء ، سيدنا محمد وآله الذين لهم نظام الدهر ، وبهم قيام الأرض والسماء .

سيّما علي ريحانته وسبطه المظلوم ، صاحب الكرب والمحنة والبلاء ، الذي لم ير مثله في ابتداء الوجود الي الإنتهاء ، بكت عليه الأرض والسماء ، وتبكي عليه في الصباح والمساء ، بدمعة حمراء ، شديد العناء ، عظيم البلاء ، قليل الرعاء ، قتيل الظماء ، منهوب الخباء ، مسلوب الرداء ، منزوع الحذاء ، منبوذ العراء ، مقطّع الأعضاء ، مرضض الأشلاء ، الذي أحاط به أهل الشقاء ، ودار عليه أولاد البغاء ، بالمكاء والصداء ، وارتفاع الأصوات والضوضاء ، بعد قتل الإخوة والأبناء ، وقطعالأشلاء ، فأذاقوه شرب الحتوف من حرّ السيوف .مطروحا علي الرمضاء ، منبوذا في البيداء ، مقطوع الرأس من القفا ، مطروحا كالإهماء ، تجول عليه الخيل الدهماء ، وتكسوه عثير الفضاء من الأرجاء ، فهو أبو الشهداء ، وأخو الشهداء ، وسيد الشهداء ، وإمام السعداء ، سيدنا المظلوم أبي عبد اللّه الحسين عليه وآله سلام اللّه .

وبعد ، فقد قال اللّه سبحانه :

« وَإِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ

وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ » .

* * *

ناقضوا العهد

ورد في أخبار كثيرة أنّ ما جري في الأمم السابقة يجري في هذه الأمّة حذو النعل بالنعل ، فيقتضي أنّ ما جري في بني إسرائيل يجري في هذه الأمّة .

روي أنّه قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله لمّا نزلت « وَإِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ »

الآية ، في اليهود ، أي الذين نقضوا عهد اللّه ، وكذبوا رسل اللّه ، وقتلوا أولياء اللّه : أفلا أنبئكم بمن يضاهيهم من يهود هذه الأمّة ؟ قالوا : بلي يا رسول اللّه .

قال : قوم من أمّتي ، ينتحلون أنّهم من أهل ملّتي ، يقتلون أفاضل ذريتي ، وأطايب أرومتي ، ويبدلون شريعتي وسنّتي ، ويقتلون ولدي الحسن والحسين ، كما قتل أسلاف اليهود زكريا ويحيي ، ألا وإنّ اللّه يلعنهم كما لعنهم ، ويبعث علي بقايا

ذراريهم قبل يوم القيامة هاديا مهديا من ولد الحسين المظلوم ، يحرقهم بسيوف أوليائه إلي نار جهنم ، ألا ولعن اللّه قتلة الحسين عليه السلام ، ومحبّيهم ، وناصريهم ، والساكتين عن لعنهم من غير تقية يسكتهم .

ألا ـ وصلّي اللّه علي الباكين علي الحسين رحمة وشفقة ، واللاعنين لأعدائهم ، والممتلئين عليهم غيظا وحنقا .ألا وإنّ الراضين بقتل الحسين شركاء قتلته ، ألا وإنّ قتلته وأعوانهم وأشياعهم والمقتدين بهم براء من دين اللّه .

إنّ اللّه ليأمر ملائكته المقرّبين أن يتلقّوا دموعهم المصبوبة لقتل الحسين إلي الخزان في الجنان ، فيمزجوها بماء الحيوان ، فتزيد عذوبتها وطيبها ألف ضعفها ،

وإنّ الملائكة ليتلقّون دموع الفرحين الضاحكين لقتل الحسين ، يتلقونها في الهاوية ، ويمزجونها بحميمها وصديدها ، وغساقها وغسلينها ، فيزيد في شدّة حرارتها ، وعظيم عذابها ألف ضعفها ، يشدّد بها علي المنقولين إليها من أعداء آل محمد عذابهم(1) .

مقارنة بين الأمم السالفة والأمّة المرحومة

أجـل ، إنّ ما جري في الأمم السابقـة جري في هـذه الأمّـة أيضا ، وإن كان الكثير منها جري بصورة لا يمكن أن يتصوّرها أيّ عقل ، ولكنّها واضحة لعيان العرفاء .

ومن جملة ما جري علي موسي عليه السلام أنّه لمّا ترك قومه إرتدّ قومه وعبدوا العجل ، واستضعفوا هارون عليه السلام وظلموه(2) .

وفي هـذه الأمّـة أيضا لمّا مضـي نبي آخر الزمان ظلموا هارون هـذه الأمّة علي بن أبي طالب عليهماالسـلام ، وإرتدّت الأمّة بعده كلّها إلاّ القليل ممّن ووفي ببيعته ، وعبدوا العجل ، وعجل هذه الأمّة هو الأعرابي الأول .

وحاربت صفورا بنت شعيب زوجة موسي عليهماالسلام وصيه يوشع بن نون ، وجيّشت عليه الجيوش(3) .

وجري مثـل ذلك في هـذه الأمّـة حينما خرجت حميراء زوجـة النبي صـلي الله عليه و آله علي وصـيّهعلي بن أبي طالب عليهماالسـلام ، وشهرت السلاح في وجهه ، وجيّشت الجيوش وحاربته(4) .

الأمم السابقة قتلوا أنفسهم ، وطبخوا لحومهم وأكلوها .

وفي هذه الأمّة أيضا أكلت هند – آكلة الأكباد – كبد حمزة عليه السـلام ، ووضعتها في فيها ولاكتها ، فجعلها اللّه كالحجارة فلفظتها ، لئلا تكون جزءا من جسدها الخبيث(5) .

1- تفسير الإمام العسكري عليه السلام : 354 ، بحار الأنوار : 44/304 باب 36 ح17 .

2- انظر بحار الأنوار : 13/209 ح4 .

3- انظر إثبات الوصية : 65 ، بحار الأنوار : 13/369 ح15 .

4- انظر بحار الأنوار : 32/137 وما بعدها .

5- انظر اعلام الوري : 1/180 .

في الأمم السابقة كانت عدّة من النساء الخبيثات في حبالة الأنبياء عليهم السلام ، مثل إمرأة لوط وإمرأة نوح عليه السلام .

وفي هذه الأمّة أيضا كانت زوجتا النبي صلي الله عليه و آله .

في الأمم السابقة كانت بعض النساء الصالحات تحت الكفار ، ولم يضرّهن ذلك ، مثل آسية إمرأة فرعون .

وفي هذه الأمّة كانت أم كلثوم ورقية تحت فلان ، وكانت سكينة بنت سيد الشهداء عليه السلام تحت مصعب بن الزبير(1) .

في الأمم السابقة غاب الأنبياء عليهم السلام مدّة طويلة .

وفي هذه الأمّة غاب المولي صاحب الأمر عجّل اللّه تعالي فرجه الشريف .

في الأمم السابقة أخفي حمل موسي وعيسي عليهماالسلام ، ولم يطّلع عليه أحد .

في هذه الأمّة أخفي حمل المولي صاحب الأمر ، ولم يطّلع عليه أحد .

في الأمم السابقة أوتي يحيي وعيسي عليهماالسلام الحكم في الصبا ، وجعلا نبيين .

وفي هذه الأمّة أوتي الإمام الجواد والإمام صاحب العصر الأمر وهما صبيان ، وجعلا خليفتين وإمامين .

في الأمم السابقة إبتلي يوسف عليه السلام بمحبّة زليخا .وفي هذه الأمّة إبتلي الإمام المجتبي بتلك البدوية التي عشقته ، فألقت بنفسها في خيمته(2) .

في الأمم السابقة خرّب بخت نصر بيت المقدس .

وفي هذه الأمّة خرّب الحجاج بن يوسف الثقفي الكعبة المعظّمة .

1- هذه الزيجات المنقولة تحتاج الي تحقيق وإثبات ، خصوصا زواج السيدة الطيبة الطاهرة سكينة بنت الحسين عليهماالسلام من مصعب بن الزبير .

2- انظر المناقب : 4/14 ، بحار الأنوار : 43/340 ح14 .

في الأمم السابقة عمّر بعض الصالحين ، مثل نوح والخضر عليهماالسلام ، وبعض الطالحين مثل عوج بن عنق .

وفي هذه الأمّة أيضا عمّر من الصالحين الإمام صاحب الأمر ، ومن الطالحين الدجال الملعون .

في الأمم السابقة ولد يحيي عليه السلام لستة أشهر .

وفي هذه الأمّة ولد الحسين بن علي عليهماالسلام لستة أشهر .

في الأمم السابقة بكت السماء دما علي يحيي بن زكريا عليهماالسلام .

وفي هذه الأمّة بكت السماء دما علي الحسين بن علي عليهماالسلام .

في الأمم السابقة كان البكاؤون أصنافا ، وكان فيهم من يبكي حتي ينبت الزرع من دموع عينيه ، فإذا تنفس الصعداء وتأوّه أحرق ما أنبتته الدموع .

وفي هذه الأمّة أيضا كان البكاؤون أصنافا ، منهم فاطمة عليهاالسلام التي بكت حتي ضاق أهل المدينة بها ذرعا ، وقالوا لها : إمّا أن تبكي ليلاً ، وإمّا أن تبكي نهارا ، لنرتاح في أحدهما من بكائك(1) .

ومثل علي بن الحسين عليهماالسلام الذي بكي علي أبيه أربعين سنة ، حتي خشي عليه الهلاك ، فقال له غلامه يوما : أخشي عليك الهلاك يا ابن رسول اللّه ، فقال : « إِنَّما أَشْكُوا بَثِّي وَحُزْنِي إِلَي اللّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ ما لا تَعْلَمُونَ » ، ثم قال : إنّي لم أذكر مصرعبني فاطمة عليهاالسلام إلاّ وخنقتني العبرة(2) .

وفي الأمم السابقة أسروا يوسف الصدّيق عليه السلام وألقوه في السجن .

وفي هذه الأمّة أسروا علي بن الحسين عليهماالسلام وحبسوه ، وسجنوا موسي بن جعفر عليهماالسلام .

1- انظر بحار الأنوار : 46/109 ح2 .

2- انظر بحار الأنوار : 46/108 ح1 .

أولئك أهدوا رأس يحيي عليه السلام الي بغي من بغايا بني إسرائيل .

وهؤلاء أهدوا رأس الحسين بن علي عليهماالسلام الي يزيد بن معاوية .

في الأمم السابقة تكلّم رأس يحيي في مجلس الزاني .

وفي هذه الأمّة تكلّم رأس الحسين عليه السلام في مواطن كثيرة ، وقرأ القرآن ، وقال : لا حول ولا قوة إلاّ باللّه العلي العظيم ، وفي الليل كان يكرر : لا إله إلاّ اللّه .

قال سهل بن سعيد(1) : كنت في الكوفة حينما جاؤوا برأس الحسين عليه السلام ، فَوَقَفوا بِبابِ بَني خُزَيْمَةَ ، وَالرَّأسُ عَلَي قَناةً طَويلَةٍ ، وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةُ الْكَهْفِ اِلَي اَنْ بَلَغَ اِلَي قَوْلِهِ تَعَالي : « أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبا » .

قالَ سَهْلٌ : فَبَكَيْتُ وَقُلْتُ : يَابْنَ رَسُولِ اللّهِ رَأْسُكَ اَعْجَبُ ، ثُمَّ وَقَعْتُ مَغْشيا

عَلَيَّ ، فَلَمْ اَفِقْ حَتّي خَتَمَ السُّورَةَ(2) .

الظليمة العظمي في التاريخ

اعلم ، أنّ الظلم الذي وقع علي المولي هو أعظم من الظلم الواقع علي الأنبياء السابقين ، وإن كان الظلم الواقع في التاريخ يشبه بعضه بعضا ، ولكن لا سواء .

فـالظلم واحـد ، وكلّه قبيـح ، ولكن كلّمـا كان المظلوم أعظم كان الظلم أقبـح ، فظلمالجاهل ليس كظلم العالم ، وظلم الفاسق ليس كظلم المؤمن العادل ، وكلّما كان المظلوم أعظم درجة في العلم والفضل والتقوي كان ظلمه أعظم وأقبح .

كما أنّ الظلم قبيح مطلقا ، ولكنّ ظلم صاحب الحقّ أقبح ، وكذا ظلم العبد لسـيده أقبح من ظلمه لغيره من الناس ، وظلم الوالدين أقبح من ظلم غيرهم ، وكلّما كان حقّ المظلوم أعظم كان ظلمه أقبح وأقبح ، وهذا من الأمور الواضحة .

1- في مقتل أبي مخنف : « سهل الشهرزوري » .

2- مقتل أبي مخنف : 112 .

ومن هنا تتّضح عظمة الظلم الواقع علي سيد الشهداء عليه السلام ، فكلّما عرفته أكثر وأدركت مقامه ومنزلته أعمق عرفت ظليمته أفضل ، وكلّما عرفت حقّه أكثر شعرت بقبح الظلم الواقع عليه أكثر .

إشارة الي فضائل أهل البيت ومقاماتهم عليهم السلام

إذا أردت أن تتعرّف علي مقام سيد الشهداء عليه السلام ومنزلته ، وتتعرّف علي حقّه أكثر فاستمع الي هذه الإشارة ، وإن كان معرفة منزلته وحقّه لأمثالنا غير ممكنة ، واليه الإشارة بقولهم عليه السلام : إنّ الذي ظهر للملائكة المقرّبين من معرفة آل محمد عليهم السلام

قليل من كثير(1) لا يحصي .

فطريق معرفتهم مسدود علي العقول الضعيفة ، وطائر الأدراكات العقلية والأوهام البشرية لا يقوي علي الطيران في فضاء معرفة كمالاتهم ، وذلك لأنّ سكّان حظائر القدس ، والمقربين من الحضرة الإلهية مع ما لهم من المقامات العالية ، وتخلّصهم من الإنغماس في الكدورات الجسمانية ، والشهوات الحيوانية ، وإرتفاع الكثير من الحجب عنهم ، ومع ذلك فهم لا ينالون من معرفة آل محمد عليهم السلامإلاّ القليل من الكثير الذي لا يحصي ، فكيف تنالها العقول الأخري ؟

روي الكليني بسند معتبر عن سَدِيرٍ قَالَ : . . قَالَ أبو عبد اللّه عليه السلام : يَا سَدِيرُ ، أَلَمْتَقْرَأِ الْقُرْآنَ ؟ قُلْتُ : بَلَي ، قَالَ : فَهَلْ وَجَدْتَ فِيمَا قَرَأْتَ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ – عَزَّ وَجَلَّ – « قالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ » ؟ قَالَ : قُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، قَدْ قَرَأْتُهُ ، قَالَ : فَهَلْ عَرَفْتَ الرَّجُلَ ؟ وَهَلْ عَلِمْتَ مَا كَانَ عِنْدَهُ مِنْ عِلْمِ الْكِتَابِ ؟ قَالَ : قُلْتُ : أَخْبِرْنِي بِهِ ، قَالَ : قَدْرُ قَطْرَةٍ مِنَ الْمَاءِ فِي الْبَحْرِ الأَخْضَرِ ، فَمَا يَكُونُ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِ الْكِتَابِ ؟ قَالَ : قُلْتُ : جُعِلْتُ فِدَاكَ ، مَا أَقَلَّ هَذَا ، فَقَالَ : يَا سَدِيرُ ، مَا أَكْثَرَ هَذَا أَنْ يَنْسِبَهُ اللَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ – إِلَي الْعِلْمِ الَّذِي أُخْبِرُكَ بِهِ .

1- مشارق أنوار اليقين تحقيق سيد علي جمال أشرف : 351 الفصل 178 .

يَا سَدِيرُ ، فَهَلْ وَجَدْتَ فِيمَا قَرَأْتَ مِنْ كِتَابِ اللّهِ – عَزَّ وَجَلَّ – أَيْضاً « قُلْ كَفي بِاللّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ » ؟ قَالَ : قُلْتُ : قَدْ قَرَأْتُهُ جُعِلْتُ فِدَاكَ ، قَالَ : أَفَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ كُلُّهُ أَفْهَمُ أَمْ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ بَعْضُهُ ؟ قُلْتُ : لاَ بَلْ مَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ كُلُّهُ ، قَالَ : فَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَي صَدْرِهِ وَقَالَ : عِلْمُ الْكِتَابِ – وَاللَّهِ – كُلُّهُ عِنْدَنَا ، عِلْمُ الْكِتَابِ – وَاللَّهِ – كُلُّهُ عِنْدَنَا(1) .

أجل ، إنّهم كانوا كذلك في كلّ صفة من كمالاتهم ، كانوا كذلك في الشجاعة أيضا ، حيث قتل في حملة واحدة ، وهو مكثور ظمآن ، أكثر من أربعمائة ، وقتل في فترة قليلة ألفين إلاّ خمسين .

كرم الحسين عليه السلام وسخاؤه

أمّا كرمه وجوده عليه السلام ما روي أنّه دخل الحسين عليه السلام علي أسامة بن زيد ، وهو مريض ، وهو يقول : وا غمّاه ، فقال له الحسين عليه السلام : وما غمّك ، يا أخي ، قال : ديني ، وهو ستون ألف درهم ، فقال الحسين عليه السلام : هو عليّ ، قال : إنّي أخشي أن أموت ، فقال الحسين : لن تموت حتي أقضيها عنك ، قال : فقضاها قبل موته(2) .

وروي إنّ عبد الرحمن السلمي علّم ولد الحسين الحمد ، فلمّا قرأها علي أبيهاأعطاه ألف دينار ، وألف حلّة ، وحشا فاه درّا ، فقيل له في ذلك ، قال : وأين يقع هذا من عطائه ، يعني تعليمه(3) .

وروي أنّه أعطي سائلاً ألف درهم ، فجعل السائل ينقدها ، فقال الخازن : بعتنا شيئا ؟ قال : نعم ، ماء وجهي ، فقال الحسين عليه السلام : صدق أعطه ألفا وألفا وألفا ، الأول : لسؤالك ، والثاني : لماء وجهك ، والألف الثالث : لأنّك أتيتنا(4) .

1- الكافي : 1/257 ح3 .

2- بحار الأنوار : 44/189 باب 26 ح2 .

3- المناقب : 4/66 .

4- معالي السبطين : 98 .

وقدم أعرابي المدينة ، فسأل عن أكرم الناس بها ، فدلّ علي الحسين عليه السلام ، فدخل المسجد فوجده مصلّيا ، فوقف بإزائه وأنشأ :

لم يخب الآن من رجاك ومن

حرّك من دون بابك الحلقه

أنت جواد وأنت معتمد

أبوك قد كان قاتل الفسقه

لولا الذي كان من أوائلكم

كانت علينا الجحيم منطبقه

فسلّم الحسين عليه السلام وقال : يا قنبر ، هل بقي شيء من مال الحجاز ؟ قال : نعم ، أربعة آلاف دينار ، فقال : هاتها قد جاء من هو أحقّ بها منّا ، ثم نزع برديه ولفّ الدنانير فيهما ، وأخرج يده من شقّ الباب حياء من الأعرابي ، وأنشأ :

خذها فإنّي إليك معتذر

واعلم بأنّي عليك ذو شفقه

لو كان في سيرنا الغداة عصا

أمست سمانا عليك مندفقه

لكن ريب الزمان ذو غير

والكفّ منّي قليلة النفقه

فأخذها الأعرابي وبكي ، فقال له : لعلك استقللت ما أعطيناك ؟ قال : لا ، ولكن كيف يأكل التراب جودك(1) .

ويكفي في جوده وسخائه ما رواه شعيب بن عبد الرحمن الخزاعي قال : وجد علي ظهر الحسين بن علي عليهماالسلام يوم الطف أثر ، فسألوا زين العابدين عن ذلك ،فقال : هذا ممّا كان ينقل الجراب علي ظهره إلي منازل الأرامل واليتامي والمساكين(2) .

فداءا لذلك البدن الشريف أرواح شيعته ، فقد تحمّل كلّ ما جري عليه في سبيل اللّه ، وبقي آخر الأمر عريانا علي الصعيد ، تسفي عليه الصبا ، مقطّع الأعضاء ، آه وا مصيبتاه .

وإنّ ظهرا غدا للبرّ ينقله

سرّا الي أهله بالليل مكسور

وإنّ رأسا هوي للّه في سحر

يهدّ أسنانه بالعود مخمور

ص: 448

1- المناقب : 4/66 .

2- المناقب : 4/66 .

عبادته عليه السلام

كان هذا مجملاً من أخلاقه الرضية ، وصفاته المرضية ، أمّا عبادته عليه السلام وتقواه ، فيكيفي ما روي من استمهاله القوم عشية تاسوعاء ، وقوله لأخيه : ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤرهم إلي غد ، وتدفعهم عنّا العشية ، لعلنا نصلّي لربّنا الليلة وندعوه ونستغفره ، فهو يعلم أنّي كنت قد أحبّ الصلاة له ، وتلاوة كتابه ، وكثرة الدعاء والاستغفار(1) .

وفي الحديث : قيل لعلي بن الحسين عليهماالسلام : ما أقلّ ولد أبيك ! فقال : العجب كيف ولدت له ، كان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة ، فمتي كان يتفرّغ للنساء(2) .

وكان يذكر اللّه وهو في بطن أمّه كما روي عن فاطمة الزهراء عليهاالسلام قالت : فلمّا صرت في الأربعة آنس اللّه به وحشتي ، ولزمت المسجد لا أبرح منه إلاّ لحاجة تظهر لي ، فكنت في الزيادة والخفّة في الظاهر والباطن ، حتي تمّت الخمسة ، فلمّا صارتالستة كنت لا أحتاج في الليلة الظلماء إلي مصباح ، وجعلت أسمع إذا خلوت بنفسيفي مصلاي التسبيح والتقديس في باطني(3) ، وكذا كان وهو طفل رضيع في حجر أمّه .

وكان يذكر اللّه وهو صريع علي الصعيد وسط الميدان ، والسيوف والرماح تنهش جسمه المقدّس، وكان يذكر اللّه ورأسه علي الرمح، لم يغفل عن ذكر اللّه طرفة عين أبدا.

أول ما تكلّم قال : اللّه أكبر(4) ، وكان ذكره ورأسه علي الرمح تلاوة القرآن الكريم ، وقول : « لا حول ولا قوة إلاّ باللّه» ، و« لا إله إلاّ اللّه » .

1- بحار الأنوار : 44/391 باب 37 .

2- اللهوف : 94 .

3- بحار الأنوار : 43/273 ح39 .

4- في تهذيب الأحكام : 2/67 باب 8 ح 11 بإسناده عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلي الله عليه و آله كَانَ فِي الصَّلاةِ وَإِلَي جَانِبِهِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ عليهماالسلام ، فَكَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صلي الله عليه و آله ، فَلَمْ يُحِرِ الْحُسَيْنُ بِالتَّكْبِيرِ ، ثُمَّ كَبَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صلي الله عليه و آله ، فَلَمْ يُحِرِ الْحُسَيْنُ عليه السلام التَّكْبِيرَ ، وَ لَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صلي الله عليه و آله يُكَبِّرُ وَيُعَالِجُ الْحُسَيْنُ عليه السلام التَّكْبِيرَ ، فَلَمْ يُحِرْ حَتَّي أَكْمَلَ سَبْعَ تَكْبِيرَاتٍ ، فَأَحَارَ الْحُسَيْنُ عليه السلام التَّكْبِيرَ فِي السَّابِعَةِ ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام : فَصَارَتْ سُنَّةً .

وكان يذكر اللّه دائما ، وينصر اللّه أبدا ، ويهدي الناس ويدعوه الي دين اللّه في كلّ آن .

قـدّم رأسه ، وضـحّي بنفسه ، ولـم يـترك نصـر دين اللّه ، قطّع إربـا إربـا ولـم يـترك قول الحقّ ، قطعوا رأسه ، ولكنّ رأسه المقطوع دعـا الراهب النصراني الي دين اللّه ، وقال : إذا أردت أن أكون شفيعك فإترك دينك وادخل في دين جدّي(1) .

فوا عجباه، من مصيبته التي تزلزل لها بناء الأسلام ، وتزعزعت لها أركان الخاص والعام ، مصيبة لو لاقت جديدا لصار باليا ، ولو صبّت علي الأيام لصرن لياليا .

أول من أسس أساس الظلم والجور علي أهل البيت عليهم السلام

اعلم ، أنّ الظلم والجور الذي نزل بسـيد الشـهداء عليه السـلام هو أعظم الظلم ، ومصيبته أعظم المصائب ، فيكون حينئذٍ من ظلمه وأسس أساس ظلمه ، أشـقي الخلق ،وعملهم أقبـح عمل ، وكان المؤسـس الأول لهـذا الظلم هم المنافقون الأوائل في هذه الأمّة ، الذين وضـعوا القواعد ، وأقام بنو أمية بنيانه .

أولئك الـذين تعاهدوا من أول الأمر علي تهديم بنيان « بُيُوتٍ أَذِنَ اللّهُ أَنْ تُرْفَعَ » ، وبالغوا في إخفاء النعمة العظمي ، وإطفاء نور اللّه ، وردّوا الناس القهقري الي الجاهليـة ، والكفر الأصـلي ، وصـدّوهم عن عبادة اللّه ، وأحرقوا بيت الإيمان ، وخرّبوا منازل الرحمن ، وهدموا معاهد الإسلام .

كتاب عبد اللّه بن عمر الي يزيد في شهادة الحسين عليه السلام

روي البلاذري ، وهو من أعاظم أهل السـنة قال : لمّا قتل الحسـين عليه السـلام كتب عبـد اللّه بن عمر إلي يزيـد بن معاوية : أمّا بعد ، فقد عظمت الرزيّة ، وجلّت المصيبة ،

1- انظر مدينة المعاجز : 4/126 ح1132 .

وحدث في الإسلام حدث عظيم ، ولا يوم كيوم الحسين .

فكتب إليه يزيـد : أمّا بعـد ، يا أحمق ، فإنّنا جئنا إلي بيوت منجّـدة ، وفرش ممهّـدة ، ووسائـد منضّدة ، فقاتلنا عنها ، فإن يكن الحقّ لنا فعن حقّنا قاتلنا ، وإن كان الحقّ لغيرنا ، فأبوك أول من سنّ هذا ، وابتزّ واستأثر بالحقّ علي أهله(1) .

خروج عبد اللّه بن عمر الي يزيد عليه اللعنة

حكايـة خروج عبـد اللّه بن عمر الي يزيـد ، وعتـابه له وردّ يزيـد عليه ، ورضاه بفعله ، مشـهورة ، وفي الكتب المعتبرة مسـطورة ، وقـد ذكر مجملاً منها صاحب بحار الأنوار في المجلد من بحاره ، وذكرها صاحب دلائل الإمامة بإسناده عن سعيد بن المسيّب، قال :

لمّا قتل الحسين بن عليّ – صلوات اللّه عليهما – وورد نعيه إلي المدينة ، وورد الأخبار بجزّ رأسه ، وحمله إلي يزيد بن معاوية ، وقتل ثمانية عشـر من أهل بيته ، وثلاث وخمسـين رجلاً من شـيعته ، وقتل عليّ ابنه بين يـديه – وهو طفل – بنشابـة ،وسبي ذراريه ، أقيمت المآتم عند أزواج النبيّ صلي الله عليه و آله في منزل أمّ سلمة – رضي اللّه عنها – ، وفي دور المهاجرين والأنصار .

قـال : فخرج عبـد اللّه بن عمر بن الخطـاب صارخـا من داره ، لاطمـا وجهه ، شاقّـا جيبه ، يقول : يا معشـر بني هاشم وقريش والمهاجرين والأنصار ، يستحلّ هذا من رسول اللّه صلي الله عليه و آله في أهله وذريّته ، وأنتم أحياء ترزقون ، لا قرار دون يزيد .

وخرج من المدينة تحت ليله ، لا يرد مدينة إلاّ صـرخ فيها ، واستنفر أهلها علي يزيد ، وأخباره يكتب بها إلي يزيد ، فلم يمرّ بملإ من الناس إلاّ لعنه وسمع كلامه ،

وقالوا : هـذا عبـد اللّه بن عمر ابن خليفـة رسول اللّه صـلي الله عليه و آله ، وهو ينكر فعل يزيد بأهل بيت رسول اللّه صـلي الله عليه و آله ، ويستنفر الناس علي يزيد ، وإنّ من لم يجبه لا دين له

1- بحار الأنوار : 45/328 باب 47 .

ولا إسلام .

واضـطرب الشام بمن فيه ، وورد دمشق ، وأتي باب اللعين يزيـد في خلق من الناس يتلونه ، فدخل إذن يزيد إليه ، فأخبره بوروده ، ويده علي أمّ رأسه ، والناس يهرعون إليه قدّامه ووراءه ، فقال يزيد : فورة من فورات أبي محمد ، وعن قليل يفيق منها ، فأذن له وحده .

فدخل صارخا يقول : لا أدخل يا أمير المؤنين ، وقد فعلت بأهل بيت محمّد صـلي الله عليه و آله ما لو تمكّنت الترك والروم ما اسـتحلّوا ما استحللت ، ولا فعلوا ما فعلت ، قم عن هذا البساط حتي يختار المسلمون من هو أحقّ به منك .

فرحّب به يزيد ، وتطاول له ، وضـمّه إليه ، وقال له : يا أبا محمد ، اسـكن من فورتك ، واعقل ، وانظر بعينك واسمع بأذنك ، ما تقول في أبيك عمر بن الخطاب ، أكان هاديا مهـديّا خليفـة رسول اللّه صـلي الله عليه و آله ، وناصـره ، ومصاهره بأختك حفصة ، والذي قال : لا يعبد اللّه سرّا ؟ فقال عبد اللّه : هو كما وصـفت ، فأيّ شيء تقول فيه ؟ قال : أبوك قلّد أبي أمر الشام ، أم أبي قلّد أباك خلافة رسول اللّه صلي الله عليه و آله ؟ فقال : أبي قلّد أباك الشام . قال : يا أبا محمد ، أفترضـي به وبعهده إلي أبي ، أو ما ترضاه ؟ قال :بل أرضـي . قال : أفترضي بأبيك ؟ قال : نعم . فضرب يزيد بيده علي يد عبد اللّه بن عمر وقال له : قم يا أبا محمد حتي تقرأ .

فقام معه حتي ورد خزانـة من خزائنه فـدخلها ، ودعا بصـندوق ففتحه ، واسـتخرج منه تابوتا مقفلاً مختوما ، فاسـتخرج منه طومارا لطيفا في خرقة حرير سوداء ، فأخذ الطومار بيده ونشره ، ثم قال : يا أبا محمد ، هذا خطّ أبيك ؟

قال : إي واللّه.. فأخذه من يده فقبّله ، فقال له : اقرأ ، فقرأه ابن عمر ، فإذا فيه الكثير ممّا علّمه ، ودبّر له من حيله ، وما كلّفه به أن يعمله ويقوم به ، ونص الكتاب

طويل جدّا ولا يناسب ذكره في المقام ، إلاّ أنّه يذكر في آخره :

وظنّ محمد أن لا يعلوها أحد غيره، وعليّ ومن يليه من أهل بيته ، فبطل سحره

وخاب سعيه ، وعلاها أبو بكر ، وعلوتها بعده ، وأرجو أن تكونوا معاشر بني أميّة عيدان أطنابها ، فمن ذلك قد ولّيتك وقلّدتك إباحة ملكها ، وعرّفتك فيها ، وخالفت قوله فيكم ، وما أبالي من تأليف شعره ونثره ، أنّه قال : يوحي إليّ منزل من ربّي في قوله « وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ » ، فزعم أنّها أنتم يا بني أميّة ، فبيّن عداوته حيث ملك كما لم يزل هاشم وبنوه أعداء بني عبد شمس .

وأنا مع تذكيري إيّاك – يا معاوية – وشرحي لك ما قد شرحته ، ناصح لك ، مشفق عليك من ضيق عطنك ، وحرج صدرك ، وقلّة حلمك ، أن تعجل فيما وصّيتك به ، ومكّنتك منه من شريعة محمّد صلي الله عليه و آله وأمّته أن تبدي لهم مطالبته بطعن ، أو شماتة بموت ، أو ردّا عليه فيما أتي به ، أو استصغارا لما أتي به ، فتكون من الهالكين ، فتخفض ما رفعت ، وتهدم ما بنيت .

واحذر كلّ الحذر حيث دخلت علي محمّد مسجده ومنبره ، وصدق محمّدا في كلّ ما أتي به وأورده ظاهرا، وأظهر التحرّز والواقعة في رعيّتك ، وأوسعهم حلما ، وأعمّهم بروائح العطايا ، وعليك بإقامة الحدود فيهم ، وتضعيف الجناية منهم لسببامحمّد من مالك رزقك ، ولا ترهم أنّك تدع للّه حقّا ، ولا تنقض فرضا ، ولا تغيّر لمحمّد سنّة ، فتفسد علينا الأمّة ، بل خذهم من مأمنهم ، واقتلهم بأيديهم ، وأبدّهم

بسيوفهم ، تطاولهم ولا تناجزهم ، ولن لهم ، ولا تبخس عليهم ، وافسح لهم في مجلسك ، وشرّفهم في مقعدك ، وتوصّل إلي قتلهم برئيسهم ، وأظهر البشر والبشاشة ، بل اكظم غيظك ، واعف عنهم يحبّوك ويطيعوك ، فما آمن علينا وعليك ثورة علي وشبليه الحسن والحسين ، فإن أمكنك في عدّة من الأمّة فبادر ، ولا تقنع بصغار الأمور ، واقصد بعظيمها ، واحفظ وصيّتي إليك وعهدي ، وأخفه ولا تبده ، وامتثل أمري ونهيي ، وانهض بطاعتي ، وإيّاك والخلاف عليّ ، واسلك طريق أسلافك ، اطلب بثارك ، واقتصّ آثارهم ، فقد أخرجت إليك بسرّي وجهري ،

وشفّعت هذا بقولي :

معاوي إنّ القوم جلّت أمورهم

بدعوة من عمّ البريّة بالوتري

صبوت إلي دين لهم فأرابني

فابعد بدين قد قصمت به ظهري

وإن أنس لا أنس الوليد وشيبة

وعتبة والعاص السريع لدي بدر

وتحت شغاف القلب لدغ لفقدهم

أبو حكم أعني الضئيل من الفقري

أولئك فاطلب يا معاوي ثارهم

بنصل سيوف الهند والأسل السمري

وصل برجال الشام في معشرهم هم

الأسد والباقون في أكم الوعري

توسّل إلي التخليط في الملّة التي

أتانا به الماضي المسمّوه بالسحري

وطالب بأحقاد مضت لك مظهرا

لعلّة دين عمّ كلّ بني النضر

فلست تنال الثار إلاّ بدينهم

فتقتل بسيف القوم جيد بني عمري

لهذا لقد ولّيتك الشام راجيا

وأنت جدير أن تؤول إلي صخري

فلمّا قرأ عبـد اللّه بن عمر هـذا العهـد ، قام إلي يزيـد فقبّل رأسه ، وقال : الحمـد للّه يا أمير المؤنين علي قتلك الشاري ابن الشاري ، واللّه ما أخرج أبي إليّ بما أخرج إليأبيك ، واللّه لا رآني أحد من رهط محمّد بحيث يحبّ ويرضي ، فأحسن جائزته وبرّه ، وردّه مكرّما .

فخرج عبـد اللّه بن عمر من عنـده ضاحكـا ، فقال له الناس : ما قال لك ؟ قال : قولاً صادقا ، لوددت أنّي كنت مشاركه فيه ، وسار راجعا إلي المدينة ، وكان جوابه لمن يلقاه هذا الجواب(1) .

ولنعم ما قاله السيد مهدي رحمه الله :

الدين من بعدهم أقوت مرابعه

والشرع من فقدهم غارت شرائعه

قد أشتف الكفر بالإسلام مذ رحلوا

والبغي بالحقّ لمّا راح سارعه

1- بحار الأنوار : 30/287 ح151 .

ودايع المصطفي أوصي بحفظهم

فضيّعوها فلم تحفظ ودائعه

صنائع اللّه بدء والأنام لهم

صنائع شدّ ما لاقت صنائعه

أزال أول أهل البغي أوّلهم

عن موضع فيه ربّ العرش واضعه

وزاد ما ضعضع الإسلام ما صدعت

منه دعائم دين اللّه تابعه

كمين جيش بدا يوم الطفوف ومن

يوم السقيفة قد لاحت طلائعه

يا رمية قد أصابت وهي مخطئة

من بعد خمسين من شطّت مرابعه

وفجعة ما لها في الدهر ثانية

هانت لديها وإن جلّت فجائعه

ولوعة أضرمت في قلبه كلّ شجّ

نارا بلذعتها صبّت مدامعه

لا العين جفّت بسفع النار مدمعها

ولا الفؤاد جنا بالدمع سافعه

كلّ الرزايا وإن جلّت وقائعها

تنسي سوي الطف لا تنسي وقائعه

جرائم الشجرة الملعونة - بني أمية -

اعلم ، أنّ تلك الجماعـة الملحـدة أقامت هـذا الأساس ، ولكنّ الذي أتمّ البناء همبنو أمية ، وأنّ تلك الجماعة فتحت هذا الباب ، ولكنّ بنو أمية أكملوا فتحه ، وظلموا ظلما غطّي علي ظلم عاد وثمود ، وأفسدوا في الإسلام إفسادا محي من الذاكرة إفساد الشدّاد ونمرود ، وإستقصاء قبائح أعمالهم لا تفي به الأسفار الطوال . . فقد صدر من معاوية وأبيه وابنه ، وهم أساطين بني أمية ما لا يمكن تحريره .

فهـذه زوجـة أبو سـفيان ، وهي أم معاويـة ، كانت زانية ولأحمد صـلي الله عليه و آله المختار معادية ، وقد غرّت عدّة أفراد في معركة أحد ، ووعدتهم لو أنّهم قتلوا النبي صـلي الله عليه و آله أو عليا أو حمزة عليهماالسلام ، ووعدت وحشي وعودا خاصة ، وحرّضته حتي قتل حمزة عليه السلام ،

فجاءت الملعونة فشقّت بطنه وأخرجت كبده ، فوضعتها في فيها فلاكتها ، ولذلك

سمّيت « آكلة الأكباد »(1) .

وأمّ الحكم أخت معاوية ، زنا بها معاوية ، وزنا بها يزيد ابنه أيضا ، فوجدها مفتضّة ، فسألها عن ذلك ، فقالت : سوّد اللّه وجه أبيك معاوية . .

وكان من أمرها أنّها لمّا سمعت بخبر مقتل النبي صلي الله عليه و آله في أحدي الغزوات ، جعلت تضرب بالدفّ وترقص فرحا وسرورا .

وأبو سفيان كان يتزعّم الكفار في حرب رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، وفعل ما فعل في معركة أحد ، ثم أسلم نفاقا ، وبقي علي النفاق حتي مات(2) .

أمّا معاوية الملعون فقد تجاوزت بدعه وظلمه حدّ الإحصاء والحصر .

روي العلامة في نهج الحقّ من طريق المخالفين : أنّ هند أمّه كانت من المغلمات ، وكان أحبّ الرجال إليها السودان ، وكانت إذا ولدت أسود دفنته .

وكان الشقي معاوية لأربعة : لعمارة بن الوليد المخزومي ، ولمسافر بن أبي عمرو ،ولأبي سفيان ، ولرجل آخر سماه(3) .

وكان اللعين من المؤفة قلوبهم ، ولم يزل مشركا مدّة كون النبي صلي الله عليه و آلهمبعوثا يكّذب بالوحي ويهزأ بالشرع .

وكان يوم الفتح باليمن يطعن علي رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، ويكتب إلي أبيه صخر بن حرب يعيره بالإسلام ، ويقول له : أصبوت إلي دين محمد وفضحتنا ، حيث يقول الناس : إنّ ابن هند تخلّي عن العزي .

وكان الفتح في شهر رمضان لثمان سنين من قدوم النبي صلي الله عليه و آله المدينة ، ومعاوية - يومئذ - مقيم علي الشرك هارب من رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، لأنّه قد هدر دمه ، فهرب

1- انظر بحار الأنوار : 20/55 .

2- انظر اعلام الوري : 1/176 .

3- نهج الحقّ : 307 ، بحار الأنوار : 33/197 باب 17 .

إلي مكة ، فلمّا لم يجد له مأوي صار إلي النبي صلي الله عليه و آله مضطرا ، فأظهر الإسلام ، وكان إسلامه قبل موت النبي صلي الله عليه و آله بخمسة أشـهر ، وطرح نفسه علي العباس حتي شفع إلي رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، فعفا عنه ، ثم شفع إليه ليكون من جملة خمسة عشر ليكتب له الرسائل(1) .

وأمّا ما اشتهر عند العامة العمياء من أنّه كان كاتبا للوحي ، فهو محض افتراء ، ولم يكتب معاوية كلمة واحدة من الوحي بتاتا ، وكتّاب الوحي أربعة عشر معروفون أفضلهم علي بن أبي طالب عليهماالسلام .

وكان النبي صلي الله عليه و آله يلعنه دائما ويقول : الطليق ابن الطليق ، اللعين بن اللعين .

وقال صلي الله عليه و آله : إذا رأيتم معاوية علي منبري فاقتلوه .

وروي عبد اللّه بن عمر(2) قال : أتيت النبي صلي الله عليه و آله فسمعته يقول : يطلع عليكم رجل يموت علي غير سنتي ، فما استتمّ كلامه إذ طلع معاوية(3) وجلس معنا فيالمسـجد ، فقام النبي يخطب ، فأخذ معاوية بيد ابنه يزيد وخرج ، ولم يسمع الخطبة ، فلمّا رآه النبي صلي الله عليه و آله خارجا مع ابنه ، قال صلي الله عليه و آله : لعن اللّه القائد والمقود(4) .

إنّه كان أول من أخذ الخلافة بالسيف ، وجعل الخلافة وراثة .

وكان أول من نهب أهل الإسلام .

وأول من حمل رأس حجر بن عدي وغيره علي الرمح .

وأول من سبي المسلمين وباعهم .

وأول من سعي بين الصفا والمروة راكبا .

1- نهج الحقّ : 309 .

2- في المتن : « عبد اللّه بن عباس » .

3- نهج الحقّ : 309 .

4- نهج الحقّ : 310 ، المنتخب : 1/16 .

وكان أول سلطان من سلاطين المسلمين صنع النبيذ ، وعزف الموسيقي في مجلسه ، وشبّه نفسه بالأكاسرة والفراعنة ، ونصب من نفسه علما وبطلاً لا ينازع .

وكان أول من أحيي سنة اليهود في المسلمين ، فحلق لحيته ، وأقام مجالس الإحتفال والفرح .

وكان أول من قرر الصحابة المرتدين ، وسمح لهم بوضع الأحاديث المكذوبة في ذمّ أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البيت عليهم السلام .

وكان أول من باع الأصنام في الإسلام ، وتاجر بها ، فكان يصنعها ويتاجر بها مع الهند وسائر البلدان الأخري .

وكان أول من سنّ لعن أمير المؤمنين عليه السلام ، فأمر بلعنه بعد الفرائض وعلي المنابر وفي كلّ خطبة ، وافتري علي سيدة النساء عليهاالسلام ، تبّا له وترحا .

وكان أول من أظهر الفرح والشماتة بموت مسلم ، وأمر أنّ تزيّن الشام ويتخذ يوم مقتل أمير المؤمنين عيدا ، وجري جروه اللعين علي سنّته ، فأمر أهل الشام أنيتخذوا يوم مقتل الحسين عليه السلام عيدا ، ويزيّنوا البلد ، يلبسوا الثياب الجديدة .

وكان الملعون من أصحاب ليلة العقبة ، وممّن دحرج الدباب علي النبي صلي الله عليه و آلهلينفر به ناقته .

وكان الشراب في بطنه ، والصنم في جيبه يوم مات ، زاد اللّه عليه اللعنة والعذاب والسخط والعقاب .

وأمّا ابنه الملعون فقد كانت مدّة سلطنته ثلاث سنين وثمانية أشهر وأربعة عشر يوما ، وقد أتي فيها بالقبائح ما لم يسبقه ولا يلحقه أحد من العالمين .

إنّه أباح مدينة النبي صلي الله عليه و آله ، وقتل الرجال واستباح الأعراض ، وهتك كلّ حرمة حتي ربطوا الخيل في مسجد النبي صلي الله عليه و آله حتي روّثت .

ثم سلّط ابن زياد علي العراق ، فتتبع الشيعة تحت كلّ حجر ومدر ، فقتلهم

وصلبهم ، وخرّب سناباد وهي لا زالت الي اليوم خراب ، لأنّهم رموا حملة رأس الحسين عليه السلام بالحجارة .

وكان اللعين النغل شاربا للخمر ، لاعبا بالقمار ، سكيرا ، ومن شعره :

فإن حرمت هذي علي دين أحمد

فخذها علي دين المسيح بن مريم

زنا اللعين بعمّته ، ودعا برجل من بني هاشم في المدينة وطلب منه أن يقرّ له بالعبودية فأبي ، فأمر بضرب عنقه ، وصرّح بالكفر فقال :

لعبت هاشم بالملك فلا

خبر جاء ولا وحي نزل

ويكفي في الطعن عليه أنّه حمل بنات النبي صـلي الله عليه و آله علي أقتاب الأبل يطوف بهن في البلدان ، ويحضـرهن في المجلس العام ، وحمل رأس سـيد الشـهداء عليه السلامالمقدّس علي السنان ، وطاف به في الأزقة والأسواق والبلدان ، وأحضره في مجلسه ، وضرب ثناياه – التي كان النبي صـلي الله عليه و آله يشـبعها لثما وتقبيلاً – بقضيب الجور والطغيان ، وأجلس أسري أهل البيت عليهم السلام ظلما وتجبّرا وطغيانا في مجلسه وتشاغل عنهم بشربالخمر ولعب القمار ، وكان يصبّ ثمالة الكأس في طرف الطشت الذي كان فيه الرأس المقدّس ! ! آه وا ويلاه . .

وأراك تنقص يا يزيد إذا غلت

يوم القيامة رنّة الزهراء

تفشي التظلّم من هريق دم ابنها

صخّابة للخرقة الحمراء

صور من تظلّم الزهراء عليهاالسلام يوم المحشر

روي عن النبي صلي الله عليه و آله أنّه قال : إذا كان يوم القيامة جاءت فاطمة عليهاالسلام في لمّة من نسائها .

وفي رواية : إذا كان يوم القيامة نصب لفاطمة عليهاالسلام قبّة من نور ، فيقال لها : ادخلي الجنّة ، فتقول : لا أدخل حتي أعلم ما صنع بولدي من بعدي ، فيقال لها : انظري في قلب القيامة ، فتنظر إلي الحسين عليه السلام قائما ليس عليه رأس .

وفي رواية : وأقبل الحسين – صلوات اللّه عليه – رأسه في يده ، فتصرخ صرخة ، فأصرخ لصراخها ، وتصرخ الملائكة لصراخها ، وتنادي : وا ولداه ، وا ثمرة فؤداه .

وروي أنّها تتعلّق بقوائم العرش وتقول : يا عـدل يا جبّار احكم بيني وبين قاتل ولـدي ، فيغضب اللّه – عزّ وجلّ – لها عنـد ذلك ، فيأمر نارا يقال لها « هب هب » قد

أوقـد عليها ألف عام حتي اسودت ، لا يـدخلها روح أبدا ، ولا يخرج منها غمّ أبدا ، فيقال : التقطي قتلة الحسـين ، فتلقطهم ، فإذا صاروا في حوصلتها صهلت وصهلوا بها ، وشهقت وشهقوا بها ، وزفرت وزفروا بها(1) . .

وذكر بعض العلمـاء : أنّ فاطمـة عليهاالسـلام تـأتي في المحشـر في صورة لاـ يطيق أحـد النظر اليها ، ومعها درّاعـة الحسن عليه السـلام المسمومة علي عاتقها الأيمن ، وقميص الحسين عليه السلام

المخضب بـدمه علي عاتقها الأيسـر ، ورباعيـة أبيها في يـدها اليمني ، وعمامة بعلهاالمصـبوغة بدمه في يدها اليسـري ، فتدنو من العرش ، فيضـطرب العرش ، ويخرّ الأنبياء من كراسيهم ، وتضجّ الملائكة ، فيأتي جبرئيل الي النبي صلي الله عليه و آلهمضطربا فيقول : أدرك فاطمة عليهاالسلام يا رسول اللّه ، فيقوم النبي صلي الله عليه و آله من منبر الكرامة ويقصد فاطمة عليهاالسلام فيقول :

يا ابنتي العزيزة ، اليوم يوم الشفاعة ، واليوم يوم العدل ، يا فاطمة انظري الي المحشر ، فهذه أمّتي غارقة في بحر الحيرة ، ورجاؤها فيّ وفيك ، هؤلاء شـيعة ولدك ، فقومي وخذي قميص الحسـين عليه السـلام بيدك ، وانشر أنا شعري ، فنتقدّم الي اللّه تعالي بقلبك المتعب المحزون ، وفمي المدمي من رباعيته المكسورة ، فلعل أرحم الراحمين يرحم المذنبين من أمّتي .

ولنعم ما قال الشاعر :

كأنّي بالبتول الطهر واقفة

في الحشر تشكو الي الرحمن باريها

1- اللهوف : 139 .

تأتي وقد ضمّخت ثوب الحسين دما

فيض النحور البحاري ويل مجريها

تدعو ألا أين مسمومي ويا أسفي

علي ذبيحي وأسيري من ذراريها

وا حزني بل آه وا حسني

هذا حسيني قتيل في فيافيها

هذا حسيني رضيض الجسم منجدلاً

تسفي علي جسمه العاري سوافيها

آه علي جثث بالطف قد قطعت رؤوس

ها وهجير السيف يصليها

آه علي جثث فيها القنا لعبت

وأركضت ماضيات في تراقيها

يا فتية ذبحت في كربلا وثوت

علي الوجوه عرايا في صحاريها

بنتم فبان لكم سلوان فاطمة

ولا الوجد بالوجدان يشجيها

حركة أهل البيت عليهم السلام من الكوفة الي الشام

وأمّا حكاية ما جري في الشام وفي طريق الشام علي أهل بيت خير الأنام الكرام ، فهو ممّا لا يقوي قلم علي تحريره ، ولا يطيق لسان بيانه وتقريره ، ومجملذلك برواية السيد ابن طاووس قال :

وأمّا يزيد بن معاوية ، فإنّه لمّا وصل كتاب عبيد اللّه ، ووقف عليه أعاد الجواب إليه يأمره فيه بحمل رأس الحسين عليه السلام ورؤوس من قتل معه ، وحمل أثقاله ونسائه وعياله ، فاستدعي ابن زياد بزحر بن قيس ، فسلّم إليه الرؤوس والنساء ، فسار بهم إلي الشام ، كما يسار سبايا الكفار ، يتصفّح وجوههن أهل الأقطار(1) .

وروي إنّ عبيد اللّه بن زياد بعد إنفاذه برأس الحسين عليه السلام أمر فتيانه وصبيانه ونساءه فجهزوا ، وأمر بعلي بن الحسين فغلّ بغلّ في عنقه ، ثم سرح بهم في أثر الرؤوس مع مخفر بن ثعلبة العائذي وشمر بن ذي الجوشن ، فانطلقوا بهم حتي لحقوا بالقوم الذين معهم الرأس .

1- بحار الأنوار : 45/124 باب 39 .

وروي أنّه أمّر عليهم عمر بن سعد(1) – لعنه اللّه – .

وقال صاحب المنتخب : ثم إنّ اللعين دعا بالشمر وخولي وشبث بن ربعي وعمرو بن الحجاج ، وضمّ اليهم ألف فارس ، وزوّدهم ، وأمرهم بأخذ السبايا والرؤوس الي دمشق عند يزيد ، وأمر أن يشهروهم في كلّ بلدة يدخلونها .

فساروا علي أول منزل نزلوا ، وكان المنزل خرابا ، فوضعوا الرأس بين أيديهم – وفي رواية صاحب المناقب : وكانوا يشربون الخمر(2) – والسبايا قريبا منه ، وإذا بكفّ خارج من الحائط ، وقلم يكتب بدم :

أترجو أمّة قتلت حسينا

شفاعة جدّه يوم الحسابفقزعوا من ذلك وارتاعوا(3) . .

أهل البيت عليهم السلام في تكريت

قال الشيخ الطريحي رحمه الله : فلمّا وصلوا الي تكريت أنفذوا الي صاحب البلد : أن تلقّانا ، فإنّ معنا رأس الحسين عليه السلام وسباياه ، فلمّا أخبرهم الرسول بذلك نشرت الأعلام ، وخرجت الغلمة يتلقّونهم .

فقالت النصاري : ما هذا ؟ فقالوا : رأس الحسين عليه السلام ، فقالوا : هذا رأس ابن بنت نبيكم ؟ قالوا : نعم ، فعظم ذلك عليهم وصعدوا الي بيعهم ، وضربوا النواقيس تعظيما للّه ربّ العالمين ، وقالوا : اللّهم إنّا اليك براء ممّا صنع هؤلاء الظالمون(4) .

أهل البيت عليهم السلام في وادي النخلة

فلمّا رحلوا من تكريت ، وأتوا علي وادي النخلة ، سمعوا بكاء الجن ، وهنّ يلطمن الخدود علي وجوههن ويقلن :

1- انظر الإرشاد : 2/118 ، اللهوف : 208 ، بحار الأنوار : 45/124 وما بعدها .

2- المناقب : 4/57 ، بحار الأنوار : 45/305 ح4 .

3- المنتخب : 2/466 .

4- المنتخب : 2/467 .

مسح النبي جبينه

فله بريق في الخدود

أبواه من عليا قريش

وجدّه خير الجدود

وأُخري تقول :

ألا يا عين جودي فوق خدّي

فمن يبكي علي الشهداء بعدي

أهل البيت عليهم السلام في مرشاد

فلمّا وصلوا الي بلدة يقال لها « مرشاد » ، خرج المشايخ والمخدّرات والشبان يتفرّجون علي السبي والرؤوس ، وهم مع ذلك يصلّون علي محمد وآله ، ويلعنون أعداءهم ، وهو من العجائب(1) .

يصلّي علي المبعوث من آل هاشم

ويري بنوه إنّ ذا لعجيب

أهل البيت عليهم السلام في بعلبك

ثم رحلوا الي بلدة بعلبك ، وكتبوا الي صاحبها بأن يتلقانا ، فإنّ معنا رأس الحسين بن علي عليهماالسلام ، فأمر بالرايات فنشرت ، وخرج الغلمان يتلقّونهم علي نحو من ستة أميال فرحا بهم ، فدعت عليهم أم كلثوم فقالت : أباد اللّه كثرتكم ، وسلّط عليكم من يقتلكم ، فعند ذلك بكي علي بن الحسين عليهماالسلام وقال :

هو الزمان فلا تفني عجائبه

عن الكرام وما تهدأ مصائبه

فليت شعري الي كم ذا تجاذبنا

فنونه وترانا كم نجاذبه

يسري بنا فوق أقتاب بلا وطأ

وسائق العيس يحمي عنه غاربه

كأنّنا من أساري الروم بينهم

كأنّما قاله المختار كاذبه

كفرتم برسول اللّه ويحكم

فكنتم مثل من ضلّت مذاهبه(2)

الرأس المقدّس في طريق الشام

ص: 463

1- المنتخب : 2/267 .

2- المنتخب : 2/468 .

وقال صاحب المناقب والسيد ابن طاووس : روي ابن لهيعة وغيره قال : كنت أطوف بالبيت ، فإذا أنا برجل يقول : اللّهم اغفر لي ، وما أراك فاعلاً ، فقلت له : يا عبد اللّه ، اتق اللّه ولا تقل مثل هذا ، فإنّ ذنوبك لو كانت مثل قطر الأمطار وورق

الأشجار فاستغفرت اللّه غفرها لك ، فإنّه غفور رحيم ، فقال لي : تعال حتي أخبرك بقصّتي ، فأتيته ، فقال :

اعلم أنّنا كنّا خمسين نفرا ممّن سار مع رأس الحسين إلي الشام ، وكنّا إذا أمسينا وضعنا الرأس في التابوت ، وشربنا الخمر حول التابوت .

فشرب أصحابي ليلة حتي سكروا ، ولم أشرب معهم ، فلمّا جنّ الليل سمعت رعدا ، ورأيت برقا ، فإذا أبواب السماء قد فتحت ، فقيل قد أقبل محمد صلي الله عليه و آله ، فسمعت صهيل الخيل ، وقعقعة السلاح مع جبرئيل وميكائيل وإسرافيل والكروبيين والروحانيين والمقربين عليهم السلام ، ونزل آدم ونوح وإبراهيم وإسماعيلوإسحاق ونبينا محمد صلي الله عليه و آله ، ومعهم جبرئيل وخلق من الملائكة .

فدنا جبرئيل من التابوت ، فأخرج الرأس ، وضمّه إلي نفسه وقبّله ، ثم كذلك فعل الأنبياء عليهم السلام كلّهم ، وبكي النبي صلي الله عليه و آله علي رأس الحسين ، فشكا النبي

صلي الله عليه و آله إلي الملائكة والنبيين وقال : قتلوا ولدي وقرّة عيني ، وكلّهم قبّل الرأس وضمّه إلي صدره(1) ، فعزّاه الأنبياء عليهم السلام .

فقال له جبرئيل : يا محمد ، إنّ اللّه تعالي أمرني أن أطيعك في أمّتك ، فإن أمرتني زلزلت بهم الأرض ، وجعلت عاليها سافلها ، كما فعلت بقوم لوط ، فقال النبي صلي الله عليه و آله : لا يا جبرئيل ، فإنّ لهم معي موقفا بين يدي اللّه يوم القيامة .

ثم أتي قوم من الملائكة وقالوا : إنّ اللّه – تبارك وتعالي – أمرنا بقتل الخمسين ، فقال لهم النبي : شأنكم بهم ، فجعلوا يضربون بالحربات ، ثم قصدني واحد منهم بحربته ليضربني ، فقلت : الأمان الأمان ، يا رسول اللّه ، فقال : اذهب فلا غفر اللّه

1- بحار الأنوار : 45/126 باب 39 .

لك ، فلمّا أصبحت رأيت أصحابي كلّهم جاثمين رمادا(1) ، لا غفر اللّه لهم .

وروي القطب الراوندي بسند معتبر عن سليمان بن مهران الأعمش قال : بينما أنا في الطواف بالموسم إذا رأيت رجلاً يدعو وهو يقول : اللّهم اغفر لي ، وأنا أعلم أنّك لا تغفر .

قال : فارتعدت لذلك ، ودنوت منه وقلت : يا هذا ، أنت في حرم اللّه وحرم رسوله ، وهذا أيام حرم في شهر عظيم ، فلم تيأس من المغفرة ؟ قال : يا هذا ، ذنبي عظيم ، قلت : أعظم من جبل تهامة ؟ قال : نعم ، قلت : يوازن الجبال الرواسي ؟ قال : نعم ، فإن شئت أخبرتك ، قلت : أخبرني ، قال : اخرج بنا عن الحرم .

فخرجنا منه ، فقال لي : أنا أحد من كان في العسكر الميشوم ، عسكر عمر بنسعد ، حين قتل الحسين ، وكنت أحد الأربعين الذين حملوا الرأس إلي يزيد من الكوفة ، فلمّا حملناه علي طريق الشام نزلنا علي دير للنصاري ، وكان الرأس معنا مركوزا علي رمح ، ومعه الأحراس ، فوضعنا الطعام وجلسنا لنأكل ، فإذا بكفّ في حائط الدير تكتب :

أترجو أمّة قتلت حسينا

شفاعة جدّه يوم الحساب

قال : فجزعنا من ذلك جزعا شديدا ، وأهوي بعضنا إلي الكفّ ليأخذها فغابت .

ثم عاد أصحابي إلي الطعام ، فإذا الكفّ قد عادت تكتب :

فلا واللّه ليس لهم شفيع

وهم يوم القيامة في العذاب

فقام أصحابنا إليها فغابت ، ثم عادوا إلي الطعام ، فعادت تكتب :

وقد قتلوا الحسين بحكم جور

وخالف حكمهم حكم الكتاب

1- بحار الأنوار : 45/125 باب 39 .

فامتنعت وما هنأني أكله(1) . . .

ونصبوا الرمح الذي فيه الرأس الي جانب صومعة راهب ، فسمعوا هاتفا يقول :

واللّه ما جئتكم حتي بصرت به

بالطف منعفر الخدّين منحورا

وحوله فتية تدمي نحورهم

مثل المصابيح يطفون الدجي نورا

كان الحسين سراجا يستضاء به

اللّه يعلم أنّي لم أقل زورا

فقالت أم كلثوم : من أنت يرحمك اللّه ؟ قال : أنا ملك من الجن أتيت وقومي لننصر الحسين ، فصادفناه وقد قتل ، فلمّا سمعوا بذلك رعبت قلوبهم(2) .قال سليمان : فلمّا جنّ الليل أشرف الراهب من صومعته ونظر الي الرأس ، وقدسطع منه نور ، وقد أخذ في عنان السماء ، ونظر باب قد فتح من السماء ، والملائكة ينزلون وهم ينادون : يا أبا عبد اللّه السلام عليك .

فجزع الراهب جزعا شديدا ، والتفت الي العسكر فقال : من أين جئتم ؟ قالوا : من العراق ، حاربنا الحسين ، فقال الراهب : ما الذي معكم ؟ قالوا : رأس الحسين بن علي عليهماالسلام ، فقال : من أمّه ؟ قالوا : فاطمة بنت محمد صلي الله عليه و آله ، فقال : لعنكم اللّه ، واللّه لو كان لعيسي ابن مريم ابن لحملناه علي أحداقنا .

وروي أنّه جعل يصفق بكلتا يديه وهو يقول : لا حول ولا قوة إلاّ باللّه العلي العظيم ، صدقت الأحبار فيما قالت ، فقالوا : وما قالت الأحبار : قال : يقولون : إذا

قتل هذا الرجل مطرت السماء دما ، وذلك لا يكون إلاّ لنبي أو وصي ، ثم قال : وا عجباه من أمّة قتلت ابن بنت نبيها وابن وصيه .

ثم قال : لي اليكم حاجة ، قالوا : وما حاجتك ؟ قال : قولوا لرئيسكم عندي عشرة آلاف درهم ورثتها من آبائي يأخذها مني ويعطيني الرأس يكون عندي الي

1- بحار الأنوار : 45/184 باب 39 ح31 .

2- المنتخب : 2/468 .

وقت الرحيل ، فإذا رحل رددته اليه . فأخبروا عمر بن سعد بذلك ، فقال : خذوا منه الدنانير ، وأعطوه الي وقت الرحيل .

فجاؤوا الي الراهب فقالوا : هات المال حتي نعطيك الرأس ، فأدلي اليهم جرابين في كلّ جراب خمسة آلاف درهم ، فدعا عمر بالناقد والوازن ، فانتقدها ووزنها ، ودفعها الي خازن له ، وأمر أن يعطي الرأس ، فأخذ الراهب الرأس .

وفي رواية : لمّا أخذ الراهب الرأس الي صومعته سمع هاتفا يقول : طوبي لك ، وطوبي لمن عرف حرمته .

فغسل الراهب الرأس ، ومسح عنه الدم والتراب ، وحشاه بمسك وكافور ، ثم جعله في حريرة ووضعه في حجره ، ولم يزل ينوح ويبكي .

وروي أنّه تركه في حجره ، فبدت ثناياه ، فانكب عليها الراهب يقبّلها ويبكيويقول : يعزّ علي يا أبا عبد اللّه أن لا أكون أول قتيل بين يديك(1) .

وروي أنّه قال له : إلهي بحقّ المسيح عليك إلاّ ما أذنت لهذا الرأس يكلّمني ، فنطق الرأس بإذن اللّه وقال : أنا المظلوم ، أنا المقتول ، أنا المهموم ، وأنا المغموم ، وأنا الذي بسيف العدوان والظلم قتلت ، أنا الذي بحرب أهل الغي ظلمت .

فقال الرهب : باللّه أيّها الرأس المبارك ، زدني بيانا ، فقال الرأس : أنا ابن محمد المصطفي ، أنا ابن علي المرتضي ، أنا ابن فاطمة الزهراء ، أنا الشهيد بكربلاء . .

ثم وضع خدّه علي الرأس المقدّس وقال : لا أرفع رأسي حتي تشفع لي ، فقال : إن أردت شفاعتي فاخرج من دينك وادخل في دين جدّي ، فأسلم الراهب .

وفي رواية سليمان : فلم يزل يبكي حتي أصبح الصباح ونادوه ، وطلبوا منه الرأس ، فقال : يا رأس واللّه لا أملك إلاّ نفسي ، فإذا كان غدا فاشهد لي عند جدّك

1- المنتخب : 2/469 .

محمد ، أنّي أشهد أن لا إله إلاّ اللّه ، وأنّ محمد عبده ورسوله ، أسلمت علي يديك ، وأنا مولاك .

وقال لهم : إنّي أحتاج أن أكلّم رئيسكم بكلمة ، وأعطيه الرأس ، فدعا عمر بن سعد ، فقال : سألتك باللّه وبحقّ محمد أن لا تعود الي ما كنت تفعله بهذا الرأس ، ولا تخرج هذا الرأس من هذا الصندوق ، فقال له : أفعل ، فأعطاه الرأس .

بأبي الرؤوس العاليات علي القنا

مثل النجوم تضيء في الأقطار

بدمائها والريح في شيباتها

لعبت بها من يمنة ويسار

ونزل الرهب من الدير ولحق ببعض الجبال يعبد اللّه .

ومضي عمر بن سعد ، ففعل بالرأس مثل ما كان يفعل في الأول ، فلمّا دنا من دمشق قال لأصحابه : انزلوا ، وطلب من خازنه الجرابين ، فأحضرهما بين يديه ،فنظر الي خاتمه ، ثم أمر أن يفتح ، فإذا الدنانير قد تحوّلت خزفة ، فنظروا في سكّتها ، فإذا علي جانبها مكتوب : « وَلا تَحْسَبَنَّ اللّهَ غافِلاً عَمّا يَعْمَلُ الظّالِمُونَ » ، وعلي الجانب الآخر مكتوب : « وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ » ، فقال : إنّا للّه وإنّا اليه راجعون ، خسرت الدنيا والآخرة(1) .

مصائب أهل البيت عليهم السلام في الشام

اعلم ، أنّ الشام وطريق الشام كان أشدّ علي الأسري من أهل البيت عليهم السلام من أيّ حادث جري عليهم ، والحقّ أنّ الإنسان يعجز عن تصوّر ذلك إلاّ أن تتفتت له الأكباد ، وتذوب له القلوب ، ولا يقاس دخولهم الي الشام وما مرّ عليهم في طريقه بما جري عليهم في الكوفة ، ففي الكوفة إجتمع الناس للنظر الي أهل البيت عليهم السلام وحبسوهم فيها ، وشهروهم أي شهرة ، ولكنّهم لمّا شاهدوا السبايا من آل محمد صلي الله عليه و آله ، وبنات فاطمة عليهاالسلام بتلك الحالة ، وشاهدوا رأس ابن فاطمة علي

1- انظر مدينة المعاجز : 4/126 ح1133 ، الخرائج : 2/578 ، بحار الأنوار : 45/148 ، المنتخب : 2/468 .

الرمح ، سالت عيونهم بالدموع ، ولطموا الخدود ، ونشروا الشعور ، ونتفوا اللحي ، وشقّوا الجيوب ، ونثروا التراب علي رؤوسهم ، ونادوا بالويل والثبور ، وترّحموا علي النساء المكشّفات ، والبطون الخاويات ، فجمعوا لهم مآزر ومقانع ، وناولوا الأطفال الحلوي والتمر والخبز والجوز .

أمّا في الشام المشؤوم وطريقه ، فقد استقبلوهم وهم يعيّدون ، ويضحكون ويمرحون ويفرحون ، وكانوا يسبّونهم ويشتمونهم ويشمتون بهم ، فكيف كان حالهم ؟ وما الذي جري عليهم ؟ والحادي كان يجدّ السير ، ويطوي بهم تلك الفيافي والمنازل البعيدة مستعجلاً ، وقد سلبهم الراحة والأمان .

« فيا ليت لفاطمة وأبيها عينا تنظر الي بناتها وبنيها ما بين قتيل يجري منهالدم(1) ، وأسير مكبّل بالحديد .

فكأنّي – واللّه – ألمح نحوهم ، وأراهم يستنصرون فلا ينصرون ، ويستغيثون فلا يغاثون ، فكأنّي بتلك الأساري مسبيّات كالإماء والعبيد ، مصفّدات بالحديد ، يشهرن فوق أقتاب المطيّات ، تلفح وجوههنّ حرّ الهاجرات ، يساق بهن البراري والفلوات ، مغلولة الأيدي والأعناق ، يطاف بهن السكك والأسواق ، وهنّ ودائع خير الأنبياء ، وبنات فاطمة الزهراء عليهاالسلام » .

قال السيد ابن طاووس رحمه الله : فسار بهم إلي الشام كما يسار سبايا الكفار ، يتصفّح وجوههنّ أهل الأقطار(2) .

وفيالإقبال عن محمد بن علي الباقر عليه السلام : سألت أبي علي بن الحسين عليهماالسلام

عن حمل يزيد له ، فقال : حملني علي بعير يطلع ، بغير وطاء ، ورأس الحسين عليه السلام علي علم ، ونسوتنا خلفي علي بغال فأكف ، والفارطة خلفنا وحولنا بالرماح ، إن دمعت من أحدنا عين قرع رأسه بالرمح ، حتي إذا دخلنا دمشق صاح صائح :

1- في المتن : « الصديد » .

2- اللهوف : 171 ، بحار الأنوار : 45/124 باب 39 .

يا أهل الشام ، هؤلاء سبايا أهل البيت الملعون(1) .

فأين رسول اللّه عن أهل بيته

الي الشام تسبي في المهانة للوغد

فمنظورة شزرا ونزوعة ردا

ومخفوضة قدرا وملطومة الخدّ

ومنهوكة ضربا ومهتوكة خبا

ومجرورة غصبا ومشتومة الجدّ

أفاطم قومي من ثري القبر واندبي

بناتك أسري كاشفات بلا قدر

أهل البيت عليهم السلام علي مشارف الشام

قال السيد ابن طاووس : وسار القوم برأس الحسين عليه السلام ونسائه والأسري منرجاله ، فلمّا قربوا من دمشق دنت أم كلثوم من شمر ، وكان في جملتهم ، فقالت : لي إليك حاجة ، فقال : ما حاجتك ؟ فقالت : إذا دخلت بنا البلد ، فاحملنا في درب قليل النظّارة ، وتقدّم إليهم أن يخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل ، وينحونا عنها ، فقد خزينا من كثرة النظر إلينا ، ونحن في هذه الحال .

فأمر في جواب سؤلها ، أن يجعل الرؤوس علي الرماح في أوساط المحامل ، بغيا منه وكفرا ، وسلك بهم بين النظّارة علي تلك الصفة ، حتي أتي بهم باب دمشق ، فوقفوا علي درج باب المسجد الجامع ، حيث يقام السبي(2) .

وفي بعض الروايات والأخبار : لمّا جيء برؤوس الشهداء والسبايا من آل محمد عليهم السلام كان يزيد في منظرة له في جيروان فأنشد يزيد – لعنه اللّه – ولعن كلامه :

لما بدت تلك الحمول(3) وأشرقت

تلك الرؤوس(4) علي ربي جيرون

نعق(5) الغراب فقلت صح أو لا تصحفلقد قضيت من النبي ديوني(6)

1- إقبال الأعمال : 583 ، بحار الأنوار : 45/154 باب 39 ح2 .

2- اللهوف : 174 ، مثير الأحزان : 97 ، بحار الأنوار : 45/127 باب 39 .

3- في البحار : « الرؤوس » .

4- في البحار : « الشموس » .

5- في البحار : « صاح » .

6- بحار الأنوار : 45/199 باب 39 ح40 .

فخرج الناس الهمج الذين لا يستحون علي بنات رسول اللّه يتفرّجون .

ورود أهل البيت عليهم السلام الي الشام برواية سهل الساعدي

روي صاحب المناقب وغيره عن سهل بن سعد قال : خرجت إلي بيت المقدس حتي توسطت الشام ، فإذا أنا بمدينة مطّردة الأنهارّ كثيرة الأشجارّ قد علّقوا الستور والحجب والديباج،وهم فرحون مستبشرون،وعندهم نساء يلعبن بالدفوف والطبول.

وفي رواية : فرأيت الأبواب مفتّحة والدكاكين مغلقة ، والخيل مسرجة ،والأعلام منشورة ، والرايات مشهورة ، والناس أفواجا ، قد إمتلأت منهم السكك ، والأسواق في أحسن زينة ، يفرحون ويضحكون .

فقلت في نفسي : لا نري لأهل الشام عيدا لا نعرفه نحن ! فرأيت قوما يتحدّثون ، فقلت : يا قوم ، لكم بالشام عيد لا نعرفه نحن ؟ قالوا : يا شيخ ، نراك أعرابيا ! فقلت : أنا سهل بن سعد ، قد رأيت محمدا صلي الله عليه و آله ! قالوا : يا سهل ، ما أعجبك السماء لا تمطر دما ، والأرض لا تنخسف بأهلها ، قلت : ولم ذاك ؟ قالوا : هذا رأس الحسين عليه السلام عترة محمد صلي الله عليه و آله يهدي من أرض العراق ، فقلت : وا عجباه يهدي رأس الحسين والناس يفرحون ؟ ! قلت : من أيّ باب يدخل ؟ فأشاروا إلي باب يقال له « باب ساعات » .

قال : فبينا أنا كذلك حتي رأيت الرايات يتلو بعضها بعضا ، فإذا نحن بفارس بيده لواء منزوع السنان ، عليه رأس من أشبه الناس وجها برسول اللّه صلي الله عليه و آله .

وروي أنّه قال : فلمّا رأيت ذلك ، لطمت علي وجهي ، وقطّعت أطماري ، وعلا بكائي ونحيبي ، وقلت : وا حزناه علي الخدّ التريب ، والشيب الخضيب ، يا رسول اللّه ليت عينك تري رأس الحسين في دمشق الشام ، يطاف به في الأسواق ، وبناتك مشهورات علي النياق ، مشققات الذيول والأزياق ، ينظر اليهم شرار الفساق ، أين

علي بن أبي طالب عليهماالسلام ، يراكم علي هذه الحال ، ثم بكيت ، وبكي لبكائي كلّ من سمع منهم صوتي ، وأكثرهم لا يفيقون لكثرتهم ، وشدّة فرحهم ، واشتغالهم بسرورهم ، وارتفاع أصواتهم .

وإذا أنا بنسوة علي الأقتاب ، بغير وطاء ولا ستر ، وقائلة منهن تقول : وا محمداه ، وا عليّاه ، وا حسناه ، وا حسيناه ، لو رأيتم ما حلّ بنا من الأعداء ، يا رسول اللّه ، بناتك كأنّهن بعض أساري اليهود والنصاري ، وهي تنوح بصوت شجي ، يقرح القلوب ، وتقول : وا حزناه علي الرضيع الصغير ، وعلي الشيخ الكبير ، وعلي المذبوح من القفا ، ومهتوك الخباء ، العريان بلا رداء ، وا حزناه لما نالناأهل البيت ، فعند اللّه نحتسب مصيبتنا .

فدنوت من أولاهم ، فقلت : يا جارية من أنت ؟ فقالت : أنا سكينة بنت الحسين ، فقلت لها : ألك حاجة إليّ ؟ فأنا سهل بن سعد ، ممّن رأي جدّك ، وسمعت حديثه ، قالت : يا سعد ، قل لصاحب هذا الرأس أن يقدّم الرأس أمامنا ، حتي يشتغل الناس بالنظر إليه ، ولا ينظروا إلي حرم رسول اللّه صلي الله عليه و آله .

قال سهل : فدنوت من صاحب الرأس ، فقلت له : هل لك أن تقضي حاجتي وتأخذ مني أربعمائة دينار ؟ قال : ما هي ؟ قلت : تقدّم الرأس أمام الحرم ، ففعل ذلك ، فدفعت إليه ما وعدته(1) .

نصراني يسلم عند رأس الحسين عليه السلام

وفي رواية قال سهل : وكان معي رفيق نصراني يريد بيت المقدس ، وهو متقلّد سيفا تحت ثيابه ، فكشف اللّه عن بصره ، فسمع رأس الحسين ، وهو يقرأ القرآن ، ويقول : « وَلا تَحْسَبَنَّ اللّهَ غافِلاً عَمّا يَعْمَلُ الظّالِمُونَ » ، فقد أدركته السعادة ، فقال :

1- في المنتخب : « فقالت : يا سهل ، اشفع لنا عند صاحب المحمل ، أن يتقدّم بالرؤوس ليشغل النظّارة عنّا بها ، فقد خزينا من كثرة النظر الينا ، فقلت : حبّا وكرامة ، ثم تقدّمت اليه وسألته باللّه ، وبالغت معه ، فانتهزني ، ولم يفعل » .

أشـهد أن لا إله إلاّ اللّه وحده لا شريك له ، وأنّ محمدا صلي الله عليه و آله عبده ورسوله ، ثم انتضي سيفه ، وشدّ به علي القوم ، وهو يبكي ، وجعل يضرب فيهم ، فقتل منهم جماعة كثيرة ، ثم تكاثروا عليه ، فقتلوه رحمه اللّه .

فقالت أم كلثوم : وا عجباه ، النصاري يحتشـمون لـدين الإسـلام ، وأمّـة محمد الذين يزعمون أنّهم علي دين محمد صـلي الله عليه و آله ، يقتلون أولاده ، ويسبون حريمه ، ولكن « وَالْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ » ، « وَما ظَلَمُونا وَلكِنْ كانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ »(1) .

فرح بني أمية بدخول السبايا الي الشام

روي أنّهم أتوا الي باب الساعات ، فاوقفوا هناك ثلاث ساعات يطلبون الإذن من يزيـد ، فبينما هم كـذلك ، إذ خرج مروان بن الحكم ، فلمّا نظر الي رأس الحسين عليه السلام صار ينظر الي أعطافه جذلاً طربا .

ثم خرج أخوه عبـد الرحمن ، فلمّـا نظر الي الرأس بكي ، ثم قـال : أمـا أنتم فقـد حجبتم عن جـدّه رسول اللّه صـلي الله عليه و آله واللّه لا جامعتكم علي أمر أبدا ، ثم قال : بالعزيز عليّ يا أبا عبد اللّه ما نزل بك ، ثم أنشأ يقول :

سمية أمسي نسلها عدد الحصي

وبنت رسول اللّه ليس لها نسل(2)

آه وا ويلاه ، آه وا مصيبتاه ، أهل البيت يساقون في الشام أسري !

تعامل أهل الشام مع أسري آل محمد صلي الله عليه و آله

روي عن الصادق(3) عليه السلام ، وروي الصدوق أيضا عن جماعة قالوا : فلمّا دخلنا دمشق أدخل بالنساء والسبايا بالنهار مكشفات الوجوه ، فقال أهل الشام الجفاة : ما رأينا سبايا أحسن من هؤاء ، فمن أنتم ؟ فقالت سكينة ابنة الحسين عليهماالسلام : نحن

1- المنتخب : 2/283 ، بحار الأنوار : 45/127 باب 39 .

2- المنتخب : 2/470 .

3- قرب الإسناد : 14 .

سبايا آل محمد صلي الله عليه و آله(1) .

وكان فيهم علي بن الحسين عليهماالسلام مغلولاً بالجامعة ، محمولاً علي ناقة بلا وطاء ، فأنشأ عليه السلام يقول :

أُقادُ ذَليلاً في دِمِشْقَ كَأَنَّني

مِنَ الزَّنْجِ عَبْدٌ غابَ عَنْهُ نَصيرُ

وَجَدِّي رَسُولُ اللّهِ في كُلِّ مَشْهَدٍ

وَشَيْخي اَميرُ الْمُؤْمِنينَ اَميرُ(2)فأقيموا علي درج المسجد الأعظم حيث يقام السبايا(3) .

يزيد - لعنه اللّه - يسمع بخبر وصول السبايا

قال الشيخ فخر الدين الطريحي رحمه الله : فلمّا وردوا الي دمشق جاء البريد الي يزيد ، وهو معصب الرأس ويداه ورجلاه في طشت من ماء حار ، بين يديه طبيب يعالجه ، وعنده جماعة من بني أمية يحادثونه ، فحين رآه قال له : أقرّ عينك بورود رأس الحسين عليه السلام ، فنظر اليه شزرا ، وقال : لا أقرّ اللّه عينيك ، ثم قال للطبيب : أسرع ، واعمل ما تريد أن تعمل ، فخرج الطبيب عنه ، وقد أصلح جميع ما أراد أن يصلحه .

ثم أنّه أخذ كتابا بعثه أليه ابن زياد ، وقرأه ، فلمّا انتهي الي آخره عضّ علي أنامله حتي كاد أن يقطعها ، ودفعه الي من كان حاضرا ، فما كان إلاّ ساعة وإذا برايات الكفر والضلال قد أقبلت ، ومن تحتها التكبير(4) .

ولنعم ما قال الشاعر :

ويكبّرون لقتل من لولاهم

لم يعرف التكبير والتهليل

1- الأمالي للصدوق : 165 المجلس 31 ، بحار الأنوار : 45/154 باب 39 .

2- المقتل لأبي مخنف : 132 .

3- الأمالي للصدوق : 165 المجلس 31 .

4- المنتخب : 2/469 .

وروي أنّهم سمعوا صوت هاتف لا يري شخصه يقول :

جاؤوا برأسك يابن بنت محمد

مترمّلاً بدمائه ترميلا

وكأنّما بك يا بن بنت محمد

قتلوا جهارا عامدين رسولا

قتلوك عطشانا ولمّا يرقبوا

في قتلك التأويل والتنزيلا

ويكبّرون بأن قتلت وإنّما

قتلوا بك التكبير والتهليلا(1)

الرأس المقدّس يتكلّم في الشام

روي القطب الراوندي عن المنهال بن عمرو قال : أنا – واللّه – رأيت رأس الحسين عليه السلام حين حمل ، وأنا بدمشق ، وبين يديه رجل يقرأ الكهف ، حتي بلغ قوله« أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً » ، فأنطق اللّه الرأس بلسان ذرب ذلق ، فقال : أعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملي(2) .

إي واللّه قتله أعظم وأعظم من أي أمر آخر .

أهل البيت عليهم السلام في مجلس يزيد الملعون

ولمّا أدخلوا الرؤوس والسبايا في دمشق أمر يزيد – لعنه اللّه – فزيّنت الدار بأنواع الزينة ، ونصب ليزيد سرير مشؤوم مرصّع ، وأمر بإحضار أهل البيت عليهم السلام ، فلمّا وصلوا الي باب قصره صاح مخفر بن ثعلبة العائذي : هذا مخفر بن ثعلبة أتي أمير المؤمنين باللئام الفجرة .

فروي : لم يكن علي بن الحسين عليهماالسلام يكلّم أحدا من القوم في الطريق كلمة واحدة ، حتي بلغوا ، فلمّا رفع مخفر بن ثعلبة صوته بما قال ، أجاب علي بن الحسين عليهماالسلام : ما ولدت أم مخفر أشرّ وألأم .

فلمّا أدخلوا الرأس المقدّس علي يزيد أظهر الفرح وتبجح ونظر في عطفه جذلان مسرورا ، ثم أقبل علي أهل مجلسه فقال : إنّ هذا كان يفخر عليّ ويقول :

1- المنتخب : 2/469 .

2- الخرائج : 2/577 ح1 ، بحار الأنوار : 45/188 باب 39 ح32 .

أبي خير من أب يزيد ، وأمّي خير من أمّه ، وجدّي خير من جدّه ، وأنا خير منه ، فهذا الذي قتله .

ثم أدخلوا أهـل بيت العصـمة الطهـارة المتعبين الممتحنين الي المجلس ، عجبـا واللّه لم لاـ زلزلت الأـرض ، وخرّت السـماء ، وتناثرت الكواكب ، وآل خاتم الأنبياء يدخلون في مجلس أولاد البغاء ، يستهزؤون بهم ، ويستخفون بحرمتهم ! !

وقال ابن نما : قال علي بن الحسين عليهماالسلام : أدخلنا علي يزيد ونحن اثنا عشر رجلاً مغللون(1) . .ويستفاد من هذا الكلام أنّهم قيّدوا النساء أيضا ، لأنّ الرجال لم يبلغ عددهم هذا المبلغ ، ولو كان معهم الأطفال فهم أقلّ من ذلك أيضا .

ويؤكد ذلك قول السيد ابن طاووس : ثم أدخل ثقل الحسين

عليه السلام ونساؤ ومن تخلّف من أهله علي يزيد ، وهم مقرنون في الحبال(2) .

فمن مبلغ الكرّار ذا البأس والتقي

بأنّ بنيه بعد عزّ تذلّلوا

وأنّ الوجوه النيّرات ذوي البها

تهادي الي رجس زنيم وتحمل

وآل يزيد في المقاصير والخبا

تناط عليهن الستور وتسدل

وأنّ بني الزهراء بنت محمد

وجوههم للناس تبدو وتبذل

أما غيرة هذي بنات محمد

يلاحظهن الناس والأعبد الرذل

وقال الشـيخ فخر الـدين : لمّا أوقفوا آل البيت بين يدي ابن الزانية يزيد ، قالت فاطمة بنت الحسـين عليهماالسـلام : يا يزيد بنات رسول اللّه سبايا ؟ ! فبكي الناس ، وبكي أهل داره حتي علت الأصوات .

فقال علي بن الحسين عليهماالسلام : وأنا مغلول ، فقلت : أتأذن لي في الكلام ؟ فقال : قل ،

1- مثير الأحزان : 98 .

2- اللهوف : 226 ، مثير الأحزان : 98 ، بحار الأنوار : 45/129 وما بعدها باب 39 .

ولا تقل هجرا ! قلت : لقد وقفت موقفا لا ينبغي لمثلي أن يقول الهجر ، ما ظنّك برسول اللّه لو رآني في الغلّ ؟ فقال لمن حوله : حلّوه(1) .

وروي عن الصادق عليه السلام قال : لمّا أدخل رأس الحسين بن علي عليهماالسلام علي يزيد - لعنه اللّه - وأدخل عليه علي بن الحسين عليهماالسلام ، وبنات أمير المؤنين عليه السلام ، وكان علي بن الحسين عليهماالسلام مقيّدا مغلولاً ، فقال يزيد : يا علي بن الحسين ، الحمد للّه الذي قتل أباك ، فقال علي بن الحسين : لعن اللّه من قتل أبي .

فغضب يزيد وأمر بضرب عنقه عليه السلام ، فقال علي بن الحسين عليهماالسلام : فإذا قتلتني فبنات رسول اللّه صلي الله عليه و آله من يردّهن إلي منازلهن ؟ وليس لهن محرم غيري ، فقال : أنت تردّهم إلي منازلهم .

ثم دعا بمبرد ، فأقبل يبرد الجامعة من عنقه بيده ، ثم قال له : يا علي بن الحسين ، أتدري ما الذي أريد بذلك ؟ قال : بلي ، تريد أن لا يكون لأحد عليّ منّة غيرك ، فقال يزيد : هذا - واللّه - ما أردت أفعله(2) .

الرأس المقدّس في مجلس يزيد وآهات أهل البيت عليهم السلام

قال السيد ابن طاووس رحمه الله : ثم وضع رأس الحسين عليه السلام بين يديّ وأجلس النساء خلفهّ لئلاـ ينظرون إليه ! ! فرآه علي بن الحسين عليهماالسلام ، فبكي بكاءا شديدا ، فلم يأكل الرؤوس بعد ذلك أبدا(3) .

وروي أنّ أهل البيت لمّا وقعت عيونهم علي الرأس المقدّس إرتفعت أصواتهم بالبكاء والعويل ، ونادوا بالويل والثبور ، وصاحوا : وا مظلوماه ، فقالت سكينة بنت الحسين عليه السلام : يا يزيد أيسرّك هذا ؟

1- مثير الأحزان : 99 ، اللهوف : 213 ، المنتخب : 473 ، بحار الأنوار : 131 - 132 .

2- تفسير القمي : 2/352 .

3- اللهوف : 177 .

وقال ابن نما : وأمّا زينب ، فإنّها لمّا رأت رأس أخيها عليه السلام أهوت إلي جيبها فشقّته ، ثم نادت بصوت حزين يفزع القلوب : يا حسيناه ، يا حبيب قلب رسول اللّه ، يا ابن مكة ومني ، يا ابن فاطمة الزهراء سيدة النساء ، يا ابن بنت المصطفي .

قال الراوي : فأبكت – واللّه – كلّ من كان في المجلس ، ويزيد عليه لعائن اللّه ساكت .

ثم جعلت امرأة من بني هاشم كانت في دار يزيد – لعنه اللّه – تندب علي الحسين عليه السلام وتنادي : يا حبيباه ، يا سيد أهل بيتاه ، يا ابن محمداه ، يا ربيع الأراملواليتامي ، يا قتيل أولاد الأدعياء ، قال الراوي : فأبكت كلّ من سمعها(1) .

يزيد لعنه اللّه يقرع الرأس المقدّس وأبو برزة الأسلمي يعترض

ثم دعا يزيد – عليه اللعنة – بقضيب خيزرانّ فجعل ينكت به ثنايا الحسين عليه السلام ، فأقبل عليه أبو برزة الأسلمي وقال : ويحك يا يزيد ، أتنكت بقضيبك ثغر الحسين عليه السلام بن فاطمة عليهاالسلام ؟ ! أشهد لقد رأيت النبي صلي الله عليه و آله يرشف ثناياه وثنايا أخيه الحسن عليهماالسلام ويقول : أنتما سيدا شباب أهل الجنّة ، فقتل اللّه قاتلكما ولعنه ، وأعدّ له جهنم وساءت مصيرا ، فغضب يزيد ، وأمر بإخراجه ، فأخرج سحبا(2) .

خطبة السيدة الحوراء زينب الكبري عليهاالسلام في مجلس يزيد لعنه اللّه

فقامت زينب بنت علي بن أبي طالب عليهم السلام فقالت :

الحمد للّه ربّ العالمين ، وصلّي اللّه علي رسوله ، وآله أجمعين ، صدق اللّه سبحانه ، كذلك يقول : « ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساؤا السُّواي أَنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللّهِ وَكانُوا بِها يَسْتَهْزِؤنَ » .

أظننت يا يزيد حيث أخذت علينا أقطار الأرض ، وآفاق السماء ، فأصبحنا

1- اللهوف : 177 .

2- اللهوف : 177 .

نساق كما تساق الأسراء ، إنّ بنا هوانا عليه ، وبك عليه كرامة ؟ وإنّ ذلك لعظم خطرك عنده ؟ فشمخت بأنفك ، ونظرت في عطفك ، جذلان مسرورا ، حيث رأيت الدنيا لك مستوثقة ، والأمور متّسقة ، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا ، فمهلاً مهلاً ، أنسيت قول اللّه تعالي « وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ » .أمن العدل يا ابن الطلقاء ، تخديرك حرائرك وإمائك ، وسوقك بنات رسول اللّه صلي الله عليه و آله سبايا ؟ ! قد هتكت ستورهن ، وأبديت وجوههن ، تحدو بهن الأعداء من بلد إلي بلد ، ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل ، ويتصفّح وجوههن القريب والبعيد ، والدني والشريف ، ليس معهن من رجالهن ولي ، ولا من حماتهن حمي .

وكيف يرتجي مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء ، ونبت لحمه من دماء الشهداء ؟ وكيف يستبطئ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشنئان ، والإحن والأضغان ؟ ثم تقول غير متأثّم ، ولا مستعظم :

لأهلوا واستهلوا فرحا

ثم قالوا يا يزيد لا تشل

منتحيا علي ثنايا أبي عبد اللّه ، سيد شباب أهل الجنّة ، تنكتها بمخصرتك ، وكيف لا تقول ذلك ؟ وقد نكأت القرحة ، واستأصلت الشافة ، بإراقتك دماء ذرية محمد صلي الله عليه و آله ، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب ، وتهتف بأشياخك ! زعمت أنّك تناديهم ، فلتردنّ وشيكا موردهم ، ولتودّنّ أنّك شللت وبكمت ، ولم تكن قلت ما قلت ، وفعلت ما فعلت .

اللّهم خذ لنا بحقّنا ، وانتقم من ظالمنا ، وأحلل غضبك بمن سفك دمائنا ، وقتل حماتنا .

فواللّه ما فريت إلاّ جلدك ، ولا حززت إلاّ لحمك ، ولتردنّ علي رسول اللّه صلي الله عليه و آله بما تحمّلت من سفك دماء ذريّته ، وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته ، حيث

يجمع اللّه شـملهم ، ويلّم شـعثهم ، ويأخذ بحقّهم ، « وَلا تَحْسَبَنَّ الّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ » ، وحسبك بـاللّه حاكمـا ، وبمحمـد صـلي الله عليه و آلهخصـيما ، وبجبرئيل ظهيرا ، وسـيعلم من سوّل لك ، ومكّنك من رقاب المسـلمين ، « بِئْسَ لِلظّالِمِينَ بَدَلاً » ، وأيّكم « شَرٌّ مَكاناً وَأَضْعَفُ جُنْداً » .

ولئن جرّت عليّ الدواهي مخاطبتك ، أنّي لأستصغر قدرك ، وأستعظم تقريعك ،وأستكثر توبيخك ، لكن العيون عبري ، والصدور حري .ألا فالعجب كلّ العجب ، لقتل حزب اللّه النجباء بحزب الشيطان الطلقاء ! فهذه الأيدي تنطف من دمائنا ، والأفواه تتحلّب من لحومنا ، وتلك الجثث الطواهر الزواكي ، تنتابها العواسل ، وتعفّرها أمهات الفراعل ، ولئن اتخذتنا مغنما ، لتجدنا

وشيكا مغرما ، حين لا تجد إلاّ ما قدّمت يداك « وَما رَبُّكَ بِظَلاّمٍ لِلْعَبِيدِ » ، فإلي اللّه المشتكي ، وعليه المعوّل .

فكـد كيـدك ، وأسع سـعيك ، وناصب جهـدك ، فواللّه لا تمحو ذكرنا ، ولا تميت وحينا ، ولا تـدرك أمدنا ، ولا ترحض عنك عارها ، وهل رأيك إلاّ فند ؟ وأيامك إلاّ عدد ؟ وجمعك إلاّ بدد ؟ يوم ينادي المنادي : « أَلا لَعْنَةُ اللّهِ عَلَي الظّالِمِينَ » .

فالحمد للّه رب العالمين الذي ختم لأولنا بالسـعادة والمغفرة ، ولآخرنا بالشهادة والرحمة ، ونسأل اللّه أن يكمل لهم الثواب ، ويوجب لهم المزيد ، ويحسن علينا الخلافة ، إنّه رحيم ودود ، وحسبنا اللّه ونعم الوكيل(1) .

مجلس يزيد لعنه اللّه برواية الإمام الرضا عليه السلام

روي ابن بابويه بسـند معتبر عن الرضا عليه السلام قال : لمّا حمل رأس الحسين إلي الشام أمر يزيد - لعنه اللّه - ، فوضع ونصب عليه مائدة ، فأقبل هو وأصحابه يأكلون

1- اللهوف : 182 ، لم يذكر المؤلف الخطبة كاملة ، وإنّما إختار منها أكثر مقاطعها ، فذكرناها كاملة تتميما للفائدة إن شاء اللّه .

ويشربون الفقاع .

فلمّا فرغوا أمر بالرأس ، فوضع في طست تحت سريره ، وبسط عليه رقعة الشطرنج ، وجلس يزيد - لعنه اللّه - يلعب بالشطرنج ، ويذكر الحسين وأباه وجدّه - صلوات اللّه عليهم - ، ويستهزئ بذكرهم ، فمتي قمر صاحبه تناول الفقاع ، فشربه ثلاث مرات ، ثم صبّ فضلته ممّا يلي الطست من الأرض(1) . . .فيا سماء جرت هذه الأمور علي

مثل الحسين فموري بعده موري

أين الرسول وثغر كان يرشفه

تدقّه بقضيب كفّ مخمور

أين الرسول وشكوي حال عترته

ثكلي لثكلي ومأسور لمأسور

مجلس يزيد لعنه اللّه برواية أخري

وروي الشيخ المفيد رحمه الله قال : ثم دعا بالنساء والصبيان ، فأجلسوا بين يديه ، فرأي هيئة قبيحة ! ! فقال : قبّح اللّه ابن مرجانة ، لو كانت بينكم وبينه قرابة رحم ما فعل هذا بكم ، ولا بعث بكم علي هذه الصورة(2) .

وقال الشيخ فخر الدين رحمه الله : نقل عن علي بن الحسين عليهماالسلام أنّه قال : لمّا وفدنا علي يزيد بن معاوية لعنه اللّه ، أتونا بحبال ، وربطونا مثل الأغنام ، وكان الحبل بعنقي وعنق أم كلثوم ، وبكتف زينب وسكينة عليهماالسلام ، وساقونا ، وكلّما قصّرنا عن المشي ضربونا حتي أوقفونا بين يدي يزيد .

فتقدّمت اليه ، وهو علي سرير مملكته ، وقلت له : ما ظنّك برسول اللّه صلي الله عليه و آله لو

1- عيون أخبار الرضا عليه السلام : 2/22 باب 30 ، جامع الأخبار : 153 الفصل 114 ، من لا يحضره الفقيه : 4/419 ، بحار الأنوار : 45/176 باب 39 ح23 . وتتمة الحديث : . . « فمن كان من شيعتنا ، فليتورّع عن شرب الفقاع ، واللّعب بالشطرنج ، ومن نظر إلي الفقاع ، أو إلي الشطرنج ، فليذكر الحسين عليه السلام ، وليلعن يزيد وآل زياد ، يمحو اللّه - عزّ وجلّ - بذلك ذنوبه ، ولو كانت كعدد النجوم » .

2- الإرشاد : 2/120 .

يرانا علي هذه الصفة ؟ فبكي اللعين ، وأمر بالحبال فقطّعت من أعناقنا وأكتافنا(1) .

كلام يزيد لعنه اللّه مع السيدة سكينة عليهاالسلام

وروي أنّ اللعين أمر بإحضار السبايا ، فأحضروا بين يديه ، فلمّا حضروا عنده جعل ينظر اليهن ، ويسأل من هذه ؟ ومن هذا ؟

فقيل : هـذه أم كلثوم الكبري ، وهـذه أم كلثوم الصـغري ، وهـذه صـفية ، وهـذه أم هاني ء ، وهذه رقيّة بنات علي ، وكانت بينهن إمرأة تستر وجهها بزندها ، لأنّها لمتكن عندها خرقة تستر وجهها .

فقال : من هذه ؟ قالوا : سـكينة بنت الحسـين عليهماالسـلام ، فقال : أنت سـكينة ؟ فبكت ، وإختنقت بعبرتها ، حتي كادت تطلع روحها ، فقال لها : ما يبكيك ؟ قالت : كيف لا تبكي من ليس لها سترا تستر وجهها ورأسها من عنك وعن جلسائك ؟ !

فبكي اللعين ، ثم قال : لعن اللّه ابن زياد ، ما أقوي قلبه علي آل الرسول(2) !

وفي رواية أخري : فالتفت اللعين الي سكينة وقال : يا سكينة ، أبوك الذي كفر حقّي ، وقطع رحمي ، ونازعني في ملكي ! !

فبكت سـكينة ، وقالت : لا تفرح بقتل أبي ، فإنّه كان مطيعا للّه ولرسوله ، ودعاه اليه فأجابه ، وسعد بذلك ، وإنّ لك – يا يزيد – بين يدي اللّه مقاما يسألك عنه ، فاستعد للمسألة جوابا ، وأنّي لك الجواب .

كلام يزيد لعنه اللّه مع زينب الحوراء عليهاالسلام

وروي صاحب المنتخب قال : لمّا دعا اللعين يزيد بسبي الحسـين عليه السـلام ، وعرضوا عليه ، قالت له زينب بنت علي عليهماالسلام : يا يزيد ، أما تخاف اللّه سـبحانه من قتل الحسـين عليه السـلام ؟ وما كفاك حتي تسـتحث حرم رسول اللّه صلي الله عليه و آله من العراق الي الشام ؟

1- المنتخب : 2/473 .

2- المنتخب : 2/473 .

وما كفاك انتهاك حرمتهن حتي تسوقنا اليك كما تساق الإماء علي المطايا بغير وطاء من بلد الي بلد ؟

فقال لها لعنه اللّه : إنّ أخاك الحسين قال : أنا خير من يزيد ، وأبي خير من أبيه ، وأمّي خير من أمّه ، وجدّي خير من جدّه ، فقد صدق في بعض ، وألحن في بعض ، أمّا جدّه رسول اللّه فهو خير البرية ، وأمّا أنّ أمّه خير من أمّي ، وأباه خير من أبي ، كيف ذلك وقد حاكم أبوه أبي ؟ ثم قرأ : « قُلِ اللّهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلي كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

فقالت زينب عليهاالسلام : « وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِما آتاهُمُ اللّهُ مِنْ فَضْلِهِ » .

ثم قالت : يا يزيد ، ما قتل الحسين غيرك ، ولولاك لكان ابن مرجانة أقلّ وأذلّ ، أما خشيت من اللّه بقتله ؟ وقد قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله فيه وفي أخيه : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنّة ، فإن قلت : لا ! فقد كذبت ، وإن قلت : نعم ، فقد خصمت نفسك ، فقال يزيد : « ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ » ، وبقي خجلانا(1) .

شامي يستوهب فاطمة من يزيد لعنه اللّه

روي الشيخ المفيد رحمه الله عن فاطمة بنت الحسين عليهماالسلام قالت : فلمّا جلسنا بين يدي يزيد رقّ لنا ، فقام إليه رجل من أهل الشام أحمر ، فقال : يا أمير المؤنين ، هب لي هذه الجارية ، يعنيني ، وكنت جارية وضيئة ، - ولا يخفي أنّها عليهاالسلام كانت مثالاً في الحسن والجمال ، ولم يأتي الزمان بمثلها حسنا وجمالاً ، كما يستفاد من بعض الروايات والأخبار - ، فأرعدّت ، وظننت أنّ ذلك جائز لهم ، فأخذت بثياب عمّتي

1- المنتخب : 2/479 .

زينب ، وكانت تعلم أنّ ذلك لا يكون .

وروي أنّها تعلّقت بثياب أختي ، وكانت أكبر منّي ، فقلت : أُوتمت واستخدم ؟ !

فقالت عمتي للشامي : كذبت – واللّه – ولؤت ، واللّه ما ذلك لك ولا له .

فغضب يزيد وقال : كذبت ، إنّ ذلك لي ، ولو شئت أن أفعل لفعلت ! قالت : كلا – واللّه – ، ما جعل اللّه لك ذلك ، إلاّ أن تخرج من ملّتنا ، وتدين بغيرها .

فاستطار يزيد غضبا ، وقال : إياي تستقبلين بهذا ، إنّما خرج من الدين أبوكوأخوك(1) ! قالت زينب : بدين اللّه ، ودين أبي ، ودين أخي ، اهتديت أنت وجدّك وأبوك ، إن كنت مسلما ، قال : كذبت يا عدوّة اللّه ! ! ! قالت له : أنت أمير ، تشتم ظالما ، وتقهر بسلطانك . فكأنّه استحيا(2) وسكت .

فعاد الشامي فقال : هب لي هذه الجارية ! فقال له يزيد : اغرب ، وهب اللّه لك حتفا قاضيا(3) .

وقال السيد ابن طاووس : فقال الشامي : من هذه الجارية ؟ فقال يزيد : هذه فاطمة بنت الحسين ، وتلك زينب بنت علي بن أبي طالب عليهم السلام ، فقال الشامي : الحسين بن فاطمة عليهماالسلام ، وعلي بن أبي طالب عليهماالسلام ؟ قال : نعم ، فقال الشامي : لعنك اللّه يا يزيد ، أتقتل عترة نبيك ، وتسبي ذريّته ، واللّه ، ما توهّمت إلاّ أنّهم سبي الروم ، فقال يزيد : واللّه ، لألحقنّك بهم ، ثم أمر به ، فضربت عنقه(4) .

وروي الشيخ المفيد رحمه الله : لمّا كرر الشامي طلبه ، قالت أم كلثوم للشامي : اسكت يا لكع الرجال ، قطع اللّه لسانك ، وأعمي عينيك ، وأيبس يديك ، وجعل النار مثواك ، إنّ أولاد الأنبياء لا يكونون خدمة لأولاد الأدعياء .

1- لم يذكر المؤلف هذه العبارة وإنّما كنّي عنها كناية .

2- لا واللّه لم يستح المجرم اللئيم الوقح ، وإنّما أفحم وألجم .

3- الإرشاد : 2/120 .

4- اللهوف : 186 .

قال : فواللّه ما استتم كلامها حتي أجاب اللّه دعاءها في ذلك الرجل ، فقالت : الحمد للّه الذي عجّل لك العقوبة في الدنيا قبل الآخرة ، فهذا جزاء من يتعرّض لحرم رسول اللّه (1) صلي الله عليه و آله .

إعتراض النصراني علي يزيد لعنه اللّه

روي الشيخ فخرالدين رحمه الله عن بعض الثقاة: أنّ نصرانيا أتي رسولاً من ملك الرومإلي يزيد – لعنه اللّه تعالي – ، وقد حضر في مجلسه الذي أتي إليه فيه برأس الحسين ، فلمّا رأي النصراني رأس الحسين عليه السلام بكي، وصاح وناح، حتي ابتلت لحيته بالدموع.

ثم قال : اعلم – يا يزيد – إنّي دخلت المدينة تاجرا في أيام حياة النبي ، وقد أردت أن آتيه بهدية ، فسألت من أصحابه : أيّ شيء أحبّ إليه من الهدايا ؟ فقالوا : الطيب أحبّ إليه من كلّ شيء ، وإنّ له رغبة فيه .

قال : فحملت من المسك فأرتين ، وقدرا من العنبر الأشهب ، وجئت بها إليه ، وهو يومئذ في بيت زوجته أم سلمة – رضي اللّه عنها – ، فلمّا شاهدت جماله ازداد لعيني من لقائه نورا ساطعا ، وزادني منه سرور ، وقد تعلّق قلبي بمحبّته ، فسلّمت عليه ، ووضعت العطر بين يديه ، فقال : ما هذا ؟ قلت : هدية محقّرة ، أتيت بها إلي حضرتك ، فقال لي : ما اسمك ؟ فقلت : اسمي عبد الشمس ، فقال لي : بدّل اسمك ، فإنّي أسمّيك عبد الوهاب ، إن قبلت منّي الإسلام قبلت منك الهدية .

قال : فنظرته وتأمّلته ، فعلمت أنّه نبي ، وهو النبي الذي أخبرنا عنه عيسي عليه السلام ، حيث قال : إنّي مبشّر لكم « بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ » ، فاعتقدت ذلك ، وأسلمت علي يده في تلك الساعة ، ورجعت إلي الروم ، وأنا أخفي الإسلام ، ولي مدّة من السنين وأنا مسلم ، مع خمس من البنين ، وأربع من البنات ، وأنا اليوم وزير

1- الإرشاد : 2/121 ، المنتخب : 2/472 ، بحار الأنوار : 45/137 .

ملك الروم ، وليس لأحد من النصاري اطلاع علي حالنا .

واعلم – يا يزيد – إنّي يوم كنت في حضـرة النبي صلي الله عليه و آله ، وهو في بيت أم سلمة ، رأيت هذا العزيز الذي رأسه وضع بين يديك مهينا حقيرا ، قـد دخل علي جـدّه من باب الحجرة ، والنبي فاتح باعه ليتناوله ، وهو يقول : مرحبا بك يا حبيبي ، حتي أنّه تناوله ، وأجلسه في حجره ، وجعل يقبّل شـفتيه ، ويرشف ثناياه ، وهو يقول : بعـد عن رحمة اللّه من قتلك ، لعن اللّه من قتلك ، يا حسـين ، وأعان علي قتلك ، والنبي صلي الله عليه و آله مع ذلك يبكي .

فلمّا كان اليوم الثاني كنت مع النبي في مسـجده إذ أتاه الحسين مع أخيه الحسن عليهماالسلام وقال : يا جدّاه قد تصارعت مع أخي الحسن ، ولم يغلب أحـدنا الآـخر ، وإنّما نريـد أن نعلم أيّنا أشـدّ قوّة من الآخر ؟ فقال لهما النبي : حبيبيّ ، يا مهجتي ، إنّ التصارع لا يليق بكما ، ولكن اذهبا فتكاتبا ، فمن كان خطّه أحسن كذلك تكون قوته أكثر .

قال : فمضـيا ، وكتب كلّ واحـد منهما سـطرا ، وأتيا إلي جدّهما النبي ، فأعطياه اللوح ليقضـي بينهما ، فنظر النبي إليهما ساعة ، ولم يرد أن يكسر قلب أحدهما ، فقال لهما : يا حبيبيّ ، إنّي نبي أمّي ، لا أعرف الخطّ ، اذهبا إلي أبيكما ليحكم بينكما ، وينظر أيّكما أحسن خطّا .

قـال : فمضـيا إليه ، وقام النبي أيضا معهما ، ودخلوا جميعا إلي منزل فاطمـة عليهاالسـلام ، فما كان إلاّ ساعـة ، وإذا النبي مقبل ، وسـلمان الفارسـي معه ، وكان بيني وبين سـلمان صداقة ومودّة ، فسألته : كيف حكم أبوهما ؟ وخطّ أيّهما أحسن ؟ قال سـلمان رضوان اللّه عليه : إنّ النبي لم يجبهما بشـيء ، لأنّه تأمّل أمرهما ، وقال : لو قلت : خطّ الحسن أحسن كان يغتمّ الحسـين ، ولو قلت : خطّ الحسـين أحسن كان يغتمّ

الحسن ، فوجههما إلي أبيهما ، فقلت : يا سلمان ، بحقّ الصداقة والأخوة التي بيني وبينك ، وبحقّ دين الإسلام ، إلاّ ما أخبرتني كيف حكم أبوهما بينهما ؟ فقال : لمّا أتيا إلي أبيهما ، وتأمّل حالهما رقّ لهما ، ولم يرد أن يكسر قلب أحدهما ، قال لهما : امضيا إلي أمّكما ، فهي تحكم بينكما .

فأتيا إلي أمّهما ، وعرضا عليها ما كتبا في اللوح ، وقالا : يا أمّاه ، إنّ جدّنا أمرنا أن نتكاتب ، فكلّ من كان خطّه أحسن تكون قوّته أكثر ، فتكاتبنا وجئنا إليه ، فوجهنا إلي أبينا ، فلم يحكم بيننا ، ووجهنا إليك ، فتفكّرت فاطمة بأنّ جدّهما وأباهما ما أرادا كسر خاطرهما ، أنا ماذا أصنع ؟ وكيف أحكم بينهما ؟ فقالت لهما :يا قرّتي عيني ، إنّي أقطع قلادتي علي رأسكما ، فأيّكما يلتقط من لؤؤا أكثر كان خطّه أحسن ، وتكون قوّته أكثر .

قال : وكان في قلادتها سبع لؤؤت ، ثم إنّها قامت ، فقطعت قلادتها علي رأسهما ، فالتقط الحسن ثلاث لؤؤت ، والتقط الحسين ثلاث لؤؤت ، وبقيت الأخري ، فأراد كلّ منهما تناولها ، فأمر اللّه – تعالي – جبرئيل بنزوله إلي الأرض ،

وأن يضرب بجناحه تلك اللؤؤة ، ويقدّها نصفين ، فأخذ كلّ منهما نصفا .

فانظر – يا يزيد – كيف رسول اللّه صلي الله عليه و آله لم يدخل علي أحدهما ألم ترجيح الكتابة ، ولم يرد كسر قلبهما ، وكذلك أمير المؤنين وفاطمة عليهماالسلام ، وكذلك ربّ العزّة لم يرد كسر قلب أحدهما ، بل أمر من قسم اللؤؤة بينهما لجبر قلبهما ، وأنت هكذا تفعل بابن بنت رسول اللّه ؟ ! أفّ لك ولدينك يا يزيد .

ثم إنّ النصراني نهض إلي رأس الحسين عليه السلام ، واحتضنه وجعل يقبّله ، وهو يبكي ويقول : يا حسين ، اشهد لي عند جدّك محمد المصطفي ، وعند أبيك علي المرتضي ، وعند أمّك فاطمة الزهراء ، صلوات اللّه عليهم أجمعين(1) .

1- المنتخب : 1/63 ، بحار الأنوار : 45/189 ح36 .

حبس أهل البيت عليهم السلام في خرابة الشام

وفي اليوم الأخير أمر الملعون يزيد أن يحبسوا أهل البيت عليهم السلام ، وأمر بالرأس المقدّس المطهّر أن يصلب علي باب المسجد الجامع ، ليراه كلّ من يروح ويغدو .

وروي الصدوق في الأمالي بسنده عن فاطمة بنت علي عليهماالسلام قالت : ثم إنّ يزيد - لعنه اللّه - أمر بنساء الحسين ، فحبس مع علي بن الحسين عليهماالسلام في محبس ، لا يكنّهم من حرّ ولا قرّ ، حتي تقشّرت وجوههم .

ولم يرفع ببيت المقدس حجر علي وجه الأرض إلاّ وجد تحته دم عبيط ، وأبصرالناس الشمس علي الحيطان حمراء ، كأنّها الملاحف المعصفرة ، إلي أن خرج علي بن الحسين بالنسوة ، وردّ رأس الحسين عليه السلام إلي كربلاء عليهم السلام(1) .

صلب الرأس المقدّس علي باب دار يزيد لعنه اللّه وخروج هند زوجة يزيد الي المجلس العام

وقال صاحب المناقب : أنّ يزيد - لعنه اللّه - أمر بأن يصلب الرأس علي باب داره ، وأمر بأهل بيت الحسين عليه السلام أن يدخلوا داره ، فخرجت هند بنت عبد اللّه بن عامر بن كريز امرأة يزيد - وكانت قبل ذلك تحت الحسين عليه السلام - حتي شقّت الستر ، وهي حاسرة ، فوثبت إلي يزيد ، وهو في مجلس عام ، فقالت : يا يزيد ، أرأس ابن فاطمة بنت رسول اللّه مصلوب علي فناء بابي ، فوثب إليها يزيد ، فغطاها وقال : نعم ، فاعولي عليه ! يا هند ، وأبكي علي ابن بنت رسول اللّه ! وصريخة قريش ! عجّل عليه ابن زياد - لعنه اللّه - فقتله ، قتله اللّه (2) ! !

الرأس المقدّس والأنبياء عليهم السلام

1- أمالي الصدوق : 231 ح243 ، بحار الأنوار : 45/140 .

2- بحار الأنوار : 45/142 باب 39 .

روي القطب الراوندي عن الأعمش حديثا طويلاً فيه : . . وأمر بالرأس ، فأدخل القبّة التي بإزاء المجلس الذي يشرب فيه .

قال الرجل : ووكّلنا بالرأس – وكنّا أربعين رجلاً – ، وكان في قلبي ما رأيت من هـذا الرأس من العجائب ، فلم يحملني النوم في تلك القبّة ، فلمّا دخل الليل ، فلمّا مضي وهن من الليل سمعت دويّا من السماء ، وإذا مناديا ينادي : يا آدم اهبط ، فهبط أبو البشر ، ومعه خلق كثير من الملائكة ، ثم سمعت دويّا كالأول ، فإذا مناد ينادي :

يا إبراهيم اهبط ، فهبط ، ومعه كثير من الملائكة ، ثم سـمعت مناديا ينادي : اهبط ياموسـي ، فهبط مع ملائكة ، وسـمعت مناديا ينادي : يا عيسي اهبط ، فهبط ، ومعه ملائكة ، ثم سمعت دويّا عظيما ، ومناد ينادي : يا محمد اهبط ، فهبط ، ومعه خلق كثير من الملائكة ، فأحدقت الملائكة بالقبة . . ثم إنّ النبي صلي الله عليه و آله دخل القبّة فأخذ الرأس منها .

وفي رواية : قعد محمد صـلي الله عليه و آله – لما أصابه من هول المصـيبة – تحت الرأس ، فانحني الرمح ، ووقع الرأس في حجره ، فأخذه وجاء به إلي آدم عليه السلام ، فقال : يا أبي ، يا آدم ، ما تري ما فعلت أمّتي بولدي من بعدي ؟

وفي رواية القطب الراوندي : فأقبل صـلي الله عليه و آله يسـعي حتي انكب علي ثنايا الحسين يقبّلهما ، وهو يقول : يا ولدي قتلوك ؟ أتراهم ما عرفوك ؟ ومن شرب الماء منعوك(1) ؟ ومن قفاك ذبحوك ؟ .

قال الرجل : فاقشـعر لذلك جلدي ، ثم قام جبرئيل ، فقال : يا محمد ، أنا صاحب الزلازل ، فأمرني لأزلزل بهم الأرض ، وأصيح بهم صيحة يهلكون فيها ، فقال : لا ، قال : يا محمد ، دعني وهؤلاء الأربعين الموكّلين بالرأس ، قال : فدونك ، فجعل ينفخ

1- بحار الأنوار : 45/195 باب 39 .

بواحـد واحـد فيهلك ، فدنا منّي وقال : أتسـمع وتري ؟ فقال النبي صـلي الله عليه و آله : دعوه دعوه ، لا يغفر اللّه له(1) ، فتركني ، وأخذوا الرأس وولوا ، فافتقد الرأس من تلك الليلة ، فما عرف له خبر(2) .

أجل ، أخذوه معهم ليزوره أهل السـماوات ، ويكون مصباحا في محافل عزاء الكروبيين ، ومآتم الروحانيين ، لينظروا كيف قطعوا رأس زين السماوات ، وحملوهعلي الرمح ، وصلبوه علي باب دار يزيد الداعر .

فإذا كان قد صلبه يزيد – اللعين – علي باب داره ليراه المتردّدون ، فيفرحون ويشمتون ، ولسلطان يزيد يعظّمون ، فإنّ أهل السماوات أخذوه ليزوروه ، وينظروا اليه ويبكوه ، وينادون : وا حسيناه ، وا مظلوماه ، وا ذبيحاه .

فيا عزيزي ، لو أنّ أهل الشام عيّدوا ولبسوا الجديد لقتل فلذّة كبد الزهراء البتول سـيد الشـهداء الحسـين عليه السـلام ، فإنّ الكروبيين لبسوا عليه ثياب المصيبة ، وندبوه وصرخوا : وا ويلاه ، وا مصيبتاه .

ولنعم ما قال الشاعر :

وأُقيم عيد في الشآم كما أقا

مت في السماء له الملائك مأتما

اللّه أكبر يا له من حادث

أمسي له الأفق المنوّر مظلما

اللّه أكبر يا له من حادث

أبكي المشاعر والمقام وزمزما

بأبي الدماء السائلات وأرؤسا

في العاسلات تضاهي الأنجما

بأبي البطون الطاويات من الطوي

بأبي الشفاه الذابلات من الظما

بأبي الوجوه الحائلات من الجفا

بأبي العيون الساهرات السهما

1- الخرائج والجرائح :2/581 .

2- بحار الأنوار : 45/186 باب 39 .

إعتراض سفير الروم في مجلس يزيد لعنه الله

اعلم ، أنّ المستفاد من تضاعيف الأخبار ، أنّ يزيد – لعنه اللّه – أحضر أهل البيت في مجلسه عدّة مرات طيلة فترة وجودهم في الشام ، وكان يحضر معهم الرأس المقدّس الس مجلسه المشؤوم ، ولم يتبرد حزازات غيظه المنحوس بالمرّة والمرتين .

روي عن زين العابدين عليه السلام : أنّه لمّا أتي برأس الحسين إلي يزيد كان يتخذ مجالس الشراب ، ويأتي برأس الحسين ، ويضعه بين يديه ، ويشرب عليه ، فحضرفي مجلسه ذات يوم رسول ملك الروم ، وكان من أشراف الروم وعظمائهم ، فقال : يا ملك العرب ، هذا رأس من ؟ فقال له يزيد : ما لك ولهذا الرأس ؟ فقال : إنّي إذا رجعت إلي ملكنا يسألني عن كلّ شيء رأيته ، فأحببت أن أخبره بقصّة هذا الرأس وصاحبه ، حتي يشاركك في الفرح والسرور ، فقال له يزيد : هذا رأس الحسين بن علي بن أبي طالب ، فقال الرومي : ومن أمّه ؟ فقال : فاطمة بنت رسول اللّه .

فقال النصراني : أفّ لك ولدينك ، لي دين أحسن من دينك ، إنّ أبي من حوافد داود عليه السلام ، وبيني وبينه آباء كثيرة ، والنصاري يعظموني ، ويأخذون من تراب قدمي ، تبرّكا بأبي من حوافد داود ، وأنتم تقتلون ابن بنت رسول اللّه ، وما بينه وبين نبيكم إلاّ أم واحدة ؟ فأيّ دين دينكم ؟

ثم قال ليزيد : هل سمعت حديث كنيسة الحافر ؟ فقال له : قل حتي أسمع ، فقال : بين عمان والصين بحر مسيرة سنة ، ليس فيها عمران إلاّ بلدة واحدة في وسط الماء ، طولها ثمانون فرسخا في ثمانين ، ما علي وجه الأرض بلدة أكبر منها ، ومنها يحمل الكافور والياقوت ، أشجارهم العود والعنبر ، وهي في أيدي النصاري ، لا ملك لأحد من الملوك فيها سواهم ، وفي تلك البلدة كنائس كثيرة ، أعظمها كنيسة الحافر ، في محرابها حقّة ذهب ، معلّقة فيها حافر ، يقولون : إنّ هذا حافر حمار كان

يركبه عيسي ، وقد زيّنوا حول الحقّة بالذهب والديباج ، يقصدها في كلّ عام عالم من النصاري ، ويطوفون حولها ويقبّلونها ، ويرفعون حوائجهم إلي اللّه تعالي ، هذا شأنهم ودأبهم بحافر حمار ، يزعمون أنّه حافر حمار كان يركبه عيسي نبيهم ، وأنتم تقتلون ابن بنت نبيكم ؟ فلا بارك اللّه تعالي فيكم ، ولا في دينكم .

فقال يزيد : اقتلوا هذا النصراني ، لئلا يفضحني في بلاده ، فلمّا أحسّ النصراني بذلك ، قال له : تريد أن تقتلني ؟ قال : نعم ، قال : اعلم ، أنّي رأيت البارحة نبيّكم فيالمنام يقول لي : يا نصراني ، أنت من أهل الجنّة ، فتعجّبت من كلامه ، وأنا أشهد أن لا إله إلاّ اللّه ، وأنّ محمدا رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، ثم وثب إلي رأس الحسين ، فضمّه إلي صدره ، وجعل يقبّله ويبكي حتي قتل(1) .

ولنعم ما قال الشاعر :

يرحّب قوم حافرا زعم أنّه

لمركوب بعض الأنبياء الذي مضي

ويقتل قوم ابن بنت نبيه

تأمّل بانصاف تري منتهي الشقا

كلام رأس الجالوت

وقال السيد ابن طاووس : وروي ابن لهيعة عن أبي الأسود محمد بن عبد الرحمن قال : لقيني رأس الجالوت ، فقال : واللّه إنّ بيني وبين داود لسبعين أبا ، وإنّ اليهود

تلقاني فتعظّمني ، وأنتم ليس بينكم وبين ابن نبيكم إلاّ أب واحد قتلتموه ؟ !(2) .

فيا صاح أجزع من يزيد وجوره

وبغي أهالي الضيم والبغي والردي

ألمّوا بأمر ليس يعهد مثل

وهمّوا بنكر سيئه لم يكن يري

إي واللّه لقد ألمّوا بأمر لم يعهد مثله أبدا ، ولم يسمع بمثله أبدا ، فيا عزيزي ، من ذا سمع من قبل أنّ رأس ابن بنت نبي يحمل الي مجلس « ما بارح اللهو والخمرا » ،

1- اللهوف : 190 ، بحار الأنوار : 45/141 باب 39 .

2- اللهوف : 188 ، بحار الأنوار : 45/141 باب 39 .

وتضرب ثناياه بالعود ، ويسبي أهل بيته ويحبسون ويعرضون علي الخاص والعام ؟ !

لا غرو إن ناحت عليه سماؤها

أو ضجّت الأملاك في أقطارها

أو مادت الأرضون بعد قرارها

أو ناحت الأطيار في الأوكار

إعتراض الإمام السجاد عليه السلام علي خطيب يزيد اللعين

قال السيد ابن طاووس وصاحب المناقب وغيرهم – والألفاظ متقاربة – : ودعا يزيد الخاطب ، وأمره أن يصعد المنبر فيذمّ الحسين وأباه – صلوات اللّه عليهما – ،فصعد وبالغ في ذمّ أمير المؤنين والحسين الشهيد – صلوات اللّه عليهما – ، والمدح لمعاوية ويزيد ، فصاح به علي بن الحسين عليهماالسلام : ويلك أيّها الخاطب ، اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق ، فتبوأ مقعدك من النار .

ولقد أحسن ابن سنان الخفاجي في وصف أمير المؤنين عليه السلام بقوله :

أعلي المنابر تعلنون بسبّه

وبسيفه نصبت لكم أعوادها

ثم قال علي بن الحسين عليهماالسلام : يا يزيد ائذن لي حتي أصعد هذه الأعواد ، فأتكلّم بكلمات للّه فيهن رضا ، ولهؤاء الجلساء فيهن أجر وثواب ، فأبي يزيد عليه ذلك ، فقال الناس : يا أمير المؤنين ، ائذن له فليصعد المنبر ، فلعلّنا نسمع منه شيئا ، فقال : إنّه إن صعد لم ينزل إلاّ بفضيحتي وبفضيحة آل أبي سفيان ، فقيل له : يا أمير المؤنين ، وما قدر ما يحسن هذا ؟ ! فقال : إنّه من أهل بيت قد زقّوا العلم زقّا .

خطبة السجاد عليه السلام في مجلس يزيد

فلم يزالوا به حتي أذن له ، فصعد المنبر ، فحمد اللّه وأثني عليه ، ثم خطب خطبة أبكي منها العيون ، وأوجل منها القلوب .

ثم قال : أيّها الناس ، أعطينا ستا ، وفضّلنا بسبع : أعطينا العلم ، والحلم ، والسماحة ، والفصاحة ، والشجاعة ، والمحبّة في قلوب المؤنين ، وفضّلنا بأنّ منّا

النبي المختار محمـدا ، ومنّا الصـدّيق ، ومنّا الطيار ، ومنّا أسـد اللّه وأسـد رسوله ، ومنّا سـبطا هـذه الأمّـة ، من عرفني فقد عرفني ، ومن لـم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي .

أيّهـا النـاس ، أنا ابن مكـة ومني ، أنا ابن زمزم والصـفا ، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الردا ، أنا ابن خير من ائتزر وارتـدي ، أنا ابن خير من انتعـل واحتفي ، أنـا ابن خير من طاف وسـعي ، أنا ابن خير من حـجّ ولبّي ، أنا ابن من حمل علي البراق في الهواء ، أنا ابن من أسـري به من المسـجد الحرام إلي المسـجد الأقصي ، أنا ابن منبلغ به جبرئيل إلي سدرة المنتهي ، أنا ابن من « دَنا فَتَدَلّي فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْني » ، أنا ابن من صلّي بملائكة السماء ، أنا ابن من أوحي إليه الجليل ما أوحي ، أنا ابن محمد المصطفي .

أنا ابن علي المرتضـي ، أنا ابن من ضـرب خراطيم الخلق حتي قالوا : لا إله إلاّ اللّه ، أنا ابن من ضـرب بين يدي رسول اللّه بسـيفين ، وطعن برمحين ، وهاجر الهجرتين ، وبايع البيعتين ، وقاتل ببدر وحنين ، ولم يكفر باللّه طرفة عين ،

أنا ابن صالح المؤنين ، ووارث النبيين ، وقامع الملحدين ، ويعسوب المسـلمين ، ونور المجاهدين ، وزين العابدين ، وتاج البكاءين ، وأصبر الصابرين ، وأفضل القائمين من آل ياسين ، رسول ربّ العالمين .

أنا ابن المؤد بجبرئيل ، والمنصور بميكائيل ، أنا ابن المحامي عن حرم المسـلمين ، وقاتل المارقين والناكثين والقاسطين ، والمجاهد أعداءه النـاصبين ، وأفخر من مشـي من قريش أجمعين ، وأول من أجاب واسـتجاب للّه ولرسوله من المؤنين ، وأول السابقين ، وقاصم المعتـدين ، ومبيد المشركين ، وسهم من مرامي اللّه علي المنافقين ،

ولسان حكمة العابدين ، وناصـر دين اللّه ، وولّي أمر اللّه ، وبسـتان حكمة اللّه ، وعيبة علمه ، سمح ، سخي ، بهي ، بهلول ، زكي ، أبطحي ، رضي ، مقدام همام ، صابر صوّام ، مهذّب قوّام ، قاطع الأصلاب ، ومفرّق الأحزاب ، أربطهم عنانا ، وأثبتهم

جنانا ، وأمضاهم عزيمة ، وأشدّهم شكيمة ، أسد باسل ، يطحنهم في الحروب إذا ازدلفت الأسنة ، وقربت الأعنة طحن الرحي ، ويذروهم فيها ذرو الريح الهشيم ، ليث الحجاز ، وكبش العراق ، مكي مدني ، خيفي عقبي ، بدري أحدي ، شجري مهاجري ، من العرب سيدها ، ومن الوغي ليثها ، وارث المشعرين ، وأبو السبطين الحسن والحسين ، ذاك جدّي علي بن أبي طالب .

ثم قال : أنا ابن فاطمة الزهراء ، أنا ابن سيدة النساء ، أنا ابن خديجة الكبري ، أناابن المقتلول ظلما ، أاا ابن محزوز الرأس من القفا ، أنا ابن العطشان حتي قضي ، أنا ابن طريح كربلا ، أنا ابن مسلوب العمامة والردا ، أنا ابن من بكت عليه ملائكة السما ، أنا ابن من ناحت عليه الجن في الأرض والطير في الهوا ، أنا ابن من رأسه علي السنان يهدي ، أنا ابن من حرمه من العراق إلي الشام تسبي .

أيّها الناس ، إنّ اللّه – تعالي وله الحمد – ابتلانا أهل البيت ببلاء حسن حيث جعل راية الهدي والعدل والتقي فينا ، وجعل راية الضلالة والردي في غيرنا . .

فزع يزيد من خطبة السجاد عليه السلام

فلم يزل يقول : أنا أنا ، حتي ضجّ الناس بالبكاء والنحيب ، وخشي يزيد – لعنه اللّه – أن يكون فتنة ، فأمر المؤن ، فقطع عليه الكلام .

فلمّا قال المؤن : اللّه أكبر ، اللّه أكبر ، قال علي عليه السلام : لا شيء أكبر من اللّه ، فلمّا

قال : أشهد أن لا إله إلاّ اللّه ، قال علي بن الحسين عليهماالسلام : شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي .

فلمّا قال المؤن : أشهد أنّ محمدا رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، التفت من فوق المنبر إلي يزيد ، فقال : محمد هذا جدّي أم جدّك يا يزيد ؟ فإن زعمت أنّه جدّك فقد كذبت وكفرت ، وإن زعمت أنّه جدّي ، فلم قتلت عترته ؟ ولم قتلت أبي ، وسبيت حرمه ، وسبيتني ؟

ثم قال : معاشر الناس ، هل فيكم من أبوه وجدّه رسول اللّه صلي الله عليه و آله ؟ فعلت الأصوات بالبكاء(1) .

كلام الإمام السجاد عليه السلام مع المنهال

فقام إليه رجل من شيعته يقال له « المنهال بن عمرو الطائي(2) » - وفي رواية :مكحول صاحب رسول اللّه صلي الله عليه و آله - ، فقال له : كيف أمسيت يا ابن رسول اللّه ؟ فقال : ويحك ، كيف أمسيت ؟ أمسينا فيكم كهيئة بني إسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم ، وأمست العرب تفتخر علي العجم بأنّ محمدا منها ، وأمسي آل محمد مقهورين مخذولين ، فإلي اللّه نشكو كثرة عدوّنا ، وتفرّق ذات بيننا ، وتظاهر الأعداء علينا(3) .

إعتراض حبر من أحبار اليهود في مجلس يزيد لعنه اللّه

وروي أنّه كان في مجلس يزيد هذا حبر من أحبار اليهود ، فقال : من هذا الغلام يا أمير المؤنين ؟ قال : هو علي بن الحسين عليهماالسلام ، قال : فمن الحسين ؟ قال : ابن علي بن أبي طالب ، قال : فمن أمّه ؟ قال : أمّه فاطمة بنت محمد ، فقال الحبر : يا سبحان اللّه ! فهذا بن بنت نبيكم قتلتموه في هذه السرعة ؟ ! بئسما خلّفتموه في ذريّته ، واللّه لو ترك فينا موسي بن عمران سبطا من صلبه لظننا أنا كنّا نعبده من دون ربّنا ، وأنتم إنّما فارقكم نبيكم بالأمس ، فوثبتم علي ابنه فقتلتموه ، سوأة لكم من أمّة .

قال : فأمر به يزيد - لعنه اللّه - فوجئ في حلقه ثلاثا ، فقام الحبر وهو يقول : إن شئتم فاضربوني ، وإن شئتم فاقتلوني ، أو فذروني ، فإنّي أجد في التوراة أنّ من قتل

1- المناقب : 4/168 ، بحار الأنوار : 45/137 باب 39 .

2- في المتن : « الطائفي » .

3- اللهوف : 222 ، المناقب : 4/412 ، بحار الأنوار : 45/137 .

ذريّة نبي لا يزال ملعونا أبدا ما بقي ، فإذا مات يصليه اللّه نار جهنّم(1) .

وروي أنّ الإمام السجاد عليه السلام نزل عن المنبر ، ولم يصلّ معهم وقال : لا حاجة لي بالصلاة معكم(2) .

رؤيا سكينة المظلومة عليهاالسلام في شام المحنة والبلاء

روي السيد ابن طاووس وابن نما وغيرهما قصة رؤيا سكينة عليهاالسلام بألفاظ مختلفة ومعاني متقاربة ، فقالوا :

أنّ سكينة بنت الحسين عليهماالسلام قالت : يا يزيد ، رأيت البارحة رؤا ، إن سمعتها منّي قصصتها عليك .

وكان دخول أهل البيت الي الشام برواية السيد ابن طاووس يوم الأربعاء .

فقال يزيد : هاتي ما رأيتي .

قالت : بينما أنا ساهرة ، وقد كللت من البكاء بعد أن صلّيت ودعوت اللّه بدعوات ، فلمّا رقدت عيني رأيت أبواب السماء قد تفتّحت ، وإذا أنا بنور ساطع من السماء إلي الأرض ، وإذا أنا بوصائف من وصائف الجنّة ، وإذا أنا بروضة خضراء ، وفي تلك الروضة قصر ، وإذا أنا بخمس مشايخ يدخلون إلي ذلك القصر ، وعندهم وصيف ، فقلت : يا وصيف ، أخبرني لمن هذا القصر ؟ فقال : هذا لأبيك الحسين ، أعطاه اللّه تعالي ثوابا لصبره .

فقلت : ومن هذه المشايخ ؟ فقال : أمّا الأول : فآدم أبو البشر ، وأمّا الثاني : فنوح

نبي اللّه ، وأمّا الثالث : فإبراهيم خليل الرحمن ، وأمّا الرابع : فموسي الكليم .

فقلت له : ومن الخامس الذي أراه قابضا علي لحيته باكيا حزينا من بينهم ؟

1- المنتخب : 2/481 ، بحار الأنوار : 45/140 .

2- في المقتل لأبي مخنف : 144 : « فَلَمْ يَرُدُ - أي يزيد - عَلَيْهِ - أي علي الإمام السجاد عليه السلام - جَوابا ، وَدَخَلَ دارَهُ ، وَقالَ : لا حاجَةَ لي بِالصَّلوةِ » .

فقال لي : يا سكينة ، أما تعرفه ؟ فقلت : لا ، فقال : هذا جدّك رسول اللّه .

فقلت له : إلي أين يريدون ؟ فقال : إلي أبيك الحسين ، فقلت : واللّه لألحقن جدّي وأخبرنه بما جري علينا ، فسبقني ولم ألحقه .

فبينما أنا متفكّرة ، وإذا بجدّي علي بن أبي طالب ، وبيده سيفه ، وهو واقف ، فناديته : يا جدّاه ، قتل – واللّه – ابنك من بعدك ، فبكي ، وضمّني إلي صدره ، وقال :يا بنيّة صبرا ، واللّه المستعان ، ثم إنّه مضي ، ولم أعلم إلي أين ؟ فبقيت متعجبة كيف لم أعلم به ؟

فبينما أنا كذلك ، إذا بباب قد فتح من السماء ، وإذا بالملائكة يصعدون وينزلون علي رأس أبي .

وفي رواية أخري : أنّ سكينة قالت : ثم أقبل عليّ رجل درّيّ اللون ، قمري الوجه ، حزين القلب ، فقلت للوصيف : من هذا ؟ فقال : جدّك رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، فدنوت منه ، وقلت له : يا جدّاه ، قتلت – واللّه – رجالنا ، وسفكت – واللّه – دماؤا ، وهتكت – واللّه – حريمنا ، وحملنا علي الأقتاب من غير وطاء ، نساق إلي يزيد ، فأخذني إليه ، وضمّني إلي صدره ، ثم أقبل علي آدم ونوح وإبراهيم وموسي ، ثم قال لهم : ما ترون إلي ما صنعت أمّتي بولدي من بعدي ؟ ثم قال الوصيف : يا سكينة ، اخفضي صوتك ، فقد أبكيتي رسول اللّه صلي الله عليه و آله .

ثم أخذ الوصيف بيدي ، فأدخلني القصر ، وإذا بخمس نسوة قد عظم اللّه خلقتهن ، وزاد في نورهن ، وبينهنّ امرأة عظيمة الخلقة ، ناشرة شعرها ، وعليها ثياب سود ، وبيدها قميص مضمّخ بالدم ، وإذا قامت يقمن معها ، وإذا جلست يجلسن معها ، فقلت للوصيف : ما هؤاء النسوة اللاتي قد عظم اللّه خلقتهن ؟ فقال : يا سكينة ، هذه حواء أم البشر ، وهذه مريم ابنة عمران ، وهذه خديجة بنت خويلد ، وهذه هاجر ، وهذه سارة ، وهذه التي بيدها القميص المضمّخ ، وإذا قامت يقمن معها ، وإذا جلست يجلسن معها ، هي جدّتك فاطمة الزهراء .

فدنوت منها ، وقلت لها : يا جدّتاه ، قتل – واللّه – أبي ، وأوتمت علي صغر سنّي ، يا أمّاه ، جحدوا – واللّه – حقّنا ، يا أمّاه ، بدّدوا – واللّه – شملنا ، يا أمّاه ، استباحوا – واللّه – حريمنا ، يا أمّاه ، واللّه قتلوا الحسين أبانا ، فضمّتني إلي صدرها ، وبكت شديدا ، وبكين النساء كلّهن ، وقلن لها: يا فاطمة يحكم اللّه بينك وبين يزيد يوم فصل القضاء.

ثم قالت لي : كفي يا سكينة ، فقد أحرقت كبدي ، وقطّعت نياط قلبي ، يا سكينة ،وهذا قميص أبيك الحسين معي لا أفارقه حتي ألقي اللّه وأشكو اليه .

ثم إنّ يزيد تركها ولم يعبأ بقولها ، وروي أنّه لمّا سمع يزيد ذلك لطم علي وجهه النحس ، وبكي وقال : ما لي ولقتل الحسين(1) ؟ .

رؤيا هند زوجة يزيد لعنه اللّه

ونقل عن هند زوجة يزيد قالت : كنت أخذت مضجعي ، فرأيت بابا من السماء وقد فتحت ، والملائكة ينزلون كتائب كتائب إلي رأس الحسين ، وهم يقولون : السلام عليك يا أبا عبد اللّه ، السلام عليك يا ابن رسول اللّه .

فبينما أنا كذلك ، إذ نظرت إلي سحابة قد نزلت من السماء ، وفيها رجال كثيرون ، وفيهم رجل درّيّ اللون ، قمري الوجه ، فأقبل يسعي حتي انكب علي ثنايا الحسين يقبّلهما ، وهو يقول : يا ولدي قتلوك ؟ أتراهم ما عرفوك ؟ ومن شرب الماء منعوك ؟ يا ولدي أنا جدّك رسول اللّه ، وهذا أبوك علي المرتضي ، وهذا أخوك الحسن ، وهذا عمّك جعفر ، وهذا عقيل ، وهذان حمزة والعباس ، ثم جعل يعدّد أهل بيته واحدا بعد واحد .

قالت هند : فانتبهت من نومي فزعة مرعوبة ، وإذا بنور قد انتشر علي رأس الحسين ، فجعلت أطلب يزيد ، وهو قد دخل إلي بيت مظلم ، وقد دار وجهه إلي

1- المنتخب : 2/479 ، بحار الأنوار : 45/193 ، الأنوار النعمانية : 3/254 .

الحائط ، وهو يقول : ما لي وللحسين ؟ وقد وقعت عليه الهمومات ، فقصصت عليه المنام ، وهو منكس الرأس .

فلمّا أصبح استدعي بحرم رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، فقال لهن : أيّما أحبّ إليكن : المقام عندي ، أو الرجوع إلي المدينة ، ولكم الجائزة السنية ؟

أهل البيت عليهم السلام يقيمون العزاء في الشام

قالوا : نحبّ أولاً أن ننوح علي الحسين ، قال : افعلوا ما بدا لكم .

ثم أخليت لهن الحجر والبيوت في دمشق ، ولم تبق هاشمية ولا قرشية إلاّ ولبست السواد علي الحسين ، وندبوه - علي ما نقل - سبعة أيام(1) .

وروي أنّهم ما برحوا يبكون عليه صباحا ومساءا طليلة وجودهم في الشام .

وروي أنّ يزيد - لعنه اللّه - نزل عن غضبه شيئا ما ، فما كان يتغدّي ولا يتعشّي حتي يحضر علي بن الحسين(2) .

وقال أبو مخنف : وأمر بأهل بيت الحسين عليه السلام أن يدخلوا داره ، فلمّا دخلت النسوة دار يزيد لم يبق من آل معاوية ، ولا أبي سفيان أحد إلاّ استقبلهن بالبكاء والصراخ والنياحة علي الحسين عليه السلام ، وألقين ما عليهن من الثياب والحلي(3) .

لهفي علي بنات أمير المؤمنين عليه السلام حينما رأين بنات آل أبي سفيان في القصور مصونة ، وما عليهن من الحلي والحلل ، تذكرن سبيهن وما جري لهن ، فبكين وأقمن المأتم ثلاثة أيام .

أيزيد ترفل في الحرير تجبّرا

وحسين في حرّ الشموس مضيّع

1- المنتخب : 2/482 ، بحار الأنوار : 45/196 .

2- بحار الأنوار : 45/142 باب 39 .

3- بحار الأنوار : 45/143 باب 39 .

وبنات هند في القصور تنعّمت

وبنو البتولة في البراري جوّع

مثل السبايا بل أذلّ يشقّ من-

-هنّ الخمار ويستباح البرقع

فمصفّد في قيده لا يفتدي

وكريمة تسبي وقرط تنزع

ص: 501

المجلس الرابع عشر: في دخول أهل البيت الي المدينة المنوّرة

اشارة

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

الحمد للّه علي المصائب الفادحات ، والفوادح الجاريات ، والصلاة والسلام علي سيّدنا محمد أشرف الكائنات ، وأزهر النجوم العاليات ، وعلي أهل بيته الشموس الضاحيات ، والبدور الضائيات .

سيّما علي فرخه وشبله ، صاحب المحن الهائلات ، والفتن الحاريات ، التي لم يسمع بمثلها في القرون الخاليات ، ولم تر نحوها عين في الأيام السالفات ، صاحب الدموع الهاطلات ، والعيون الساهرات ، والبطون الضامرات ، والقلوب الصاديات ، والشفاه الذابلات ، والأفواه اليابسات ، والأكباد الطاميات ، والدماء الجاريات ، والجروح الصاهيات ، والنحور الداميات ، والأبدان الباليات ، والأجسام العاريات .

الذي أحاطته الكلاب العاويات ، والسباع الضاريات ، بالسيوف الباترات ، والسهام النافذات .

فيا ليت لفاطمة وأبيها عينا تنظر اليه ، وهو مطروح علي الأرض كالوغير ، فزوّاره السهام النافذات ، وعوّاده السيوف القاطعات ، طبابه الرماح الطاعنات ، ودواؤه الدماء الجاريات ، أكفانه عشير الشافيات ، ندّابه البنات الحاسرات ، شيّاعه الأرامل البارزات ، ترضضه الخيول العاديات ، وتسفو عليه الرياحالسافيات ، وهو سليل خير البريّات ، وخليفة باري ء الموجودات .

فلعنة اللّه علي من أسّس هذا ، ومن بني عليه بنيانه ، وختم ظلمه وعداوته ، لعنة متّصلة دائمة باقية ، ما دامت الأرضون والسماوات ، وأشرقت البارقات .

وبعد : قال اللّه سبحانه في كتابه العزيز :

« وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً » .

* * *

حكم من قتل مظلوما

ما ورد في الآية الشريفة حكم عام ، فمن قتل مظلوما ، فقد جعل اللّه لوليّه سلطانا ، وجعله منصورا ، فإن إقتص الولي من القاتل في هذه النشأة فقد حقّق سلطانه ، وإن عجز عن ذلك فإنّه موعود بالإنتقام من القاتل في الرجعة ألبتة .

روي عن الإمام أبي إبراهيم موسي بن جعفر عليهماالسلام قال : لترجعن نفوس ذهبت ، وليقتصّن يوم يقوم ، ومن عذب يقتصّ بعذابه ، ومن أغيظ أغاظ بغيظه ، ومن قتل اقتصّ بقتله ، ويرد لهم أعداؤم معهم حتي يأخذوا بثأرهم ، ثم يعمرون بعدهم ثلاثين شهرا ، ثم يموتون في ليلة واحدة ، قد أدركوا ثارهم ، وشفوا أنفسهم ، ويصير عدوّهم إلي أشدّ النار عذابا ، ثم يوقفون بين يدي الجبار – عزّ وجلّ – فيؤذ لهم بحقوقهم(1) .

المنتقم للحسين عليه السلام

روي العياشي في تفسيره عن أبي جعفر عليه السلام أنّ هذه الآية نزلت في الحسين بنعلي

عليهماالسلام(2) .

1- بحار الأنوار : 53/44 باب 29 ح16 .

2- تفسير العياشي : 2/29 ح65 ، بحار الأنوار : 44/218 ح6 .

وفي رواية أخري عن الباقر عليه السلام في قوله « وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً » قال : هو الحسين بن علي عليهماالسلام قتل مظلوما ، ونحن أولياؤ ، والقائم منّا إذا قام طلب بثأر الحسين عليه السلام ، فيقتل حتي يقال : قد أسرف في القتل .

وقال : المقتول الحسين ، ووليّه القائم ، والإسراف في القتل أن يقتل غير قاتله ، « إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً » ، فإنّه لا يذهب من الدنيا حتي ينتصر برجل من آل رسول اللّه - عليهم الصلاة والسلام - يملأ الأرض قسطا وعدلاً كما ملئت جورا وظلما(1) .

وفي الكافي عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ الراوي : سَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - « وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ » ، قَالَ : نَزَلَتْ فِي الْحُسَيْنِ عليه السلام ، لَوْ قُتِلَ أَهْلُ الأَرْضِ بِهِ مَا كَانَ سَرَفاً(2) .

يستفاد من هذا التفسير أنّهم عليهم السلام فسّروا « فَلا يُسْرِفْ » بصيغة النفي ، فيكون حاصل المعني : أنّنا جعلنا لوليّ المقتول سلطانا ، وهو لا يسرف في القتل مهما قتل من القوم ، لأنّ هذا الدم ليس كباقي الدماء ، بل هو دم لو أريق من أجله دماء أهل الأرض ما كان سرفا ، بل يستحقّ أن ينقلب من أجله الكون كلّه .

فناقة صالح ليست أكرم من هذا الدم ، وقد أهلك اللّه من أجلها عدّة آلاف ، ولا دم يحيي أكرم منه ، وقد قتل اللّه من أجله سبعين ألفا ، ومصيبة قوم لوط ليست أعظم من هذه المصيبة ، وقد قلب اللّه بهم الأرض ، ومعصية أصحاب شيث ليست أعظم من معصية هؤلاء القتلة ، وقد أهلك اللّه قوم شيث بمعصيتهم .

إي واللّه ، لا إسراف في القتل ، حتي لو هلك فيه أهل الأرض جميعا ، ولا ظلم في

1- بحار الأنوار : 44/218 باب 28 ح7 .

2- الكافي : 8/255 ح364 .

معاقبة من باشر الغدر ، سيما أنّ صاحب الأمر – صلوات اللّه عليه – يحكم بحكم الباطن ، كحكم معلّم موسي عليه السلام ، ولا يحكم بالظاهر ليكون غير المباشر غير مشارك في القصاص ، وقد ورد في الأخبار : ألا وإنّ الراضين بقتل الحسين عليه السلام شركاء قتلته ، ألا وإنّ قتلته وأعوانهم وأشياعهم والمقتدين بهم برآء من دين اللّه (1) ، وسيقوم عمّا قريب منادي الحقّ تصحبه الملائكة المقرّبون وهو ينادي : « يا لثارات الحسين » .

روي الكليني عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْقَاسِمِ الْبَطَلِ عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام فِي قَوْلِهِ تَعَالَي « وَقَضَيْنا إِلي بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأَرْضِ مَرَّتَيْنِ » قَالَ : قَتْلُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليهماالسلام ، وَطَعْنُ الْحَسَنِ عليه السلام ، « وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً » قَالَ : قَتْلُ الْحُسَيْنِ عليه السلام ، « فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما » ، فَإِذَا جَاءَ نَصْرُ دَمِ الْحُسَيْنِ عليه السلام « بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجاسُوا خِلالَ الدِّيارِ » ، قَوْمٌ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ قَبْلَ خُرُوجِ الْقَائِمِ عليه السلام ، فَلا يَدَعُونَ وَتْراً لآلِ مُحَمَّدٍ إِلاَّ قَتَلُوهُ ، « وَكانَ وَعْداً مَفْعُولاً » خُرُوجُ الْقَائِمِ(2) .

وروي أنّه لمّا وقع الحسين عليه السلام وكان يستغيث فلا يغاث ضجت الملائكة إلي اللّه – عزّ وجلّ – بالبكاء والنحيب ، وقالوا : إلهنا وسيدنا ، أتغفل عمّن قتل صفوتك وابن صفوتك ، وخيرتك من خلقك ، فأوحي اللّه – عزّ وجلّ – إليهم قرّوا ملائكتي ، فو عزّتي وجلالي ، لأنتقمن منهم ولو بعد حين .

ثم كشف اللّه – عزّ وجلّ – عن الأئمة من ولد الحسين عليهم السلام للملائكة ، فسرّت الملائكة بذلك، فإذا أحدهم قائم يصلّي، فقال اللّه – عزّ وجلّ – : بذلك القائم أنتقم منهم(3).

ثم قال : يا ملائكتي ، أنّي قتلت بيحيي بن زكريا سبعين ألفا ، وأقتل بالحسين منبني أمية سبعين ألفا ، وسبعين ألفا(4) ، ولهم في الآخرة عذاب عظيم .

1- تفسير الإمام العسكري عليه السلام : 396 .

2- الكافي : 8/206 ح250 .

3- بحار الأنوار : 45/221 باب 41 ح4 .

4- في المناقب : 4/81 : في تاريخ بغداد وخراسان والإبانة والفردوس : قال ابن عباس : أوحي اللّه تعالي إلي محمد صلي الله عليه و آله : أنّي قتلت بيحيي بن زكريا سبعين ألفا ، وأقتل بابن بنتك سبعين ألفا ، وسبعين ألفا .

إشارة الي أيام ظهور صاحب الأمر صلوات اللّه عليه

روي في البحار في كتاب الغيبة ، وغيره عن المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام حديثا مفصلاً طويل¨ عن أيام ظهور الإمام صاحب الأمر عليه السلام وأحواله ، وفيه أسئلة كثيرة يسألها المفضل والإمام يجيبه ، وفيه :

. .لم يزل – الحسني – يقتل الظلمة حتي يرد الكوفة ، وقد صفا أكثر الأرض ، فيجعلها له معقلاً ، فيتّصل به وبأصحابه خبر المهدي عليه السلام ، ويقولون : يا ابن رسول اللّه من هذا الذي قد نزل بساحتنا ؟ فيقول : اخرجوا بنا إليه حتي ننظر من هو ؟ وما

يريد ؟ وهو واللّه يعلم أنّه المهدي ، وإنّه ليعرفه ، ولم يرد بذلك الأمر إلاّ ليعرف

أصحابه من هو .

فيخرج الحسني فيقول : إن كنت مهدي آل محمد ، فأين هراوة جدّك رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، وخاتمه ، وبردته ، ودرعه الفاضل ، وعمامته السحاب ، وفرسه اليربوع ، وناقته العضباء ، وبغلته الدلدل ، وحماره اليعفور ، ونجيبه البراق ، ومصحف أمير المؤنين عليه السلام ؟ فيخرج له ذلك .

ثم يأخذ الهراوة ، فيغرسها في الحجر الصلد وتورق ، ولم يرد ذلك إلاّ أن يري أصحابه فضل المهدي عليه السلام حتي يبايعوه ، فيقول الحسني : اللّه أكبر ، مدّ يدك يا ابن رسول اللّه حتي نبايعك ، فيمدّ يده فيبايعه ، ويبايعه سائر العسكر الذي مع الحسني . .

قال المفضل : يا مولاي ، ثم ما ذا يصنع المهدي ؟

قال : يثور سرايا علي السفياني إلي دمشق ، فيأخذونه ويذبحونه علي الصخرة .ثم يظهر الحسين عليه السلام في اثني عشر ألف صدّيق ، واثنين وسبعين رجلاً أصحابه يوم كربلاء ، فيا لك عندها من كرّة زهراء بيضاء .

ثم يخرج الصدّيق الأكبر أمير المؤنين علي بن أبي طالب عليه السلام ينصب له القبّة بالنجف ، ويقام أركانها : ركن بالنجف ، وركن بهجر ، وركن بصنعاء ،

وركن بأرض طيبة ، لكأنّي أنظر إلي مصابيحه تشرق في السماء والأرض ، كأضواء من الشمس والقمر ، فعندها « تُبْلَي السَّرائِرُ » و« تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمّا أَرْضَعَتْ » . . إلي آخر الآية .

ثم يخرج السيد الأكبر محمد رسول اللّه صلي الله عليه و آله في أنصاره والمهاجرين ، ومن آمن به وصدّقه واستشهد معه ، ويحضر مكذّبوه والشاكّون فيه ، والرادّون عليه ، والقائلون فيه : إنّه ساحر وكاهن ومجنون وناطق عن الهوي ، ومن حاربه وقاتله ، حتي يقتصّ منهم بالحقّ ، ويجازون بأفعالهم منذ وقت ظهر رسول اللّه صلي الله عليه و آله إلي ظهور المهدي ، مع إمام إمام ، ووقت وقت ، ويحقّ تأويل هذه الآية « وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَي الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهامانَ وَجُنُودَهُما مِنْهُمْ ما كانُوا يَحْذَرُونَ » .

قال المفضل : يا سيدي ، ومن فرعون وهامان ؟ قال : أبو بكر وعمر .

قال المفضل : قلت : يا سيدي ، ورسول اللّه صلي الله عليه و آله وأمير المؤنين عليه السلام يكونان معه ؟ فقال : لابد أن يطأ الأرض إي واللّه حتي ما وراء القاف ، إي واللّه وما في الظلمات ، وما في قعر البحار ، حتي لا يبقي موضع قدم إلاّ وطئا ، وأقاما فيه الدين الواجب للّه تعالي .

ثم لكأنّي أنظر – يا مفضل – إلينا معاشر الأئمة بين يدي رسول اللّه صلي الله عليه و آله نشكو إليه ما نزل بنا من الأمّة بعده ، وما نالنا من التكذيب والردّ علينا ، وسبّنا ولعننا ، وتخويفنا بالقتل ، وقصد طواغيتهم الولاة لأمورهم من دون الأمّة بترحيلنا عن الحرم إلي دار ملكهم ، وقتلهم إيانا بالسمّ والحبس ، فيبكي رسول اللّه صلي الله عليه و آله ويقول :يا بني ما نزل بكم إلاّ ما نزل بجدّكم قبلكم .

تظلّم فاطمة عليهاالسلام في الرجعة

ثم تبتدئ فاطمة عليهاالسلام وتشكو ما نالها من أبي بكر وعمر ، وأخذ فدك منها ، ومشيها إليه في مجمع من المهاجرين والأنصار ، وخطابها له في أمر فدك ،

وما ردّ عليها من قوله : إنّ الأنبياء لا تورث ، واحتجاجها بقول زكريا ويحيي عليهماالسلام ، وقصّة داود وسليمان عليهماالسلام ، وقول عمر : هاتي صحيفتك التي ذكرت أنّ أباك كتبها لك ، وإخراجها الصحيفة ، وأخذه إيّاها منها ، ونشره لها علي رؤوس الأشهاد من قريش والمهاجرين والأنصار وسائر العرب ، وتفله فيها ، وتمزيقه إيّاها ، وبكائها ، ورجوعها إلي قبر أبيها رسول اللّه صلي الله عليه و آله باكية حزينة ، تمشي علي الرمضاء ، قد أقلقتها ، واستغاثتها باللّه وبأبيها رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، وتمثّلها بقول رقيقة بنت صيفي :

قد كان بعدك أنباء وهنبثة

لو كنت شاهدها لم يكبر الخطب

إنّا فقدناك فقد الأرض وابلها

واختل أهلك فاشهدهم فقد لعبوا

أبدت رجال لنا فحوي صدورهم

لمّا نأيت وحالت دونك الحجب

لكلّ قوم لهم قرب ومنزلة

عند الإله علي الأدنين مقترب

يا ليت قبلك كان الموت حلّ بنا

أملوا أناس ففازوا بالذي طلبوا

وتقصّ عليه قصّة أبي بكر ، وإنفاذه خالد بن الوليد وقنفذا وعمر بن الخطاب ، وجمعه الناس لإخراج أمير المؤنين عليه السلام من بيته إلي البيعة في سقيفة بني ساعدة ، واشتغال أمير المؤنين عليه السلام بعد وفاة رسول اللّه صلي الله عليه و آله بضمّ أزواجه ، وقبره ، وتعزيتهم ، وجمع القرآن ، وقضاء دينه ، وإنجاز عداته ، وهي ثمانون ألف درهم ، باع فيها تليده وطارفه ، وقضاها عن رسول اللّه صلي الله عليه و آله .

وقول عمر : اخرج - يا علي - إلي ما أجمع عليه المسلمون وإلاّ قتلناك ، وقول فضة - جارية فاطمة - : إنّ أمير المؤنين عليه السلام مشغول ، والحقّ له إن أنصفتم منأنفسكم وأنصفتموه ، وجمعهم الجزل والحطب علي الباب لإحراق بيت أمير المؤنين وفاطمة والحسن والحسين وزينب وأم كلثوم وفضة .

وإضرامهم النار علي الباب ، وخروج فاطمة إليهم ، وخطابها لهم من وراء الباب ، وقولها : ويحك يا عمر ، ما هذه الجرأة علي اللّه وعلي رسوله ؟ تريد أن تقطع نسله من الدنيا وتفنيه وتطفئ نور اللّه ؟ « وَاللّهُ مُتِمُّ نُورِهِ » ، وانتهاره لها ، وقوله :

كفّي يا فاطمة ، فليس محمد حاضرا ، ولا الملائكة آتية بالأمر والنهي والزجر من عند اللّه ، وما علي إلاّ كأحد المسلمين ، فاختاري : إن شئت خروجه لبيعة أبي بكر ،

أو إحراقكم جميعا ؟ فقالت وهي باكية : اللّهم إليك نشكو فقد نبيك ورسولك وصفيك ، وارتداد أمّته علينا ، ومنعهم إيّانا حقّنا الذي جعلته لنا في كتابك المنزل علي نبيك المرسل ، فقال لها عمر : دعي عنك - يا فاطمة - حمقات النساء ، فلم يكن اللّه ليجمع لكم النبوة والخلافة .

وأخذت النار في خشب الباب ، وإدخال قنفذ يده - لعنه اللّه - يروم فتح الباب ، وضرب عمر لها بالسوط علي عضدها حتي صار كالدملج الأسود ، وركل الباب برجله حتي أصاب بطنها ، وهي حاملة بالمحسن لستة أشهر ، وإسقاطها إيّاه ، وهجوم عمر وقنفذ وخالد بن الوليد ، وصفقه خدّها حتي بدا قرطاها تحت خمارها ، وهي تجهر بالبكاء ، وتقول : وا أبتاه ، وا رسول اللّه ، ابنتك فاطمة تكذّب ، وتضرب ، ويقتل جنين في بطنها ؟ !

وخروج أمير المؤنين عليه السلام من داخل الدار محمّر العين حاسرا ، حتي ألقي ملاءته عليها ، وضمّها إلي صدره ، وقوله لها : يا بنت رسول اللّه ، قد علمتي أنّ أباك بعثه اللّه رَحْمَةً لِلْعالَمِينَ ، فاللّه اللّه أن تكشفي خمارك ، وترفعي ناصيتك ، فو اللّه - يا فاطمة - لئن فعلت ذلك لا أبقي اللّه علي الأرض من يشهد أنّ محمدا رسول اللّه ، ولا موسي ،

ولا عيسي ، ولا إبراهيم ، ولا نوح ، ولا آدم ، ولا دابة تمشي علي الأرض ، ولا طائرا في السماء ، إلاّ أهلكه اللّه . ثم قال : يا ابن الخطاب ، لك الويل من يومك هذا ،وما بعده ، وما يليه ، اخرج قبل أن أشهر سيفي فأفني غابر الأمّة .

فخرج عمر وخالد بن الوليد وقنفذ وعبد الرحمن بن أبي بكر ، فصاروا من خارج الدار ، وصاح أمير المؤنين بفضة : يا فضة ، مولاتك ، فاقبلي منها ما تقبله النساء ، فقد جاءها المخاض من الرفسة ، وردّ الباب ، فأسقطت محسنا ، فقال أمير المؤنين عليه السلام : فإنّه لاحق بجدّه رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، فيشكو إليه .

وحمـل أمير المؤنين لها – في سواد الليل – والحسن والحسـين وزينب وأم كلثوم – وهـم أفلاذ كبـد الرسول صـلي الله عليه و آله – إلي دور المهاجرين والأنصار ، يذكرهم باللّه ورسوله ، وعهده الذي بايعوا اللّه ورسوله ، وبايعوه عليه ، في أربعة مواطن في حياة رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، وتسليمهم عليه بإمرة المؤنين في جميعها ، فكلّ يعده بالنصر في يومه المقبل ، فإذا أصبح قعد جميعهم عنه .

تظلّم أمير المؤمنين عليه السلام

ثم يشـكو إليه أمير المؤنين عليه السـلام المحن العظيمـة التي امتحن بها بعـده ، وقوله لقد كانت قصّتي مثل قصّة هارون مع بني إسـرائيل ، وقولي كقوله لموسي : « يا ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْداءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ » .

فصبرت محتسبا ، وسلّمت راضيا ، وكانت الحجّة عليهم في خلافي ، ونقضهم عهدي الذي عاهدتهم عليه ، يا رسول اللّه .

واحتملت – يا رسول اللّه – ما لم يحتمل وصـي نبي من سائر الأوصـياء من سائر الأمم ، حتي قتلوني بضـربة عبد الرحمن بن ملجم ، وكان اللّه الرقيب عليهم في نقضـهم بيعتي ، وخروج طلحـة والزبير بعائشة إلي مكة يظهران الحج والعمرة ، وسـيرهم بها إلي البصـرة ، وخروجي إليهم ، وتذكيري لهم اللّه وإياك ، وما جئت به – يا رسول اللّه – فلم يرجعا ، حتي نصـرني اللّه عليهما ، حتي أهرقت دماء عشـرين ألف من المسـلمين ، وقطعت سـبعون كفّا علي زمـام الجمل ، فما لقيت في غزواتك – يا رسول اللّه – بعـدك أصـعب يوما منه أبـدا ، لقـد كان من أصـعب الحروب التي لقيتهـا وأهولها أعظمها .فصبرت كما أدّبني اللّه بما أدّبك به – يا رسول اللّه – في قوله – عزّ وجلّ – « فَاصْبِرْ كَما صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ » ، وقوله « وَاصْبِرْ وَما صَبْرُكَ إِلاّ بِاللّهِ » ، وحقّ واللّه

– يا رسول اللّه – تأويل الآيـة التي أنزلها اللّه في الأمّـة من بعـدك في قوله « وَما مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَـدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلي أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلي عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشّاكِرِينَ » .

تظلّم الحسن المجتبي عليه السلام

يا مفضل ، ويقوم الحسن عليه السلام إلي جدّه صلي الله عليه و آله فيقول : يا جدّاه كنت مع أمير المؤنين في دار هجرته بالكوفة ، حتي استشهد بضربة عبد الرحمن بن ملجم – لعنه اللّه – ، فوصّاني بما وصّيته يا جدّاه .

وبلغ اللعين معاوية قتل أبي ، فأنفذ الدعي اللعين زيادا إلي الكوفة في مائة ألف وخمسين ألف مقاتل ، فأمر بالقبض عليّ ، وعلي أخي الحسين ، وسائر إخواني وأهل بيتي ، وشيعتنا وموالينا ، وأن يأخذ علينا البيعة لمعاوية ، فمن يأبي منّا ضرب عنقه ، وسيّر إلي معاوية رأسه ، فلمّا علمت ذلك من فعل معاوية خرجت من داري ، فدخلت جامع الكوفة للصلاة ، ورقات المنبر ، واجتمع الناس ، فحمدت اللّه وأثنيت عليه ، وقلت :

معشر الناس ، عفت الديار ، ومحيت الآثار ، وقلّ الإصطبار ، فلا قرار علي همزات الشياطين ، وحكم الخائنين ، الساعة – واللّه – صحّت البراهين ، وفصلّت الآيات ، وبانت المشكلات ، ولقد كنّا نتوقّع تمام هذه الآية تأويلها ، قال اللّه – عزّ وجلّ – : « و ما مُحَمَّدٌ إِلاّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ ماتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلي أَعْقابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلي عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللّهُ الشّاكِرِينَ » ، فلقد مات واللّه جدّي رسول اللّه صلي الله عليه و آله ، وقتل أبي عليه السلام ، وصاح الوسواس الخناس في قلوب الناس ، ونعق ناعق الفتنة ، وخالفتم السنة ، فيا لها من فتنة صماء عمياء ، لايسمع لداعيها ، ولا يجاب مناديها ، ولا يخالف واليها ، ظهرت كلمة النفاق ، وسيّرت رايات أهل الشقاق ، وتكالبت جيوش أهل المراق من الشام والعراق .

هلمّوا – رحمكم اللّه – إلي الافتتاح ، والنور الوضّاح ، والعلم الجحجاح ، والنور الذي لا يطفي ، والحقّ الذي لا يخفي .

أيّها الناس ، تيقّظوا من رقدة الغفلة ، ومن تكاثف الظلمة ، فو الذي فلق الحبّة وبرأ النسمة وتردّي بالعظمة ، لئن قام إليّ منكم عصبة بقلوب صافية ،

ونيات مخلصة ، لا يكون فيها شوب نفاق ، ولا نية افتراق ، لأجاهدنّ بالسيف قدما قدما ، ولأضيقن من السيوف جوانبها ، ومن الرماح أطرافها ، ومن الخيل سنابكها ، فتكلّموا – رحمكم اللّه – .

فكأنّما ألجموا بلجام الصمت عن إجابة الدعوة ، إلاّ عشرون رجلاً ، فإنّهم قاموا إليّ فقالوا : يا ابن رسول ، اللّه ما نملك إلاّ أنفسنا وسيوفنا ، فها نحن بين يديك ، لأمرك طائعون ، وعن رأيك صادرون ، فمرنا بما شئت ، فنظرت يمنة ويسرة ، فلم أر أحدا غيرهم ، فقلت : لي أسوة بجدّي رسول اللّه حين عبد اللّه سرّا ، وهو يومئذ في تسعة وثلاثين رجلاً ، فلمّا أكمل اللّه له الأربعين صار في عدّة ، وأظهر أمر اللّه ، فلو كان معي عدّتهم جاهدت في اللّه حقّ جهاده .

ثم رفعت رأسي نحو السماء ، فقلت : اللّهم إنّي قد دعوت وأنذرت ، وأمرت ونهيت ، وكانوا عن إجابة الداعي غافلين ، وعن نصرته قاعدين ، وعن طاعته مقصّرين ، ولأعدائه ناصرين ، اللّهم فأنزل عليهم رجزك وبأسك وعذابك الذي لا يردّ عن القوم الظالمين ، ونزلت .

ثم خرجت من الكوفة راحلاً إلي المدينة ، فجاءوني يقولون : إنّ معاوية أسري سراياه إلي الأنبار والكوفة ، وشنّ غاراته علي المسلمين ، وقتل من لم يقاتله ، وقتل

النساء والأطفال ، فأعلمتهم أنّه لا وفاء لهم ، فأنفذت معهم رجالاً وجيوشا ، وعرفتهم أنّهم يستجيبون لمعاوية ، وينقضون عهدي وبيعتي ، فلم يكن إلاّ ما قلتلهم وأخبرتهم .

تظلّم سيد الشهداء عليه السلام وأصحابه

ثم يقوم الحسين عليه السلام مخضّبا بدمه ، هو وجميع من قتل معه ، فإذا رآه رسول اللّه صلي الله عليه و آله بكي ، وبكي أهل السماوات والأرض لبكائه ، وتصرخ فاطمة عليهاالسلام ، فتزلزل الأرض ومن عليها ، ويقف أمير المؤنين والحسن عليهماالسلام عن يمينه ، وفاطمة عن شماله ، ويقبل الحسين عليه السلام فيضمّه رسول اللّه صلي الله عليه و آله إلي صدره ، ويقول :

يا حسين فديتك ، قرّت عيناك وعيناي فيك ، وعن يمين الحسين حمزة أسد اللّه في أرضه ، وعن شماله جعفر بن أبي طالب الطيار ، ويأتي محسن تحمله خديجة بنت خويلد وفاطمة بنت أسد أم أمير المؤنين عليهماالسلام ، وهن صارخات ، وأمّه فاطمة تقول : « هذا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ » ، اليوم « تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً وَما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً » .

قال : فبكي الصادق عليه السلام حتي أخضلّت لحيته بالدموع ، ثم قال : لا قرّت عين لا تبكي عند هذا الذكر .

قال : وبكي المفضل بكاء طويلاً ، ثم قال : يا مولاي ، ما في الدموع يا مولاي ؟

فقال : ما لا يحصي . .

قال الصادق عليه السلام : تقوم فاطمة بنت رسول اللّه صلي الله عليه و آله فتقول : اللّهم أنجز وعدك وموعدك لي فيمن ظلمني وغصبني وضربني وجزعني بكلّ أولادي ، فتبكيها ملائكة السماوات السبع وحملة العرش ، وسكان الهواء ، ومن في الدنيا ، ومن تحت أطباق الثري ، صائحين صارخين إلي اللّه تعالي ، فلا يبقي أحد ممّن قاتلنا وظلمنا ورضي بما جري علينا إلاّ قتل في ذلك اليوم ألف قتلة(1) . .

والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة إختصارا .

عاقبة الظالمين

أجل ، إنّ هؤلاء ظلموا أنفسهم ، وإشتروا عذاب اللّه بجورهم ، وظنّوا أنّهم يطفئون نور اللّه بأفواههم وأيديهم ، وفاتهم أنّهم عملوا علي إظهار أمر الأبرار ، وزادوا في سعادتهم ، وأعلوا رتبهم ومنزلتهم ، وأعدّوا لأنفسهم العذاب الأليم الدائم ، واللعن السرمدي المتفاقم ، وإستحقوا بأعمالهم غضب اللّه وغضب رسوله الرؤوف الراحم .

1- بحار الأنوار : 53/15 باب 28 .

وفاتهم أنّ ما تعرّضوا له من عذاب الدنيا سهل يسير إذا ما واجهوا غدا عذاب الآخرة الذي أعدّه اللّه لهم يوم الفضيحة ، يوم يقوم الناس لربّ العالمين ، فيطالبهم اللّه بهذا الدم المقدّس ، فقد ورد عن الصادق عليه السلام أنّه قال : ذاك دم يطلب اللّه تعالي به(1) . .

ما أعظم ذلك الموقف ، يوم يأتي الحسين عليه السلام يحمل رأسه فوق يديه ، وأوداجه تشخب دما ، ويأتي أصحابه مضرجين بدمائهم ، فيضطرب المحشر ، وتشهق فاطمة عليهاالسلام شهقة يتزلزل لها العرش . .

ما أعظم ما فعلوه ! ما أكبر الفتنة التي أثاروها ، ما أشدّ الفساد الذي نشروه ، وأفسدوا به العالم ، إنّهم صدعوا قلب الرسول صلي الله عليه و آله ، وأبكوا عيون المقرّبين ، وأحزنوا حملة العرش والكروبيين ، فقد قتلوا رجلاً لا تفتر الملائكة والمخلوقات عن البكاء عليه حتي يحشر الناس الي يوم الدين ، وأحرقوا بقتله قلوب العالمين من الجن والأنس أجمعين .

إنّهم قتلوا ريحانة رسول ربّ العالمين ، وقطّعوا إربا إربا قلب فاطمة الزهراء عليهاالسلام ، ورضّوا بضعة النبي الأمين صلي الله عليه و آله ، وإجتزوا رأس حبيب الجبارذي القوة المتين .

رحم اللّه السيد مهدي الطباطبائي حيث يقول :

ما آمن القوم قدما أو هم كفروا

من بعد إيمانهم لو أنّهم شعروا

قد حاربوا المصطفي في حرب عترته

ولو أغاثهم في حربه ابتدروا(2)

لا كان ينزل عن سلطانه ملكولا لمنيته الساعي لها يذر

مهما نسيت فلا أنسي الحسين وقدكرّت علي قتله الأفواج والزمر

1- الأمالي للطوسي : 161 المجلس 6 ، بحار الأنوار : 45/313 ح14 .

2- قال رسول اللّه صلي الله عليه و آله : « حربك حربي وسلمك سلمي » . منه رحمه الله .

كم قام فيهم خطيبا منذرا وتلاأي فما أغنت الآيات والنذر

قال إنسبوني فجدّي أحمد وسلواما قال فيّ فلم يكذبكم الخبر(1)

دعوتموني لنصري أين نصركموأين ما خطّت الأقلام والزبر

منعتمونا عن الماء المباح وقدأضحت تناهله الأوغاد والغمر

هل من مغيث يغيث الآل من ظمأبشربة من نمير ما لها خطر

هل يرحم الراحم الطفل الرضيع فقدجفّ الرضاع وما للطفل مصطبر

هل من نصير محام أو أخي حسبيرعي النبي فما حاموا ولا نصروا

تلك الرزايا لو أنّ القلب من حجرأصمّ كان لأدناهن ينفطر

نقمة اللّه علي قاتلي الحسين عليه السلام في الدنيا

اعلم ، أنّ هؤلاء القوم المجرمين ذاقوا وبال فعلهم في الدنيا ، فبين من قتل في غاية الذلّ والهوان ، وبين من إبتلي بالعمي ، أو اليبس والجفاف ، أو الشلل والفالج ، أو الجنون ، وغيرها من البلايا حتي ماتوا وإلتحقوا بالجحيم ، هذا علاوة علي ماينتظرهم في البرزخ من العذاب علي يدي أئمة الدين ، وما أعدّه لهم جبّار السماوات والأرضين ، يوم لا تنفعهم شفاعة الشافعين .

سأل عبد اللّه بن رباح القاضي أعمي عن عمائه ، فقال : كنت حضرت كربلاء وما قاتلت ، فنمت فرأيت شخصا هائلاً قال لي : أجب رسول اللّه ، فقلت : لا أطيق ، فجرّني إلي رسول اللّه ، فوجدته حزينا ، وفي يده حربة ، وبسط قدّامه نطع ، وملك قبله قائم في يده سيف من النار ، يضرب أعناق القوم ، وتقع النار فيهم فتحرقهم ، ثم يحيون ، ويقتلهم أيضا هكذا .

1- وينادي أمّي الزهراء وأبي المرتضي ورسول اللّه جدّي أيّها القوم إرحموني ، وقد قال فيّ رسول اللّه صلي الله عليه و آله : حسين مني وأنا من حسين . منه رحمه الله .

فقلت : السلام عليك يا رسول اللّه ، واللّه ما ضربت بسيف ، ولا طعنت برمح ، ولا رميت سهما ، فقال النبي : ألست كثّرت السواد ؟ فسلّمني ، وأخذ من طست فيه دم ، فكحلني من ذلك الدم ، فاحترقت عيناي ، فلمّا انتبهت كنت أعمي(1) .

وروي عن القاسم بن أصبغ بن نباتة قال : رأيت رجلاً من بني أبان بن دارم ، أسود الوجه ، وكنت أعرفه جميلاً ، شديد البياض ، فقلت له : ما كدت أعرفك ! قال : إنّي قتلت شابا مع الحسين ، بين عينيه أثر السجود ، فما نمت ليلة منذ قتلته إلاّ

أتاني ، فيأخذ بتلابيبي حتي يأتي جهنم ، فيدفعني فيها ، فأصيح فما يبقي أحد في الحيّ

إلاّ سمع صياحي(2) .

وروي أنّه قال القاسم : لقد رأيته علي فرس له مرحا ، وقد علّق الرأس بلبانها ، وهو يصيب ركبتها .

فقلت لأبي : لو أنّه رفع الرأس قليلاً ، أما تري ما تصنع به الفرس بيديها ؟ فقال لي : يا بني ، ما يصنع به أشدّ ، لقد حدثني فقال : ما نمت ليلة منذ قتلته إلاّ أتاني في منامي حتي يأخذ بتلبيبي ، فيقودني فيقول : انطلق گ فينطلق بي إلي جهنم ، فيقذفني فيها حتي أصبح .

قال : فسمعت بذلك جارية له ، فقالت : ما يدعنا ننام شيئا من الليل من صياحه ، قال : فقمت في شباب من الحيّ ، فأتينا امرأته ، فسألناها ، فقالت : قد أبدي علي نفسه ، قد صدقكم(3) .

وروي أنّه ما تلبّس أحد بقتل الحسين عليه السلام إلاّ أصابه بلاء كالجنون والجذام وغيرها ، في أهله ونفسه وماله(4) .

1- بحار الأنوار : 45/303 .

2- بحار الأنوار : 45/306 باب 46 .

3- عقاب الأعمال : 259 ح8 ، بحار الأنوار : 45/308 ح7 .

4- انظر بحار الأنوار : 45/307 ح7 .

وفي حديث آخر عن الصادق عليه السلام قال : إنّ آل أبي سفيان قتلوا الحسين بن علي – صلوات اللّه عليه – فنزع اللّه ملكهم ، وقتل هشام زيد بن علي فنزع اللّه ملكه ، وقتل الوليد يحيي بن زيد فنزع اللّه ملكه(1) .

أجل ، إنّ كلّ من أساء الي المولي عليه السلام لقي جزاءه في الدنيا والآخرة ، وخسرهما معا ، وكلّ من تمسك بعروته ربح الدنيا والآخرة ، وكذا الأمر فيمن زاره ، وأقام العزاء عليه ، أو أعان علي إقامة العزاء ، وبذل الطعام والمال في مجلس عزائه ، أو شارك في عمارة مشهده ، فإنّ له من الأجر الأخروي ما لا يعد ولا يحصي ، إضافة الي الخير والبركة والعزّة وإزدياد المال والرفعة وعلو الشأن في الدنيا ، وهذا ما بالتجربة ودلّت عليه الأخبار .

وكذا من آذي المولي عليه السلام ، أو آذي زوّاره ، ومن أقام العزاء عليه ، فإنّه يخسر الآخرة ، ويخسر الدنيا ، كما هو مشاهد محسوس ملموس ، وقد رويت في ذلك حكايات كثيرة .منها : ما روي من أخذ المسترشد(2) من مال الحائر وكربلاء ، وقال : إنّ القبر لايحتاج إلي الخزانة أنفق علي العسكر ، فلمّا خرج قتل هو وابنه الراشد(3) .

وأقوي شاهد علي ذلك حكاية ابن سعود بن عبد العزيز بن عبد الوهاب وأتباعهم الذين إجتمعوا في « نجد » ، وأبدعوا لهم طريقة ، وهجموا علي البلدان ، فقتلوا الناس قتلاً ذريعا ، وتسلّطوا علي رقاب الناس ، وكانوا يعتقدون – إعتقادا فاسدا – أنّ تشييد القبور وتعظيمها حرام مطلقا ، بل عدّوه كفرا وشركا ، فلمّا وصلوا الي كربلاء المقدّسة قتلوا أربعة آلاف أو أكثر من أهلها ، ونهبوا ما فيها ،

1- ثواب الأعمال :220 ، بحار الأنوار : 45/308 باب 46 ح10 .

2- في المتن : « المعزّ باللّه » .

3- بحار الأنوار : 45/401 ح11 .

وأخذوا ما كان في حرم سيد الشهداء عليه السلام ، وهدموا الضريح ، بل كسروا الصندوق الشريف الموضوع علي القبر المقدّس .

وكانت هذه الواقعة في غدير سنة(1216 ه-) ، وحسابها بالجمل « غدير » .

فلمّا رجع من سفره هذا أدبرت عنه الدنيا ، فما توجّه الي ناحية إلاّ والخذلان يتقدّمه ، وابتلي ببلايا غريبة ، حتي مات ذليلاً وسلطانه في ذروته .

وقد سلّط اللّه عليهم قوما خرّبوا بلادهم وجعلوها قاعا صفصفا ، وأسروا مئتين من أولاده وأقربائه وأبناء عشيرته ، وساقوهم الي مصر ، ثم أرسلوا عشرة من كبارهم الي إسلامبول فأمر السلطان بقتلهم فقتلوهم ، والحمد للّه ربّ العالمين .

عمّر مئة سنة في انتظار دولة القائم عليه السلام

روي ابن قولويه عن معاوية بن وهب قال : كنت جالسا عند جعفر بن محمد عليهماالسلام ، إذ جاء شيخ قد انحني من الكبرّ فقال : السلام عليك ورحمة اللّه ، فقال له أبو عبد اللّه : وعليك السلام ورحمة اللّه ، فقال : يا ابن رسول اللّه ، ناولني يدك

لأقبّلها ، فأعطاه يده فقبّلها ، ثم بكي ، فقال أبو عبد اللّه عليه السلام : وما يبكيك يا شيخ ؟ فقال : جعلت فداك ، أقمت أنتظر علي قائمكم منذ مائة سنة ، أقول : هذا الشهر ،وهذا الشهر ، وهذه السنة وهذه السنة ، وقد كبر سنّي ، ودقّ عظمي ، واقترب أجلي ، ولا أري فيكم ما أحبّ ، أراكم مقتولين مشرّدين ، وأري أعداءكم تطير بالأجنحة ، فكيف لا أبكي ؟

فدمعت عينا أبي عبد اللّه عليه السلام ، ثم قال : يا شيخ ، إن أبقاك اللّه حتي تري قائمنا كنت في السنام الأعلي ، وإن حلّت بك المنيّة جئت يوم القيامة مع ثقل محمد ، فإنّه صلي الله عليه و آله قال : إنّي مخلّف فيكم الثقلين ، فتمسّكوا بهما ، فلن تضلّوا كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي ، فقال الشيخ : إذا لا أبالي بعد ما سمعت هذا الخبر .

ثم قال : يا شيخ ، ما أحسبك من أهل الكوفة ! قال : لا ، قال : فمن أين ؟ قال : من سوادها ، جعلت فداك .

قال : أين أنت من قبر جـدّي المظلوم الحسـين ؟ قال : إنّي لقريب منه ، قال : كيف إتيانك له ؟ قال : إنّي لآتيه وأكثر ، قال : يا شـيخ ، ذاك دم يطلب اللّه تعالي به ، ما أصـيب ولد فاطمة ، ولا يصابون بمثل الحسـين عليه السـلام ، ولقد قتل عليه السـلام في سـبعة عشـر من أهل بيته نصـحوا للّه ، وصبروا في جنب اللّه ، فجزاهم اللّه أحسن جزاء الصابرين ، إنّه إذا كان يوم القيامة أقبل رسول اللّه ، ومعه الحسـين ، ويده علي رأسه يقطر دما ، فيقول : يا ربّ سل أمّتي فيم قتلوا ابني ؟

وقال عليه السلام : كلّ الجزع والبكاء مكروه سوي الجزع والبكاء علي الحسين(1) .

الإنتقام العاجل لدم الحسين عليه السلام

روي ابن عباس قال : أوحي اللّه – تعالي – إلي محمد صـلي الله عليه و آله : إنّي قتلت بيحيي بن زكريا سبعين ألفا ، وأقتل بابن بنتك سبعين ألفا ، وسبعين ألفا .

وقال الصادق عليه السلام : قتل بالحسين عليه السلام مائة ألف ، وما طلب بثأره ، وسيطلببثأره(2) .

وقال الباقر عليه السلام في حديث : . . واللّه لقد قتل قتلة الحسين ، ولم يطلب بدمه بعد(3) .

إنّ دم الحسـين عليه السلام دم لا يكتفي بالإقتصاص من قتلته بقتلة واحدة ، أو يكتفي بقتل المباشرين لقتله ، بل لو أنّ العالم كلّه أهلك في شعرة منه ما كان به ملوما ، ولو انقلب الكون كلّه لما وفي بدمه .

1- أمالي الطوسي : 161 المجلس 6 ح268 ، إرشاد القلوب : 2/405 ، بحار الأنوار : 45/313 باب 46 ح14 .

2- بحار الأنوار : 45/298 ح10 .

3- كامل الزيارات : 134 ح154 ، بحار الأنوار : 45/298 ح6 .

وكيف يفي بقتل من كان بضعة من رسول اللّه ، وكان لحمه وعظمه نبت من لحم رسول اللّه صلي الله عليه و آله وعظمه وبشره ؟

وكيف يفي بقتل من بقتله طمست أعلام الهداية ، وتهدّمت أركان الشريعة ، وإندرست معالم القرآن ، وعطّلت الأحكام ، وضاعت الحقوق .

فالويل للعصاة الفسّاق ، لقد قتلوا بقتله الإسلام ، ونقضوا السنن والأحكام ، وعطّلوا الصلاة والصيام ، وأذلّوا رقاب البررة الكرام ، لقد فقد بقتله التكبير والتهليل ، والتحريم والتحليل ، والتنزيل والتأويل .

ولنعم ما قاله جعفر بن عفّان – وهو من شعراء أهل البيت عليهم السلام – بين يدي الصادق عليه السلام ، فعظّم الصادق عليه السلام شعره ، وأكرمه :

ليبك علي الإسلام من كان باكيا

فقد ضيّعت أحكامه واستحلّت

غداة حسين للرماح ذرية

وقد نهلت منه السيوف وعلّت

وغودر في الصحراء لحما مبدّدا

عليه عناق الطير بانت وظلّت

فما نصرته أمّة السوء إذ دعا

لقد طاشت الأحلام منها وضلّت

ألا بل محوا أنوارهم بأكفّهم

فلا سلمت تلك الأكفّ وشلّت

وناداهم جهرا أنا ابن محمد(1)

فإنّ ابنه من نفسه حيث حلّت

فما حفظوا قرب الرسول وما رعوا

وزلّت بهم أقدامهم واستزلت

فلا قدّس الرحمن أمّة جدّهو

إن هي صامت للإله وصلّت

كما فجعت بنت الرسول بنسلها

وكانوا حماة الحرب حين استقلّت(2)

عودة أهل البيت عليهم السلام الي المدينة

اعلم ، أنّ أهل البيت عليهم السلام قضوا في السبي أيام المحنة الشديدة المرّة ، ولم يترك العين ظلما ولا جورا إلاّ وأنزله فيهم علي أبشع وجه ، ثم إنّه – لعنه اللّه – أباح لهم البكاء علي سيد الشهداء عليه السلام ، فندبوه وبكوه – علي ما نقل – سبعة أيام ، وكان قد أوعد الإمام السجاد بثلاث حاجات يقضيها له .

1- في البحار : « بحقّ محمد » .

2- بحار الأنوار : 45/386 .

فلمّا كان اليوم الثامن أحضر الإمام عليه السلام وقال له : اذكر لي حاجاتك اللاتي وعدتك بهن ، فقال له :

الأولي : أن تريني وجه سيدي وأبي ومولاي الحسين ، فأتزوّد منه ، وأودّعه .

والثانية : أن تردّ علينا ما أخذت منّا .

والثالثة : إن كنت عزمت علي قتلي فوجّه مع هؤلاء النسوة من يردّهن الي حرم جدّهن .

فقال اللعين : أمّا وجه أبيك لن تراه أبدا(1) .

وروي البعض : أنّ الامام السجاد عليه السلام لمّا قال ليزيد : أريد أن تريني وجه أبي ، فقال له : لا تراه أبدا ، كان الرأس في طشت من العسجد ، مغطّي بمنديل ديبقي(2) ، فارتفع المنديل ، وتكلّم الرأس المقطوع بلسان فصيح وقال : السلام عليك ياولداه ، السلام عليك يا علي ، فصاح الامام السجاد عليه السلام وقال : وعليك السلام يا أبتاه ، أيتمتني ، وذهبت – يا ابتاه – عنّي ، وفرّق بيني وبينك ، فها أنا راجع الي حرم

جدّي أودّعك واسترعيك ، وأقرأ عليك السلام ، فضجّ المجلس بالبكاء والعويل حتي إرتجّت الأرض ، فخشي يزيد – لعنه اللّه – من انقلاب الناس(3) ، فتظاهربالخجل .

قال السيد ابن طاووس : ثم قال يزيد : وأمّا قتلك فقد عفوت عنك ، وأمّا النساء فما يؤيهن إلي المدينة غيرك ، وأمّا ما أخذ منكم فأنا أعوضكم عنه أضعاف قيمته .

فقال عليه السلام : أمّا مالك فما نريده ، وهو موفّر عليك ، وإنّما طلبت ما أخذ منّا ، لأنّ فيه مغزل فاطمة بنت محمد صلي الله عليه و آله ومقنعتها وقلادتها وقميصها .

1- المنتخب : 2/483 .

2- نوع من المناديل يجلب من مصر .

3- أسرار الشهادة : 3/895 عن شرح الشافية لأبي فراس .

فأمر بردّ ذلك ، وزاد عليه مائتي دينار ، فأخذها زين العابدين عليه السلام ، وفرّقها في الفقراء والمساكين ، ثم أمر بردّ الأساري وسبايا البتول إلي أوطانهم بمدينة الرسول(1) .

وقال الشيخ المفيد وصاحب المناقب : وروي أنّ يزيد عرض عليهم المقام بدمشق ، فأبوا ذلك ، وقالوا : بل ردّنا إلي المدينة ، فإنّه مهاجر جدّنا صلي الله عليه و آله ، فقال للنعمان بن بشير – صاحب رسول اللّه صلي الله عليه و آله – : جهّز هؤاء بما يصلحهم ، وابعث معهم رجلاً من أهل الشام أمينا صالحا ، وابعث معهم خيلاً وأعوانا ، ثم كساهم وحباهم(2) .

وروي أنّه أحضرهم ، وأحضر لهم المحامل ، وأمر بالأنطاع وصبّ عليهاالأموال ، وقال : يا أم كلثوم ، خذوا هذا المال عوض ما أصابكم ، فقالت أم كلثوم : يا يزيد ، ما أقلّ حياءك ، وأصلب(3) وجهك ، أتقتل أخي وأهل بيتي وتعطيني عوضهم مالاً ؟ ! واللّه لا كان ذلك أبدا(4) ، فواللّه ما كان بدل شعرة ، بل لا يفي بها الدنيا بأسرها .

وقال صاحب المناقب : ثم دعا بعلي بن الحسين عليهماالسلام ، فقال له : لعن اللّه ابن مرجانة ، أما واللّه ، لو كنت صاحبه ما سألني خلّة إلاّ أعطيتها إياه ، ولدفعت عنه

الحتف بكلّ ما قدرت عليه ، ولو بهلاك بعض ولدي ! ولكن قضي اللّه ما رأيت ! ! فكاتبني ، وانه إليّ كلّ حاجة تكون لك ، ثم أوصي بهم الرسول(5) .

1- اللهوف : 194 ، بحار الأنوار : 45/144 باب 39 .

2- بحار الأنوار : 45/146 .

3- في المنتخب : « أصلف » .

4- المنتخب : 2/483 .

5- بحار الأنوار : 45/146 .

زيارة الأربعين

ثم قال السيد ابن طاووس : ولمّا رجعت نساء الحسين عليه السلام وعياله من الشام ، وبلغوا إلي العراق ، قالوا للدليل : مرّ بنا علي طريق كربلاء .

فوصلوا إلي موضع المصرع ودخلوا كربلاء ، أرض المحنة والألم ، والبلاء والعناء ، فوجدوا جابر بن عبد اللّه الأنصاري ، وجماعة من بني هاشم ، ورجالاً من آل رسول اللّه قد وردوا لزيارة قبر الحسين ، المدفون في تلك الصحراء .

إقامة العزاء في كربلاء

فكانوا أول من زار الغريب المتروك بالعراء ، فوافوا في وقت واحد ، وتلاقوا بالبكاء ، والحزن واللطم ، وأقاموا المآتم المقرحة للأكباد ، واجتمع إليهم نساء ذلك

السواد ، وأقاموا علي ذلك أياما(1) .فناح لسان حال بنات طه

وهنّ من الكآبة يرتمينا

فقدنا هاهنا قمرا مضيئا

بنور هداه يهدي التائهينا

فقدنا هاهنا روحا وروحا

وريحانا وزيتونا وتينا

هنا سنّ الحراب علوج حرب

هنا شنّت خيول الحرب فينا

هنا ذبح الحسين بسيف شمر

هنا قد ترّبوا منه الجبينا

هنا العبّاس في يوم عبوس

حيال الماء قد أمسي رهينا

هنا ذبحوا الرضيع بسهم حقد

فما رحموا صغار المرضعينا

هنا طيّرت أسياف جور

أكفّ القانتين المنفقينا

هنا صبغت نواصينا دماء

بذبح بني أمير المؤمنينا

هنا علّوا رؤوس بني علي

ورووس بني عقيل العاقلينا

هنا حرقوا الخيام وأحرقوها

وقسّم فيئنا في الخائنينا

ص: 524

1- بحار الأنوار : 45/146 .

ندبة أهل البيت عليهم السلام في كربلاء

وروي أنّه خرجت زينب عليهاالسلام حتي جاءت عند القبر ، فأهوت الي جيبها فشقّته ، ونادت بصوت حزين يقرح القلوب : وا أخاه ، وا حسيناه ، وا حبيب رسول اللّه ، يا ابن مكة ومني ، يا فاطمة الزهراء ، يا علي المرتضي .

وأمّا أم كلثوم فقد نشرت شعرها ، ولطمت خدّيها ، ونادت برفيع صوتها : اليوم مات جدّي محمد المصطفي ، اليوم مات أبي علي المرتضي ، اليوم حلّ الثكل بالزهراء ، وباقي النساء لاطمات نادبات ناعيات ، قائلات : وا محمداه ، فلمّا رأت سكينة ما حلّ بالنساء ، رفعت صوتها تنادي : وا محمداه ، وا جدّاه(1) . . .قال السيد ابن طاووس : وأقاموا علي ذلك أياما(2) ، وروي أنّهم أقاموا ثلاثة أيام(3) .

أمّا جابر بن عبد اللّه الأنصاري ، ومن صحبه من بني هاشم وغيرهم ، فإنّهم لمّا لاح لهم قبر ريحانة الرسول في تلك البيداء ، صرخوا بصوت واحد : وا حسيناه .

روي عن محمد بن محمد البرسي(4) عن الأعمش عن عطية العوفي قال :

خرجت مع جابر بن عبد اللّه الأنصاري رحمه الله زائرين قبر الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، فلمّا وردنا كربلاء دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل ، ثم ائتزر بإزار ، وارتدي بآخر ، ثم فتح صرّة فيها سعد ، فنثرها علي بدنه ، ثم لم يخط خطوة إلاّ ذكر اللّه ، حتي إذا دنا من القبر قال : ألمسنيه ، فألمسته ، فخرّ علي القبر مغشيّا عليه ، فرششت عليه شيئا من الماء ، فأفاق .

1- الدمعة الساكبة : 5/156 .

2- بحار الأنوار : 45/146 .

3- المنتخب : 2/483 .

4- في المتن : « الطبرسي » .

ثم قال : يا حسين – ثلاثا – .

ثم قال : حبيب لا يجيب حبيبه .

ثم قال : وأنّي لك بالجواب ؟ وقد شحطت(1) أوداجك علي أثباجك ، وفرّق بين بدنك ورأسك(2) . . . ثم زار الإمام الحسين عليه السلام بالزيارة التي ذكرها العلماء في كتبهم .

وقفة مع زيارة الأربعين الأولي

اعلم ، أنّ أكثر العلماء لم يذكروا رجوع أهل البيت من الشام الي كربلاء ، وإنّما ذكر ذلك السيد ابن طاووس .

1- في بعض النسخ : « شخبت » .

2- تتمّة الخبر في بشارة المصطفي : 74 ، بحار الأنوار : 65/130 باب 18 ح62 : فأشهد أنّك ابن النبيين ، وابن سيد المؤنين ، وابن حليف التقوي ، وسليل الهدي ، وخامس أصحاب الكساء ، وابن سيد النقباء ، وابن فاطمة سيدة النساء ، وما لك لا تكون هكذا ؟ وقد غذتك كفّ سيد المرسلين ، وربّيت في حجر المتقين ، ورضعت من ثدي الإيمان ، وفطمت بالإسلام ، فطبت حيّا ، وطبت ميتا ، غير أنّ قلوب المؤنين غير طيبة لفراقك ، ولا شاكة في الخيرة لك ، فعليك سلام اللّه ورضوانه ، وأشهد أنّك مضيت علي ما مضي عليه أخوك يحيي بن زكريا . ثم جال ببصره حول القبر وقال : السلام عليكم أيّها الأرواح التي حلّت بفناء الحسين ، وأناخت برحله ، أشهد أنّكم أقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأمرتم بالمعروف ، ونهيتم عن المنكر ، وجاهدتم الملحدين ، وعبدتم اللّه حتي أتاكم اليقين ، والذي بعث محمدا بالحقّ لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه . قال عطية : فقلت لجابر : وكيف ؟ ولم نهبط واديا ، ولم نعل جبلاً ، ولم نضرب بسيف ، والقوم قد فرّق بين رؤوسهم وأبدانهم ، وأوتمت أولادهم ، وأرملت الأزواج ؟ ! فقال لي : يا عطية ، سمعت حبيبي رسول اللّه صلي الله عليه و آله يقول : من أحبّ قوما حشر معهم ، ومن أحبّ عمل قوم أشرك في عملهم ، والذي بعث محمدا بالحقّ نبيا ، إنّ نيتي ونية أصحابي علي ما مضي عليه الحسين وأصحابه ، خذوا بي نحو أبيات كوفان . فلمّا صرنا في بعض الطريق ، فقال لي : يا عطية ، هل أوصيك ؟ وما أظن أنّني بعد هذه السفرة ملاقيك ، أحبّ محبّ آل محمد ما أحبّهم ، وأبغض مبغض آل محمد ما أبغضهم ، وإن كان صوّاما قوّاما ، وارفق بمحبّ آل محمد ، فإنّه إن تزلّ لهم قدم بكثرة ذنوبهم ثبتت لهم أخري بمحبّتهم ، فإنّ محبّهم يعود إلي الجنّة ، ومبغضهم يعود إلي النار .

فقـد يقول قائل : إذا كانت هـذه الحكايـة صـحيحة ، لـذكرها العلماء من العامة والخاصة الذين ترصّدوا لأخبار المقتل وما جري علي أهل البيت في تواريخهم وكتبهم !

ولو صـحّت الرواية ، فإنّها مسـتبعدة ، لأنّ سـفرهم من كربلاء الي الكوفة ، ومن الكوفة الي الشام ، ومن الشام الي العراق مرّة ثانية ، بالصورة التي يرويها السـيد ابن طاووس نفسه ، حيث ذكر أنّ ابن زياد كتب الي يزيـد يسـتأمره في شأنهم ، وأنّهم لبثوا مـدّة في الشام في الحبس أياما حتي تقشّـرت وجوههم من الحرّ والقرّ ، وأقاموا العزاء سبعة أيام ، فكيف يمكنهم الرجوع والوصول الي كربلاء في العشرين من صفر ؟ سيما إذا علمنا أن المسير من الشام الي المدينة لا يستلزم المروربالعراق ، كما يستفاد من عبارة السيد ؟

وكذا عدم ذكر كيفية زيارة سـيد الساجدين عليه السـلام في يوم الأربعين ، والحال أنّهم ضبطوا زيارة جابر بتفاصيلها ؟ وهذا شاهد آخر علي إستبعاد هذا القول .

إضف الي أنّهم في طريق العودة كانوا لا زالوا في الأسر ، ولا يمكنهم أن يتصرّفوا بدون إذن من يزيد – لعنه اللّه – ، وكونهم إستأذنوا الحادي الأمين معهم لا يغني لأنّه

لا يتصرّف أبدا بدون إذن من الجبار العنيد .

ولكن مع ذلك كلّه ، فإنّ ثبوت هـذه الزيارة غير خارج عن حيّز الإمكان ، وعـدم ذكر العلماء لها أعمّ من عـدم وقوعها ، ولم يثبت لبثهم في الشام أكثر من ثمانية

أيام ، ومن الممكن جدّا أن يذهبوا من العراق الي الشام ، ومن الشام الي العراق في مدّة شهر واحد مثلاً .

ويكفي في إحتمال صـحّة ذلك ما روي في الحكايـة المعروفة عن أبي حنيفة أنّه رأي هلال ذي الحجّة في الكوفة – أو بغداد – ، وأدرك الحجّ في نفس تلك السنة .

وكيف كان ، فإنّ إسـتحباب زيارة الحسـين عليه السلام يوم الأربعين لا علاقة له بحال بهذه الواقعة ، لثبوت زيارته عليه السلام في هذا اليوم بالنصوص والروايات ، بغض النظر

عن الزيارة الأولي وما جري فيها من أحداث ، تماما كإستحباب زيارته في الأول من رجب والنصف منه ، وغيرها من الأوقات المخصوصة ، سواء عرفنا علّة ذلك وحكمته أو لم نعرف . واللّه أعلم .

أهل البيت عليهم السلام يودّعون كربلاء

لمّا أقام أهل البيت مراسم العزاء ، وقضوا مناسك المأتم والزيارة ، وأكثروا من النياحة والبكاء ، عند قبلة العارفين ، ومقصود العالمين .

روي أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام أمر بشدّ رحاله فشدّوها ، وإنبري أهل البيت الي وداع الأحبّة بصورة تحرق الفؤاد ، وتفتت الأكباد .فانكبّت فاطمة بنت الحسين عليهماالسلام علي قبر أبيها ، ثم بكت بكاءا شديدا حتي غشي عليها .

وسالت الدموع كلّ مسيل من قلوب ملتهبة ، وصدور بآهات الفراق محترقة ، فودّعوا قبور الإحباب ، والحماة والأولياء الأطياب ، وساروا يطوون المنازل الي مدينة الرسول صلي الله عليه و آله .

روي صاحب المناقب عن فاطمة بنت أمير المؤمنين عليهماالسلام قالت : قلت لأختي زينب : قد وجب علينا حقّ هذا لحسن صحبته لنا ، فهل لك أن نصله ؟ فقالت : واللّه ما لنا ما نصله به إلاّ أن نعطيه حليّنا .

فأخذت سواري ودملجي ، وسوار أختي ودملجها ، فبعثنا بها إليه ، واعتذرنا من قلّتها ، وقلنا : هذا بعض جزائك ، لحسن صحبتك إيّانا ! فقال : لو كان الذي صنعته للدنيا كان في دون هذا رضاي ، ولكن – واللّه – ما فعلته إلاّ للّه ، وقرابتكم من رسول اللّه صلي الله عليه و آله(1) .

1- بحار الأنوار : 45/146 باب 39 .

دخول أهل البيت عليهم السلام الي المدينة

قال السيد ابن طاووس: ثم انفصلوا من كربلاء طالبين المدينة، قال بشير بن حذلم: فلمّا قربنا منها نزل علي بن الحسين عليهماالسلام ، فحطّ رحله ، وضرب فسطاطه ، وأنزل نساءه ، وقال : يا بشير ، رحم اللّه أباك ، لقد كان شاعرا ، فهل تقدر علي شيء منه ؟

قلت : بلي يا ابن رسول اللّه ، إنّي لشاعر ، قال : فادخل المدينة وانع أبا عبد اللّه عليه السلام.

بشير ينعي الحسين عليه السلام في المدينة

قال بشير : فركبت فرسي وركزت حتي دخلت المدينة ، فلمّا بلغت مسجد النبي صلي الله عليه و آله رفعت صوتي بالبكاء ، وأنشأت أقول :يا أهل يثرب لا مقام لكم بها

قتل الحسين فادمعي مدرار

الجسم منه بكربلاء مضرج

والرأس منه علي القناة يدار

ثم قلت : هـذا علي بن الحسـين مع عمّـاته وأخواته ، قـد حلّوا بسـاحتكم ، ونزلوا بفنائكم ، وأنا رسوله إليكم ، أعرّفكم مكانه ، فما بقيت في المدينة مخدّرة ، ولا محجّبة

إلاّ برزن من خـدورهن ، مكشوفـة شـعورهن ، مخمّشـة وجوههن ، ضاربات خـدودهن ، يدعون بالويل والثبور ، فلم أر باكيا أكثر من ذلك اليوم ، ولا يوما أمرّ علي المسلمين منه ، وسمعت جارية تنوح علي الحسين فتقول :

نعي سيدي ناع نعاه فأوجعا

وأمرضني ناع نعاه فأفجعا

فعينيّ جودا بالدموع وأسكبا

وجودا بدمع بعد دمعكما معا

علي من دهي عرش الجليل فزعزعا

فأصبح هذا المجد والدين أجدعا

علي ابن نبي اللّه وابن وصيّه

وإن كان عنّا شاحط الدار أشسعا

ثم قالت : أيّها الناعي ! جدّدت حزننا بأبي عبد اللّه ، وخدشت منّا قروحا لمّا تندمل ، فمن أنت ؟ رحمك اللّه ، فقلت : أنا بشـير بن حذلم ، وجهني مولاي علي بن الحسين – عليهما الصلاة والسلام – ، وهو نازل في موضع كذا وكذا ، مع عيال أبي عبد اللّه ونسائه .

ص: 529

قال : فتركوني مكاني وبادروا ، فضربت فرسي حتي رجعت إليهم ، فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع ، فنزلت عن فرسي ، وتخطّيت رقاب الناس حتي قربت من باب الفسطاط ، وكان علي بن الحسين عليهماالسلام داخلاً ، ومعه خرقة يمسح بها دموعه ، وخلفه خادم معه كرسي ، فوضعه له ، وجلس عليه ، وهو لا يتمالك من العبرة ، وارتفعت أصوات الناس بالبكاء ، وحنين الجواري والنساء ، والناس من كلّ ناحية يعزّونه ، فضجت تلك البقعة ضجّة شديدة ، فأومأ بيده : أن اسكتوا ، فسكنت فورتهم ، فقال عليه السلام :الْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ ، الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ، مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ، بارئ الخلائقأجمعين ، الذي بعد فارتفع في السماوات العلي ، وقرب فشهد النجوي ، نحمده علي عظائم الأمور ، وفجائع الدهور ، وألم الفجائع ، ومضاضة اللواذع ، وجليل الرزء ، وعظيم المصائب ، الفاضعة الكاظة ، الفادحة الجائحة .

أيّها الناس ، إنّ اللّه – وله الحمد – ابتلانا بمصائب جليلة ، وثلمة في الإسلام عظيمة ، قتل أبو عبد اللّه وعترته ، وسبي نساؤ وصبيته ، وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان ، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية .

أيّها الناس ، فأيّ رجالات منكم يسرّون بعد قتله ؟ أم أيّة عين منكم تحبس دمعها ؟ وتضنّ عن انهمالها ؟ فلقد بكت السبع الشداد لقتله ، وبكت البحار بأمواجها ، والسماوات بأركانها ، والأرض بأرجائها ، والأشجار بأغصانها ، والحيتان ولجج البحار ، والملائكة المقربون ، وأهل السماوات أجمعون .

أيّها الناس ، أيّ قلب لا ينصدع لقتله ؟ أم أيّ فؤد لا يحنّ إليه ؟ أم أيّ سمع يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام ؟

أيّها الناس ، أصبحنا مطرودين مشرّدين مذودين ، شاسعين عن الأمصار ، كأنّا أولاد ترك وكابل ، من غير جرم اجترمناه ، ولا مكروه ارتكبناه ، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها « ما سَمِعْنا بِهذا فِي آبائِنَا الأَوَّلِينَ إِنْ هذا إِلاَّ اخْتِلاقٌ » !

واللّه ، لو أنّ النبي تقـدّم إليهم في قتالنا كما تقدّم إليهم في الوصاءة بنا ، لما ازدادوا علي ما فعلوا بنا ، فإِنّا لِلّهِ وَإِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ من مصـيبة ما أعظمها ! وأوجعها ! وأفجعها ! وأكظّها ! وأفظها ! وأمرّها ! وأفدحها ! فعند اللّه نحتسب فيما أصابنا ، وما بلغ بنا ، إنّه عَزِيزٌ ذُو انْتِقامٍ .

قال : فقام صوحان بن صعصـعة بن صوحان ، وكان زمنا ، فاعتذر إليه – صلوات اللّه عليه – بما عنده من زمانة رجليه ، فأجابه بقبول معذرته ، وحسن الظن فيه ، وشكر له ، وترحّم علي أبيه(1) .

محمد ابن الحنفية يستقبل الضعن

روي أنّ محمد ابن الحنفية ركب جواده حتي خرج من المدينة ، فلم ير إلاّ أعلاما سودا ، فصاح صـيحة عظيمة ، وخرّ عن جواده الي الأرض مغشيا عليه ، فركض الخادم الي زين العابدين عليه السلام، وقال: يامولاي أدرك عمّك قبل أن تفارق روحه الدنيا.

فخرج الإمام عليه السـلام ، وبيـده منـديل يمسح به دموعه ، الي أن أتي الي عمّه ، فأخذ برأسه ، ووضـعه في حجره ، فلمّا أفاق صاح : يا ابن أخي ، أين أخي ؟ أين قرّة عيني ؟ أين ثمرة فؤادي ؟ أين خليفة أبي ؟ أين الحسين عليه السلام أخي ؟ . .

فقال علي عليه السـلام : يا عمّي ، أتيتك يتيما ، ليس معي إلاّ نساء حاسـرات ، في الـذيول عاثرات ، باكيات نادبات ، وللمحامي فاقدات ، يا عمّاه ، لو تنظر الي أخيك ، وهو يستغيث فلايغاث، ويستجير فلايجار، مات وهو عطشان، والماء يشربه كلّ حيوان ...

فصـرخ محمد ابن الحنفية حتي غشـي عليه ، فلمّا أفاق من غشـيته ، قال : قص عليّ – يا ابن أخي – ما أصابكم ، فجعل يقصّ عليه القصّة ، والإمام عليه السلام عيناه كأنّهما ميزابان ، وبيده منديل يمسح بها دموعه(2) . . .

1- بحار الأنوار : 45/147 باب 39 .

2- الدمعة الساكبة : 5/164 .

مرثية أم كلثوم عليهاالسلام في المدينة

وأمّا أم كلثوم فحين توجهت الي المدينة ونظرت حرم جدّها جعلت تبكي وتندب بقلب حزين وتقول :

مدينة جدّنا لا تقبلينا

فبالحسرات والأحزان جينا

ألا فاخبر رسول اللّه عنّا

بأنّا قد فجعنا في أبينا

وأنّ رجالنا بالطف صرعي

بلا رووس وقد ذبحوا البنينا

ألا يا جدّنا إنّا أسرنا

وبعد الأسر إنّا قد سبينا

ورهطك يا رسول اللّه أضحوا

عرايا بالطفوف مسلّبينا

وقد ذبحوا الحسين ولم يراعوا

جنابك يا رسول اللّه فينا

أفاطم لو نظرت الي السبايا

بناتك في البلاد مشتّتينا

أفاطم لو رأيتينا سهاري

ومن سهر الليالي قد عمينا

فلو دامت حياتك لم تزالي

الي القيامة تندبينا

وعرّج بالبقيع وقف وناد

أيا بن حبيب ربّ العالمينا

وقل يا عمّ يا الحسين المزكّي

بنات أخيك أضحوا ضائعينا

أيا عمّاه إنّ أخاك أضحي

بعيدا عنك بالرمضا رهينا

بلا رأس تنوح عليه جهرا

وحوش والطيور الطائرينا

ولو عاينت يا مولاي ساقوا

حريما لا يجدن لهم معينا

علي متن النياق بلا وطاءٍ

وشاهدت الرؤوس مكشّفينا(1)

ندبة زينب عليهاالسلام في المدينة

وأمّا زينب عليهاالسلام ، فأخذت بعضادتي باب المسجد ، ونادت : يا جدّاه إنّي ناعية اليك أخي الحسين عليه السلام ، وهيت مع ذلك لا تجف لها عبرة ، ولا تفتر من البكاء والنحبي ، وكلّما نظرت الي علي بن الحسين عليهماالسلام تجدّد حزنها ، وزاد وجودها .

1- المنتخب : 2/484 .

فلمّا دخلوا الي دار الرسول ، وجدوها مقفرة الطلول ، خالية من سكّانها ، حاكية أحزانها ، وقد غشيها القدر النازل ، وساورها الخطب الهائل . . وبكت أبوابها وجدرانها ، لفقدها أناس كانت تأنس بهم في الخلوات ، وتسمع تهجدهم في الصلوات . .

ولله درّ من قال :

وقفت علي دار النبي محمد

فلقيتها قد أقفرت عرصاتهاوأمست خلاء من تلاوة قاري ء

وعطّل منها صومها وصلاتها

وكانت ملاذا للأنام وجنّة

من الخطب يغني المنفقين صلاتها

فأقفرت من السادات من آل هاشم

ولم يجتمع بعد الحسين شتاتها

فعيني لقتل السبط عبري ولوعتي

علي فقدهم ما تنقضي زفراتها

فيا كبدي كم تصبرين علي الأذي

أما آن أن تفني إذا حسراتها(1)

لا ينقضي الهمّ إلاّ بظهور المنتقم

مولاي ضاق الصدر قلّ الصبر حلّ

الأمر طال تضرّع المتضرّع

قم غير مأمور علي اسم اللّه

وأغمده بهامة كلّ رجس مبدع

أرح البلاد من الفساد وقم بأع-

-باء الجهاد وثب لذلك واسرع

يا ربّ كن عونا له ومؤيدا

وأزل له جور المعاند واقمع

تمت هذه الرسالة الشـريفة التي كتبتها علي سبيل العجالة ، راجيا من الناظر فيها أن يذكر المؤلف العاصي في حياته ومماته بالخير ، ويدعو له بالمغفرة ، ويـدخل السـرور عليه بـذلك ، وإذا وجد خطأً أو زللاً ، فليبادر الي التخطئة ، فإذا تحقّق الخطأ ، فهو متوقّع ممّن غطّته الخطايا من قرنه حتي قدميه .

ص: 533

1- المنتخب : 2/487 .

الفهرست

مقدّمة المترجم ... 5

مقدّمة المؤلف ... 15

[سبب تأليف الكتاب] ... 15

نظرة الي آداب إقامة العزاء

(19 - 32)

المطلب الأول في آداب التعزية وإقامة المآتم ... 19

إقامة المآتم علي الإمام الحسين الي قيام قائم آل محمد عليهم السلام ... 24

المطلب الثاني أدلة وطرق ذكر مناقب أهل البيت عليهم السلام 28

[هل يجوز أخذ الأجرة علي النياحة] ... 30

المجلس الأول

خروج سيد الشهداء عليه السلام من المدينة المشرّفة الي مكة المعظمة

(33 - 54)

المظلومون المشرّدون ... 34

تمرّد الأُمّة ... 36

لماذا لم ينزل العذاب ؟ ... 38

تأثير مصائب الحسين عليه السلام في الكون ... 42

تأمّل آخر في مصائب الإمام الحسين عليه السلام ... 45

ذكر خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة الي مكة ... 47

هلاك معاوية وبيعة يزيد ... 47

الإمام الحسين عليه السلام يري جدّه رسول اللّه صلي الله عليه و آله في الرؤيا ... 48

الإمام الحسين عليه السلام يودّع قبر أمّه فاطمة الزهراء عليهاالسلام وأخيه الحسن المجتبي عليه السلام ... 49

تحرّك الحسين عليه السلام من المدينة المنورة ... 50

بكاء نساء بني هاشم عند خروج الحسين عليه السلام من المدينة ... 51

لقاء الحسين عليه السلام بطائفة من الملائكة ... 52

لقاء الحسين عليه السلام بطائفة من مسلمي الجن ... 52

لقاء الإمام الحسين عليه السلام بأمّ سلمة عليهاالسلام ... 53

المجلس الثاني

خروج سيد السعداء من مكة المعظمة الي العراق وورووده كربلاء

(55 – 104)

حرمة الكعبة ... 56

الكعبة والحرم الحقيقيتان ... 59

أشقياء الأمّة وهتك حرمة الحرم الإلهي ... 61

قطرة من بحار فضائل أهل البيت عليهم السلام ... 62

جبرئيل الأمين عليه السلام خادم أهل البيت عليهم السلام ... 65

صرخة جبرئيل عليه السلام يوم عاشوراء ... 67

مصيبة ما أعظمها ! ... 68

ص: 536

بكاء الكائنات علي الإمام الحسين عليه السلام ... 72

بكاء المخلوقات علي الإمام الحسين عليه السلام ... 75

ثواب البكاء علي الإمام الحسين عليه السلام ... 76

ورود الإمام الحسين عليه السلام مكة ... 77

جواب الإمام الحسين عليه السلام علي كتب الكوفيين ... 80

خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة ... 81

كلام الإمام الحسين عليه السلام مع محمد بن الحنفية ... 82

خطبة الإمام الحسين عليه السلام قبل خروجه من مكة ... 83

كلام الإمام الحسين عليه السلام مع ابن عباس ... 84

بكاء مكة والحرم علي فراق نور عين العالمين ... 84

لقاء الحسين عليه السلام مع الفرزدق ... 85

كتاب عبد اللّه بن جعفر للحسين عليه السلام ... 86

لقاء الحسين عليه السلام مع بشر بن غالب في ذات عرق ... 87

كلام الإمام الحسين عليه السلام مع ابنه علي الأكبر في منزل الثعلبية ... 87

لقاء الحسين عليه السلام مع أبي هرة ... 88

في « قصر بني مقاتل » ... 88

حركة الإمام الحسين عليه السلام نحو الكوفة وأول ردّة فعل لابن زياد اللعين ... 89

كتاب الحسين عليه السلام لأهل الكوفة من بطن الرمّة ... 89

إلقاء القبض علي رسول الحسين عليه السلام ... 90

رؤيا السيدة زينب عليهاالسلام في منزل الخزيمية ... 90

في منزل « عقبة البطن » ... 91

خبر مقتل مسلم عليه السلام في منزل الثعلبية... 91

الإمام الحسين عليه السلام يمسح علي رأس بنت مسلم الصغيرة... 92

ص: 537

الإمام الحسين عليه السلام يشيد بمقام مسلم عليه السلام ... 93

وصول خبر شهادة رسول الحسين عليه السلام في زبالة ... 94

[في بطن العقبة] ... 95

لقاء الحر مع الحسين عليه السلام في منزل شراف ... 95

قطرة من بحار الرحمة الحسينية ... 97

خطبة الحسين عليه السلام في أصحاب الحر ... 98

القوم يمنعون الحسين عليه السلام وأصحابه من الإنصراف ... 99

في قصر بني مقاتل ... 100

وصول كتاب ابن زياد الملعون الي الحر ... 101

النزول في كربلاء ... 102

ألا لعنة اللّه علي القوم الظالمين ... 103

المجلس الثالث

وقائع كربلاء منذ نزلها الحسين عليه السلام الي ليلة عاشوراء

(105 - 132)

نظرة الي التقابل بين الدنيا والآخرة ... 106

عقاب قتلة الحسين عليه السلام ... 108

إخبار النبي صلي الله عليه و آله بشهادة الحسين عليه السلام ... 109

عمر بن سعد علي مفترق طريقين ... 115

حرمان عمر بن سعد من ولاية الري ... 118

كتاب ابن زياد - لعنه اللّه - الي الإمام الحسين عليه السلام ... 119

ورود عمر بن سعد الي كربلاء ... 120

كتاب ابن زياد – لعنه اللّه – الي عمر بن سعد ... 122

ص: 538

خطبة ابن زياد وتحريض الناس علي حرب الحسين عليه السلام ... 122

خروج شمر اللعين وتتابع الجيوش بالخروج الي كربلاء ... 122

ابن زياد يأمر بمنع الماء علي الحسين عليه السلام ... 125

العباس يستقي الماء لمعسكر الحسين عليه السلام ... 126

اجتماع الحسين عليه السلام بعمر بن سعد – لعنه اللّه – ... 127

كتاب آخر من عمر بن سعد الي ابن زياد وجوابه ... 128

هجوم القوم علي خيام الحسين عليه السلام عصر تاسوعاء واضطراب زينب عليهاالسلام ... 130

العباس يستمهل القوم ... 131

المجلس الرابع

وقائع ليلة العاشر

(133 – 162)

نصر اللّه ... 134

مصاديق نصرة اللّه ... 134

أول من نصر دين اللّه ... 136

طغيان أعداء أهل البيت ... 137

الإمام الحسين عليه السلام ينصر دين اللّه ... 142

أصحاب الحسين عليه السلام ينصرون دين اللّه ... 144

زهير بن القين ينصر الإمام الحسين عليه السلام ... 144

بعض خصائص أنصار الإمام الحسين عليه السلام ... 147

أنصار الإمام الحسين عليه السلام في ميدان الإمتحان ... 152

ليلة العاشر برواية السيدة سكينة عليهاالسلام ... 153

ص: 539

بنو هاشم يعلنون الوفاء... 156

الأنصار يعلنون الوفاء... 156

تتمة رواية الإمام السجاد عليه السلام... 157

سعادة جماعة ليلة العاشر بإلتحاقهم بمعسكر الحسين عليه السلام... 158

ليلة العاشر ليلة العبادة والمناجاة... 158

ليلة العاشر آخر ليلة من عمر الإمام الحسين عليه السلام... 159

رؤيا الإمام الحسين عليه السلام وقت السحر ليلة العاشر... 160

المجلس الخامس

وقائع صبح عاشوراء

المؤلمة فترة الصبح والضحي والظهر

(163 - 188)

إشارة الي فضائل الإمامين الحسن والحسين عليهماالسلام... 170

ثواب زيارة الحسين عليه السلام... 171

إشارة الي عظم مصيبة الإمام الحسين عليه السلام... 177

اصطفاف جيش العدو صبح عاشوراء... 181

برير يكلّم القوم... 183

الإمام الحسين عليه السلام يكلّم القوم... 184

كلام عمر بن سعد مع الإمام الحسين عليه السلام... 187

المجلس السادس

في بيان شهادة بعض أصحابه الكرام

(189 - 226)الشهداء ومقام القرب الإلهي... 190

شهداء كربلاء أفضل من أصحاب الرسول صلي الله عليه و آله... 193

أفضلية شهداء كربلاء... 196

الإخبار بشهادة الإمام الحسين عليه السلام... 200

مبارزات أنصار الإمام الحسين عليه السلام وشهادتهم... 203

شهادة الحر... 204

شهادة برير بن خضير الهمداني... 206

شهادة وهب بن عبد اللّه الكلبي... 208

شهادة عمرو بن خالد الأزدي وابنه... 210

شهادة سعد التميمي... 211

شهادة عمران المذحجي... 211

شهادة مسلم بن عوسجة الأسدي... 212

وصية مسلم بن عوسجة... 212

شهادة نافع بن هلال واشتداد حملات أنصار الحسين عليه السلام... 213

شهادة عمرو بن قرظة الأنصاري... 214

صلاة الظهر يوم عاشوراء... 215

شهادة جون غلام أبي ذر... 216

شهادة عمرو بن خالد الصيداوي... 217

شهادة حنظلة الشبامي... 217

شهادة سويد بن عمرو... 218

شهادة الحجاج بن مسروق مؤذن الحسين عليه السلام... 218

شهادة زهير بن القين... 218شهادة حبيب بن مظاهر... 219

شهادة هلال بن نافع البجلي ... 220

ص: 541

شهادة شاب قتل أبوه في المعركة... 221

شهادة عابس الشاكري ومولاه... 222

شهادة عبد اللّه وعبد الرحمن الغفاريان... 223

شهادة الغلام التركي... 223

شهادة يزيد بن زياد... 224

شهادة أبو عمرو النهشلي... 224

المجلس السابع

في شهادة أولاد عقيل وشهادة القاسم بن الحسن عليهماالسلام

(227 - 252)

البرّ والإحسان للوالدين... 228

الإمام هو الوالد الحقيقي... 229

تفسير الوالدين بالحسنين عليهماالسلام... 231

الشكر والإحسان للوالدين الحقيقيين... 232

الإحسان والبر بالبكاء وإقامة العزاء... 235

إشارة الي مصائب أهل البيت عليهم السلام... 237

للحسين عليه السلام درجة لا ينالها أحد من المخلوقين... 238

الأمم الأخري وإقامة عزاء الحسين

عليه السلام... 241

إن كنت باكيا فابك علي الحسين عليه السلام... 243

شهادة آل الحسين عليه السلام... 245

شهادة عبد اللّه بن مسلم عليهماالسلام... 245شهادة محمد بن مسلم عليهماالسلام... 246

شهادة عبد الرحمن بن عقيل عليهماالسلام ... 246

شهادة عبد اللّه بن عقيل وبقية آل عقيل عليهم السلام ... 247

ص: 542

شهادة أولاد جعفر عليهم السلام ... 247

شهادة محمد بن عبد اللّه بن جعفر ... 247

شهادة عون بن عبد اللّه بن جعفر ... 248

شهادة أولاد الإمام الحسن عليه السلام ... 248

شهادة القاسم بن الحسن عليهماالسلام ... 249

مصرع القاسم عليه السلام ... 250

المجلس الثامن

في بيان شهادة أولاد أمير المؤمنين عليهم السلام

(253 - 284)

الأشهر الحرم وحرمتها ... 254

حرمة شهر المحرم ... 255

ما هو المقصود من الأشهر الإثني عشر في هذه الآية ... 255

وجه التعبير عن الأئمة عليهم السلام بالشهور ... 258

مقارنة بين الإمام الحسين ويحيي عليهماالسلام ... 261

بكاء الملائكة والجن علي الحسين عليه السلام ... 263

قتلوا بقتله الإسلام ... 264

مقتطفات من فضائل الحسين عليه السلام التي لا تحصي ... 266

العجب ممّا فعله الأعداء ... 267

محبّة النبي صلي الله عليه و آله لأهل بيته عليهم السلام ... 270شهادة أولاد أمير المؤمنين علي : ... 274

لمحة عن فضائل أبي الفضل العباس عليه السلام ... 274

شهادة أبي بكر بن علي عليهماالسلام ... 277

شهادة عمر بن علي عليهماالسلام ... 277

شهادة عثمان بن علي عليهماالسلام ... 277

شهادة جعفر بن علي عليهماالسلام ... 278

شهادة عبد اللّه بن علي عليهماالسلام ... 278

حملة حامل اللواء ... 279

الأمير الوفي في ميدان كربلاء ... 279

سقّاء كربلاء يتّجه نحو الفرات ... 280

مصرع أبي الفضل العباس عليه السلام ... 282

وقوف سيد الشهداء عليه السلام علي مصرع العباس عليه السلام ... 283

المجلس التاسع

في شهادة فرع حيدر الكرار عليه السلام

وشبيه النبي المختار صلي الله عليه و آله المولي علي الأكبر عليه السلام

(285 - 318)

المشيئة الإلهية و إبتلاء العباد ... 286

الإختبار الإلهي وبشري الصابرين ... 288

صبر خاتم الأنبياء صلي الله عليه و آله وذكر بعض مصائب أهل البيت عليهم السلام ... 289

مصيبة الحسين عليه السلام أعظم المصائب ... 291

صبر سيد الشهداء عليه السلام ... 292صبر الحسين عليه السلام ورضاه ... 293

علّة بكاء الحسين عليه السلام يوم عاشوراء ... 294

ما عوّض اللّه به الحسين عليه السلام عن صبره ... 298

محن الأولياء وكراماتهم ... 301

الإمام الحسين عليه السلام في مقدّمة أولياء اللّه ... 303

إشارة الي مصائب يحيي عليه السلام... 304

مقارنة بين مصائب الإمام الحسين عليه السلام الفادحة وبين مصائب الأنبياء

عليهم السلام... 307

إبراهيم الخليل عليه السلام والذبح العظيم... 309

نظرة الي فضائل علي الأكبر عليه السلام... 312

علي الأكبر عليه السلام يعزم علي القتال... 314

علي الأكبر عليه السلام في الميدان... 315

نموذج من شجاعة علي الأكبر عليه السلام... 316

شهادة علي الأكبر عليه السلام... 316

خروج الحرم في شهادة علي الأكبر عليه السلام... 317

بكاء السيدة سكينة عليهاالسلام علي علي الأكبر عليه السلام... 318

المجلس العاشر

في قتال سيد الشهداء عليه السلام

(319 - 372)

الإمام الحسين عليه السلام صاحب النفس المطمئنة... 320

الإمام الحسين عليه السلام ومقام الرضا والمحبّة... 321

مقارنة بين يعقوب النبي عليه السلام والإمام الحسين عليه السلام... 324

الإمام الحسين عليه السلام زينة العرش... 324

محبّة الحسين عليه السلام المكنونة في القلوب... 326

إنّكم لا تطيقون سماع فضائلنا... 327

حبّ اللّه ورسوله صلي الله عليه و آله للحسين عليه السلام... 328

محمد وآل محمد عليهم السلام الواسطة في خلق جمع المخلوقات... 330

المصيبة التي لم يطق الأنبياء عليهم السلام سماعها... 331

ص: 545

تأثير مصيبة الإمام الحسين عليه السلام في الأشياء ... 336

المصيبة العظمي ... 341

عاشوراء يوم حزن وهموم ... 344

غربة الحسين عليه السلام يوم عاشوراء ... 348

شهادة علي الأصغر عليه السلام ... 349

الإمام الحسين عليه السلام يودّع العيال ... 351

الإمام الحسين عليه السلام يواجه الأعداء ... 353

الإمام الحسين عليه السلام يودّع العيال وداعا آخر ... 354

شجاعة الحسين عليه السلام في كربلاء ... 356

عودة الي الخيام ومواساة الحرم ... 357

حملة أخري ... 357

وداع آخر ... 358

أسد الأسود يحمل حملة أخري ... 359

عجز القوم عن مواجهة الحسين عليه السلام ... 360

عطش الحسين عليه السلام يوم عاشوراء ... 362

حملته عليه السلام الرابعة علي الذئاب ... 363

جراحات الحسين عليه السلام ... 363

وداع آخر ... 365

محاصرة الإمام الحسين عليه السلام ... 366

شهادة عبد اللّه بن الحسن في اللحظات الأخيرة قبل شهادة الحسين عليه السلام ... 366

آخر لحظات الإمام الحسين عليه السلام ... 367

حضور زينب عليهاالسلام عند الحسين عليه السلام ... 368

مصرع الحسين عليه السلام ... 368

مصرع الحسين عليه السلام برواية هلال بن نافع ... 370

ص: 546

المجلس الحادي عشر

وقائع ما بعد شهادة سيد الشهداء عليه السلام ونهب الخيام

(373 – 402)

الأمّة وأجر الرسالة... 374

أفضل الأعمال... 376

ولاية أهل البيت وقبول الأعمال... 377

العجب من هذه الأمّة... 379

أعظم الواجبات محبّة أهل البيت عليهم السلام... 381

مراتب المحبّة... 381

حبّ الحسين عليه السلام والبكاء عليه... 382

تأثير المحبّة والمعرفة في التأثر بالمصيبة... 385

عظم مصيبة الحسين عليه السلام علي أهل البيت عليهم السلام... 386

بعد الشهادة... 390

عودة الفرس الي الخيام... 391

حرق الخيام... 392

نهب الخيام برواية فاطمة الصغري عليهاالسلام... 392

رواية أخري عن فاطمة الصغري عليهاالسلام... 394

جسم الحسين عليه السلام تحت سنابك الخيل... 396

سبي آل البيت... 397

مرور أهل البيت علي مصارع الشهداء... 398

ندبة زينب الكبري عليهاالسلام في المصرع... 399

سكينة عليهاالسلام عند جسد الحسين عليه السلام ... 400

مرور الإمام السجاد عليه السلام علي مصرع أبيه عليه السلام ... 401

ص: 547

المجلس الثاني عشر

في ورود قافلة المحنة والألم الي الكوفة

(403 – 438)

للّه الأمر من قبل ومن بعد... 404

الإمام الحسين عليه السلام والأنبياء عليهم السلام... 405

آدم عليه السلام والحسين عليه السلام... 406

نوح والحسين عليهماالسلام... 406

سليمان والحسين عليهماالسلام... 406

إبراهيم والحسين عليهماالسلام... 407

موسي والحسين عليهماالسلام... 408

عيسي والحسين عليهماالسلام... 409

بعض غرائب أموره عليه السلام... 410

إسماعيل ويحيي والحسين عليهم السلام... 412

زيارة أرواح الأنبياء عليهم السلام لقبر الحسين عليه السلام... 413

نوح الجن علي الحسين عليه السلام... 415

رؤوس الشهداء علي رؤوس الرماح... 417

إرسال الرأس المقدّس الي ابن زياد... 418

الرأس المقدّس في تنور خولي... 419

دخول السبايا الي الكوفة... 420

خطبة السيدة زينب عليهاالسلام في الكوفة... 421

خطبة فاطمة الصغري عليهاالسلام في الكوفة... 423

خطبة السيدة أم كلثوم عليهاالسلام في الكوفة... 426

خطبة الإمام سيد الساجدين عليه السلام في الكوفة... 427

ص: 548

ورود أهل البيت الي الكوفة برواية مسلم الجصّاص ... 428

كلام السيدة زينب عليهاالسلام مع الرأس المقدّس في الكوفة ... 429

السبايا في مجلس ابن زياد الملعون ... 430

كلام الإمام السجاد عليه السلام وابن زياد لعنه اللّه ... 432

إعتراض زيد بن أرقم في مجلس ابن زياد ... 432

ابن زياد يأمر بحبس أهل البيت عليهم السلام ... 434

الرأس المقدّس يتلو القرآن ... 434

كتاب ابن زياد الي يزيد وعمرو بن سعيد لعنهم اللّه ... 436

وصول خبر شهادة الحسين عليه السلام وأصحابه الي المدينة ... 436

المجلس الثالث عشر

في دخول قافلة المحنة والآلام الي الشام وما جري عليهم هناك

(439 – 500)

ناقضوا العهد ... 440

مقارنة بين الأمم السالفة والأمّة المرحومة ... 441

الظليمة العظمي في التاريخ ... 444

إشارة الي فضائل أهل البيت ومقاماتهم عليهم السلام ... 445

كرم الحسين عليه السلام وسخاؤه ... 446

عبادته عليه السلام ... 448

أول من أسس أساس الظلم والجور علي أهل البيت عليهم السلام ... 449

كتاب عبد اللّه بن عمر الي يزيد في شهادة الحسين عليه السلام ... 449

خروج عبد اللّه بن عمر الي يزيد عليه اللعنة ... 450

ص: 549

صور من تظلّم الزهراء عليهاالسلام يوم المحشر ... 458

حركة أهل البيت عليهم السلام من الكوفة الي الشام ... 460

أهل البيت عليهم السلام في تكريت ... 461

أهل البيت عليهم السلام في وادي النخلة ... 461

أهل البيت عليهم السلام في مرشاد ... 462

أهل البيت عليهم السلام في بعلبك ... 462

الرأس المقدّس في طريق الشام ... 462

مصائب أهل البيت عليهم السلام في الشام ... 467

أهل البيت عليهم السلام علي مشارف الشام ... 469

ورود أهل البيت عليهم السلام الي الشام برواية سهل الساعدي ... 470

نصراني يسلم عند رأس الحسين عليه السلام ... 471

فرح بني أمية بدخول السبايا الي الشام ... 472

تعامل أهل الشام مع أسري آل محمد

صلي الله عليه و آله ... 472

يزيد – لعنه اللّه – يسمع بخبر وصول السبايا ... 473

الرأس المقدّس يتكلّم في الشام ... 474

أهل البيت عليهم السلام في مجلس يزيد الملعون ... 474

الرأس المقدّس في مجلس يزيد وآهات أهل البيت عليهم السلام ... 476

يزيد لعنه اللّه يقرع الرأس المقدّس وأبو برزة الأسلمي يعترض ... 477

خطبة السيدة الحوراء زينب الكبري

عليهاالسلام في مجلس يزيد لعنه اللّه ... 477

مجلس يزيد لعنه اللّه برواية الإمام الرضا عليه السلام ... 479

مجلس يزيد لعنه اللّه برواية أخري ... 480

كلام يزيد لعنه اللّه مع السيدة سكينة عليهاالسلام ... 480

كلام يزيد لعنه اللّه مع زينب الحوراء عليهاالسلام ... 481

شامي يستوهب فاطمة من يزيد لعنه اللّه ... 482

إعتراض النصراني علي يزيد لعنه اللّه ... 483

حبس أهل البيت عليهم السلام في خرابة الشام... 486

صلب الرأس المقدّس علي باب دار يزيد لعنه اللّه وخروج هند زوجة يزيد... 487

الي المجلس العام... 487

الرأس المقدّس والأنبياء عليهم السلام... 487

إعتراض سفير الروم في مجلس يزيد لعنه اللّه ... 489

كلام رأس الجالوت... 491

إعتراض الإمام السجاد عليه السلام علي خطيب يزيد اللعين... 491

خطبة السجاد عليه السلام في مجلس يزيد... 492

فزع يزيد من خطبة السجاد عليه السلام... 494

كلام الإمام السجاد عليه السلام مع المنهال... 494

إعتراض حبر من أحبار اليهود في مجلس يزيد لعنه اللّه ... 495

رؤيا سكينة المظلومة عليهاالسلام في شام المحنة والبلاء... 495

رؤيا هند زوجة يزيد لعنه اللّه ... 497

أهل البيت : يقيمون العزاء في الشام... 498

المجلس الرابع عشر

في دخول أهل البيت الي المدينة المنوّرة

(501 - 532)

حكم من قتل مظلوما... 502

المنتقم للحسين عليه السلام... 502

إشارة الي أيام ظهور صاحب الأمر صلوات اللّه عليه ... 505

ص: 551

تظلّم فاطمة عليهاالسلام في الرجعة ... 506

تظلّم أمير المؤمنين عليه السلام ... 509

تظلّم الحسن المجتبي عليه السلام ... 510

تظلّم سيد الشهداء عليه السلام وأصحابه ... 511

عاقبة الظالمين ... 512

نقمة اللّه علي قاتلي الحسين عليه السلام في الدنيا ... 514

عمّر مئة سنة في انتظار دولة القائم عليه السلام ... 517

الإنتقام العاجل لدم الحسين عليه السلام ... 518

عودة أهل البيت عليهم السلام الي المدينة ... 519

زيارة الأربعين ... 522

إقامة العزاء في كربلاء ... 522

ندبة أهل البيت عليهم السلام في كربلاء ... 523

وقفة مع زيارة الأربعين الأولي ... 524

أهل البيت عليهم السلام يودّعون كربلاء ... 526

دخول أهل البيت عليهم السلام الي المدينة ... 527

بشير ينعي الحسين عليه السلام في المدينة ... 527

محمد ابن الحنفية يستقبل الضعن ... 529

مرثية أم كلثوم عليهاالسلام في المدينة ... 530

ندبة زينب عليهاالسلام في المدينة ... 530

لا ينقضي الهمّ إلاّ بظهور المنتقم ... 531

الفهرست ... 533

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِی الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: 9

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم 129، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 88318722 ـ 021

قسم البيع 09132000109شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹